المحتويات

[المقدمة 4](#_Toc393575637)

[الفصل الأول : مفهوم الهم ( مفهوم التصور ) 5](#_Toc393575638)

[ـ خطوات التعامل مع المعلومات : 5](#_Toc393575639)

[ـ مفهوم انشغال الهم : 5](#_Toc393575640)

[ـ الهم في القرآن : 7](#_Toc393575641)

[ـ كلمة ( القلب ) في الشرع تشمل ثلاثة أمور هي : 8](#_Toc393575642)

[ـ مفهوم القلب السليم : 9](#_Toc393575643)

[ـ الفرق بين الهم الأكبر والأصغر وبين الهم الدائم والهم المؤقت : 12](#_Toc393575644)

[الفصل الـثاني : الفرق بين العلم والرؤية وبين التصور 13](#_Toc393575645)

[ـ الفرق بين عمل العقل وعمل الهم : 14](#_Toc393575646)

[ـ أمثلة توضح الفرق بين المعرفة والعلم والفهم والرؤية وبين التصور : 15](#_Toc393575647)

[الفصل الثالث : الأدلة على وجود اليقين بالله والآخرة عند جميع الناس 18](#_Toc393575648)

[الفصل الرابع : الأدلة على أن اليقين بربوبية الله عند الكفار كاذب 20](#_Toc393575649)

[الفصل الـخامس : العلم مع الغفلة كاذب 24](#_Toc393575650)

[ـ اليقين مع الغفلة كاذب : 26](#_Toc393575651)

[ـ مفهوم التغافل ( عدم التصور ) : 27](#_Toc393575652)

[ـ مفهوم الغفلة عن الله والآخرة : 28](#_Toc393575653)

[ـ التناقض بين قول العقل وقول الهموم والمشاعر : 30](#_Toc393575654)

[ـ الإجابة على أسئلة القبر : 31](#_Toc393575655)

[الفصل السادس : موقف الناس من الدين من ناحية الهم 32](#_Toc393575656)

[الفصل السابع : تلهي القلب ( شغل الهم بالدنيا ) 57](#_Toc393575657)

[الفصل الثامن : تصور معنى كلام الله 60](#_Toc393575658)

[ـ تصور الرسل باعتبارهم رسل الله 66](#_Toc393575659)

[الفصل التاسع : تصور السفر إلى الآخرة وقصر عمر الدنيا 67](#_Toc393575660)

[ـ التعامل مع الدنيا على أنها دار سفر : 68](#_Toc393575661)

[ـ الفرق بين اليقين بأننا مسافرون وبين تصور ذلك : 68](#_Toc393575662)

[ـ اليقين الحقيقي بالموت : 75](#_Toc393575663)

[الفصل العاشر : تصور خطورة معنى ( الآخرة ) 79](#_Toc393575664)

[ـ اليقين الحقيقي بقدرة الله على البعث : 79](#_Toc393575665)

[ـ مفهوم نسيان الآخرة والغفلة عن الآخرة : 80](#_Toc393575666)

[ـ الدنيا هادئة تماما ومعزولة عن خطر الآخرة الهائل : 81](#_Toc393575667)

[ـ الغفلة التامة عن الخطر العظيم ( الآخرة ) !! : 82](#_Toc393575668)

[ـ الفرق بين اليقين الكاذب واليقين الحقيقي بالآخرة : 86](#_Toc393575669)

[ـ الشعور بوجود الجنة 86](#_Toc393575670)

[ـ اليقين الحقيقي بمتع وملذات الجنة : 87](#_Toc393575671)

[ـ الفرق بين اليقين الكاذب واليقين الحقيقي بالجنة : 90](#_Toc393575672)

[ـ الشعور بوجود النار 90](#_Toc393575673)

[الفصل الحادي عشر : شروط الهم السليم 92](#_Toc393575674)

[ـ شروط التصور السليم لحقائق الأشياء : 93](#_Toc393575675)

[الفصل الثاني عشر : تصور خطورة الآيات الكونية 101](#_Toc393575676)

[ـ حتى يتحقق التصور لحقيقة الأشياء من حولنا لابد أن نتعامل مع الأشياء كأننا نراها لأول مرة : 101](#_Toc393575677)

[ـ التصور السليم للكون والأشياء يكون في خمسة نواحي : 102](#_Toc393575678)

[ـ التعامل الخاطئ مع الأشياء : 105](#_Toc393575679)

[ـ " الإعراض عن آيات الله الكونية " في القرآن : 106](#_Toc393575680)

[ـ الفرق بين اليقين الكاذب واليقين الحقيقي بالآيات الدالة على الخالق : 106](#_Toc393575681)

[ـ التعامل الصحيح مع الآيات الكونية : 107](#_Toc393575682)

[ـ أمثلة تبين التصور للآيات الكونية : 107](#_Toc393575683)

[ـ الفرق بين اليقين الكاذب واليقين الحقيقي بالحقائق العلمية : 110](#_Toc393575684)

[الفصل الثالث عشر : تصور صفات الذي في السماء 111](#_Toc393575685)

[ـ تصور مدى قدرة الله تعالى 111](#_Toc393575686)

[ـ تصور مدى علم الله تعالى 114](#_Toc393575687)

[ـ تصور معنى ( المالك ) 115](#_Toc393575688)

[ـ تصور معنى صفات الإنعام 120](#_Toc393575689)

[ـ تصور معنى ( الملك ) 124](#_Toc393575690)

[ـ تصور معنى عظمة الله تعالى 125](#_Toc393575691)

[الفصل الرابع عشر : تصور وجود الملائكة والجن حولنا 126](#_Toc393575692)

[ـ الفرق بين اليقين الكاذب واليقين الحقيقي بوجود الملائكة والجن معنا : 127](#_Toc393575693)

[الفصل الـخامس عشر : تصور خطورة الاختبار 128](#_Toc393575694)

[ـ أولا : تصور صعوبة الاختبار : 128](#_Toc393575695)

[ـ ثانيا : تصور أننا نعيش تحت المراقبة و بأننا نعيش الآن في حالة امتحان وانتهاءه في أي لحظة : 138](#_Toc393575696)

[الفصل الـسادس عشر : أثر التصور على المشاعر 139](#_Toc393575697)

[ـ انشغال الهم والمشاعر متلازمان بالضرورة : 140](#_Toc393575698)

[ـ المشاعر نوعين : 140](#_Toc393575699)

[ـ الأدلة على أن غياب المشاعر المتعلقة بالله والآخرة نفاق أكبر : 141](#_Toc393575700)

[ـ حب الله تعالى 143](#_Toc393575701)

[ـ الحالة النفسية للحب : 146](#_Toc393575702)

[ـ المشاعر المتعلقة بالثواب والعقاب ( الخوف من العقاب والرجاء في الثواب) 146](#_Toc393575703)

[ـ الحالة النفسية للخوف وللرجاء : 148](#_Toc393575704)

[ـ كيف تعرف هل المشاعر المتعلقة بالله والآخرة موجودة عندك أم لا ؟ : 149](#_Toc393575705)

[ـ الفرق بين تحقيق مشاعر الإيمان والاقتناع بالعمل على تحقيقها : 150](#_Toc393575706)

[الفصل الـسابع عشر : التصور وخوف المهابة متلازمان 151](#_Toc393575707)

[ـ الحالة النفسية للشعور بالترقب والانتظار للقاء الله والآخرة ( الاستعداد النفسي والتأهب والتطلع إلى الآخرة ) : 153](#_Toc393575708)

[ـ الشعور بخوف المهابة من لقاء الله ومحاسبته للعبد 154](#_Toc393575709)

[ـ الشعور بترقب الموت ( الشعور بأن الموت متوقع في أي وقت الآن ) 154](#_Toc393575710)

[ـ أنواع خوف المهابة من الموت : 154](#_Toc393575711)

[ـ الخوف من مهابة الله تعالى 155](#_Toc393575712)

[ـ الحالة النفسية للخوف والقلق والتوتر والاضطراب : 157](#_Toc393575713)

[ـ الخوف الدائم والمخاوف المؤقتة : 157](#_Toc393575714)

[ـ أنواع الخوف من هيبة الله تعالى : 157](#_Toc393575715)

[ـ خوف المهابة من هول الآخرة 159](#_Toc393575716)

[الفصل الثامن عشر : التغافل وابتعاد المشاعر والهموم والأهداف عن النفس والدنيا 159](#_Toc393575717)

[ـ انتقال الهم والمشاعر : 161](#_Toc393575718)

[ـ الحالة النفسية المميزة لابتعاد المشاعر عن ما سوى الله وما يتصل به ( الشعور بالراحة والسعادة النفسية ـ حلاوة الإيمان ) : 162](#_Toc393575719)

[ـ أولا : الشعور بالخضوع ( ما يشعر به العبد عند سيده ـ الشعور بالضعف ـ إلغاء الإرادة ) 162](#_Toc393575720)

[ـ الحالة النفسية للخضوع والاستسلام : 165](#_Toc393575721)

[ـ ثانيا : الرضا بأفعال الله ( الرضا بالقضاء والقدر ) 166](#_Toc393575722)

[ـ الفرق بين الاقتناع الكاذب والرضا بالقضاء والقدر : 166](#_Toc393575723)

[ـ الحالة النفسية للشعور بالرضا : 168](#_Toc393575724)

[ـ ثالثا : التوكل ( الاستعانة ) 168](#_Toc393575725)

[ـ الحالة النفسية للتوكل : 168](#_Toc393575726)

[ـ رابعا : الشعور بالغربة 169](#_Toc393575727)

[ـ الحالة النفسية للشعور بالغربة : 170](#_Toc393575728)

[الفصل التاسع عشر : لماذا يمنع الإنسان نفسه من التصور السليم ؟ 170](#_Toc393575729)

[ـ العلاقة بين التصور والخضوع : 174](#_Toc393575730)

[ـ كيف يعقل الإنسان أصل قضية الدين ومعنى أن له خالقا ؟ : 174](#_Toc393575731)

[الفصل الـعشرون : عبادة الهوى 177](#_Toc393575732)

[ـ مفهوم عبادة الهوى : 178](#_Toc393575733)

[ـ الأدلة على عبادة الهوى : 178](#_Toc393575734)

[ـ من صور عبادة الهوى : 181](#_Toc393575735)

[الفصل الحادي والعشرون : العمل مع غفلة القلب فاسد 184](#_Toc393575736)

[ـ العمل ليس بديل عن إيمان القلب : 184](#_Toc393575737)

[ـ المعاصي والشهوات تعنى غفلة القلب أو وجود قدر من الغفلة في القلب : 185](#_Toc393575738)

[ـ أثر التصور على حل مشاكل المجتمع : 185](#_Toc393575739)

[الخاتمة 186](#_Toc393575740)

**كتاب**

**وظيفة الهم في الإسلام**

د. حسني البشبيشي

# المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين ، أما بعد :

ـ هم الإنسان مصمم بحيث ينشغل بالأمر الهام ولا ينشغل بالأمر التافه ، هذه قاعدة فطرية لا تحتاج إلى دليل ، ولكن الإنسان قد يتدخل فيقلب همه فيكون من الغافلين عن الله والآخرة ، فكيف يحدث ذلك ولماذا ؟ ، وكيف تنقلب المشاعر بناءا على انقلاب الهم ؟ وكيف يعود الهم إلى وظيفته الطبيعية ؟ ، هذا هو موضوع الكتاب ، والله المستعان .

ـ عندما نتكلم عن الإسلام نتكلم عن كل شيء وننسى أهم شيء وهو العمل الذهني ( الهم ) ، فالعمل الذهني هو الذي يصنع الإنسان ويصنع حواسه وحركته وعمله إما صالح وإما طالح ، واذا فسد العمل الذهني فسد عقله وسائر وظائفه ، فهل الإسلام يحدد لنا ما الذي يجب أن ينشغل به الهم وما لا يجب أن ينشغل به ؟ وما مقدار هذا الانشغال ؟ ، وما الذي يشغل أذهان الناس ؟ ، وما الذي يستحق أن ينشغل به الذهن الدنيا أم الآخرة ؟ ، وكيف يوقن الإنسان بوجود خطر هائل ( الآخرة ) ثم لا ينشغل به همه ؟ ، هل تحول يقينه بالآخرة إلى مجرد كلام مفرغ من المعنى ؟ ، وهل الاقتناع التام بأمر خطير مع التغافل عنه يفسد هذا اليقين ويجعله بلا قيمة ؟ ، هذا ما نوضحه في هذا الكتاب .

ـ الإسلام عبارة عن أربعة أمور هي عمل عقلي وعمل ذهني وعمل مشاعر وعمل جوارح ، والمشكلة أننا نتعامل مع الإسلام على أنه أمرين فقط هما العمل العقلي ( اليقين والعقائد ) ، وعمل الجوارح ، وننسى أهم شيء وهو العمل الذهني ( الهم ) وعمل المشاعر كالحب والخوف والرجاء .

ـ لابد أن يكون الإيمان موجودا في عقل الإنسان وفي همه وفي مشاعره وفي قوله وفي عمله ، ولكن المشكلة أن الإيمان قد يكون موجودا في كل هذه الأمور ما عدا الهم والمشاعر ، وعندئذ يكون الإنسان قد وقع في النفاق الأكبر رغم وجود الإيمان في عقله وقوله وعمله ، وهذا الكتاب بيان لهذ الأمر وتحذير للمسلمين من الوقوع في هذا الأمر الخطير .

ـ والمادة العلمية في هذا الكتاب مستقاة من نصوص القرآن والسنة الصحيحة ومن خلال كتب التفسير وأقوال العلماء وأمهات كتب التراث ، وجميع ذلك محققا وفي شكل منهجي ذو عناصر محددة واضحة وفي إطار منهج أهل السنة والجماعة ، وأكثر النصوص مستقاة من موقع المكتبة الشاملة على الإنترنت ، جزي الله خيرا القائمين عليها خير الجزاء .

والله المستعان وعليه التكلان

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

# الفصل الأول : مفهوم الهم ( مفهوم التصور )

ـ قد ينشغل هم الإنسان بأمور الرياضة وقد ينشغل بأمور السياسة وقد ينشغل بالمال وجمعه وقد ينشغل بالمتع والشهوات ، ولكن هل ينشغل الهم بالموت والآخرة ولقاء الله أم لا ؟ وهل انشغاله بهذه الأمور أكبر من انشغاله بالأمور الأخرى ؟ .

ـ لابد أن نعرف أولا على أي أساس ينشغل هم الإنسان ؟ :

ـ وظيفة الهم الطبيعية مصممة بحيث ينشغل الهم بالشيء الهام الخطير ولا ينشغل بالأمر التافه ، وينشغل أكثر بأخطر شيء ثم الأقل في الخطورة والأهمية وهكذا .

ـ عدم انشغال الهم بأمر ما معناه الغفلة عن ذلك الشيء ، فمثلا عدم انشغال الهم بالرياضة معناه أن الإنسان غافل عن الرياضة لا يقيم لها وزنا ولا قيمة فلا يراها تستحق أن تشغل همه ، وكذلك عدم انشغال الهم بالموت والآخرة ولقاء الله معناه أن الإنسان غافل عن الموت والآخرة ولقاء الله لا يقيم لذلك وزنا ولا قيمة فلا يرى أن ذلك يستحق أن يشغل همه .

موقف الناس من الدين من ناحية الهم :

ـ ما هو أخطر شيء في حياة الإنسان على الإطلاق ؟ ، هل هو الموت والآخرة ولقاء الله أم هو المال وجمعه أم هو التمتع بالدنيا وشهواتها أم هو المظاهر والمناصب وأمور السياسة أم الرياضة أم التسلية والسمر ومشاهدة التلفاز أم مشاكل وأعباء الحياة اليومية ؟ .

ـ كل الناس في العالم مسلمين وغير مسلمين يعلمون بوجود الآخرة في حقيقة أنفسهم وان قالوا غير ذلك وموقفهم إما التغافل عن الأمر أو انشغال الهم به .

ـ لو نظرت في هم أكبر رجل سياسي في العالم أو أكبر لاعب كرة في العالم أو أكبر ممثل في العالم أو أكبر رجل أعمال في العالم أو أكبر عالم في الذرة وسألته ما هو أخطر شيء يشغل همك ؟ وهل الموت والآخرة ولقاء الله من ضمن همومك وهل هي أكبر همومك ؟ إنه قد يعتبر أنك تسأله في أمر لا يخصه وقد يعتبر أن ذلك الأمر تافها ، إن هذا الرجل لديه خلل في وظيفة الهم عنده ، وفي هذا الكتاب نبين كيفية إصلاح هذا الخلل ، لذلك لابد أن نبدأ الأمر من بدايته :

### ـ خطوات التعامل مع المعلومات :

1ـ استقبال المعلومة ( عن طريق السمع والبصر )

2ـ العلم بها واليقين بها ( عن طريق العقل )

3ـ تصور خطورة المعلومة وانشغال الهم بها ( عن طريق الهم )

4ـ تأثر المشاعر بها ( خوف المهابة من خطورة المعلومة والخضوع والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب ) .

5ـ العمل بناءا على مدي أهمية وخطورة المعلومة ( أثر تصور خطورة المعلومة )

ـ الخلل يحدث في الخطوة الثالثة ( الهم ) فتفسد جميع الخطوات ، وهذا الكتاب هو شرح لهذا الخلل الذي يحدث في الهم وأثره في إفساد جميع هذه الخطوات الخمسة وبيان لهذه الخطوات ، والله المستعان .

### ـ مفهوم انشغال الهم :

ـ شغل الهم بالأمر معناه التصور المستمر للأمر الهام ، وبعبارات أخرى هو التدبر والتأمل والتفكر والتذكر المستمر للأمر الهام .

ـ وعدم شغل الهم بالأمر معناه الغفلة عن الأمر ، أي عدم التصور للأمر .

ـ هم الإنسان مصمم بحيث ينشغل بالأمر الهام ولا ينشغل بالأمر التافه ، فإذا علم الإنسان أمرا هاما وخطيرا فلابد أن ينشغل به الهم ، فإذا لم يشغل به همه فهو بذلك يتعامل معه كأنه أمر تافه أو كأنه غير موجود .

ـ هم الإنسان إما أن ينشغل بالمال وأمور الدنيا وشهواتها ومشاكلها ومسئولياتها أو ينشغل بنزول كلام الله وتصور قدرة الله وآياته وخطورة الآخرة والموت وحقيقة النفس والدنيا والاستعداد للآخرة .

ـ هم الإنسان دائما مشغول ، فكلما ابتعد الهم عن الدنيا كلما انشغل بالآخرة ، والعكس صحيح ، فإذا كان كل انشغال همه بالدنيا فلا وجود لله والآخرة في همه .

ـ كما أن حب الله والخوف منه ورجاءه والخضوع له والخوف من الآخرة لا تنشأ إلا من شغل الهم بتصور قدر الله وخطورة الآخرة وحقيقة الدنيا .

ـ فكلما زاد حب الدنيا نقص حب الله ، وكلما زاد الخوف من أمور الدنيا نقص الخوف من الله والعكس صحيح ، فما بالك إذا لم يكن هناك شيء من حب الله والخوف منه .

ـ إذا أراد الإنسان أن يرفض أمرا هاما فأمامه طريقتين :

1ـ يرفضه بعقله حيث لا يقتنع به فيكون لديه أدلة تثبت بطلانه ، وهذه طريقة مباشرة .

2ـ يرفضه بهمه حيث لا يشغل همه بالأمر فيكون كأنه أمر تافه أو كأنه غير موجود أو كأنه لم يسمع عنه أصلا ، وهذه طريقة غير مباشرة يستخدمها الإنسان إذا لم يكن لديه أدلة تثبت بطلان الأمر .

ـ ونوضح هذا الأمر كالتالي :

ـ العقل مسئول عن تحديد هل هذا الأمر صحيح أم خاطئ ، ومسئول عن تحديد هل هذا الأمر خطير أم تافه ، ومسئول عن تحديد مدى خطورة هذا الأمر .

ـ الهم مسئول عن موقف الإنسان من الأمر : هل يعتبره خطير أم تافه ؟ ، ومسئول عن تحديد مدى خطورة هذا الأمر في نظره .

ـ العقل واحد عند الجميع ، بمعنى أن الناس يعرفون الصواب من الخطأ ويعرفون ما هو الأمر الخطير وما هو الأمر التافه ، ويعرفون مدى خطورة هذا الأمر .

ـ ولكن كل إنسان له همه الخاص به ويختلف عن هم الآخر ، وهو يعبر عن موقف الإنسان مما يعلمه بعقله ، ونوضح ذلك كالتالي :

ـ الطبيعي أن هم الإنسان مصمم بحيث ينشغل بالأمر الهام ولا ينشغل بالأمر التافه ، ومدى انشغاله بالأمر الهام يكون بحسب مدى خطورته .

ـ قد يتدخل الإنسان فيقلب همه ، أي يشغل همه بالأمر التافه ويتغافل عن الأمر الخطير ، وهذا يعبر عن حقيقة موقفه من الأمر ، فهو بذلك يتعامل مع الأمر الهام كأنه لعب ولهو أي كأنه تافه أي يتخذه لعبا ولهوا ، ويتعامل مع الأمر التافه كأنه خطير وهام .

ـ ونوضح ذلك بالأمثلة :

ـ الدنيا وما بها من أموال وشهوات ومناصب ورفاهيات زائلة وفانية وضئيلة ، وكذلك ما بها من مشاكل وأعباء ومسئوليات زائلة وضئيلة ، وكل إنسان يعلم ذلك بعقله ، لكن همه منشغل بها سواء بمتعها أو مشاكلها ، فهو بذلك يعتبرها هامة وخطيرة وليست زائلة وضئيلة ، رغم أنه بعقله يعلم العكس تماما ، فما يقوله بهمه عكس ما يقوله بعقله ، وحقيقة الإنسان هو ما يقوله بهمه وليس ما يقوله بعقله فكل الناس سواء فيما يقولونه بعقولهم .

ـ الآخرة هي المستقبل والمصير والخطر الهائل المرتقب ، والموت وما يكون في القبر هو من أخطر ما يمكن ، ورؤية الله لك ومراقبته لك وهيمنته بقدرته عليك وسيطرته عليك ومدى قدرته الهائلة وعلمه الهائل كل ذلك أمر خطير جدا ، وكل الناس يعلمون ذلك بعقولهم تماما ، لكن البعض قد لا ينشغل همه بأي من ذلك مطلقا ( يتغافل عنه ) كأن الأمر تافه لا قيمة له ، فهو بذلك يتخذ الأمر لعبا ولهوا ، وحقيقة الإنسان هو ما يقوله بهمه وليس ما يقوله بعقله فكل الناس سواء فيما يقولونه بعقولهم .

ـ الأدلة على ذلك كالتالي :

1ـ الأدلة على أن العقل واحد عند جميع الناس بمعنى وجود اليقين النظري بربوبية الله واليقين النظري بالله والآخرة عند جميع الناس ، والفصل الثالث هو بيان لهذه الأدلة .

2ـ الأدلة على غياب اليقين الحقيقي بربوبية الله واليقين الحقيقي بالله والآخرة واليقين الحقيقي بزوال الدنيا وضآلتها ، واليقين الحقيقي بالموت عند البعض ، والفصل الرابع هو بيان لهذه الأدلة .

3ـ الأدلة على عدم شغل الهم بالله والآخرة وما دعت إليه الرسل ( التغافل ) وبيان أن ذلك صورة من صور رفض دعوة الرسل ، والفصل السادس هو بيان لهذه الأدلة .

4ـ ماذا يعنى أن ينشغل هم الإنسان بالله والآخرة وحقيقة النفس وحقيقة الدنيا وحقيقة شهواتها ؟ ، وكيف يكون ذلك ؟ ، هذا ما نوضحه في باقي فصول الكتاب ، والله والمستعان وعليه التكلان .

ـ إذن لا يكفي العلم بالأمر الخطير فلابد من انشغال الهم به حتى لا يكون الأمر لعبا ولهوا ، فالدنيا لعب ولهو والآخرة قول فصل وليست هزلا : (( وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ))([[1]](#footnote-1)) ، (( إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (13) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ))([[2]](#footnote-2)) ، ولكن البعض يعكس الأمر فيتعامل مع الدنيا كأنها الجد ويتعامل مع الآخرة كأنها لعب ولهو : (( وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ))([[3]](#footnote-3)) .

ـ فبعض الناس يقول أن المهم هو الإيمان الذي في القلب ( وهذا صحيح ) ويقول بأن الإيمان يملأ قلبه فيقول : أنا موقن تماما بالله والآخرة وبكل ما جاء به الدين ، في حين همه لا ينشغل بغير الدنيا كأن أمر الله والآخرة لا يستحق أن يشغل الهم ، والدنيا في نظره هي الأهم والأخطر والتي لا ينشغل همه بغيرها .

### ـ الهم في القرآن :

ـ هم الإنسان مصمم بحيث ينشغل بالأمر الهام ولا ينشغل بالأمر التافه ، ولكن الإنسان قد يتدخل فيقلب الأمر ، فيكون الأمر كالتالي :

1ـ إذا أبعد الإنسان همه عن تصور قدرة الله وقدره وعظمته وتصور خطورة الآخرة وما فيها وخطورة الموت وما في القبر فهو بذلك قد أبعد همه عن تصور الأمور الهامة والخطيرة ، وهذا يسمى بالتغافل ، وهو ما يذكر في القرآن بالغفلة وبالنسيان ( الغفلة عن الله والآخرة ونسيان الله والآخرة ) وفي الفصل السادس نذكر أكثر من تسعين موضعا في القرآن يبين التغافل وإبعاد الهم عن الله والآخرة والدين .

2ـ اذا شغل الإنسان همه بأمر تافه وزائل كأمور الدنيا من المال والشهوات والمظاهر وغير ذلك ، وهذا يسمى بالغرور ، وهو ما يذكر في القرآن بالغرور بالدنيا .

3ـ إذا شغل الإنسان همه بتصور قدر الله وخطورة الآخرة وحقيقة النفس وحقيقة الدنيا فهذا يسمى في القرآن بالتذكر والتدبر والتفكر والتوسم .

ـ مفهوم التصور :

ـ انشغال الهم هو التصور المستمر .

ـ وظيفة العقل العلم بالشيء والعلم بخطورته ، ووظيفة الهم هي تصور مدى خطورة الأمر ، فوظيفة العقل هي مسألة علمية ووظيفة الهم هي رؤية ذهنية تخيلية .

ـ التصور ليس معرفة معلومات ولكنه تصور ذهني لخطورة هذه المعلومات ومدى تحققها ، وبالتالي فالتصور ليس شيئا يمكن كتابته أو قراءته ولكنه عملية ذهنية تخيلية ، ولكن الكتابة هي مجرد وصف وتشبيه ومقارنة تساعد على تخيل الأمر وتصوره في الذهن .

ـ فالتصور معناه الرؤية الذهنية أي التخيل سواء لذات الأمر أو لخطورة الأمر ، مثل التخيل لمشاهد الآخرة والتخيل لخطورة الآخرة والتخيل لمشاهد القبر والتخيل لخطورة القبر والتخيل لمدى قدرة الله والتخيل لمدى علم الله والتخيل لمدى عظمة قدره سبحانه ، والتخيل لمشهد علامات الساعة ، والتخيل لحركة الأرض حول الشمس وما تعنيه والتخيل للآيات الله الكونية ، والتخيل لحقيقة الدنيا وحقيقة الشهوات ، وتكرار هذه المشاهد في الذهن وانشغال الهم بها .

ـ ولا يمكن تصور صفات الذات للخالق سبحانه لأنه سبحانه ليس كمثله شيء ، ولكننا نستطيع أن نتصور الصفات المعنوية كالقدرة والعلم ، فالذي يتصور مدى قدرة الله ومدى علمه فلا يمكن أن يفارق ذهنه صورة هذه القدرة المذهلة وهذا العلم الهائل .، فنتصور مدى قدرة الله على السمع فسبحانه من فوق سبع سماوات له القدرة على أن يسمع كل الكائنات وكل المخلوقات في آن واحد ، وكذلك نتصور مدى قدرة الله على رؤية كل شيء حتى الذي في الظلمات والذي في الجحور والذي في السماء والذي في الأرض ويرى كل ما تعمله المخلوقات في آن واحد ، ونتصور مدى قدرة الله على العلم بكل شيء حتى الذي سوف يحدث في المستقبل هو يعلمه ومدى علمه سبحانه وحكمته في تدبير أمور جميع المخلوقات وما يحدث داخل الذرات وفي المجرات بدقة متناهية كاملة بالغة سبحانه ، ونستطيع أن نتصور مدى قوة الله إذا قورنت بقوة المخلوقات فهو يستطيع أن يبيد البشرية والكون وينشئهم من جديد .

ـ لكن الحاصل أن بعض الناس لا ينشغل همهم بغير التخيل لظاهر قيمة المال ومدى نفعه وكيفية الوصول إليه ، والتخيل لظاهر متعة الشهوات مع التغافل عن حقيقتها وعقابها ، والتخيل لكيفية الوصول للشهوات ، والتخيل لظاهر قيمة المناصب والألقاب والمظاهر ، والتخيل لخطورة مشاكل الدنيا وكيفية التغلب عليها وغير ذلك .

ـ فالإنسان هنا يقول كلمته من خلال تصوره ونظرته إلى الشيء فإذا كان ينظر إلى الشيء العظيم القيمة نظرة انتباه ودهشة وذهول فهذا معناه أنه قد أيقن فعلا بأنه عظيم القيمة وأنه متحقق ، أما إذا نظر إليه نظرة إهمال فهذا معناه أنه لا قيمة له في نظره ، وهذا معناه أنه لا يعي ولا يعقل حقيقة الأمر .

### ـ كلمة ( القلب ) في الشرع تشمل ثلاثة أمور هي :

1ـ العقل : فيقول تعالى : (( أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ))([[4]](#footnote-4)) (( لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ))([[5]](#footnote-5)) ، وفي تفسير اللباب في علوم الكتاب : (( { لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ } قال ابن عباس ( رضي الله عنهما ) : أي عَقْل ))([[6]](#footnote-6)) .

ـ والعقل هو محل العلم واليقين والاعتقادات والنية والإخلاص والهدف .

2ـ الهم : ففي تفسير القرطبي : (( { لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ } أَيْ سَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ، مُعْرِضَةً عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، مُتَشَاغِلَةً عَنِ التَّأَمُّلِ وَالْتَفَهُّمِ ، مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: لَهَيْتُ عَنْ ذِكْرِ الشَّيْءِ إِذَا تَرَكْتُهُ وَسَلَوْتُ عَنْهُ ))([[7]](#footnote-7)) ، فموضع الغفلة في القلب : (( وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا ))([[8]](#footnote-8)) ، (( بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا ))([[9]](#footnote-9)) ، ( الغمرة ) أي الغفلة ، ويقال للخاشع في الصلاة حاضر القلب أي غير منشغل الهم بالدنيا .

3ـ المشاعر : مثل الحب والخوف والرجاء : (( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ))([[10]](#footnote-10)) أي خافت .

ـ إذن معنى وجود الإيمان في القلب أي وجوده في العقل والهم والمشاعر ، ومعنى غياب الإيمان من القلب أي غيابه من الهم والمشاعر لأن الإيمان لا يغيب من العقل ( والأدلة على وجود اليقين في العقل عند جميع الناس بالفصل الثالث ) .

ـ بعض الناس يقولون أن أهم شيء هو الإيمان الذي في القلب ( وهذا صحيح ) ، ويقول الواحد منهم أن الإيمان موجود في قلبي فأنا مقتنع تماما بالله والآخرة والحساب والعقاب والحمد لله ، فهو يحسب أن إيمان القلب هو الاقتناع العقلي فقط ، في حين تجد همه ومشاعره لا يعرفان غير الدنيا .

ـ يحسب البعض أن المنافق هو الذي يقول بلسانه ما ليس في عقله واقتناعه، ولكن المنافق هو الذي يقول بلسانه ما ليس في همه ومشاعره، فالإيمان موجود في عقل جميع الناس مسلمين وغير مسلمين .

ـ يحسب البعض أن الإسلام عبارة عن اعتقادات وعمل بالجوارح فقط ، ولكن الإسلام عبارة عن اعتقادات يتم ترجمتها من خلال الهم والمشاعر وعمل الجوارح .

### ـ مفهوم القلب السليم :

ـ القلب في الشرع يشمل العقل والهم والمشاعر ، والقلب السليم معناه عقل سليم وهم سليم ومشاعر سليمة .

ـ والهم هو القائد ، فإذا كان الهم سليما كان العقل سليما وكانت المشاعر سليمة ، وفساد الهم يؤدي إلى فساد السمع والبصر والعقل والمشاعر والعمل .

ـ ولكي يكون الهم سليما لابد من وجود شروط ( والفصل الحادي عشر هو بيان لهذه الشروط ) .

ـ الهم والمشاعر يكشفان حقيقة ما في العقل ، أي يكشفان هل العلم واليقين والاعتقادات والنية والإخلاص والهدف هي أمور كاذبة أم أنها حقيقية ؟ :

ـ فإذا كان الهم والمشاعر متعلقتان بشهوات الدنيا ومشاغلها بعيدتان عن الله والآخرة فهذا يدل على أن ما في العقل هي أمور نظرية فقط ، والعكس صحيح ، ونوضح ذلك كالتالي :

ـ الشيء العظيم القيمة هو شيء مؤثر ، فالطبيعي أن يتأثر به الهم وتتأثر به المشاعر ، أما الشيء التافه القيمة هو شيء غير مؤثر فالطبيعي أن لا يتأثر به الهم ولا تتأثر به المشاعر .

ـ قدرة الله سبحانه وصفاته هي أمور عظيمة القيمة وخطيرة جدا ومؤثرة ، وعندما يفكر الإنسان في عظمة الخالق فإنه ينشغل به ذهنه وهمه ويعجب بمدى قدرته فيحبه إعجابا به ويهابه ويخاف من مدى عظمته وخطورة صفاته وينكسر له فيخضع له .

ـ الدنيا والشهوات هي أشياء تافه القيمة غير مؤثرة لا قيمة لها لأنها ضئيلة وزائلة ، وعندما يفكر الإنسان في حقيقة قيمة الدنيا والشهوات فإنه لا ينشغل بها ذهنه وهمه وينساها ولا تتأثر بها مشاعره فلا يحبها ولا يكرهها ولا يخافها ولا يخضع لها .

ـ قد يحدث العكس ، فالإنسان يعلم حقيقة عظمة الخالق ، لكنه قد يتناسى ذلك فلا يفكر في مدى قيمة صفاته وعظمته ، وبالتالي لا ينشغل بذلك همه ولا تتأثر مشاعره فلا يشعر بحبه ولا الخوف منه ولا رجاءه ولا الخضوع له .

ـ وكذلك يتناسى حقيقة ضآلة الدنيا والشهوات فلا يفكر في ذلك ، وينخدع بزينتها الخادعة فيراها عظيمة القيمة فيحب الشهوات ويهابها ويخضع لها .

ـ الذي يقول بأنه يريد الآخرة ويعيش لها ثم لا ينشغل همه بغير الدنيا فهو كذاب رغم أنه يوقن فعلا من داخله بأنه يريد الآخرة ويعيش لها ولكنه يقين نظري فقط وليس يقينا حقيقيا ، كذلك الذي يقول بأنه يعمل من أجل الله ولا ينشغل همه بغير نفسه وتحصيل الدنيا لنفسه فهو كذاب .

ـ ذهن الإنسان ينشغل بالأمر الخطير الهام ولا ينشغل بما بالأمر التافه الذي لا قيمة له ، ورغم أن الإنسان يوقن بأن الدنيا عابرة وأن الآخرة هي الخطر الهائل إلا أنه لا ينشغل همه بغير الدنيا ، فهذا يدل على أن يقينه بخطورة الآخرة وضآلة الدنيا هو يقين نظري فقط وحقيقة أمره أنه يرى أمور الدنيا هي الخطيرة والهامة بينما الآخرة وأهوالها وخطورتها لا قيمة لها في نظره .

ـ إن الذي يريد المال ويحبه ويسعى إليه فإن صورة المال تكاد لا تفارق ذهنه ، فذهنه منشغل بقيمة المال الهائلة في نظره ، والذي ينتظر الحكم عليه في قضية أمام قاضي لا تكاد صورة هذا الخطر تفارق ذهنه ، كذلك الذي يعيش للآخرة ويوقن بأنه مسافر إليها لا تكاد صورة الآخرة تفارق ذهنه .

ـ أخبرني فيما ينشغل همك أخبرك من أنت ، فإذا كنت لا تفكر إلا في أمور الدنيا ولا هم لك إلا الدنيا فأنت تعيش من أجل الدنيا وهي غايتك وهدفك بدليل أنك منشغل بها ، وإذا كان همك لقاء الله والآخرة فأنت تعيش من أجل الله والآخرة والله غايتك وهدفك بدليل أن بالك منشغل بذلك ، فالذي ينشغل همه بالشهوات هو رجل شهواني والذي ينشغل همه بالآخرة هو رجل أخروي ، وهكذا .

ـ فحقيقة هدف الإنسان ليس ما هو مقتنع به نظريا من أنه يرجو الله والآخرة ، ولكن حقيقة هدفه هو ما ينشغل به باله ، فإذا كان تفكيره لا ينشغل إلا بالدنيا فهي هدفه ومراده وهي ما يرجوه ، وإذا انشغل بقدرة الله عليه ووقوعه تحت سيطرته وعلمه وانشغل باله بمصيره المحتوم وكيف يكون حاله في الآخرة فالله والآخرة هو هدفه ومراده وهو ما يرجوه .

ـ الذي لا ينشغل همه بغير أخبار الدنيا وأحوالها ومشاكلها فهذا يدل على أن الآخرة في نظره ليس فيها ما يستحق أن يشغل الهم وأن الدنيا عظيمة القيمة في نظره ، أما العاقل فيرى خسارة الدنيا والحصول عليها سواء لأنها ضئيلة وإلى زوال فلا ينشغل بها همه إلا بما ينشغل عابر السبيل أثناء سفره بالطعام والشراب ليسد جوعته .

ـ طالما أن هم الإنسان لا ينشغل بغير الشهوات أو الأموال أو المظاهر والمناصب ولا يزال ينشغل بذلك في حين لا يزال غير منشغل بمعرفة الله وعظمته وخطورة الآخرة فهذا معناه أن الإنسان لا يزال يرى قيمة الشهوات والأموال والدنيا أعظم من الجنة ومن الله ومن الآخرة ، وهذا معناه أن يقين الإنسان بعظمة الله وخطورة الآخرة وضآلة الدنيا هو مجرد يقين نظري ووهم يخدع به الإنسان نفسه .

ـ الهم هو القائد :

ـ الهم يؤدي إلى المشاعر ، ومن بين المشاعر الشعور بالخضوع والحب والخوف والرجاء ، والهم يؤدي إلى العمل ، كما أن المشاعر أيضا تؤدي إلى العمل .

ـ قد يحسب البعض أن العقل هو القائد ، فالعقل مسئول عن العلم واليقين وقد أثبتنا وجود العلم واليقين عند جميع الناس ( انظر الفصل الثالث ) .

ـ ما هي القضية التي يجب أن تشغل هم الإنسان ؟ :

ـ ما الشيء الذي يستحق أن تفكر فيه وينشغل به همك ؟ ، هل الدنيا أم الآخرة ؟ ، أيهما يستحق التفكير أكثر ؟ العاقل يوجه تفكيره للشيء الخطير وينشغل تفكيره وهمه به ، والذي لا ينشغل تفكيره وهمه بأمر خطير هو لا يعقل وهو يعطل عقله .

ـ هل يوجد شيء أخطر من اقتراب الموت والسفر إلى الآخرة ولقاء الله ؟ ، فهذا الأمر لا يمكن أن يفارق ذهن إنسان عاقل أبدا ، وكيف ينسى الإنسان الله وهو يعيش في ملكه ويأكل من نعمه ! .

ـ لا يمكن لإنسان أن يعيش بغير قضية أساسية تكون هي هدفه يحيا بها ويعيش لها ويتجه إليها بمشاعره وهمومه ، فكل إنسان له قضية هي أهم شيء في حياته ، وهذه القضية تكون هي محور حياته ومستقبله ومصيره ، وفي الحديث : (( ... كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أو مُوبِقُهَا ))([[11]](#footnote-11)) .

ـ الإنسان أمامه قضايا كثيرة منها مثلا مشاكل في عمله الذي يتكسب منه ، أو تطلع للترقي في عمله ، ومشاكل في بيته أو واجبات والتزامات يومية يجب القيام بها نحو أسرته ، وتوفير كل ما يحتاجه أولاده وأسرته ، وأمور للتسلية أو الترفيه تعَوَّد عليها ، أو التطلع لشراء مسكن أو سيارة ، أو القيام بعمل تجاري ، أو التوسع في مشاريع لزيادة الدخل ، وتوفير الطعام والشراب أو التوسع فيه ، والاهتمام بمظهر الإنسان أمام الناس ، والتطلع إلى شهوات النساء أو الطعام والشراب أو زيادة المال أو الحصول على شهادات أو مناصب أو التغلب على أعباء الدراسة والزواج والتطلع إلى الحياة المريحة أو ما يتعرض له من ظلم الإنسان لغيره .

ـ هذه قضايا كثيرة ، العاقل ينظر إليها ويقارنها ببعضها ليرى أيها أخطر وأيها يجب أن تشغل تفكيره وأيها يختارها لتكون قضيته وشغله الشاغل طوال حياته ، كل القضايا المتعلقة بالدنيا ليست بشيء أمام قضية الموت والآخرة ومعرفة الخالق ، لأن جميع القضايا المتعلقة بالدنيا تفنى سريعا مع فناء الدنيا ، والذين كانت تشغلهم هذه القضايا الدنيوية فكانت شغلهم الشاغل قد ماتوا الآن فأيها يفيدهم الآن ، فالذين يعيشون وتنشغل عقولهم طوال حياتهم بقضية الموت والاستعداد له والآخرة وما بها ومعرفة الخالق هؤلاء هم العاقلين وغيرهم لا عقل لهم ، وهؤلاء أيضا قد تنشغل عقولهم بمشاغل الحياة ولكنه انشغال عابر مؤقت قليل وهو أيضا انشغال كفرع من أصل ، فعليه أن يتغلب على بعض أعباء الحياة ولكنه يتقلل من أعباء الحياة قدر ما يستطيع وينشغل عنها بما هو أخطر ، فمن شغل همه بالآخرة فقد شغل همه بشيء واحد فقط ، ولكن من شغل همه بالدنيا فقد فتح على نفسه آلاف الهموم فهذه هي طبيعة الدنيا ، فكلما دخل من باب وجد أبواب أخرى كثيرة ، ويظل تتشعب به الهموم حتى يهلك ، ففي الحديث : (( من جعل الهم هما واحدا كفاه الله هم دنياه ومن تشعبته الهموم لم يبال الله في أي أودية الدنيا هلك ))([[12]](#footnote-12)) ، وفي حديث آخر : (( من جعل الهموم هما واحدا هم المعاد كفاه الله سائر همومه ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك ))([[13]](#footnote-13)) ، فطبيعة الدنيا عبارة عن متاهة كلما سرت في طريق وجدت طرقا أخرى فدائما يستجد لك فيها هموم أخرى وآمال أخرى ومتاعب أخرى ، ففي الحديث : (( خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا ، وخط في وسط الخط خطا ، وخط خارجا من الخط خطا ، وحول الذي في الوسط خطوطا ، فقال هذا بن آدم وهذا أجله محيط به ، وهذا الذي في الوسط الإنسان وهذه الخطوط عروضه إن نجا من هذا ينهشه هذا ، والخط الخارج الأمل ))([[14]](#footnote-14)) أي يموت ولا يزال عنده تمني وآمال لم تتحقق ، فيظل الشيطان يلهيه حتى يموت .

ـ كل إنسان له قضية تشغل تفكيره وتتعلق بها مشاعره وينبني عليها عمله فهو بذلك يعيش لهذه القضية وهي دينه ، فمن كانت قضيته التي تشغل تفكيره وتتعلق بها مشاعره وينبني عليها عمله هي الله والآخرة فقد اسلم وجهه إلى الله : (( وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إلى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ))([[15]](#footnote-15)) أي توجه بكليته إلى الله من تفكير ومشاعر وعمل ، ومن كانت قضيته التي تشغل تفكيره وتتعلق بها مشاعره وينبني عليها عمله هي الدنيا وشهواتها فهي دينه : (( أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ))([[16]](#footnote-16)) .

ـ إذن ما هو الشيء الذي يشغل همك ؟ ، هل هو الحصول على المال أم شهوات الطعام والشراب والنساء أم المناصب والجاه والسلطان والمظاهر أم مشاغل الحياة اليومية والتغلب على متطلباتها وكسب المال والتجارة أم الخروج من مشاكل الفقر أو المرض أو الاستضعاف والظلم من أصحاب الجاه وعدم الحرية أم عمارة الأرض وتوفير وسائل السعادة فيها ، أم بعض من هذه الأمور أم جميعها ؟ ، فهذه هي هموم الدنيا ، أم أن الشاغل الذي يشغل تفكيرك هو الوصول إلى ملذات الجنة والتمتع بالحور العين إلى ما لا نهاية من السنين والبعد عن العذاب داخل النار إلى ما لا نهاية من السنين ومعرفة قوة الخالق التي تسيطر عليك في ليلك ونهارك وفي كل لحظة وكل حركاتك تحت المراقبة التامة وكل أنفاسك معدودة ذلك الأمر المرعب الواقع عليك في الدنيا وذلك الخطر الرهيب الذي أنت مقبل عليه بعد لحظات من الآن من أمر الموت والحياة بعد الموت ؟ .

ـ فإذا كان الشاغل الأكبر هو هموم الدنيا فأنت جاهل لا عقل لك لأنك لم تتصور وتعي حقيقة السعادة وأين تكون ، ولم تتصور وتعي حقيقة الخطر الذي أنت واقع فيه والخطر الذي أنت مقبل عليه بعد لحظات وبلا عودة ، فأنت في غفلة تامة وغباء تام تضر بنفسك وتهلكها ، فالدنيا لا قيمة لها أمام الآخرة مهما كانت آلامها ومهما كانت لذاتها وتزول سريعا في غمضة عين لمن يعقل كما أن متعها ضئيلة ومحدودة في حد ذاتها .

ـ ويمكن تقسيم الناس من ناحية انشغال البال إلى ستة أصناف كالتالي :

ـ يمكن تقسيم الناس حسب أودية الدنيا الواردة في الحديث : (( من جعل الهم هما واحدا كفاه الله هم دنياه ومن تشعبته الهموم لم يبال الله في أي أودية الدنيا هلك ))([[17]](#footnote-17)) ، فكل واحد يسير في واد من أودية الدنيا تكون همه وقضيته بينما المؤمن همه وقضيته الآخرة ، وهذه الأصناف كالتالي :

1ـ صنف من الناس عقولهم مبنية على شهوات النساء فلا يفكرون إلا في ذلك ولا ينشغل همهم إلا بذلك ولا يسعون إلا لذلك ولا يرغبون إلا في ذلك .

2ـ صنف من الناس عقولهم مبنية على المال والحصول عليه فلا يفكرون إلا في ذلك ولا ينشغل همهم إلا بذلك ولا يسعون إلا لذلك ولا يرغبون إلا في ذلك .

3ـ صنف من الناس عقولهم مبنية على المظاهر والمناصب والألقاب والشهادات العلمية والحصول علي ذلك ، فلا يفكرون إلا في ذلك ولا ينشغل همهم إلا بذلك ولا يسعون إلا لذلك ولا يرغبون إلا في ذلك .

4ـ صنف من الناس عقولهم مبنية على مشاغل الحياة وهمومها وأعمالها لتصبح قضيتهم ، فلا يفكرون إلا في ذلك ولا ينشغل همهم إلا بذلك ولا يسعون إلا لذلك ولا يرغبون إلا في ذلك .

5ـ صنف من الناس عقولهم مبنية على كل شهوات الدنيا ومشاغلها أو بعضا من ذلك ، فلا يفكرون إلا فيها ولا ينشغل همهم إلا بها ولا يسعون إلا لها ولا يرغبون إلا فيها مع التفاوت ، فمنهم من يكون أكبر تفكيره في المال ثم المظاهر ثم شهوات النساء مثلا وغير ذلك .

6ـ صنف من الناس عقولهم مبنية على الآخرة ولقاء الله ومعرفته ، ليست الدنيا كل همهم فرغم انشغال همهم بالدنيا إلا أن همهم الأكبر الدائم منشغل بالله والآخرة ، وهؤلاء هم أهل جنات النعيم وغيرهم يعبدون أهواءهم .

ـ تداخل الهموم في اللحظة الواحدة :

ـ الإنسان قد ينشغل باله في اللحظة الواحدة بأكثر من شيء ، فمثلا السائق الذي يقود سيارة ينشغل باله بالطريق لأنه لو غفل عن ذلك لوقعت حادثة ، وفي نفس الوقت وأثناء قيادته للسيارة قد ينشغل باله بالحديث في الهاتف المحمول أو بالحديث مع راكب يجلس بجواره وقد يلتفت إليه مرات أثناء الحديث معه أو ينشغل باله بتناول طعام أو ينشغل باله بجمع الأجرة من الركاب وحسابات باقي الأجرة للركاب أو ينشغل باله طوال الطريق بسماع الكاسيت ، إذن هناك هم دائم وهموم مؤقتة في نفس الوقت ، فكذلك الإنسان المسافر إلى الآخرة باله منشغل بسفره إلى الآخرة لأن الدنيا كلها ليست إلا مسألة سفر إلى الآخرة وجميع الناس مسافرون ، ولكن أثناء السفر قد ينشغل باله بالطعام أو الشراب أو أعمال الدنيا المختلفة وقد ينشغل باله بالوقوع في معصية لكن همه الدائم هو مسألة سفره ، فهذا هو حال المؤمن مهما انشغل باله بأمور الدنيا ومهما عمل من المعاصي فهمه الدائم الذي لا يفارق ذهنه هو سفره إلى الآخرة لا تغيب عن عينه .

ـ لكن قد يزداد انشغال همه بأعمال الدنيا وبالمعاصي حتى ينسى مسألة السفر ويوقف السيارة التي يسافر فيها ويعتبر نفسه مقيما وليس مسافرا ، فهو بذلك اطمئن بالدنيا ورضي بها على أنها دار إقامته ، هنا قد غاب همه بالسفر إلى الآخرة فهو بذلك نسي الآخرة ونسي السفر إليها : (( إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ، أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ))([[18]](#footnote-18)) ، (( فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ ))([[19]](#footnote-19)) .

ـ وكلما زاد هم الإنسان بالدنيا وبالمعاصي كلما كان همه الدائم بالسفر إلى الآخرة ضعيف وكلما كان إيمانه ضعيفا .

### ـ الفرق بين الهم الأكبر والأصغر وبين الهم الدائم والهم المؤقت :

ـ في لحظة واحدة قد يكون همه الأكبر الدنيا وهمه الأصغر الآخرة ولكن همه بالدنيا هم مؤقت وهمه بالآخرة هم دائم .

ـ فالإنسان السجين همه الدائم هو متى يخرج من السجن ، فهذا هو الهم الذي لا يمكن أن ينساه ، لكن لا يكون ذلك همه الأكبر في كل لحظة ، ففي وقت ما يكون همه الأكبر كيف يحصل على طعام وفي وقت آخر يكون همه الأكبر كيف يحصل على ملابس وفي وقت ثالث يكون همه الأكبر كيف يضيع وقته في تسلية وهكذا .

ـ والمؤمن همه بالآخرة دائم وهمه بالدنيا مؤقت ، فهمه بالآخرة مطلوب منه في كل لحظة ، وقد يكون هم أصغر في لحظات وقد يكون هما أكبر في لحظات أخرى .

ـ فالمؤمن همه الدائم الذي يسيطر على عقله وتفكيره هو كيف يصل إلى لقاء الله وكيف يكون حاله في الآخرة ، فهو يرتب حساباته للقاء الله ، فهذا هو الهم الذي لا يمكن أن ينساه ، لكن قد لا يكون ذلك همه الأكبر في كل لحظة ، ففي وقت ما يكون همه كيف يحصل على طعام وفي وقت آخر يكون همه كيف يتعامل مع مشاغل الحياة وهمومها .

ـ فالمؤمن في الدنيا كالسجين المهموم بيوم خروجه ، أما الذي تناسى أنه في سجن فهو لا عقل له ، لذلك ففي الحديث : (( الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ))([[20]](#footnote-20)) .

ـ لكن الإنسان الذي يكون همه الدائم هو كيف يحصل على المال أو المنصب أو الشهوات أو كيف ينتصر على مشاكل الحياة وينقطع همه عن الله والآخرة أو يكون همه بالله والآخرة مؤقتا ، فهو بذلك ينسى الله والآخرة .

ـ إذن فالهم الدائم والهموم المؤقتة يحدثان معا في اللحظة الواحدة ، فالإنسان المسافر همه الدائم هو أن يصل إلى حيث يريد ، فهذا هو الهم الذي لا يمكن أن ينساه ، ولكن لديه هموم أخرى ، ففي وقت ما يكون همه كيف يحصل على طعام أو كيف يتوقف في استراحة يتناول فيها طعام أو كيف يقضي حاجته .

ـ والمؤمن لا يدع الدنيا تشغل همه كثيرا ، ففي الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : (( مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا لنا فقال ما هذا ؟ ، فقلنا : قد وَهَى فنحن نصلحه ، قال : ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك ))([[21]](#footnote-21)) .

ـ الهم الأساسي والهموم العابرة :

ترتيب القضايا في هم الإنسان الطبيعي تكون على حسب أهميتها وخطورتها ، لأن الهم ينشغل بالأمر الخطير ولا ينشغل بالأمر التافه ، ويكون انشغاله بالأمر الأخطر أكبر من انشغاله بالأمر الأقل خطورة ، وحيث أن هناك قضية واحدة هي الخطر كله وباقي القضايا قيمتها بسيطة جدا بالمقارنة بهذه القضية الخطيرة فهناك قضية واحدة مسيطرة على الذهن مستمرة وقضايا أخرى عابرة هامشية ، القضية المسيطرة هي خضوع الإنسان ( وقوعه تحت قدرة الله وعلمه وأنه ملك لله ) وقيام الكارثة الكبرى ( الآخرة ) ، وجميع القضايا الأخرى لا قيمة لها في خطورتها مهما كانت أمام هذه القضية الخطيرة فهو منشغل بها عن باقي القضايا .

ـ فعند وجود أكثر من قضية هامة ينشغل الإنسان بالقضية الأخطر والأكبر ولا ينشغل بالقضايا الأقل في الأهمية أو يكون انشغاله بها ضئيلا ، ولتوضيح ذلك ففي الحديث : (( عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا ، قالت عائشة : فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم إلى بعض ، قال : الأمر أشد من أن يهمهم ذلك ))([[22]](#footnote-22)) ، كذلك الإنسان في الدنيا أمامه مشكلة الفقر ومشكلة الزواج والسكن وتوفير الطعام والشراب ومشكلة الظلم ويريد عمل مشاريع تجارية مثلا وأمامه أيضا مشكلة الآخرة ومشكلة أنه واقع تحت السيطرة والمراقبة والهيمنة من قدرة الخالق الهائلة ، فبماذا ينشغل هم الإنسان الطبيعي ؟ ، يكون الهم الأكبر المسيطر عليه هو صورة الآخرة وصورة خضوعه لله لأن كل شيء يفنى وتبقى القضية الأكبر والأخطر .

ـ فنفس الأمر عند العاقل في الدنيا فهو منشغل بأمور الآخرة عن أمور الدنيا وشهواتها .

ـ فتصور أمر الآخرة يكدر على الإنسان حياته ويجعله لا ينعم بالحياة ، ففي الحديث : (( كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ فكأن ذلك ثقل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا ))([[23]](#footnote-23)) .

ـ الهم الدائم والمتقطع :

ـ يتوقف الهم على حسب بقاء الخطر ومدى قيمته ، فإذا كان الخطر ما زال قائما استمر الهم به ، فقدرة الخالق خطر دائم وواقع عليك فيكون انشغال الهم به دائم ، ومجيء الآخرة هو خطر دائم حتى تأتي الآخرة ، أما أمور الطعام والشراب والأمور التي يحتاجها عابر السبيل في سفره إلى الآخرة فهي أمور ضئيلة القيمة ومتقطعة ، فمثلا عابر السبيل يهتم بطعامه وشرابه حتى إذا شبع نسي ذلك ثم يعود فيجوع فيهتم بطعامه وإعداده مرة أخرى وهكذا ، فعينه دائما على هدفه الذي هو ذاهب إليه وفي نفس الوقت هو يهتم قليلا بما يحتاج من طعام وضرورات ، فكلا الهمين الدائم والمتقطع يحدثان معا .

ـ هناك أمور كثيرة تشغل ذهن الإنسان ولكن هناك هم دائم لا يكاد يفارق ذهن ويسيطر على تفكيره وذهنه كلما انشغل بغيره عاد إليه ، قد يكون هذا الأمر هو حبه لامرأة أو مال وتجارة أو منصب أو .... الخ ، وقد يكون هذا الشاغل المسيطر عليه هو صورة قدرة الله وصورة الآخرة .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

# الفصل الـثاني : الفرق بين العلم والرؤية وبين التصور

ـ ما الفرق بين فهم معنى الآخرة وبين تصور معنى الآخرة ؟ ، وما الفرق بين فهم معنى صفات الخالق وبين تصور معنى صفات الخالق ؟ ، وما الفرق بين فهم معنى الموت وتصور معنى الموت ؟ ، وما الفرق بين فهم حقيقة الدنيا وبين تصور حقيقة الدنيا .

ـ العلم والفهم هو عمل عقلي ، أما التصور والتخيل هو عمل ذهني في هم الإنسان .

ـ كل الناس يعرفون ويعلمون ويفهمون معنى الآخرة ويعرفون الخالق وحقيقة الدنيا والموت ، لكن البعض ليس لديه أي تصور عن خطورة هذه المعاني .

ـ الفرق بين العلم والتصور :

ـ الإنسان يعرف المعلومة من أجل قيمتها ، فالمعلومة التي لا قيمة لها شأنها شأن المعلومة التي لا يعرفها أصلا .

ـ الإنسان يعلم الشيء بعقله ويتصوره ويتخيله بهمه ، التعامل مع الأشياء ومع أمور الدين لا يكون فقط بالمعرفة والعلم ولكن أيضا بالتصور والتخيل لقيمة الشيء .

ـ وجود العلم بدون التصور يصبح العلم فاسدا وبلا قيمة ومفرغ من المعنى ، فإذا علم الإنسان أمرا ما ولم يتصوره هو في حقيقة الأمر لم يعلمه .

ـ وبالمثل فإن وجود العقل مع التغافل ( غياب التصور ) يفسد العقل ، فإذا عقل الإنسان أمرا ثم لم يتصوره هو لا يعقله .

ـ غياب العلم إما بالجهل ( الغفلة ) أو بالتجاهل ( التغافل ) ، فإذا غاب العلم بما دعت إليه الرسل بسبب الجهل به ( أي لم يصل إلى علمه الأمر ) فالإنسان غير مكلف ، وإذا غاب العلم بما دعت إليه الرسل بسبب التجاهل ( التغافل ) فالإنسان هو الذي وضع نفسه موضع الجاهل به وهو بذلك يرفض دعوة الرسل ، وهو يلجأ إلى هذه الحيلة لأنه لا يجد دليلا على رفضه دعوة الرسل ، فالذي يجتمع لديه العلم مع التجاهل ( التغافل ) هو لا يعلم .

ـ فمن قال أنه يعرف الآخرة وهو يتناساها ولا يشعر لها بقيمة في نظره فهو كذاب وحقيقة أمره أنه لا يعرف ماذا تعني الآخرة .

ـ وكذلك من قال أنه يعرف الله وهو يتناساه ولا يشعر له بقدر ولا قيمة في نظره فهو كذاب وحقيقة أمره أنه لا يعرف الله .

ـ كل الناس يعلمون ويوقنون بأن الدنيا إلى زوال وأنها دار سفر ، لكن تصورهم للدنيا عكس ذلك تماما ، فهم يتعاملون معها كأنهم خالدون فيها وكأنها دار إقامتهم .

ـ المعرفة هي مسألة عقلية وهي عبارة عن الاستزادة في المعلومات التي توضح الأمر وتفسره ، أما تصور معنى الأمر فهي مسألة تتم في ذهن الإنسان وفي خياله وليس في عقله ، ولا تحتاج إلى مزيد من معلومات ، وهي عبارة عن تخيل لحقيقة الأمر ومدى خطره .

ـ عبارات التفكر والتذكر والتدبر والتأمل ليست مسألة معرفية وإنما مسألة تصور ، فمثلا الذي يتفكر ليس إمامه سوى أرض وسماء ولا يحتاج إلى مزيد من معلومات فهو يتصور معنى هذا الكون ويتصور مدى قدرة من أوجده ويتصور حقيقة قدرة الإنسان الضعيف أمام قدرة من أوجد هذا الكون ، والتذكر معناه أن هناك معلومات سابقة عند الإنسان ولا يحتاج لمزيد من المعلومات ، وإنما عليه تصور حقيقة المعلومات التي يعرفها ، وهكذا التدبر والتأمل .

ـ فالجانب العلمي الذي يشمل المعرفة والفهم والاقتناع واليقين موجود عند جميع الناس ، والاستزادة من المعلومات فيه هو لزيادة اليقين وزيادة الفهم ، أما الجانب التصوري ( التصور لحقيقة الأمر ) هو الغائب عند بعض الناس .

### ـ الفرق بين عمل العقل وعمل الهم :

ـ العقل مثل جهاز الكمبيوتر تعطي له معلومات ومعطيات فيعطي لك نتيجة سواء كانت النتيجة مكسب أو خسارة فهو لا يشعر بخطورة النتيجة فليس لديه شعور بالقيمة وليس عنده فرق بين أن يكون حجم النتيجة كبير جدا أو صغير ، وليس لديه فرق بين رقم مليون ورقم واحد فكلاهما بالنسبة له مجرد أرقام ، فليس لديه مشاعر ليفرح بالمكسب أو يحزن بالخسارة ، فلا يوجد أي تفاعل سواء سلبا أو إيجابا ، فالكمبيوتر يعطي نتيجة بأن هناك آخرة وغيبيات وأن ذلك حق فقط ، كذلك عقل الإنسان تأتي له الرسل بالدلائل والبراهين فيعطي نتيجة بأنه موقن تماما بالغيبيات والآخرة .

ـ الإنسان يتعامل مع الأشياء والمعلومات عن طريق العقل والهم ، فالعقل يفهم الأشياء ويوقن بها ، والهم يتصور قيمة الأمر ، فأي شيء يراه الإنسان أو يسمعه يتعامل معه بالعقل وبالهم .

ـ العقل هو المسئول عن فهم المعلومة ومعرفتها والعلم بها والاقتناع واليقين بها ، والهم هو المسئول عن رؤية قيمة المعلومة وهو المسئول عن الاهتمام بالمعلومة أو عدم الاهتمام واللا مبالاة بها .

ـ فالعقل هو مسألة علمية معرفية ، والهم هو مسألة رؤية وتصور وتخيل لمدى قيمة المعلومة حيث يرتسم أمام عين الإنسان صورة ذهنية لخطورة الأمر وقيمته .

ـ عمل العقل مثل عمل الحاسوب ( الكمبيوتر ) فهو يتعامل مع المعلومة عن طريق الحسابات والنتائج فقط بغض النظر عن طبيعة المعطيات وطبيعة النتائج ، كأن الأمر لا يهمه ولا يعنيه في شيء ، فأمامه معطيات ويعطي النتائج من خلال المعطيات ، ولا يتأثر بأهمية أو خطورة هذه المعطيات أو النتائج ، فالمسألة لا تزيد عن كونها حسابات ونتائج لا أكثر بغض النظر عن ما هي هذِه الحسابات وما هي هذِه النتائج ، فمثلا هو يصدق على أنه لو وضع عود كبريت مشتعل على البنزين فإنه يحدث حريق ، لكن لا يهمه الأمر مطلقا ولا يتصور مدى خطورته .

ـ فالعقل يعلم والذهن يتصور .

ـ ما يدور في هم الإنسان هو حقيقة ما يوقن به ، وعندما يحتضر الإنسان يذكر ما كان مهموما به طوال عمره ، فإذا كان المال يذكر المال حين موته وهكذا .

ـ العلاقة بين التصور والمشاعر :

ـ لا يمكن أن تتأثر المشاعر وتتفاعل بأمر ما إلا إذا حدث تصور لخطورة هذا الأمر ، فلا يمكن أن يتحقق حب الله والخوف منه ورجاءه والخوف من الآخرة إلا إذا تصور الإنسان مدى قدرة الله وعظمته ومدى خطورة الآخرة ، فغياب المشاعر معناها غياب التصور .

ـ والمعرفة العقلية مهما زادت لا تؤدي إلى تأثر المشاعر ، فمهما علم الإنسان عن الله وعن الآخرة وما فيها لن يؤثر في مشاعره شيء طالما لا يحدث تصور لخطورة الأمر .

ـ الفرق بين الرؤية والتصور :

ـ قد يرى الإنسان الدليل بعينه ويقتنع به لكن يتغافل عنه كأنه لم يراه فيرفض الأمر استكبارا وعنادا ، فالمشركون رأوا معجزات الرسل تحدث أمام أعينهم فلم يتصوروا مدى العجب والدهشة التي فيها ومدى خطورة ما تعنيه فقد أغلقوا همهم تماما : (( وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ))([[24]](#footnote-24)) .

ـ وقد يتناسون الأمر بمجرد أن ينتهي : (( وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ))([[25]](#footnote-25)) ، فبعد أن رأوا بأعينهم معجزة سيرهم في البحر ثم غرق فرعون تناسوا الأمر ، وقد يرى الإنسان الموت بعينه فينشغل همه بالموت وقصر الدنيا ثم لا يلبث إلا أن يعود ولا هم له غير الدنيا : (( وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ))([[26]](#footnote-26)) .

ـ ولو شاهد الإنسان كل المعجزات بعينه وذهب إلى الآخرة ورأى الجنة والنار بعينه فلن ينفعه طالما أنه يتعامل مع الأمر كمعرفة فقط ، فلو عاد إلى الدنيا فسوف يتناسى الخطر الذي رآه بعينه : (( وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ))([[27]](#footnote-27)) ، فمن أراد الله له الهداية فتصور الأمر وشعر به وعمل به فهو المهتدي ومن لم يرد الله به الهداية فلن يهتدي وإن رأى كل الآيات .

ـ وطالما أن الإنسان يمنع نفسه من تصور حقيقة الشيء فلن يتأثر حتى لو رأى الملائكة تصعد وتنصرف في باب مفتوح من السماء ، بل إنه إذا قام الموتى وحدثوهم بما رأوه فلن يؤمنوا ففي تفسير البحر المحيط : (( { وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (14) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ } [الحجر: 14، 15] .. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ الضَّمِيرَ فِي { فَظَلُّوا } يَعُودُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ لِقَوْلِهِمْ : { لَوْ مَا تَأْتِينا بِالْمَلائِكَةِ } أَيْ : وَلَوْ رَأَوُا الْمَلَائِكَةَ تَصْعَدُ وَتَنْصَرِفُ فِي بَابٍ مَفْتُوحٍ فِي السَّمَاءِ لَمَا آمَنُوا ))([[28]](#footnote-28)) ، (( وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ))([[29]](#footnote-29))، (( إِنّ **إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ** (96) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ))([[30]](#footnote-30)) .

### ـ أمثلة توضح الفرق بين المعرفة والعلم والفهم والرؤية وبين التصور :

ـ مثال ( 1 ) :

ـ لو قيل لك أن في يدك الآن قنبلة ، فلو أنك عرفت أنها قنبلة من غير أن تتصور قيمتها وخطورتها الشديدة وبالتالي لم تشعر بالخوف فهذا معناه أن معرفتك هذه هي معرفة كاذبة وليست معرفة حقيقية لأنك غيرت خصائص القنبلة فأصبحت في تصورك لا تضر ، فبقي منها الاسم فقط كأنها لعبة أو كوره على شكل قنبلة .

مثال ( 2 ) :

ـ لو قالوا لك أن أباك قد مات ، فلو علمت ذلك بطريق العقل فقط فإن هذا الأمر عادي ، فهو مجرد معلومة عرفتها ، ولكن الإنسان الطبيعي يعرف هذا الأمر بطريق التصور لقيمته ، فيشعر الإنسان بمدي ما في هذا الأمر من أهمية وخطورة وأنه خبر غريب ومفاجئ ، فيشعر بأنه سيحرم من والده للأبد ، ويتذكر كذا وكذا فيشعر بالذهول والحزن والضيق .

ـ مثال ( 3 ) :

ـ الذي يدخن وهو مقتنع تماما بأن التدخين ضار جدا بالصحة كما هو مكتوب علي علبة السجائر ، لكنه لا يتصور مدي خطورة ذلك الأمر ولا يرضى به ولا يعجبه ، لذلك فهو يدخن .

ـ مثال ( 4 ) :

ـ أنت إذا وقفت أمام أسد حقيقي ولم تتصور خطورة الأمر فلم تشعر بالخوف فهذا معناه أن هذا الأسد في حقيقته بالنسبة لك هو تمثال أو صنم ، والفرق بين الأسد الحقيقي والأسد الصنم أن الأخير لا ينفع ولا يضر ، وهما مشتركان فقط في الاسم ، فالأول له اسم حقيقي والثاني له اسم مخترع ما أنزل الله به من سلطان ، لذلك عاب الله علي قوم يعبدون أصنام لا تنفع ولا تضر (( قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شيئا وَلا يَضُرُّكُمْ ))([[31]](#footnote-31)) .

ـ فإذا كنت تقول بأنك توقن يقينا تاما بأن هناك أسد يجرى نحوك ويقترب منك ولم تتصور خطورة هذا الأمر ولم تنتبه لهذا الخطر ولم تخف منه ولم تسرع بالهرب فأنت كذاب أو يقينك بأنه أسد ضعيف .

ـ مثال ( 5 ) :

ـ لو قيل لك أن هناك اثنين من الكائنات الفضائية العملاقة يسيران معك في كل لحظة وهما في حالة اختفاء فلا تستطيع رؤيتهما ويحملان كاميرات مراقبة خفية ويسجلان عليك كل حركة وسكنه وكل كلمة حيث تحاسب على كل شيء ، إنك عندئذ تشعر بخطورة الأمر ، فأنت تعيش وصورة هذه الكاميرات وهي ترصدك لا تكاد تفارق ذهنك في كل أعمالك ، أما لو قيل أن هناك ملكين يسجلان عليك كل شيء فقد تنظر إلى ذلك كما تنظر إلى أمر لا قيمة له أو كأنه أمر لا يخصك فلا تشعر بأي قيمة أو خطورة لهذا الأمر فهذا يدل على أن اليقين بوجود الملكين هو يقين كاذب أو ضعيف .

مثال ( 6 ) :

ـ أنت توقن تاما بعذاب القبر وسؤال الملكين ، لكن لو قام إليك أحد الموتى ليخبرك عن ما كان من سؤال الملكين وعذاب القبر فتقول له وأنت بارد القلب : أنا أعرف ذلك وأكثر منه ، فلو جاء بعصاة وضربك بها لكان محقا ويقول لك أنت ليس لديك أي تصور عن عذاب القبر لأنك لا تشعر بمدي خطورة هذا الأمر وألم هذا العذاب .

ـ مثال ( 7 ) :

ـ لو أن إنسانا يعيش في منزل آيل للسقوط ، لكنه لا يريد أن يغادر المنزل فماذا يصنع ؟ ، يتناسى الأمر كأنه غير حاصل ويشغل تفكيره بأمور أخرى حتى لا ينشغل تفكيره بذلك الأمر ، وهذا من الغباء طبعا .

ـ كذلك الدنيا سوف تنتهي في أي لحظة ، لكنه لا يريد أن يترك الدنيا التي يعتبرها داره وفيها متاعه فماذا يصنع ؟ ، يتناسى الأمر كأنه غير حاصل ويشغل تفكيره بأمور أخرى حتى لا ينشغل تفكيره بذلك الأمر ، وهذا من الغباء طبعا ، أما العاقل فيظل تفكيره منشغلا بهذا الأمر طالما أنه ما زال مقيما في هذه الدنيا .

ـ مثال ( 8 ) :

ـ المتغافل عن حقيقة وجوده وحكمة خلقه هو مثل رجل دخل مغارة مظلمة في مكان موحش ، فوجد عند مدخلها بقايا لجثة إنسان ، فما كان منه إلا أن وضع رأسه وأسلم جفنيه للنوم ، غير آبه بما يحتمل أن يكون في جوف هذه المغارة من وحوش ضارية ، وهو يمنّي نفسه بالفرار إذا استيقظ ، مع أن الموت قد يفاجئه في أي لحظة ، ولذلك ففي الحديث : (( ما رأيت مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها ))([[32]](#footnote-32)) .

ـ فهذا الرجل على يقين تام بأن هذه المغارة فيها مخاطر كبيرة ورغم ذلك فهو يتجاهل هذه المخاطر وينام كأنه لا شيء ، فهذا الرجل ليس لديه شعور بخطورة الأمر ويقينه بالخطر هو يقين كاذب .

ـ مثال ( 9 ) :

ـ إذا كان أحد الناس يركب سيارة وفي أثناء الطريق وجد يافطة مكتوب عليها : ( احذر أمامك مطب ) مثلا ، هو قرأها ويعرف أن أمامه خطر يجب أن يحذر منه ، ولكنه لم يبالي بالأمر ولم يهدئ من سرعته فانقلبت به السيارة ، إن هذا الرجل كأنه سكرانا أو فاقد الوعي لأنه لم يشعر بخطورة الأمر ، فما فائدة المعرفة بأن أمامه خطر ؟ ، فهو تغافل عن الأمر وتجاهله ولم يعبأ به .

ـ مثال ( 10 ) :

ـ لو أن أحد الناس وقع لك على توكيل رسمي عام وهو يدرك ويشعر بخطورة ما يعمله ، فهذا يدل على أنه يثق بك ثقة كبيرة فأنت حينئذ قد تكافئه على ثقته بك ، أما إذا لم يكن يشعر بخطورة ما يعمل وما يترتب عليه فهو أحمق .

ـ كذلك الذي يقول بأنه اختار أن يعيش عبدا لله وهو لا يشعر بخطورة أن يعيش الإنسان عبدا لسيده مثلما كان يحدث في الماضي حيث كان العبد يباع ويشترى في سوق العبيد ، وكذلك الذي يقول بأنه اختار ألا تكون معيشته في هذه الدنيا التي يحياها الناس ولكن اختار أن يعيش من أجل الحياة الآخرة حيث فيها معيشته وهو لا يشعر بخطورة أنه يتنازل عن الإقامة في هذه الحياة ويعيش معيشة المسافر المستعد للرحيل .

ـ مثال ( 11 ) :

ـ لو قالوا أن الكرة الأرضية معرضة لخطر ما محقق ووشيك مثل نزول نيزك ضخم يحطم الأرض أو تعرض الأرض لأشعة تهلك البشر وأن هذا الخطر حقيقة سوف تقع ، فماذا يمكن أن يكون سلوك الناس عندئذ ؟ ، هل يكون همهم مشاغل الحياة والأكل والشرب والبحث عن الشهوات والذهاب للعمل أم يكون همهم مُنصَبَّا على هذا الأمر الذي سوف يهلك البشرية كلها ، إن هذا الخطر واقع فعلا وهو أنك سوف تموت قريبا وسوف يموت كل البشر وسوف تدمر الأرض وكل الكون فلماذا لا يشغل هذا الأمر بال الناس ويفكرون فيه ؟ ، ذلك لأنهم يتجاهلونه بينما يفكرون ويهتمون بأمور الدنيا .

ـ وكذلك لو حدث كسوف للشمس أو حدث كوني كبير ثم قيل أن القيامة سوف تقوم الآن مثلا ، فماذا يمكن أن يفعل الناس ؟ إنهم لن ينشغلوا بأي أمر من أمور الدنيا وسوف يهرعون إلى الصلاة والعبادة خائفين وجلين مترقبين الآخرة : (( اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وهم في غفلة معرضون ))([[33]](#footnote-33)) .

ـ مثال ( 12 ) :

ـ كان أحد الناس يجلس على مكتبه داخل أحد المباني الكبيرة يؤدي عمله في هدوء ، ثم فجأة دق جرس الإنذار ، لكنه لم ينزعج وبقي هادئا في مكانه جالسا على مكتبه ، رغم أنه كان يعلم أن جرس الإنذار يعني أن هناك حريق بالمبنى وأنه سوف يسقط ويوقن بذلك تماما ، وأسرع الناس في المبنى يلوذون بالفرار وهم ينادون على هذا الرجل الجالس على مكتبه : احذر النار احذر النار ! ، ألا تعلم أن هناك حريق كبير بالمبنى ؟ ، فيقول لهم في برود أعلم ذلك ، وبقي في هدوءه منشغلا بأعماله ، وظل الناس ينادون عليه حتى نبح صوتهم من كثرة النداء ، لكن لا حياة لمن تنادي ، فكأنما ينادون رجلا لا عقل له أو ينادون أصما لا يسمع أو ينادون جماد من الجمادات أو ينادون رجلا ميتا ليس لديه أي إحساس أو عقل أو وعي ، إنه فعلا ميت وليس بحي ، وكما يقول الشاعر : لقد أسمعت إذ ناديت حيا ، ولكن لا حياة لمَنْ تنادي ، فمهما أنذرته فلن يستجيب إلا إذا كان حيا : (( لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ))([[34]](#footnote-34)) ، (( إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ))([[35]](#footnote-35)) ، (( إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إليه يُرْجَعُونَ ))([[36]](#footnote-36)) .

ـ فهذا الرجل كان عليه أن يتصور خطورة الأمر فينشغل همه به ، ثم يخاف من هيبة الأمر ( خوف المهابة ) ، ويخاف من الضرر إذا لحقته النار ( خوف العقاب ) ، ثم يسرع للهرب .

ـ فكذلك الذي يقول بأنه يوقن بالآخرة وبسقوط الدنيا وبأنه راحل إلى الآخرة ثم هو لا يتصور هذا الخطر ولا يخافه ولا يسرع بالاستعداد لذلك ويعيش في الدنيا هادئا منشغلا بأمور الدنيا التي سوف تسقط حالا يسمع الموسيقى ويأكل الحلوى ! .

ـ إن الرسل جاءت لتنذر الناس بوجود الآخرة والجنة والنار ، وهذا الإنذار أشد من الإنذار بوجود حريق أو خطر ما ، ورغم ذلك هناك من لا ينزعج للأمر ولا يتصور خطورته ويدعي أنه يخاف الآخرة .

ـ الإنسان يعيش في حصار تام من قوة أشد من جيوش العالم ، هي قوة الله التي تلازمه في كل مكان ، وهي قوة أقرب إليه من حبل الوريد ، ولا يستطيع أن يفلت منها ، ومحاصر برقابة تامة تلازمه في كل مكان ، ورغم ذلك هو لا يشعر بأي رهبة أو انزعاج ويعيش هادئا متناسيا قدرة الله ورقابته ، ففي أيسر التفاسير : (( { وهو معكم أينما كنتم } أي بعلمه بكم وقدرته عليكم أينما كنتم ))([[37]](#footnote-37)) ، وفي تفسير مراح لبيد : (( { وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ } أي ونحن أقرب إلى الإنسان من العرق الذي يجري فيه الدم ، ويصل إلى كل جزء من أجزاء البدن بعلمنا بحاله، وبنفوذ قدرتنا فيه يجري فيه أمرنا كما يجري الدم في عروقه ))([[38]](#footnote-38)) ، وفي تفسير القرطبي : (( { وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ } أَيْ بِالْقُدْرَةِ وَالْعِلْمِ وَالرُّؤْيَةِ ، قَالَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ الْقَيْسِ : مَا نَظَرتَ إلى شيء إِلَّا رَأَيْتُ اللَّهَ تَعَالَى أَقْرَبَ إِلَيَّ مِنْهُ ))([[39]](#footnote-39)) .

ـ مثال ( 13 ) : لو أن رجلا يعمل خادما في قصر ملك من ملوك الدنيا ، وهو يعلم بأن هذا هو وظيفته ويوقن بذلك تماما ، ويعلم أن إمكانياته وقدراته لا تسمح له إلا أن يعيش خادما ، ولو سألته عن وظيفته لقال أنه خادم ، لكنه يتغافل عن ذلك ويعيش كأنه صاحب القصر أو كأنه يعيش في قصر ليس له صاحب .

ـ وكذلك الذي يعيش في ملك الله وتحت سماءه ويأكل من رزقه وتحيط به مراقبة الله وتحيط به قدرة الله الهائلة ويعيش تحت هيمنة الله وسيطرته ثم هو يتغافل عن كل ذلك ولا يلتفت انتباهه إلى شيء ويعيش كأنه صاحب المنزل الذي يسكنه وليس كأنه ضيف على صاحب المنزل وليس كأنه خادم عند صاحب المنزل وليس كأنه رجل عاجز يتكفل به غيره ويطعمه ويسقيه ، فلقد خلق الله الخلق ليكونوا عبيدا له ومن يستكبر يعذبه .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

# الفصل الثالث : الأدلة على وجود اليقين بالله والآخرة عند جميع الناس

ـ اليقين بالله والآخرة موجود عند جميع الناس ، ولكن بعض الناس تغافلوا عن الله والآخرة فأصبح يقينا كاذبا ، فاليقين عند البعض كاذب وعند البعض الآخر حقيقي .

ـ كل الناس لديهم يقين تام بضعفهم وخضوعهم لله وبأن الدنيا وما بها من مال وشهوات إلى زوال ، لكنه يقين كاذب عند البعض .

ـ كل إنسان يعرف الحق والمطلوب أن يتصور ما يعرفه فلا يتناساه .

ـ والأدلة على ذلك كالتالي :

1ـ كل من بلغته دعوة الرسل هو يؤمن بصدق الرسل وبالتالي يوقن بوجود الله والآخرة وإن قال غير ذلك : (( فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ))([[40]](#footnote-40)) ، (( وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ))([[41]](#footnote-41)) ، (( قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إلا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ))([[42]](#footnote-42)) ، (( فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (64) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ))([[43]](#footnote-43)) ، ولقد كان أبو طالب يقول : (( لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ، ولا يعني بقول الأباطيل ))([[44]](#footnote-44)) .

2ـ اليقين بتوحيد الله موجود عند جميع الناس ومقتنعين به في داخلهم ، ففي التفسير المنير : (( { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ } فالمراد من الآية أن اللّه تعالى جعل الفطرة التي فطروا عليها من الإقرار بالتوحيد حجة مستقلة عليهم، ولهذا قال : "أَنْ تَقُولُوا" أي لئلا تقولوا يوم القيامة : إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا أي التوحيد غافِلِينَ أي لم ننبه إليه ))([[45]](#footnote-45)) ، وهذا اليقين النظري كان موجودا عندهم في حياة الذر ( أي قبل الخلق ) ولا يزال موجودا عندهم في الدنيا إذ لو لم يكن موجودا عندهم في الدنيا لكان حجة لهم يوم القيامة لأن غياب هذا الأمر عنهم لا دخل لهم فيه ، فاليقين النظري موجود عندهم لكنهم تغافلوا عنه وتناسوه وأعرضوا عنه عنادا .

ـ وفي تفسير السمعاني : (( { فَأَما الَّذين اسودت وُجُوههم أكفرتم بعد إيمَانكُمْ } أَي: يُقَال لَهُم: أكفرتم بعد إيمَانكُمْ ؟! ، فَإِن قَالَ قَائِل : كَيفَ كفرُوا بعد الْإِيمَان وَلم يَكُونُوا مُؤمنين قطّ ؟ ، قيل أَرَادَ بِهِ إِيمَان يَوْم الْمِيثَاق، وَكَفرُوا بعده ))([[46]](#footnote-46)) فكل مولود يولد على هذا الإيمان ثم بعد ذلك يضيع الإيمان ولا يبقى منه غير اليقين النظري ، ففي الحديث : (( كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ))([[47]](#footnote-47)) ، فيتناسى التوحيد بعدما عقله وتنتقل مشاعره للدنيا ، أي بعد أن كان لديه رصيد كامل من الخوف من الله وحبه ورجاءه ، يظل ينقص هذا الرصيد كلما أحب الدنيا وكلما خاف غير الله حتى تنتقل مشاعره للدنيا ويخضع لها .

3ـ الإنسان الضال يعلم الحق ويوقن بالحق ورغم ذلك يختار الباطل ، ففي تفسير البحر المحيط : (( { أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً }([[48]](#footnote-48)) : "وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلى عِلْمٍ" : أي من اللّه تعالى سابق ، أو على علم من هذا الضال بأن الحق هو الدين ، ويعرض عنه عنادا ، فيكون كقوله : وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ))([[49]](#footnote-49)) ، وفي تفسير التسهيل لعلوم التنزيل : (( { اتخذ إلهه هَوَاهُ } أي أطاعه حتى صار له كالإله { وَأَضَلَّهُ الله على عِلْمٍ } أي علم من الله سابق ، وقيل : على علم من هذا الضال بأنه على ضلال ، ولكنه يتبع الضلال معاندة ))([[50]](#footnote-50)) ، وفي التفسير الوسيط للقرآن الكريم : (( وقوله : { وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلى عِلْمٍ } .... والحال أن هذا الشقي عالم بطريق الإيمان ، ولكنه استحب الغي على الرشد ))([[51]](#footnote-51)) .

4ـ اليقين الكاذب بالآخرة موجود عند الكفار لأن الله يصف الكفار بأنهم "نسوا الآخرة" : (( فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ))([[52]](#footnote-52)) ، والذي ينسى شيئا أو يتناساه لابد أنه كان يعلمه مسبقا ، فالكفار كانوا يوقنون بصدق دعوة الرسل وبصدق ما كانت تقوله الرسل من وجود الآخرة ، كما أن آيات الكون تدل على أنه لابد من حياة أخرى يكون فيها الثواب والعقاب ، فلا يمكن أن يترك الله الإنسان الذي لم يخضع لله يموت بغير عقاب ولن يترك الذي خضع له يموت بغير ثواب ، فلابد من إحياءه مرة أخرى للحساب ، فالكفار يتناسون الآخرة لذلك فهم لا يخافون منها رغم علمهم بها : (( كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الآخرة ))([[53]](#footnote-53)) والذي لا يخاف من شيء مخيف لابد أنه يعلمه لكن لا يتصور خطورته لأنه يتناساه ، وفي تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية : (( { إِنَّهُمْ كَانُواْ لاَ يَرْجُونَ حِسَاباً } ، أي : لا يخافون محاسبة الله لهم على أعمالهم في الآخرة ، قال قتادة : كانوا في الدنيا لا يخافون محاسبة ))([[54]](#footnote-54)) ، إذن هم يوقنون بها ولكنه يقين كاذب ، وحقيقة أمرهم أنهم لا يوقنون بالآخرة يقينا حقيقيا لأنهم يتناسوها ولا يخافون منها ولا يترقبونها ولا يعقلون خطورتها وينفرون منها .

5ـ في تفسير ابن كثير : (( عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ} لِلْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ، أَيْ: وَحِّدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ، وَبِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: {فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} أَيْ: لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ غَيْرَهُ مِنَ الْأَنْدَادِ الَّتِي لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا رَبَّ لَكُمْ يَرْزَقُكُمْ غَيْرُهُ وَقَدْ عَلِمْتُمْ أن الذي يدعوكم إليه الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ تَوْحِيدِهِ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ. وَهَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ ))([[55]](#footnote-55)) .

6ـ قال تعالى : (( فَأَمَّا مَنْ طَغَى (37) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (38) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ))([[56]](#footnote-56)) ، (( الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخرة ))([[57]](#footnote-57)) ، (( ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخرة ))([[58]](#footnote-58)) ، والذي يؤثر ويفضل شيء على شيء آخر هو يوقن بوجود الشيئين .

7ـ اليهود والنصارى يعلمون ويوقنون بأن النبي مرسل من عند الله وبأن ما جاء به حق ومع ذلك يتغافلون عن كونه رسول الله ويتغافلون عن ما جاء به من توحيد الله تعالى ، ويكذبون بألسنتهم مع اليقين بقلوبهم : (( الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ ))([[59]](#footnote-59)) ، وفي تفسير الهداية الى بلوغ النهاية : (( { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } .. وعن قتادة أيضاً: {يَعْرِفُونَهُ} أي: يعرفون محمداً صلى الله عليه وسلم أنه نبي كما يعرفون أبناءهم. وهو قول الزجاج ... وقال قتادة وغيره: " يكتمون أمر محمد صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون أنه حق يجدونه في التوراة والإنجيل " ))([[60]](#footnote-60)) .

8ـ كل الناس يوقنون بالله والآخرة من خلال التفكر ولكنهم يتناسون ذلك ، فالناس يعلمون أن أي ملك من ملوك الدنيا يريد من الناس أن يعظموه ويخضعوا له ويطيعوه ، فهو بذلك يكون ملكا عليهم ، فإذا لم يعظموه ويخضعوا له ويهابونه ويخافونه ويطيعوه هم بذلك لم يجعلونه ملكا عليهم ، فكل الناس يعلمون ما الذي يريده الله منهم وهو أن يعظموه ويخضعوا له ويهابونه ويخافونه ويطيعوه .

ـ ومن الناس من يعظم الله ويخضع له ويهابه ويخافه ويطيعه فهو بذلك يجعله ملكا عليه ، ومن الناس من يرفض الخضوع لأن الخضوع فيه ألم وذل وترك للشهوات ، ويرفض أن يطيعه لأن ذلك يقيده ويخالف هواه رغم علمه ويقينه النظري التام بأن الله هو الملك عليه وأنه يجب عليه أن يخضع له ويخافه ويطيعه ولكنه يستكبر .

ـ وكل الناس يعلمون أنه لا يمكن أن يترك الله من يخضع له ومن لا يخضع سواء ، فلابد أن يعاقب الذي لم يخضع ويثيب من خضع ، وحيث أن الناس تموت ولا ترى عقابا أو ثوابا لأحد فلابد من بعث الناس مرة أخرى من أجل ثوابهم وعقابهم .

ـ فبالتفكر يعرف الإنسان وجود الآخرة : (( أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إلا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ))([[61]](#footnote-61)) ، والأجل المسمى هو يوم تنتهي فيه الحياة لتبدأ حياة من جديد للثواب والعقاب ، فلن يبقى الناس يتناسلون إلى مالا نهاية وبالتالي تبقى الحياة بلا حساب وعقاب ، فلابد أن تنتهي الحياة لتبدأ حياة جديدة للحساب : (( وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إلا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ))([[62]](#footnote-62)) ، فبالتفكر يعقل الإنسان مجيء يوم الحساب ويشعر بمدى خطره : (( رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ))([[63]](#footnote-63)) ، وفي تفسير التحرير والتنوير : (( " وَما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما لاعِبِينَ " .. وَالْمَعْنَى : أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ بَعْثٌ وَجَزَاءٌ لَكَانَ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا عَبَثًا، وَنَحْنُ خَلَقْنَا ذَلِكَ كُلَّهُ بِالْحَقِّ، أَيْ بِالْحِكْمَةِ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ إِتْقَانُ نِظَامِ الْمَوْجُودَاتِ، فَلَا جَرَمَ اقْتَضَى خَلْقَ ذَلِكَ أَنْ يُجَازَى كُلُّ فَاعِلٍ عَلَى فِعْلِهِ وَأَنْ لَا يُضَاعُ ذَلِكَ، وَلَمَّا كَانَ الْمُشَاهَدُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَقْضِي حَيَاتَهُ وَلَا يَرَى لِنَفْسِهِ جَزَاءً عَلَى أَعْمَالِهِ تَعَيَّنَ أَنَّ اللَّهَ أَخَّرَ جَزَاءَهُمْ إلى حَيَاةٍ أُخْرَى وَإِلَّا لَكَانَ خَلْقُهُمْ فِي بَعْضِ أَحْوَالِهِ مِنْ قَبِيلِ اللَّعِبِ ))([[64]](#footnote-64)) .

ـ إذن الناس على يقين بالآخرة عن طريق الاستنتاج ، فمنهم من تصور ذلك ومنهم من تغافل عنه فأصبح يقينا كاذبا .

ـ كما أن كل الناس على يقين تام بأن الله يقدر على كل شيء ، ويقدر على إحياء الميت بعد موته : (( قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأمر فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ))([[65]](#footnote-65)) ، فهم يوقنون بأن الله يحي الموتى فيخرج النبات الحي من البذرة الميتة التي لا روح فيها ويخرج الطفل الحي من النطفة الميتة وبالتالي فهم يوقنون بأن الله يقدر على أن يحي الإنسان بعد موته ، ولكن هذا اليقين كاذب عند البعض ، كما أنهم يوقنون بأن كل إنسان يقوم بعد نومه ، أي يستعيد أهم صفات الحياة بعد أن فقدها ، فأصبح يرى ويبصر ويفكر ويتحرك بعد أن فقد هذه الصفات التي هي أهم الصفات التي تميز الحي من الميت ، فالله يظهر قدرته على سلب قوى الإنسان حتى لا يتكبر ويغتر بقوته ويعقل حقيقة نفسه ويعقل مدى قدرة الله عليه ثم يعيد إليه قوته وحركته حتى يعقل قدرة الله على إحياء الموتى ، ولكن لا يفقه ذلك إلا أصحاب العقول والبصائر .

9ـ كفر الكافرين هو بطريقة التغافل استكبارا وعنادا وليس لعدم الاقتناع ، والتغافل معناه أنه يعلم الحق ولكن يتغافل عنه ، والفصل السادس به أكثر من تسعين دليلا على ذلك .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

# الفصل الرابع : الأدلة على أن اليقين بربوبية الله عند الكفار كاذب

ـ اليقين الكاذب هو اليقين بأمر ما مع التغافل عن ذلك الأمر .

ـ اليقين بربوبية الله عند الكفار كاذب والأدلة على ذلك كالتالي :

ـ أولا : من عرف صفات الربوبية معرفة حقيقية ( تصور حقيقة هذه الصفات ) أحب الله وخافه ورجاه وخضع له وأطاعه ، فإذا لم يتحقق الحب والخوف والرجاء والخضوع فهو يتغافل عن صفات الربوبية وهو لا يعرف الله ، فيقينه بصفات الربوبية هو يقين كاذب ، وبتعبير آخر إذا لم يؤدي اليقين بربوبية الله إلى توحيد الألوهية فهو يقين كاذب ( توحيد الألوهية يتضمن الحب والخوف والرجاء والخضوع لله تعالى ) ، والأدلة على ذلك كالتالي :

1ـ يقول تعالى : (( نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ))([[66]](#footnote-66)) ، إذن ليس لديهم تصديق حقيقي بأن الله هو الخالق ، ففي تفسير محاسن التأويل : (( { نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ } أي : معشر قريش والمكذبين بالبعث ، فأوجدناكم بشراً ، ولم تكونوا شيئا { فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ } أي : بالخلق ، وهم وإن كانوا مقرين به لقوله :{ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ } [ لقمان : 25 ] إلا أنه نزل منزلة العدم والإنكار ؛ لأنه إذا لم يقترن بالطاعة والأعمال الصالحة ، لا يعد تصديقاً ))([[67]](#footnote-67)) ، وفي تفسير الكشاف : (( { فَلَوْلاَ تُصَدِّقُونَ } تحضيض على التصديق : إما بالخلق لأنهم وإن كانوا مصدّقين به ، إلا أنهم لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق ، فكأنهم مكذبون به ، وإما بالبعث ؛ لأنّ من خلق أولاً لم يمتنع عليه أن يخلق ثانياً ))([[68]](#footnote-68)) ، وفي تفسير أبي السعود : (( وقوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون .. أي فهلا تصدقون بالخلق فإن مالا يحققه العلم ولا يساعده بل ينبئ عن خلافه ليس من التصديق في شيء ، وقيل بالبعث استدلالا عليه بالإنشاء فإن من قدر عليه قدر على الإعادة حتما والأول هو الوجه كما ستحيط به خبرا ))([[69]](#footnote-69)) .

2ـ وفي تفسير أبي السعود : (( { أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ } أي إذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والأرض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا وإلا لما أعرضوا عن عبادته ))([[70]](#footnote-70)) ، وفي تفسير البحر المحيط : (( { بَل لا يُوقِنُونَ } : أي إذا سئلوا : من خلقكم وخلق السموات والأرض ؟ قالوا : الله ، وهم شاكون فيما يقولون لا يوقنون ))([[71]](#footnote-71)) وفي تفسير البيضاوى : (( { بل لا يوقنون } إذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والأرض قالوا الله إذ لو أيقنوا ذلك لما أعرضوا عن عبادته ))([[72]](#footnote-72)) ، وفي تفسير روح المعاني : (( أي إذا سئلوا من خلقكم وخلق السماوات والأرض قالوا : الله وهم غير موقنين بما قالوا إذ لو كانوا موقنين لما أعرضوا عن عبادته تعالى فإن من عرف خالقه وأيقن به امتثل أمره وانقاد له ))([[73]](#footnote-73)) ، وفي تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان : (( { بل لا يوقنون } وذلك أنه حكي عنهم { ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله } [ لقمان : 25 ] فتبين أنهم في هذا الاعتراف شاكون إذ لو عرفوه حق معرفته لم يثبتوا له نداً ولم يحسدوا من اختاره للرسالة ))([[74]](#footnote-74)) .

3ـ وفي تفسير ابن كثير : (( قالت الرسل : { أَفِي اللَّهِ شَكٌّ } وهذا يحتمل شيئين ، أحدهما : أفي وجوده شك ، فإن الفطر شاهدة بوجوده، ومجبولة على الإقرار به ، فإن الاعتراف به ضروري في الفطَر السليمة ، ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطراب ، فتحتاج إلى النظر في الدليل الموصل إلى وجوده ؛ ولهذا قالت لهم الرسل ترشدهم إلى طريق معرفته بأنه { فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ } الذي خلقها وابتدعها على غير مثال سبق، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليها، فلا بد لها من صانع ، وهو الله لا إله إلا هو ، خالق كل شيء وإلهه ومليكه ))([[75]](#footnote-75)) ، وفي تفسير البحر المديد : (( فأجابتهم الرسل عن دعواهم الشك في الربوبية ، { قالت رُسُلُهم أفي الله شكٌّ } : أفي وجوده شك ، أو في ألوهيته ، أو في وحدانيته شك ؟ ))([[76]](#footnote-76)) ، وفي تفسير الوسيط لسيد طنطاوي : (( والاستفهام في قوله { أَفِي الله شَكٌّ } للتوبيخ والإِنكار ، ومحل الإنكار هو وقوع الشك في وجود الله - تعالى - وفى وحدانيته ))([[77]](#footnote-77)) ، وفي تفسير التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي : (( " أفي الله شك " المعنى أفي وجود الله شك أو أفي إلهيته شك وقيل في وحدانيته ))([[78]](#footnote-78)) .

4ـ وفي تفسير البحر المديد : (( { ربُّكم وربُّ آبائكم الأولين } أي : هو رب الجميع ، ثم ردّ أن يكونوا موقنين بقوله : { بل هم في شك يلعبون } وإقرارهم غير صادر عن علم وإيقان ، بل قول مخلوط بهزؤ ولعب ))([[79]](#footnote-79)) ، وفي تفسير التحرير والتنوير : (( { بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ } { بل } للإضراب الإبطالي رد به أن يكونوا موقنين ومقرين بأنه رب السماوات والأرض وما بينهما فإن إقرارهم غير صادر عن علم ويقين ثابت بل هو كالعدم لأنهم خلطوه بالشك واللعب فارتفعت عنه خاصية اليقين والإقرار التي هي الجري على موجب العلم ، فإن العلم إذا لم يجر صاحبه على العمل به وتجديد ملاحظته تطرق إليه الذهول ثم النسيان فضعف حتى صار شكا لانحجاب الأدلة التي يرسخ بها في النفس، أي هم شاكون في وحدانية الله تعالى ))([[80]](#footnote-80)) ، وفي التفسير الوسيط للقرآن الكريم : (( و"بَلْ" في قوله تعالى : { بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ } للإضراب الإبطالى ، لأن المقصود من الآية الكريمة ، نفى إيقانهم بأن خالق السموات والأرض هو اللّه ، لعدم جريهم على ما يقتضيه هذا الإيقان ، لأنهم لو كانوا موقنين حقا بذلك ، لأخلصوا للّه - تعالى - العبادة والطاعة ، فيكون المعنى : إن هؤلاء الكفار لم يكونوا موقنين بأن رب السموات والأرض وما بينهما هو اللّه ، بل قالوا ما قالوا في ذلك على سبيل الشك واللعب ، قال الآلوسى : « قوله : بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ ... إضراب إبطالى ، أبطل به إيقانهم لعدم جريهم على موجبه ، وتنوين شَكٍّ للتعظيم ، أي : في شك عظيم. يَلْعَبُونَ أي : لا يقولون ما يقولون عن جد وإذعان ، بل يقولونه مخلوطا بهزء ولعب »([[81]](#footnote-81)) ))([[82]](#footnote-82)) ، وفي أيسر التفاسير : (( { بل هم في شك يلعبون } : أي فليسوا بموقنين بل هم في شك من ربوبية الله تعالى لخلقه وإلا لعبدوه وأطاعوه ( بل هم في شك يلعبون ) بالأقوال والأفعال واليقين لهم في ربوبية الله تعالى ، وإنما هم مقلدون لآبائهم في ذلك ))([[83]](#footnote-83)) ، وفي تفسير البحر المحيط : (( وقوله : ( إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ) تحريك لهم بأنكم تقرون بأنه تعالى خالق العالم ، وأنه أنزل الكتب ، وأرسل الرسل رحمة منه ، وأن ذلك منكم من غير علم وإيقان ، ولذلك جاء : بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ، أي في شك لا يزالون فيه يلعبون. فإقرارهم ليس عن جد ولا تيقن ))([[84]](#footnote-84)) ، وفي التفسير المنير : (( { بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ } أي بل هؤلاء المشركون في شكّ من أمر البعث والتّوحيد والإقرار الذي صدر منهم بأن اللَّه هو خالقهم، وهم في الواقع عابثون لا هون لاعبون، لا جدّية عندهم في الاعتقاد الصحيح، والسّلوك المطابق له ))([[85]](#footnote-85)) ، وفي تفسير القرطبي : (( { بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ } أي ليسوا على يقين فيما يظهرونه من الإيمان والإقرار في قولهم : إن الله خالقهم ؛ وإنما يقولونه لتقليد آبائهم من غير علم فهم في شك ، وإن توهموا أنهم مؤمنون فهم يلعبون في دينهم بما يعن لهم من غير حجة ))([[86]](#footnote-86)) ، وفي صفوة التفاسير : (( { بل هم في شك يلعبون } أي ليسوا موقنين فيما يظهرونه من الإيمان ، في قولهم : الله خالقنا ))([[87]](#footnote-87)) ، وفي تفسير القاسمي : (( { بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ } أي : بل ليسوا بموقنين في إقرارهم بربوبيته ؛ لأن الإيقان يستتبع قبول البرهان ، وإنما هو قول ممزوج بلعب ، لغشيان أدخنة أهوية نفوسهم بصائر قلوبهم وأرواحهم ))([[88]](#footnote-88)) .

5ـ اليقين الحقيقي بربوبية الله هو الذي يؤدي إلى عبادته سبحانه : (( إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ))([[89]](#footnote-89)) ، (( رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ ))([[90]](#footnote-90)) ، (( وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ))([[91]](#footnote-91)) ، وفي أيسر التفاسير لأسعد حومد : (( { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ } وَلَئِنْ سَأَلْتَ هَؤُلاَءِ المُشْرِكِينَ بِاللهِ ، العَابِدِينَ غَيْرَهُ ، مَنْ خَلَقَهُمْ وَخَلَقَ الخَلْقَ جَمِيعاً ، لَيَعْتَرِفُنَّ بِأَنَّ الله تَعَالَى هُوَ وَحْدَهُ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ ، وَخَالِقُ كُلِّ شَيءٍ فِي الوُجُودِ ، وَلاَ شَرِيكَ لَهُ فِي ذَلِكَ . وَلَكِنَّهُمْ مَعَ اعْتِرَافِهِمْ هَذَا فَإِنَّهُمْ يَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ مِمَّنْ لاَ يَمْلِكُ شَيْئاً ، وَلاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيءٍ ، فَكَيْفَ يُصْرِفُونَ عَنْ طَرِيقِ الحَقِّ إلى طِرِيقِ الضَّلاَلَةِ لَوْ لَمْ يَكُونَوا فِي غَايَةِ الجَهْلِ ، وَسَفَاهَةِ الرَّأيِ؟ ، ( فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ) فَكَيْفَ يُصْرَفُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ))([[92]](#footnote-92)) ، وفي التفسير الوسيط للقرآن الكريم : (( { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ } وقوله سبحانه : { فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ } تعجيب من تناقضهم في أفعالهم ، ومن انحراف في تفكيرهم ، ومن تركهم العمل بموجب ما تقتضيه أقوالهم ، أي : إذا كنتم معترفين بأن اللّه وحده هو الخالق للسموات والأرض ، والمسخر للشمس والقمر ، فلماذا أشركتم معه في العبادة آلهة أخرى؟ ولماذا تنصرفون عن الإقرار بوحدانيته عز وجل ؟ ))([[93]](#footnote-93)) .

6ـ وفي قوله تعالى : (( وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ))([[94]](#footnote-94)) ، أي أفلا تعقلون ربوبية الله ، ففي التفسير المنير : (( ( وَلَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ ) أي وللّه وحده تسخير الليل والنهار، وجعل كل منهما يطلب الآخر، يتعاقبان، لا يفتران ولا يفترقان بنظام دقيق وزمان محدد كما قال تعالى: لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ، وَلَا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ [ يس 36/ 40] ، ثم حذر اللّه تعالى من ترك النظر في كل هذا فقال : ( أَفَلا تَعْقِلُونَ ) أي أفلا تتفكرون في هذه الأشياء، أفلا تعقلون كنه قدرته وربوبيته ووحدانيته، وألا تدلكم عقولكم على العزيز العليم الذي قهر كل شيء، وخضع له كل شيء، لتعلموا أن اللّه حي موجود قادر؟! ))([[95]](#footnote-95)) .

7ـ يقول المستشار الدكتور على جريشة : (( إن الفصل بين المعنيين " توحيد الربوبية " و" توحيد الألوهية " لا محل له إلا ليكون للبيان والتوضيح .... ونود أن نؤكد أن منهج القرآن في عدم الفصل بين أنواع التوحيد ـ كما ذهب إليها العلماء ـ هو المنهج الأقوم .. وهو الذي يتفق مع أسماء الله وصفاته ))([[96]](#footnote-96)) .

ـ ثانيا : ادعاء القوة والملكية والإيجاد ( وهي من صفات الربوبية ) :

1ـ الكافر يظن أن ما عنده من مال ونعم ملك له وحصل عليه بجهده ، لذلك فيقينه بأن الله هو المالك والرزاق كاذب ، ففي تفسير ابن جزي : (( { وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي } [فصلت: 50] { لَيَقُولَنَّ هذا لِي } أي هذا حقي الواجب لي، وليس تفضلا من الله ولا يقول هذا إلا كافر، ويدل على ذلك قوله: وَما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً ))([[97]](#footnote-97)) ، وفي تفسير القاسمي : (( { لَيَقُولَنَّ هذا لِي } أي حقي نلته بعملي ، لا بفضل من الله جحدا للمنعم ))([[98]](#footnote-98)) ، وفي تفسير البحر المحيط : (( { لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي } أَيْ بِسَعْيِي وَاجْتِهَادِي، وَلَا يَرَاهَا أَنَّهَا مِنَ اللَّهِ ))([[99]](#footnote-99)) .

ـ وفي التفسير القرآني للقرآن : (( قوله تعالى : « ذلِكُمْ بِما كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِما كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ » أي ذلكم الذي أنتم فيه من بلاء وعذاب في الآخرة ، هو بسبب ما كنتم عليه في الدنيا من غرور بما ملكتم فيها ، وزهو وعجب بما بين أيديكم من زخرفها ومتاعها ، فصرفكم ذلك عن أن تنظروا إلى ما وراء يومكم الذي أنتم فيه ، فقطعتم حياتكم في فرح ومرح ، ولهو وعبث ))([[100]](#footnote-100)) أي فرح غرور بالدنيا كأنهم هم الذين جلبوا متع الدنيا لأنفسهم فهي ملكهم وهو أقوياء بذلك فاستكبروا عن الشعور بالخضوع لله القوي فمصيرهم النار باستكبارهم .

ـ إذن سبب الفرح هو شعور الإنسان بأنه مالك الشيء وبأنه هو الذي أوجده وعدم شعوره بأن الله هو المالك لهذا الشيء وهو الذي خلقه وأوجده ، والدليل على ذلك أن قوم قارون عندما قالوا له : ( لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ) قال لهم : ( إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ) .

2ـ الكافر يحسب أنه العليم الحكيم :

ـ ففي تفسير مفاتيح الغيب : (( { فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ } ... يجوز أن يكون المراد علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال تعالى : يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ عَنِ الآخرة هُمْ غافِلُونَ [ الروم : 7 ] ، ذلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ [ النجم : 30 ] فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهي معرفة اللّه تعالى ومعرفة المعاد وتطهير النفس عن الرذائل لم يلتفتوا إليها واستهزؤا بها ، واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به ))([[101]](#footnote-101)) .

3ـ يدعون القوة ويعتبرون عمارة الأرض دليلا على قوتهم والقوي لا يخضع لأحد :

ـ فقوم عاد كان عندهم من صور القوة والمدنية الكثير : (( فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآياتِنَا يَجْحَدُونَ ))([[102]](#footnote-102)) ، (( أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ، وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ))([[103]](#footnote-103)) ، فكان مصيرهم : (( وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ، سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كأنهم أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ))([[104]](#footnote-104)) ، وهذا هو مصير الذين يغترون بأنفسهم ويدعون القوة بما عندهم من النعم : (( أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ))([[105]](#footnote-105)) ، (( أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ ))([[106]](#footnote-106)) ، (( وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثاً وَرِئْياً ))([[107]](#footnote-107)) ، (( وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ))([[108]](#footnote-108)) ، (( أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ، إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ ، وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ، وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ، الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ ، فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ، فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ))([[109]](#footnote-109)) .

ـ وفي تفسير النسفي : (( { أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم } كانوا أكثر منهم عددا وأشد قوة بدنا وآثارا في الأرض قصورا ومصانع ، { فما أغنى عنهم } ما نافية ، { فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (82) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ } يريد علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال { يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون } ))([[110]](#footnote-110)) .

ـ ثالثا : كل الناس مسلمين وكافرين يوقنون بأن الله عليم بكل شيء : (( وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ))([[111]](#footnote-111)) ، ولكن هذا اليقين عند البعض هو يقين كاذب فهم غافلون غير منتبهين لخطورة أن الله العظيم يعلم ما يفعلونه ، فحقيقة اليقين عند هؤلاء هو أن الله لا يعلم ما يعملون ، ففي تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية : (( { ولكن ظَنَنتُمْ أَنَّ الله لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ } أي : ولكن حسبتم أيها العاصون حين ركبتم المعاصي في الدنيا أن الله لا يعلم أعمالكم فلذلك فعلتموها ، قال ابن مسعود : كنت مستتراً بأستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر: ثقفيان وقرشي أو قرشيان وثقفي، كثير شحوم أبدانهم، قليل فقه قلوبهم، فتكلموا بكلام لم أفهمه ، فقال أحدهم، أترون أن الله يسمع ما نقول ، فقال الرجلان: إذا رفعنا أصواتنا سمع، وإذا لم نرفع أصواتنا لم يسمع. فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك، فنزلت هذه الآية : { وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (22) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ }([[112]](#footnote-112)) ))([[113]](#footnote-113)) ، وفي التفسير القرآني للقرآن : (( { كَلَّا } هو ردّ على هذا السؤال في قوله تعالى : { أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرى } وكلا إنه لا يعلم بأن الله مطلع على كل شيء ، ولو كان يعلم هذا علما مستيقنا لخاف ربه وخشي بأسه، ولكن ضلاله أعمى قلبه، وأظلم بصيرته ، فلم يرى جلال الله، ولم يشهد عظمته، ولم يخش بأسه ! ))([[114]](#footnote-114)) .

ـ رابعا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين ويهلك آخرها بالبخل والأمل ))([[115]](#footnote-115)) ، وفي حديث آخر : (( نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد ويهلك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل ))([[116]](#footnote-116)) ، ومعنى الحديث السابق : (( وقال الطيبي : أراد باليقين تيقن أن الله هو الرزاق المتكفل للأرزاق { وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها } فمن تيقن هذه في الدنيا لم يبخل لأن البخيل إنما يمسك المال لطول الأمل وعدم التيقن ))([[117]](#footnote-117)) .

ـ خامسا : اليقين بربوبية الله مع التغافل عن صفات الربوبية هو يقين كاذب لأن اليقين بأمر يتجاهله الإنسان مثل اليقين بأمر مجهول وهو يقين لا معنى له ( والفصل الرابع الدليل على ذلك ) ، والأدلة على التغافل عن صفات الربوبية وعن الآخرة بالفصل السادس .

ـ سادسا : اليقين بربوبية الله لابد بالضرورة أن يؤدي إلى تحقيق توحيد الألوهية ، وتوحيد الألوهية يشمل الحب والخوف والرجاء والخضوع وهي مشاعر لا تنشأ إلا إذا تصور الإنسان صفات الربوبية لله تعالى .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

# الفصل الـخامس : العلم مع الغفلة كاذب

ـ اليقين بأمر ما مع التعامل معه كأنه هزل وليس جد كأنه لا قيمة له هو يقين هزلي وليس يقينا جديا وهو يقين كاذب :

ـ ففي تفسير البحر المديد : (( { ربُّكم وربُّ آبائكم الأولين } أي : هو رب الجميع ، ثم ردّ أن يكونوا موقنين بقوله : { بل هم في شك يلعبون } وإقرارهم غير صادر عن علم وإيقان ، بل قول مخلوط بهزؤ ولعب ))([[118]](#footnote-118)) ، وفي تفسير البحر المحيط : (( وقوله : ( إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ) تحريك لهم بأنكم تقرون بأنه تعالى خالق العالم ، وأنه أنزل الكتب ، وأرسل الرسل رحمة منه ، وأن ذلك منكم من غير علم وإيقان ، ولذلك جاء : بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ، أي في شك لا يزالون فيه يلعبون. فإقرارهم ليس عن جد ولا تيقن ))([[119]](#footnote-119)) ، وفي التفسير المنير : (( { بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ } أي بل هؤلاء المشركون في شكّ من أمر البعث والتّوحيد والإقرار الذي صدر منهم بأن اللَّه هو خالقهم، وهم في الواقع عابثون لا هون لاعبون، لا جدّية عندهم في الاعتقاد الصحيح، والسّلوك المطابق له ))([[120]](#footnote-120)) ، وفي تفسير القاسمي : (( { بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ } أي : بل ليسوا بموقنين في إقرارهم بربوبيته ؛ لأن الإيقان يستتبع قبول البرهان ، وإنما هو قول ممزوج بلعب ، لغشيان أدخنة أهوية نفوسهم بصائر قلوبهم وأرواحهم ))([[121]](#footnote-121)) .

ـ ويقول تعالى : (( إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ، وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ))([[122]](#footnote-122)) ، (( مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إلا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ، لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ))([[123]](#footnote-123)) .

ـ إذا علم الإنسان أمرا ما ثم تجاهله وتغافل عنه فهو في الحقيقة لم يعلمه ، وإذا رأى الإنسان شيئا ما ثم تجاهله وتغافل عنه فهو في الحقيقة لم يراه ، وإذا سمع الإنسان أمرا ما ثم تجاهله وتغافل عنه فهو في الحقيقة لم يسمعه ، وإذا فهم الإنسان أمرا وعقله وأيقن به ثم تجاهله وتغافل عنه فهو في الحقيقة لم يفهمه ولم يعقله ولم يوقن به ، فهو أنزل نفسه منزلة الذي لا يسمع ولا يرى ولا يعقل : (( صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ))([[124]](#footnote-124)) .

ـ فالعلم والمعرفة بأمر ما مع الغفلة عنه هو علم كاذب ومعرفة كاذبة ، وحقيقة الأمر أنه لا يعلمه ولا يعرفه ، وبالتالي فاليقين مع الغفلة هو يقين كاذب ، والغفلة هي عدم تصور خطورة الأمر وعدم شغل الهم به ، وتؤدي الغفلة إلى عدم الشعور بخطورة الأمر ( غياب خوف المهابة ) وعدم وجود الخضوع والحب والخوف والرجاء بالضرورة ، فالذي يتكل على أن لديه يقين يدخله الجنة لابد أن ينظر هل يقينه كاذبا أم حقيقي ؟ .

ـ اليقين بأمر مجهول هو يقين كاذب ، لأنه يقين لا معنى له ، وكذلك اليقين بأمر يتجاهله الإنسان هو يقين كاذب لأن الإنسان أنزل هذا الأمر منزلة المجهول .

ـ فالمشكلة ليست في اليقين نفسه ولكن المشكلة في التغافل عن الشيء الذي يوقن به الإنسان ، ففساد اليقين هو أثر من آثار فساد المعرفة ، وكذلك ففساد السمع والبصر والعقل هو أثر من آثار فساد المعرفة .

ـ الإنسان الذي لم يصل إلى علمه دعوة الرسل هو غير مكلف ، ولكن الإنسان الذي تغافل عن دعوة الرسل فأصبح حاله حال الذي لم تبلغه الدعوة هو مكلف لأنه علم بها وهو الذي وضع نفسه موضع الجاهل بها .

ـ التغافل يؤدي إلى فساد جميع وظائف الإنسان ، لأنه لا معنى ولا فائدة من أن يسمع أو يرى أو يعقل شيئا لا يتصور قيمته ( يتغافل عنه ) ، وتنحرف مشاعره فيخاف من أمر غير مخيف ويحب أمرا فيه ضرر له ، وتنحرف جوارحه فيعمل لما فيه ضرر له ، فهو عندئذ كالأعمى أو المجنون أو الميت .

ـ شروط اليقين : اليقين له شرطان هما :

1ـ المعرفة بالأمر .

2ـ الاقتناع به .

ـ إزالة اليقين تكون بطريقتين :

1ـ عدم الاقتناع بالأمر :

ـ وذلك بالإتيان بأدلة تثبت أنه غير صحيح ، وهنا يزول اليقين من العقل فلا يصبح له وجود في العقل ، وهذه الطريقة مستحيلة لأنه لا يستطيع الإنسان الإتيان بأدلة تثبت عدم صحة الأمر .

2ـ التغافل :

ـ تجاهل الأمر والتغافل عنه والهروب منه كأنه غير موجود وكأنه لم يسمع عنه ، وهنا يبقى اليقين في العقل ولكن يكون ميتا وفاسدا وبلا قيمة ومفرغ من المعنى ، والهروب معناه توجيه الهم بعيدا عن هذا الأمر وكل ما يذّكر الإنسان به أو يتعلق به كأن هذا الأمر لم يسمع عنه أصلا .

ـ وهذه الطريقة يستخدمها الإنسان عندما لا يجد دليلا يقنع به نفسه ببطلان الأمر فيلجأ إلى الهروب عن الأمر بتحويل همه بعيدا عن الأمر .

ـ فهو يهمل الأمر ولا يشغل به باله ولا يبالي به ، وهي الطريقة التي استخدمها الناس في تكذيب الرسل لأنهم ليس لديهم أدلة ليقنعوا أنفسهم بها بأن الرسل مخطئون ، والفصل السادس به أكثر من تسعين عبارة من القرآن تعبر عن التغافل .

ـ صور غياب اليقين :

1ـ المعرفة بالأمر مع عدم اليقين به .

2ـ عدم المعرفة بالأمر مع اليقين به ، فيبقى اليقين موجودا ولكن بلا معنى ولا قيمة .

3ـ التغافل عن المعرفة ( التغافل عن الأمر ) مع اليقين به ، أي يتصنع عدم وصول المعلومة أو عدم فهمها ، فيبقى اليقين موجودا ولكن بلا معنى ولا قيمة ، التغافل عن الأمر معناه عدم تصور قيمة الأمر وعدم شغل الهم به كأنه أمرا لا قيمة له : (( وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ))([[125]](#footnote-125)) .

ـ هذه الصورة الثالثة من غياب اليقين هي الموجودة عند الكفار والمنافقين ، وهي تفريغ اليقين من قيمته ومعناه عن طريق التغافل أي إبعاد الهم عن الأمر ، وهي حيلة الذي لا يملك دليلا فهو يرفض الأمر عنادا واستكبارا وليس لوجود أدلة لديه ، وهو بذلك قد نقض ما عنده من اقتناع عقلي رغم بقاء هذا الاقتناع بلا قيمة في العقل .

ـ فعدم المعرفة بالأمر يكون إما بالجهل أو بالتجاهل ، أي إما بالغفلة أو بالتغافل ، فإذا غاب العلم بما دعت إليه الرسل بسبب الجهل به والغفلة عنه ( أي لم يصل إلى علمه الأمر ) فالإنسان غير مكلف ، وإذا غاب العلم بما دعت إليه الرسل بسبب التجاهل والتغافل فالإنسان هو الذي وضع نفسه موضع الجاهل به والغافل عنه وهو بذلك يرفض دعوة الرسل ، وهو يلجأ إلى هذه الحيلة لأنه لا يجد دليلا على رفضه دعوة الرسل .

ـ فاليقين موجود في العقل ، والتغافل ( فساد الهم ـ غياب التصور ) ينقض هذا اليقين .

### ـ اليقين مع الغفلة كاذب :

ـ الغفلة عن الله معناها أن الإنسان يتصور كأنه لا أحد يراه ولا أحد يسمعه ولا أحد يراقبه ويحاسبه على ما يعمل وكأن الدنيا موجودة من تلقاء نفسها ، وبتعبير آخر ليس في تصوره أن هناك أحدا يسمعه ويراه ويراقبه ويعطيه الرزق وأنه أحد العبيد المملوكين لله ، رغم اليقين التام بالله لكنه يقين كاذب لأنه يقين لا معنى له .

ـ والغفلة عن الآخرة معناها أن الإنسان يتصور أن الذي يموت يتحلل جسده في التراب ويتوقف تصوره عند ذلك كأنه لا يحيا مرة أخرى ولا حساب ولا آخرة ، وبتعبير آخر ليس في تصوره أن هناك حياة أخرى بعد الموت ، رغم اليقين التام بالبعث والآخرة لكنه يقين كاذب .

ـ العلم والمعرفة بأمر ما مع الغفلة عنه هو علم كاذب ومعرفة كاذبة ، وحقيقة الأمر أنه لا يعلمه ولا يعرفه ، فالعلم والمعرفة بدعوة الرسل وبما دعت إليه الرسل من توحيد الله ووجود الآخرة مع التغافل عن دعوة الرسل وما دعت إليه هو علم ومعرفة كاذبة .

ـ أثر التغافل على السمع والبصر والعقل والمشاعر والعمل :

1ـ أصبح لا يسمع ولا يرى :

ـ أجهزة استقبال المعلومات هي السمع والبصر ، إذا تغافل الإنسان عن المعلومة الهامة بعدما سمعها أو رآها فلم يتصور قيمتها أصبحت معلومة عديمة الفائدة وأصبح حاله حال الذي لم يسمع عن المعلومة أصلا ولم يراها ، لذلك يوصف الكافر بأنه أصم وأعمى فهو الذي أصم أذنيه وأعمى عينيه بتغافله عن ما دعت إليه الرسل .

ـ كذلك الذي قلب همه فشغل همه بالدنيا فلا فائدة مما سمعه ورآه عن ضآلة الدنيا وزوالها وأصبح حاله حال الذي لم يسمع عن هذه المعلومة أصلا ولم يراها .

2ـ أصبح لا يعقل ولا يعلم ولا يوقن :

ـ العقل هو المسئول عن العلم واليقين والاعتقادات والنية والإخلاص والهدف ، إذا تغافل الإنسان عن المعلومة الهامة بعدما عقلها وعلم بها وأيقن بها واعتقدها وجعلها غايته وهدفه فلم يتصور قيمتها أصبحت معلومة عديمة الفائدة وأصبح حاله حال الذي لم يعقل ولم يفهم ولم يعلم ولم يوقن بهذه المعلومة ولم يجعلها هدفا له ، لذلك يوصف الكافر بأنه لا يعقل ولا يعلم فهو الذي أفسد عقله وعلمه بتغافله عن ما دعت إليه الرسل .

ـ أو أصبح حاله حال الذي سمع معلومة تافهة لا قيمة لها فيكون كالذي يوقن بأنها تافهة ، لذلك يوصف الكفار بأنهم جعلوا الدين لعبا ولهوا ، (( وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ))([[126]](#footnote-126)) ، (( الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ))([[127]](#footnote-127)) .

ـ كذلك الذي قلب همه فشغل همه بالدنيا فلا فائدة مما علمه وأيقن به عن ضآلة الدنيا وزوالها وأصبح حاله حال الذي لم يعلم ولم يوقن بهذه المعلومة .

3ـ أصبح عديم المشاعر : لا يحس ولا يتأثر :

ـ إذا تغافل الإنسان عن الله فلم يتصور قدره وعظمته أصبح كأنه لم يسمع عنه ولم يعرفه ، ولا يمكن لإنسان أن يحب أحدا لم يسمع عنه ولم يعلم به ولم يعرفه ، أو أن يخضع له أو يهابه أو يخافه أو يرجوه ، لأنه لا يرى فيه السبب الذي يجعله يحبه أو يخضع له أو يخافه أو يرجوه ، فكل هذه الأمور هي غير موجودة وهي مجرد ادعاء ووهم .

ـ كذلك الذي قلب همه فشغل همه بالدنيا أصبح يرى الدنيا على عكس حقيقتها كأنها عظيمة القيمة فتتعلق مشاعره بالدنيا وتصبح مشاعره منحرفة فيحب شيئا غير محبوب وليس فيه ما يحب من أجله ( أي الدنيا ) ويخاف من شيء غير مخيف ولا قيمة له ( أي الدنيا ) وهكذا .

4ـ أصبح يتخبط في العمل لا يدري ما يعمل :

ـ الذي يعمل من غير أن يعرف ما الشيء الذي يعمل من أجله ، فهو يعمل بلا هدف ، وهو كالذي يتخبط في الظلمات ، رغم وجود هدف لكنه كاذب .

ـ والمحصلة أنه يكون الإنسان كالميت لأنه فسدت جميع وظائفه : (( إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إليه يُرْجَعُونَ ))([[128]](#footnote-128)) .

ـ إذن غياب السمع والبصر والعقل عند الغافل هو على سبيل المجاز والمقصود منه غياب الفائدة المترتبة على السمع والبصر والعقل ، حيث أنه سمع وعقل الأمر وأيقن به ولكنه تغافل عنه كأنه لم يسمع عنه ، فأصبح لا فائدة من سماع الأمر وأصبح لا معنى من اليقين بالأمر ، ولذلك ففي تفسير الخازن : (( { وَجَعَلْنا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصاراً وَأَفْئِدَةً } يعني إنا أعطيناهم هذه الحواس ليستعملوها فيما ينفعهم في أمر الدين فما استعملوها إلا في طلب الدنيا ولذاتها فلا جرم فَما أَغْنى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ ))([[129]](#footnote-129)) .

ـ الفرق بين وجود اليقين ثم نقضه وبين عدم وجوده أصلا :

ـ عدم وجود اليقين أصلا سببه أنه لم يعلم بالأمر أو علم به ولم يقتنع به ، ونقض اليقين معناه أنه علم بالأمر واقتنع به لكنه أهمله ، ولكن كلاهما في النتيجة سواء ، فحال الذي أهمل اليقين مثل حال الذي لم يوقن أصلا ، فيقال أن الكافر كان لديه يقين ولكنه أهمله ، فالذي يجتمع لديه العلم مع التجاهل والتغافل هو لا يعلم : (( فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ))([[130]](#footnote-130)) .

ـ وكذلك فإن عدم وجود السمع والبصر والعقل أصلا سببه وجود مرض عضوي فهو أصم وأعمى ومجنون ، أما إفساد السمع والبصر والعقل معناه أنه كان يسمع ويرى ويعقل لكنه لم يتصور حقيقة ما يسمعه أو يراه أو يعقله ، ولكن كلاهما في النتيجة سواء ، فحال الذي أفسد سمعه وبصره وعقله مثل حال الأصم الأعمى المجنون ، فالكافر أصم وأعمى ولا يعقل : (( صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ))([[131]](#footnote-131)) .

ـ فزوال اليقين إما بعدم وجوده أو ببقائه اسما فقط بلا مسمى حيث تم إفراغه من المعنى والقيمة ، فأصبح اليقين مجرد شكل فقط لأنه لم ينساه ولكن تناساه فهو مجرد شكل فقط تم تفريغه من قيمته وتم حجب جميع اثره .

### ـ مفهوم التغافل ( عدم التصور ) :

ـ التغافل عن الأمر الخطير معناه التعامل معه كأنه لعب ولهو وهزل وغير جاد وكأنه لا قيمة له ولا أهمية : (( إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ، وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ))([[132]](#footnote-132)) ، (( مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إلا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ، لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ))([[133]](#footnote-133)) .

ـ عدم التصور معناه إفراغ الكلمة من محتواها ، فتصبح عديمة القيمة ، فالغافل عن الله أو الذي ينسى الله يعيش كأنه يجهل وجود الله وعظمته كأنه لم يسمع عن كلمة ( الله ) ، حيث حدث إفراغ لكلمة ( الله ) من محتواها الحقيقي فتصبح كأنها عديمة الأهمية وعديمة التأثير ، فالكلمة التي لا يشعر الإنسان بما فيها من نفع أو ضرر أو أهمية تصبح كأنها كلمة لا تنفع ولا تضر ، والإنسان لا يشعر ولا يتأثر بما لا ينفع ولا يضر وليس ذو قيمة أو أهمية .

ـ وكذلك فالغافل عن الآخرة أو الذي ينسى الآخرة يعيش كأنه يجهل وجود الآخرة وخطورة ما فيها من نفع أو ضرر كأنه لا يعرف شيئا اسمه ( الآخرة ) حيث حدث إفراغ لكلمة ( الآخرة ) من محتواها الحقيقي فتصبح كأنها عديمة الأهمية وعديمة التأثير ، فالكلمة التي لا يشعر الإنسان بما فيها من نفع أو ضرر أو أهمية تصبح كأنها كلمة لا تنفع ولا تضر ، والإنسان لا يشعر ولا يتأثر بما لا ينفع ولا يضر وليس ذو قيمة أو أهمية .

ـ فالغافل عن الآخرة يتعامل مع كلمة ( الآخرة ) كأنها تتحدث عن بشر غير موجودون على الأرض وأن هؤلاء البشر سوف يذهبون لعالم آخر غير الأرض ، إذن فالقضية لا تخصه هو ولا تعنيه ولا تضره ولا تنفعه فلا يشعر بقيمتها ، ولا مانع من أن يوافق عليها فلا يستشعر خطورتها لأنها لا تخصه ، وعندئذ تكون موافقة كاذبة وليست حقيقية .

ـ والغافل إذا نظر إلى السماء لا يتعجب من مدى اتساعها وسر وجودها فلا يشعر أن لذلك قيمة ، وعندما ينظر إلى نفسه لا يتعجب من سر وجوده وحقيقة مصيره وهدفه فلا يشعر أن لذلك قيمة ، فهو يتناسى كل شيء فهو يعيش كأنه ليس له ربا وكأنه لن يموت وكأنه لا آخرة ، ويتجاهل أن هناك رقيب وعتيد وأن الله يراه رغم علمه بذلك ، وكذلك يتجاهل آيات السماء والأرض والنظر فيها فيتناسى هذه الأمور كأن لم تكن ، وكأن أحدا لم يذكرها له ، وكأنه لم يسمع عن شيء اسمه الآخرة أو الموت ، رغم اقتناعه التام بالآخرة وبأنه سيموت ، لكنه اقتناع كاذب ، ويتعامل مع آيات الله كأنه لا يسمع ولا يرى ولا يتكلم .

ـ فاليقين بشيء بغير تصور خطورته هو يقين هزلي غير حقيقي وجاد وفعلي يصدر من إنسان يلعب ويلهو كالأطفال ولذلك يقول تعالى : (( إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ، وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ))([[134]](#footnote-134)) ، (( مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إلا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ، لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ))([[135]](#footnote-135)) ، فهو يتعامل مع المعلومة كأنها تخاطب بشرا آخرين في كوكب آخر ليسوا على الأرض فلا يخصه الأمر ، كأن الكلام ليس موجها له ، أو كأن هذا الكلام باللغة الإنجليزية وهو لا يعرف غير العربية فبالنسبة له كأنه طلاسم .

ـ فلا يتحقق اليقين الحقيقي بالآخرة حتى تكون الآخرة حقيقة واقعة في ذهن المؤمن وبالتالي تؤثر على مشاعره وهمومه وتفكيره وأمانيه لأنها الخطر المترقب والحياة المنتظرة ، ولا يتحقق اليقين الحقيقي بوجود الله حتى يكون وجود من له القوة والهيمنة والسيطرة على الإنسان والكون حقيقة واقعة في ذهن المؤمن وبالتالي يعيش في إطار أنه مستعبد يعيش تحت سيطرة صاحب هذا الكون راضيا بأن عليه أن يعيش عيشة الذل والخضوع والاستسلام للجبار المتكبر .

### ـ مفهوم الغفلة عن الله والآخرة :

ـ يقصد به التغافل ، والتغافل معناه أنه يعلم الشيء ويوقن به ولكنه يتناساه ، والغفلة عن الله معناها أنه يتعامل مع الله كأنه لا يعرفه ويعيش كأن الله لا يراه ولا يسمعه ، وكأن الإنسان لم يسمع أو يعرف أصلا عن وجود الله ، فهو يتناسى الأمر ويتجاهله لأنه لا يريد أن يعقله ويتفهمه ، فهو لا يشعر بقيمة وخطورة معنى أن له خالقا ، فتكون نظرة الإنسان للخالق مثل نظرته لأي أحد من البشر من حيث غياب الشعور بمدى قدره ، فلا يشعر الإنسان بقدر الله كأن الله غير موجود أو موجود ولكن ذو قدر ضئيل ، وبالتالي لا تتأثر مشاعره بالخالق وبالمثل معنى الغفلة عن الآخرة والدين والغفلة عن حقيقة الدنيا .

ـ أي لا وجود لله والآخرة في تفكير الإنسان وفي همومه ، فهو يعلم بوجود الله والآخرة لكن لا يفكر في الأمر ولا يشغل به باله ، أي كل تفكير الإنسان وهمه في غير ذلك من أمور الدنيا ، فهو بذلك يتعامل مع الله والآخرة معاملة من نسيه فلم يعلمه ، أو معاملة الشيء الذي يعلمه ولكن لا قيمة له .

ـ مثال يوضح كيف أن التغافل ينقض اليقين :

ـ إذا كنت في سفينة وكانت الأمواج هائلة وعلمت أن هذه السفينة سوف تغرق حتما ، ووجدت زميلا لك يجلس على كرسيه هادئ البال وفي يده كره يحركها بين يديه ليتسلى بهذه اللعبة ، وسألته : هل تعرف أن السفينة على وشك الغرق ؟ ، فيقول لك نعم وأنا على يقين تام بذلك وإيمان تام بذلك ، فسألته ما الذي يشغل همك ؟ ، فيقول التسلي بالكرة وإعداد الطعام ، فهذا الرجل لديه يقين واقتناع تام وإيمان تام في عقله بأن السفينة على خطر عظيم وتوشك أن تغرق لا محالة ، ولكنه تجاهل هذا الأمر وتغافل عنه فلم يبالي به وتناساه ، وهذا التغافل جعل ما عنده من يقين وإيمان بهذا الخطر بلا قيمة وكأنه لا شيء ، فهو بذلك قد نقض يقينه وإيمانه بهذا الخطر ، أي أن إبعاد همه عن الأمر نقض ما هو موجود في عقله من اقتناع ، لذلك قد يحسب الإنسان أن يقينه بالله والآخرة من المسلمات التي لا تقبل الجدل أبدا رغم أنه ينقض هذا اليقين بتجاهل الأمر والتغافل عنه وتناسيه والتغافل عنه : (( فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ))([[136]](#footnote-136)) .

ـ الفرق بين الغفلة والتغافل ( الفرق بين الجهل والتجاهل ) :

ـ الغفلة ( الجهل ) إما أن تكون خارجة عن إرادة الإنسان فلم يصل الأمر إلى علمه أو تكون غفلة متعمدة ( جهل متعمد ) ، والغفلة المتعمدة ( الجهل المتعمد ) يسمى بالتغافل ( التجاهل ) فهو الذي أنزل نفسه منزلة الغافل ( الجاهل بالأمر ) ، والغفلة المذكورة في آيات القرآن والمرتبطة بالله والآخرة المقصود بها الغفلة المتعمدة ، لأن الغفلة ( الجهل ) الخارجة عن إرادة الإنسان تجعل الإنسان غير مكلف والإنسان معذور بها ولا ذنب عليه .

ـ وكذلك عبارات النسيان وغياب العلم الواردة في القرآن يقصد بها التناسي والتغافل والتجاهل أي النسيان المتعمد والجهل المتعمد .

ـ وكذلك قد يكون الإنسان أعمى وأصم ومجنونا ، وقد يتعمد إفساد سمعه وبصره وعقله بالتغافل عن ما يراه وما يسمعه وما يعقله ، فما يرد في القرآن من عبارات تدل على غياب السمع والبصر والعقل يقصد بها التغافل والتجاهل .

ـ أين الخلل ؟ :

ـ الدين بتعبير بسيط عبارة عن معلومات بين متحدث ومستمع ، والخلل إما أن يكون عند المتحدث أو في المعلومات نفسها أو عند المستمع ، المتحدث ربما أنه لم يشرح الأمر ويوضحه للمستمع ، وهذا غير حاصل لأن القرآن بلغة عربية واضحة وشرح الأمر بوضوح تام ، المعلومات ربما أنها غير صحيحة فلا يقتنع بها الإنسان ، وهذا غير حاصل فالقرآن والرسل جاءت بالأدلة الواضحة على صدق ما يقولونه ، إذن فالخلل عند المستمع ، والخلل عند المستمع هو أحد احتمالين هما :

1ـ هو أصم لا يسمع وأعمى لا يرى فلم تصل إليه المعلومات أو لا يعقل فهو مجنون ، وهو عندئذ غير مكلف لأن هذه الأمور خارجة عن إرادته .

2ـ يتغافل عن الأمر .

ـ فأصل القضية ليست في أن نوضح ونشرح أمور الإسلام وليست في أن نقنع الناس بها ، ولكن أصل القضية هو إخراج الناس من التجاهل والتغافل والتعامي والتناسي إلى التصور للخطر الذي هم مقبلون عليه ( الآخرة ) .

ـ أسباب فشل التعامل مع المعلومة :

1ـ الصمم والعمى : فلم يستقبل المعلومة ولم يسمع عنها .

2ـ الجنون : فلا يفهم المعلومة ولا يوقن بها .

3ـ التغافل : لم يشغل همه بتصور قيمة المعلومة .

ـ الناس بالنسبة للسمع والبصر ثلاثة أصناف :

1ـ لا يسمعون ولا يبصرون غير مكلفين : وهؤلاء حدث لهم خلل عضوي في السمع والبصر فلا يصل إلى سمعهم دعوة الرسل ولا يرون شيئا لمرض أصابهم مثلا .

2ـ لا يسمعون ولا يبصرون مكلفين : وهؤلاء أفسدوا سمعهم وبصرهم بعدم تصور ما يسمعونه ويبصرونه فأصبح سمعهم وبصرهم بلا قيمة ، فهم لا ينتفعون بسمعهم وبصرهم ، فما الفائدة من أن يسمع الإنسان الشيء أو يراه ثم هو لا يتصور قيمته ، وهؤلاء هم الذين عطلوا سمعهم وبصرهم فأصبحوا بذلك إما منافقين أو كفار ، ووجود سمعهم وبصرهم مهملا حجة عليهم .

3ـ يسمعون ويبصرون مكلفين : وهؤلاء هم الذين لم يعطلوا سمعهم وبصرهم وهؤلاء هم المؤمنين .

ـ فمن قال أنه بلغته دعوة الرسل وسمع منهم عن وجود الآخرة وهو يتناساها ولا يشعر لها بقيمة في نظره فهو كذاب وحقيقة أمره أنه لم يسمع عن الآخرة لأنه لم ينتفع بسمعه ، فهو عطل سمعه عن معرفة الآخرة .

ـ وكذلك فالناس بالنسبة للعقل ثلاثة أصناف :

1ـ لا يعقلون غير مكلفين : وهؤلاء حدث لهم خلل عضوي في العقل لمرض أصابهم مثلا .

2ـ لا يعقلون مكلفين : وهؤلاء أفسدوا عقولهم بعدم تصور ما يعقلونه فأصبحت عقولهم بلا قيمة ، فهم لا ينتفعون بعقولهم ، فما الفائدة من أن يعقل الإنسان الشيء ثم هو لا يتصور قيمته ، وهؤلاء هم الذين عطلوا عقولهم فأصبحوا بذلك إما منافقين أو كفار ، ووجود العقل مهملا حجة عليهم .

3ـ يعقلون مكلفين : وهؤلاء هم العقلاء الذين لم يعطلوا عقولهم وهؤلاء هم المؤمنين .

ـ اليقين الكاذب ( اليقين مع التغافل ) :

ـ هناك أمران متضادان ينفي أحدهما الآخر هو أن الإنسان يوقن بأمر ما ثم هو يتجاهله ويتغافل عنه ويتناساه كأنه لم يسمع عنه ، فالتغافل والتجاهل والتناسي نفى عنه يقينه بالأمر ، فمثلا من كان يوقن بعظمة الله وعظمة قدره وقدرته ثم هو يتجاهل ذلك ويتغافل عنه فيصبح الخالق في نظره كأنه لا قدر له وكأنه لا قيمة لقدرته فيقينه بعظمة الله وعظمة قدرته هو يقين كاذب ، وكذلك من كان يوقن بخطورة الآخرة وأنها المصير وأن حياته وخلوده فيها ثم تكون في نظره كأنها لا قيمة لها فلا يتأثر بها همه ولا يخافها ولا يحمل لها هما ولا يعمل لها حسابا فهو ينسى الآخرة كأنه لم يسمع عنها فيقينه بالآخرة هو يقين كاذب

ـ الكلمة التي لا يشعر الإنسان بقيمتها فكأنه لا يعرف معناها وتصبح كأنها لا معنى لها :

ـ العقيدة عبارة عن معلومات ، ولكي يتحقق الاقتناع والتصديق بأي معلومة لابد من تصور مقدار ما في المعلومة من أهمية وخطورة أو ألم ولذة ، وبالتالي تكون المعرفة بهذه المعلومة معرفة حقيقية، لأن الإنسان إذا اقتنع بشيء وتغافل عن حقيقته فهو اقتناع كاذب لا معنى له ، لذلك ففي هذا الكتاب الذي بين يديك نتناول العقيدة من ناحية تصورها والشعور بخطورتها ووجودها في مشاعر المؤمن وهمومه وأهدافه .

ـ فلا يصح الإيمان بالله والآخرة والغيبيات إذا لم يكن لله والآخرة والغيبيات قيمة وقدر في شعور الإنسان ، وإذا لم تتأثر مشاعره بخوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب والخضوع ، وإذا لم ينشغل همه بالله والآخرة ولم يكن الله والآخرة أكبر أهدافه التي يسعى لها .

ـ الذي يعتقد بشيء وهو يتجاهله ويتغافل عنه ويتناساه ولا يشعر بقيمته وخطورته فكأنه لا يعرفه ، وهو عندئذ مثل المجنون لأنه لا يتصور قيمة ما يوقن به .

ـ فمثلا الذي يكون حبه وخضوعه وخوفه ورجاءه للدنيا وليس لله ، فإنه يقول بمشاعره : (( إِنْ هِيَ إلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ))([[137]](#footnote-137)) ، ويقينه بالآخرة عندئذ كاذبا .

ـ فهناك من يتعامل مع المعلومات المؤثرة بدون تصور لقيمتها ، فمثلا هناك من ينظر إلى السماء أو الأرض أو المخلوقات على أنها شيء عادي كمعلومات جرداء دون النظر إلى ما وراء الأشياء ومن وراء هذه الأشياء ، وكذلك ينظر إلى الآخرة كمعلومات دون تصور أهميتها وخطورتها ، وكذلك يتعامل مع الله وصفاته كمعلومات دون الشعور بتأثيرها وخطورتها على الإنسان وصلتها بالإنسان ومصيره ، ودون أن يشعر بقدر الله وعظمته ، وعالم الغيب بما فيه من أهوال وعجائب تهز الوجدان والمشاعر ، ذلك المصير المحتوم المخيف الذي في انتظارك ، وحياتك وبيتك هناك ، فذلك يستحق أن تفكر فيه وتتصوره وتشعر به ، لكنه يتعامل مع الغيبيات على أنها مسألة اقتناع مفرغ من المعنى ( اقتناع كاذب ) ، ذلك لأن عالم الغيب لا يمثل عنده أي قضية من أساسه في حقيقة الأمر .

ـ لذلك فقد يكون هناك علماء في كل أمور الدنيا والدين ويعملون بذلك العلم ، ورغم ذلك هم لا يشعرون بقيمة ما يعلمون ولا تتأثر مشاعرهم وهمومهم وأهدافهم بذلك فهم يعيشون بغير شعور بالقيمة ، فبذلك طبع على قلوبهم فهم كالموتى .

### ـ التناقض بين قول العقل وقول الهموم والمشاعر :

ـ الهم والمشاعر يتفاعلان مع الأمر الخطير ولا يتأثران بالأمر الذي لا قيمة له ، فعدم تأثر الهم والمشاعر بالله والآخرة معناه أنه ليس لله والآخرة قدر ولا قيمة في هم الإنسان ولا في مشاعره .

ـ قد يقول العقل أن أمرا ما خطير جدا وهام ، لكن في مشاعر الإنسان وهمه لا قيمة له ولا وجود له ، فلا يشعر بقيمته ولا تتأثر به مشاعره ولا ينشغل به همه ، والسبب أن الإنسان يوجه همه إلى ظاهر الأشياء وليس إلى قيمتها ومدي أهميتها ، وظاهر الأشياء غالبا يكون خادعا فيرى الأمور مقلوبة حيث يرى التافه على أنه عظيم القيمة ويرى الشيء الهائل الخطير وكأنه أمر تافه لا قيمة له ، فيؤدي ذلك الى تفريغ اليقين من قيمته ، وحقيقة أمر الإنسان هو قول المشاعر والهموم وليس قول العقل .

ـ نظرة الإنسان إلى قيمة الشيء هي يقينه الحقيقي به ، فإذا كان ينظر إلى المال والشهوات والدنيا نظرة تعظيم واهتمام وينظر إلى الله والآخرة نظرة تجاهل وتغافل فلا قيمة لقدر الله والآخرة في نظره فحقيقة أمره أنه لا يوقن بعظمة الله وخطورة الآخرة رغم وجود اليقين واقتناعه التام بالله والآخرة ، لكنه عندئذ يقين واقتناع كاذب ، فنظرة الإنسان إلى قيمة الشيء تحدد حقيقة فكر الإنسان .

ـ كل الناس على اقتناع ويقين تام بأن الدنيا لا قيمة لها في الآخرة وأن الآخرة هي من أخطر ما يمكن لكن نظرتهم إلى قيمة الدنيا والآخرة على عكس ذلك تماما ، فهم ينظرون إلى الدنيا نظرة اهتمام بالغ وينشغل بها تفكيرهم كأنها عظيمة القيمة ، في حين ينظرون إلى الآخرة بغير اهتمام ولا ينشغل بها تفكيرهم كأنها أمر تافه لا قيمة له .

ـ وحقيقة اليقين عند الإنسان هي نظرته للشيء ، فإذا كان ينظر إلى الشيء عظيم القيمة فيراه عظيم القيمة فهو يدرك قيمته فيقينه سليم ، فهو ينظر إليه نظرة انبهار وتعجب ودهشة واستغراب وذهول وتهيب وتحير وترقب وخوف ورجاء وحب ، وإذا كان الإنسان ينظر إلى الآخرة بغير هذه النظرة فيقينه بالآخرة هو يقين كاذب وليس يقينا حقيقيا لأن الآخرة في نظره وهم وسراب لا قيمة له كأساطير الأولين أو مثل حواديت الشاطر حسن ، وكذلك إذا كانت نظرته إلى قدرة الله وصفاته المبهرة الهائلة مثل نظرته إلى أي أمر لا قيمة له فهو لا يتأثر ولا يعجب ولا ينبهر بصفاته كأنها لا قيمة لها فيقينه بالله هو يقين كاذب لا قيمة له .

ـ فالإنسان يقول بهمه ومشاعره وانفعالاته ما لا يقوله بلسانه واقتناعه الكاذب ، وحقيقة اليقين عنده هو ما يكون عليه همه ومشاعره وانفعالاته .

ـ فمثلا الآخرة تعني الأهوال والمصير والمستقبل ، فكيف لإنسان عاقل يصدق بهذا ولا ينشغل همه ومشاعره بمصيره ومستقبله ، ذلك لأن الآخرة ليس لها وجود حقيقي في همه ومشاعره ، فالذي يقول بأن الدنيا ضئيلة فانية والآخرة هي الحياة والمتع الحقيقية ثم تجد همه ومشاعره منقطعة عن الآخرة ومتجهة إلى الدنيا فهو كذاب ، ولو كان صادقا فيما يقول لتعلق همه ومشاعره بالآخرة ، لأن الدنيا في همه ومشاعره هي الحياة والمستقبل والمصير ، ومن هنا نستطيع أن نفهم معنى الصدق الحقيقي ( صدق الهم والمشاعر ) ، فإن اقتناعه بأن الدنيا ضئيلة فانية والآخرة هي الباقية هو اقتناع كاذب ، وإنما هو يقول بهمه ومشاعره : (( إِنْ هِيَ إلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ))([[138]](#footnote-138)) رغم أن الاقتناع تام بالآخرة إلا أنه اقتناع كاذب ، فالآخرة في الاقتناع الكاذب عنده خطيرة ومصيرية لكنها في الهم والمشاعر ودودة أليفة لا مشكلة فيها وليس لها تأثير حقيقي علي الهم والمشاعر .

ـ ومثلا قد يكون عند الإنسان يقين تام بأن قيمة المال ضئيلة ويقول ذلك بلسانه ، لكن شعوره وانبهاره بعظمة قيمة المال كبير ، فيقينه كاذب وحقيقة اليقين عند هذا الإنسان هو أن المال عظيم القيمة ، ويتضح حقيقة اليقين عند الإنسان من انشغال همه ومشاعره وعمله بالمال بحيث يتقطع قلبه حبا للمال وهمه مشغول بجمعه وكل عمله لتحصيل المال ثم يقول بلسانه واقتناعه الكاذب أن المال لا قيمة له ، فهذا الإنسان يحاسب يوم القيامة على حقيقة يقينه أن المال عظيم القيمة عنده .

ـ وقد يكون الإنسان موقنا بالله والآخرة ، وهدفه رضا الله ودخول الجنة ، لكن همه ومشاعره يقولان عكس ذلك تماما ، فتفكيره ومشاعره لا تتعلق بغير الدنيا ولا وجود لله والآخرة في همومه ومشاعره ، فحقيقة هدفه أنه يعيش من أجل المال أو الشهوات أو المظاهر والدنيا .

ـ الإنسان الذي لديه تناقض بين ما هو موجود في عقله وما هو موجود في همه ، فإنه يكون أحد أمرين :

1ـ يقول بلسانه ما هو موجود في تصوره وهمه ويجادل بغير علم ، وهذا هو الكافر .

2ـ يقول بلسانه ما هو موجود في عقله ، وهذا هو المنافق .

### ـ الإجابة على أسئلة القبر :

ـ إذا أجاب الإنسان على سؤال ما وكان علمه كاذبا هو في الحقيقة لا يعرف الإجابة على السؤال رغم أن جوابه صحيحا ، وهو الذي أفسد معرفته بالإجابة ووضع نفسه موضع الذي لا يعرف الإجابة ، الإنسان يجيب على أسئلة القبر بحسب علمه الحقيقي وليس بحسب علمه الكاذب ، فالكفار والمنافقون يعلمون علما كاذبا بأن الله ربهم ، وعند سؤالهم في القبر يقولون : ( هاه هاه لا أدري ! ) ، ففي الحديث : (( ... وإن الكافر ـ فذكر موته ـ قال : وتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ، فيقول : هاه هاه هاه لا أدري ، فيقولان له : ما دينك فيقول هاه هاه لا أدري ، فيقولان : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ، فيقول : هاه هاه لا أدري ، فينادي مناد من السماء أن كذب فافرشوه من النار وألبسوه من النار وافتحوا له بابا إلى النار ))([[139]](#footnote-139)) .

ـ يقصد بعبارة ( معرفة الله ) أي المعرفة الحقيقية ، أي تصور قوة الله وقدره وقدرته وليس المعرفة النظرية العقلية ، وهذه المعرفة تؤدي إلى الخضوع والطاعة ، لذلك ففي تفسير الدر المصون : (( { وَمَا خَلَقْتُ الجن والإنس إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ } قال المفسِّرون: إلاَّ ليَعْرِفونِ ))([[140]](#footnote-140)) .

ـ وفي حديث آخر : (( .. فيجلس الرجل الصالح في قبره غير فزع ولا مشعوف ثم يقال له فيم كنت فيقول كنت في الإسلام ، فيقال له ما هذا الرجل : فيقول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه ، فيقال له هل رأيت الله : فيقول ما ينبغي لأحد أن يرى الله ، فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضا فيقال له انظر إلى ما وقاك الله تعالى ثم يفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له هذا مقعدك ويقال له : على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله ; ويجلس الرجل السوء في قبره فزعا مشعوفا فيقال له : فيم كنت فيقول لا أدري ، فيقال له ما هذا الرجل : فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلته ، فيفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له انظر إلى ما صرف الله عنك ، ثم يفرج له فرجة إلى النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضا فيقال هذا مقعدك ، على الشك كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله ))([[141]](#footnote-141)) .

ـ كل إنسان يعلم الحق ويوقن به تماما ، ولكنه لا يأخذه مأخذ الجد فهذا هو الشك فيقول تعالى : (( بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ))([[142]](#footnote-142)) ، (( مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ))([[143]](#footnote-143)) .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

# الفصل السادس : موقف الناس من الدين من ناحية الهم

ـ كل الناس يوقنون بالموت والآخرة ولقاء الله ، وأمامهم أمرين هما إما الهروب من الموت والآخرة ولقاء الله من خلال عدم شغل الهم بالموت والآخرة ولقاء الله فيكونوا كالذي يغمض عينيه حتى لا يراه الأعداء ! ويشغلوا همهم بأمور الدنيا والمال والشهوات ، أو يشغلوا همهم بالموت والآخرة ولقاء الله باعتبار أن ذلك أهم وأخطر من كل أمور الدنيا الزائلة .

ـ الإنسان إما أن يصدق بالأمر أو يكذبه أو يتغافل عنه ( لا يشغل همه به ) ، والتغافل صورة من صور التكذيب الغير مباشر حيث أنه لا يجد دليلا ليكذب بالأمر فهو مقتنع به وقد يقول بأنه مصدق مضطرا .

ـ التغافل ( عدم شغل الهم بالأمر ) معناه أنه يعلم بالأمر ويتصنع عدم وصول المعلومة ، وهو يعبر عن رفض الأمر بدون سبب ، وهو طريقة الذي لا يستطيع المواجهة بالأدلة فيلجأ إلى الهروب من الأمر ويتغافل عنه : (( فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ))([[144]](#footnote-144)) ، فالتغافل هو رفض للأمر مع الاقتناع به .

ـ والتغافل هو عدم شغل الهم بالأمر أي غياب التصور وبالتالي فهو مسألة قلبية لا يعلمها إلا الله والإنسان في نفسه ، فكل من يقول بالشهادتين هو مسلم مهما كان عمله لأن الناس لا تعلم غير الظاهر .

ـ والأدلة على التغافل ( عدم شغل الهم بالأمر ) كتعبير عن الهروب من الموت والآخرة ولقاء الله كالتالي :

1ـ نسيان الله : أي تناسي الخالق وتجاهله والتغافل عنه :

ـ (( نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ))([[145]](#footnote-145)) ، (( وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ))([[146]](#footnote-146)) .

2ـ نسيان الآخرة : أي تناسي الآخرة وتجاهلها والتغافل عنها :

ـ ففي تفسير ابن كثير : (( { فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا }([[147]](#footnote-147)) أي يقال لأهل النار على سبيل التقريع والتوبيخ ذوقوا هذا العذاب بسبب تكذيبكم به واستبعادكم وقوعه وتناسيكم له إذ عاملتموه معاملة من هو ناس له ، إنا نسيناكم أي سنعاملكم معاملة الناسي لأنه تعالى لا ينسى شيئا ولا يضل عنه شيء بل من باب المقابلة كما قال تعالى : { وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا }([[148]](#footnote-148)) ))([[149]](#footnote-149)) .

ـ (( فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ))([[150]](#footnote-150)) ، (( إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ))([[151]](#footnote-151)) .

ـ وفي الحديث : (( يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقال له ألم أجعل لك سمعا وبصرا ومالا وولدا وسخرت لك الأنعام والحرث وتركتك ترأس وتربع فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا فيقول لا ، فيقول له اليوم أنساك كما نسيتني ))([[152]](#footnote-152)) ، وفي حديث آخر : (( ... فيقول أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى أي رب ، فيقول أفظننت أنك ملاقي فيقول لا ، فيقول إني أنساك كما نسيتني ... ))([[153]](#footnote-153)) .

3ـ نسيان ذكر الله ونسيان آيات الله : أي تناسي القرآن وتجاهله وتغافل عنه ، أي تناسي كونه كلام الله وتناسي عظمة الكلام :

ـ من أخطر ما يمكن أن يصل إليك كلام من رب السماء نفسه ، ولكن البعض لا يتصور خطورته ويتعامل معه بدون تصور لعظمة الكلام :

ـ وفي تفسير الشيخ المراغي : (( { فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ } أي إنهم لما تركوا ما ذكّرهم به الصالحون وأعرضوا عنه حتى صار كالمنسيّ في كونه لا تأثير له ))([[154]](#footnote-154)) ، وفي تفسير ابن كثير : (( { فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا به } أي: أعرضوا عنه وتناسوه وجعلوه وراء ظهورهم ))([[155]](#footnote-155)) ، وفي تفسير أبي السعود : (( { فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكّرُواْ بِهِ } أي تركوا ما ذكرهم به صلحاؤُهم تركَ الناسي للشيء وأعرضوا عنه إعراضاً كلياً بحيث لم يخطُر ببالهم شيءٌ من تلك المواعظ أصلاً ))([[156]](#footnote-156)) .

ـ وفي أيسر التفاسير للجزائري : (( { قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا }([[157]](#footnote-157)) أي تركتها ولم تلتفت إليها معرضا عنها ))([[158]](#footnote-158)) ، وفي تفسير أبي السعود : (( { فَنَسِيتَهَا } أي عَمِيتَ عنها وتركتها ترْكَ المنسيِّ الذي لا يُذكر أصلاً ))([[159]](#footnote-159)) .

ـ (( وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ ))([[160]](#footnote-160)) ، (( يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ))([[161]](#footnote-161)) ، (( فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ))([[162]](#footnote-162)) .

4 ـ نسيان النفس ( فساد العقل ) : التجاهل والتغافل عن حقيقة ما ينفعه وما يضره :

ـ لا يستطيع أن يميز بين ما ينفعه وما يضره فلا يميز بين الصواب والخطأ والنافع والضار ، فلا يعقل ما ينفعه مما يضره لأنه لا يتصور حقيقة ما يعقله ، لذلك من نسي الله فقد أفسد عقله وأفسد وظائف نفسه ، ففي تفسير الخازن : (( { فَأَنْساهُمْ أَنْفُسَهُمْ } أي أنساهم حظوظ أنفسهم حتى لم يقدموا لها خيرا ينفعها ))([[163]](#footnote-163)) ، أي جعلهم يتناسون ما ينفعهم ، أي أصبح لا يعقل ما ينفعه مما يضره ، فهو لا يعقل أنه يضر نفسه ويوردها موارد الهلاك .

5ـ نسيان ما قدمت يداه : التغافل عن خطورة ما هو عليه من التغافل ( تجاهل التجاهل ) :

ـ أي هو غافل ويعلم أنه غافل ويتناسى خطورة كونه غافل ، والمنافق يرى أن ما في قلبه من نفاق هو أمر بسيط غير خطير ، فهو يتناسى ما يعلمه عن نفسه من نفاق ولا يواجه نفسه .

ـ ففي التفسير المنير : (( { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ ، فَأَعْرَضَ عَنْها ، وَنَسِيَ ما قَدَّمَتْ يَداهُ } أي لا أحد أظلم ممن أعرض عن آيات اللّه ، ونسي ما قدم من الكفر والمعصية ، أو لا ظلم أعظم من كفر من يشاهد الآيات والبينات الدالة على الحق والإيمان، ثم يعرض عنها، ومع إعراضه عن التأمل في الدلائل والبينات يتناسى ما قدمت يده من الأعمال المنكرة والمذاهب الباطلة ، وعلى رأسها الكفر باللّه ، والمراد من النسيان التشاغل والتغافل عن كفره المتقدم ))([[164]](#footnote-164)) أي أنه يتشاغل عن كفره ويتناساه ويحسب أنه من المهتدين .

ـ لذلك جاءت الرسل إلى الناس يتعجبون من عدم خوف الناس من الله رغم علمهم أن الله حتما سيعاقبهم على تغافلهم عن الله وشركهم : (( وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ))([[165]](#footnote-165)) ، ولذلك جاءت الرسل للناس لتقول لهم : ( ألا تتقون ) أي ألا تخافون عاقبة شرككم : (( كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (105) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ إلا تَتَّقُونَ (106) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (107) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ))([[166]](#footnote-166)) .

ـ فالإنسان إذا كان مصابا بمرض ما فإنه يعلم بعقله أنه مريض ، ما عدا مرض واحد لا يعلم بعقله أنه مريض هو إذا كان عقله نفسه هو المريض ، لذلك فالذي لا يعقل لا يعلم بأنه لا يعقل ويظن أنه من العاقلين : (( ألا إنهم هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ))([[167]](#footnote-167)) .

6 ـ الغفلة عن الآخرة : أي التغافل عن الآخرة :

ـ (( يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخرة هُمْ غَافِلُونَ ))([[168]](#footnote-168)) ، (( وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأمر وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ))([[169]](#footnote-169)) ، (( اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ))([[170]](#footnote-170)) ، (( وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ))([[171]](#footnote-171)) ، (( لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ))([[172]](#footnote-172)) .

2ـ التغافل عن ذكر الله ( نزول القرآن ) :

7 ـ الغفلة عن ذكر الله والغفلة عن آيات الله : أي التغافل عن القرآن ، أي التغافل عن كونه كلام الله والتغافل عن عظمة الكلام :

ـ ففي أيسر التفاسير : (( { فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ } وَقَدْ فَعَلَ اللهُ بِهِمْ ذَلِكَ لأنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ ، وَتَغَافَلُوا عَنْها ))([[173]](#footnote-173)) ، (( وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ))([[174]](#footnote-174)) ، (( وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا ))([[175]](#footnote-175)) .

8 ـ الغفلة عن آيات الله الكونية : أي عدم التفكر والتصور لآيات الله الكونية :

(( فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ))([[176]](#footnote-176)) .

9ـ وصف أهل النار بأنهم الغافلون : الغافل يقصد به المتغافل :

ـ الآيات تصف أهل النار بانهم لا يعقلون ولا يسمعون ولا يبصرون رغم انهم يعقلون ويسمعون ويبصرون ، إذن المقصود الذين يعطلون عقولهم وسمعهم وبصرهم ويتغافلون عن الحق رغم علمهم به : (( وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ))([[177]](#footnote-177)) ، (( أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ))([[178]](#footnote-178)) .

10ـ السهو : أي النسيان والغفلة ، والمقصود به السهو المتعمد والنسيان المتعمد والغفلة المتعمدة ، أي تناسي الأمر والتغافل عنه :

ـ ففي تفسير اللباب في علوم الكتاب : (( { الذين هم في غَمْرَة } أي غَفْلة وعَمًى وجَهَالَةً ، { سَاهُونَ } غافلون عن أمر الآخرة ، والسهو الغفلة عن الشيء وهو ذَهَابُ القلب عنه ))([[179]](#footnote-179)) ، وفي تفسير القاسمي : (( { ساهُونَ } أي غافلون عما أتاهم ، وعما نزل إليهم ، بالانهماك في اللذات البدنية ، واستئثار الحظوظ العاجلة ))([[180]](#footnote-180)) .

ـ والسهو أيضا بأوامر الله كالصلاة بعدم المبالاة بها ، ففي تفسير البيضاوي : (( { فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ } أي غافلون غير مبالين بها ))([[181]](#footnote-181)) .

11ـ التصام : أي التغافل والتجاهل أي عدم التصور أي لا يسمعون سماع تفهم وتدبر واستبصار واعتبار

وفي معاني القرآن : (( { والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا } أي لم يتغافلوا عنها ويتركوها حتى يكونوا بمنزلة من لا يسمع ولا يبصر ))([[182]](#footnote-182)) ، وفي تفسير توفيق الرحمن : (( { الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاء عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً } أي : تعاموا ، وتصامّوا ، وتغافلوا عن قبول الحق ، واستماع القرآن . كما قال تعالى : صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ))([[183]](#footnote-183)) .

ـ (( إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ))([[184]](#footnote-184)) ، (( وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أو نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ))([[185]](#footnote-185)) ، (( مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ))([[186]](#footnote-186)) ، (( صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ ))([[187]](#footnote-187)) ، (( وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ))([[188]](#footnote-188)) ، (( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ))([[189]](#footnote-189)) ، (( إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ))([[190]](#footnote-190)) ، (( وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ))([[191]](#footnote-191)) ، (( وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ))([[192]](#footnote-192)) ، (( خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ))([[193]](#footnote-193)) ، (( أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أو يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إلا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ))([[194]](#footnote-194)) ، (( فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ))([[195]](#footnote-195)) .

ـ ففي تفسير أبي السعود : (( إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون أي شأنهم أن يسمعوا الكلام سماع تفهم واستبصار ))([[196]](#footnote-196)) ، وفي تفسير أبي السعود أيضا : (( ولو علم الله فيهم خيرا ... لأسمعهم سماع تفهم وتدبر ))([[197]](#footnote-197)) ، وفي تفسير القرطبي : (( وهم لا يسمعون أي لا يتدبرون ما سمعوا ولا يفكرون فيه فهم بمنزلة من لم يسمع وأعرض عن الحق .... ولو أسمعهم أي لو أفهمهم ))([[198]](#footnote-198)) ، وفي تفسير القرطبي أيضا : (( إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون يريد سماع تفهم وتدبر ))([[199]](#footnote-199)) ، وفي تفسير الطبري : (( وقوله { إنك لا تسمع الموتى } يقول إنك يا محمد لا تقدر أن تفهم الحق من طبع الله على قلبه فأماته لأن الله قد ختم عليه أن لا يفهمه ))([[200]](#footnote-200)) ، وفي تفسير الواحدي : (( ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا سماع قابل وليسوا كذلك يعني المنافقين وقيل أراد المشركين لأنهم سمعوا ولم يتفكروا فيما سمعوا فكانوا بمنزلة من لم يسمع ))([[201]](#footnote-201)) .

ـ وفي تفسير الجلالين : (( وقالوا لو كنا نسمع أي سماع تفهم أو نعقل أي عقل تفكر ما كنا في أصحاب السعير ))([[202]](#footnote-202)) ، وفي تفسير روح المعاني : (( فهم لا يعقلون : أي لا يدركون شيئا لفقدان الحواس الثلاثة وقد قيل من فقد حسا فقد فقد علما وليس المراد نفي العقل الغريزي باعتبار انتفاء ثمرته ))([[203]](#footnote-203)) ، وفي تفسير روح المعاني أيضا : (( قوله سبحانه فهم لا يسمعون أي سماع تفهم واعتبار ))([[204]](#footnote-204)) ، وفي تفسير روح المعاني أيضا : (( إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون : أي شأنهم أن يسمعوا الكلام سماع تفهم واستبصار .... من ألقى السمع وهو شهيد ينتبه لوعظ الله تعالى ويصغى إليه ))([[205]](#footnote-205)) .

ـ وفي تفسير ابن كثير : (( أو ألقى السمع وهو شهيد أي استمع الكلام فوعاه وتعقله بعقله وتفهمه بلبه ))([[206]](#footnote-206)) ، وفي تفسير الطبري : (( { ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون } { وهم لا يسمعون } يقول وهم لا يعتبرون ما يسمعون بآذانهم ولا ينتفعون به لإعراضهم عنه وتركهم أن يوعوه بقلوبهم ويتدبروه فجعلهم الله لما لم ينتفعوا بمواعظ القرآن وإن كانوا قد سمعوها بآذانهم بمنزلة من لم يسمعها ))([[207]](#footnote-207)) ، وفي تفسير أبي السعود : (( كالذين قالوا سمعنا بمجرد الادعاء من غير فهم وإذعان كالكفرة والمنافقين الذين يدعون السماع ))([[208]](#footnote-208)) ، وفي تفسير البغوي : (( وهم لا يسمعون أي يقولون بألسنتهم سمعنا بآذاننا وهم لا يسمعون أي لا يتعظون ولا ينتفعون بسماعهم فكأنهم لم يسمعوا ))([[209]](#footnote-209)) ، وفي تفسير الجلالين : (( ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون سماع تدبر واتعاظ وهم المنافقون أو المشركون ، إن شر الدواب عند الله الصم عن سماع الحق البكم عن النطق به الذين لا يعقلون ، ولو علم الله فيهم خيرا صلاحا بسماع الحق لأسمعهم سماع تفهم ))([[210]](#footnote-210)) ، وفي تفسير البغوي : (( { وَمِنْهُم } يعني من هؤلاء الكفار، { مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ } وهم المنافقون، يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه، تهاونًا به وتغافلا ))([[211]](#footnote-211)) .

12ـ تصنع ضعف السماع كأن به ثقل في السمع : للدلالة على التغافل والتجاهل :

ـ ففي التفسير الوسيط : (( { وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا } أي : كأن في أذنيه صمما وثقلا ومرضا يحول بينه وبين السماع ))([[212]](#footnote-212)) .

ـ وفي التفسير المنير : (( { وَفِي آذانِهِمْ وَقْراً } أي ثقلا في السمع ، يمنعهم أن يستمعوه حق استماعه ، أو فلا يسمعونه ))([[213]](#footnote-213)) .

13ـ تصنع ضعف السماع فيسمع صوتا فقط : تشبيه للدلالة على التغافل والتجاهل :

ـ يتصنع كأنه لا يستطيع أن يميز الأصوات التي يسمعها هل هي أصوات بشرية أم أصوات معدنية أم ضجيج فالذي يصل إلى أذنه مجرد صوت فقط .

ـ ففي تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية : (( { وَمَثَلُ الذين كَفَرُواْ كَمَثَلِ الذي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ } أي : مثل الكافر في قلة فهمه لما يتلى عليه من عند الله عز وجل وما يدعى إليه ويوعظ به، مثل البهيمة التي تسمع الصوت إذا نعق بها، ولا تعقل ما يقال لها ، قال عكرمة : " معناه : مثلهم كمثل البعير أو الحمار تدعوه فيسمع الصوت، ولا يفقه ما تقول له " ، قال ابن عباس : " معناه : مثل الكافر كمثل البعير أو الحمار أو الشاة ، إذا قلت لبعضها : كُلْ ، لم تعلم ما تقول ، غير أنها تسمع الصوت ، كذلك الكافر إن أمرته بخير أو نهيته عن شر أو وعظته لم يعقل ما تقول غير أنه يسمع صوتك " ، قال مجاهد : " هذا مثل ضربه الله تعالى للكافر يسمع ما يقال له ولا يعقل ، كمثل البهيمة تسمع النهيق ولا تعقل " ، وعلى هذا المعنى فسره كل المفسرين ))([[214]](#footnote-214)) ، وفي تفسير ابن كثير : (( ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء أي ومثلهم في حال دعائهم إلى الإيمان كمثل الأنعام إذا دعاها راعيها لا تسمع إلا صوته ولا تفقه ما يقول ))([[215]](#footnote-215)) .

14 ـ لا يسمع المنادي بوضوح لأنه في مكان بعيد : تشبيه للدلالة على التغافل والتجاهل :

ـ ففي تفسير الجلالين : (( { والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر } ثقل فلا يسمعونه { وهو عليهم عمى } فلا يفهمونه { أولئك ينادون من مكان بعيد } أي هم كالمنادى من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم ما ينادى به ))([[216]](#footnote-216)) .

15 ـ يتباعد عن المتحدث : تشبيه للدلالة على التغافل والتجاهل :

ـ ففي تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية : (( { وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ } وقيل : المعنى أنهم ينهون [ الناس عن ] أن يستمعوا ما في القرآن، ويتباعدون هم عن استماعه، فالهاء للقرآن ))([[217]](#footnote-217)) .

16ـ يضع أصبعه في أذنيه حتى لا يسمع المتحدث : للدلالة على التغافل والتجاهل :

ـ ففي صفوة التفاسير : (( { جعلوا أَصَابِعَهُمْ في آذَانِهِمْ } أي سدوا آذانهم لئلا يسمعوا دعوتي ))([[218]](#footnote-218)) .

17ـ لا يوجه سمعه إلى المتحدث : تشبيه للدلالة على التغافل والتجاهل :

ـ الذي ينتفع بالقرآن هو الذي يلقي إليه سمعه غير متغافل عنه ففي التفسير القيم لابن القيم : (( وقوله : «أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ» أي وجه سمعه، وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له ، وهذا هو شرط التأثير بالكلام ، وقوله : «وَهُوَ شَهِيدٌ» أي شاهد القلب حاضر ، غير غائب ، قال ابن قتيبة: استمع لكتاب الله وهو شاهد القلب والفهم، ليس بغافل ولا ساه ، وهو إشارة إلى المانع من حصول التأثر ، وهو سهو القلب وغيبته عن تعقل ما يقال له ، والنظر فيه وتأمله ، فإذا حصل المؤثر، وهو القرآن، والمحل القابل، وهو القلب الحي، ووجد الشرط ، وهو الإصغاء ، وانتفي المانع، وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب وانصرافه عنه إلى شيء آخر: حصل الأثر، وهو الانتفاع بالقرآن والتذكر ))([[219]](#footnote-219)) .

18 ـ العمى : يقصد به التعامي للدلالة على التغافل والتجاهل :

ـ (( أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أو تَهْدِي الْعُمْيَ ))([[220]](#footnote-220)) ، (( أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ))([[221]](#footnote-221)) ، (( وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ))([[222]](#footnote-222)) ، (( صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ ))([[223]](#footnote-223)) ، (( قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ))([[224]](#footnote-224)) ، (( أنهم كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ))([[225]](#footnote-225)) ، (( أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ))([[226]](#footnote-226)) ، (( أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أعمى ))([[227]](#footnote-227)) ، (( وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أعمى فَهُوَ فِي الآخرة أعمى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ))([[228]](#footnote-228)) ، (( أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أو آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فإنها لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ))([[229]](#footnote-229)) ، (( وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا ))([[230]](#footnote-230)) ، (( وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إلى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ))([[231]](#footnote-231)) ، (( وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ))([[232]](#footnote-232)) ، (( قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأعمى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ))([[233]](#footnote-233)) ، (( وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ))([[234]](#footnote-234)) .

­­­­­­­ـ ومن العمى الغفلة عن آيات الكون : (( يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ))([[235]](#footnote-235)) .

19ـ تصنع ضعف البصر ( كأنه يرى بالكاد فلا يميز ما الذي يراه ) :

ـ ففي التفسير المنير للزحيلي : (( { وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ } يتعام ويتغافل ويعرض عن النظر في القرآن والعمل به، نهيئ له شيطانا يوسوس له ويغويه، فهو له ملازم لا يفارقه، بل يتبعه في جميع أموره، ويطيعه في كل ما يزين له به ، والعشا في العين : ضعف البصر، والمراد هنا عشا البصيرة ، والمراد بالآية : إن من يعرف كون القرآن حقا ولكنه يتغافل عن ذلك فهو في ضلال، ومادة كل آفة وبلية الركون إلى الدنيا وأهلها، فإن ذلك بمنزلة الرمد للبصر، ثم يصير بالتدريج كالعشى، ثم كالعمى ))([[236]](#footnote-236)) ، وفي تفسير البيضاوي : (( { وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ } يتعام ويعرض عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات ))([[237]](#footnote-237)) .

20 ـ استغشاء الثياب ( يغطي رأسه بثوبه حتى لا يراه المتحدث ) : للدلالة على التغافل والتجاهل :

تفسير القرطبي : (( { وَإِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ } أَيْ إِلَى سَبَبِ الْمَغْفِرَةِ، وَهِيَ الْإِيمَانُ بِكَ وَالطَّاعَةُ لَكَ ، { جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ } لِئَلَّا يَسْمَعُوا دُعَائِي { وَاسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ } أَيْ غَطَّوْا بِهَا وُجُوهَهُمْ لِئَلَّا يَرَوْهُ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: جَعَلُوا ثِيَابَهُمْ عَلَى رؤوسهم لِئَلَّا يَسْمَعُوا كَلَامَهُ. فَاسْتِغْشَاءُ الثِّيَابِ إِذًا زِيَادَةٌ فِي سَدِّ الْآذَانِ حَتَّى لَا يَسْمَعُوا، أَوْ لِتَنْكِيرِهِمْ أَنْفُسَهُمْ حَتَّى يَسْكُتَ، أَوْ لِيُعَرِّفُوهُ إِعْرَاضَهُمْ عَنْهُ ))([[238]](#footnote-238)) .

21 ـ وضع غطاء على العين ووجود غشاوة على العين : تشبيه للدلالة على التغافل والتجاهل :

ـ العمى يقصد به الغفلة بدليل الآية : (( لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ))([[239]](#footnote-239)) .

ـ وفي تفسير السمعاني : (( { لقد كنت فِي غَفلَة من هَذَا } يُقَال: إِن هَذَا فِي الْكفَّار؛ لأَنهم فِي الْغَفْلَة من الْآخِرَة على الْحَقِيقَة. وَيُقَال : فِي كل غافل ، وَقَوله: {فكشفنا عَنْك غطاءك} أَي: كشفنا عَنْك مَا غشيك وغطى سَمعك وبصرك وعقلك، حَتَّى لم تسمع وَلم تبصر وَلم تعقل الْحق، وَهُوَ فِي معنى قَوْله تَعَالَى: {أسمع بهم وَأبْصر} ))([[240]](#footnote-240)) ، (( الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ))([[241]](#footnote-241)) .

ـ وفي تفسير بيان المعاني : (( { فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ } سبل الهدى لأنهم يتعامون عن النظر في آيات اللّه فلا يستطيعون الخروج من الكفر إلى الإيمان ))([[242]](#footnote-242)) ، وفي تفسير روح المعاني : (( { وَما كانُوا يُبْصِرُونَ } أي أنهم كانوا يتعامون عن آيات اللّه تعالى المبسوطة في الأنفس والآفاق ))([[243]](#footnote-243)) ، (( وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ))([[244]](#footnote-244)) ، (( وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً ))([[245]](#footnote-245)) .

22ـ الحاجز والسد والحائل : أحاط نفسه بسد محيط بكل جهة تشبيه للدلالة على التغافل :

ـ ففي تفسير نظم الدرر : (( { وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ } ... أي فصارت كل جهة يلتفت إليها منسدة، فصاروا لذلك لا يمكنهم النظر إلى الحق ولا الخلوص إليه، فلذلك قال : { فأغشيناهم } أي جعلنا على أبصارهم بما لنا من العظمة غشاوة ))([[246]](#footnote-246)) .

23ـ الغمرة : وضع على نفسه غمرة أي غطاء للدلالة على التغافل :

ـ الغمرة هي الشيء الذي يغمر الأشياء فيغطيها ، كما يغمر الماء الغريق فيحيط به من كل جوانبه ، ففي تفسير فتح البيان : (( { الذين هم في غمرة } أي في غفلة وعمى وجهالة عن أمور الآخرة وأصل الغمرة ما ستر الشيء وغطاه ومنها غمرات الموت ))([[247]](#footnote-247)) .

ـ (( بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا ))([[248]](#footnote-248)) أي من القرآن ، (( فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ ))([[249]](#footnote-249)) .

24ـ يضع نفسه في الظلام حتى لا يرى : تشبيه للدلالة على التعامي والتغافل :

ـ (( وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ))([[250]](#footnote-250)) أي هو تصام وتباكم ووضع نفسه في الظلمات أي تعامى ، (( أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ))([[251]](#footnote-251)) ، (( اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ))([[252]](#footnote-252)) ، (( كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ))([[253]](#footnote-253)) ، (( وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ))([[254]](#footnote-254)) .

25ـ عمى القلب ( غياب التصور ) : أي عدم رؤية حقيقة الأشياء وليس ذات الأشياء أي التغافل عن حقيقة الأشياء :

ـ (( أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ))([[255]](#footnote-255)) .

26ـ مرض القلب : تعطيل وظيفة التصور لحقيقة الأشياء ( التغافل ) :

ـ الإنسان الطبيعي يعلم بالأمر من خلال السمع والبصر ، ويفهمه من خلال العقل ، ويتصور ويتخيل قيمته من خلال الذهن ، وينشغل به همه إذا كان هاما من خلال الذهن أيضا ، فهذه وظائف طبيعية بديهية فطرية تحدث داخل جسم الإنسان .

ـ إذا تدخل الإنسان في هذه الوظائف فقد أحدث في نفسه خلل أو مرض ، والإنسان يتدخل بتعطيل عمل الذهن ، فهو بذلك يتغافل عن الأمر فلا يتصوره ولا ينشغل به همه .

ـ إذن هو يستقبل المعلومة ويعلم بها من خلال السمع والبصر ، ثم يفهمها من خلال العقل ، ثم يتوقف الأمر على ذلك ، فهو بذلك يتغافل عن المعلومة .

ـ فالتغافل هو تعطيل وظيفة فطرية بديهية داخل جسم الإنسان هي عدم تصور قيمة الأمر وعدم شغل الهم به ، وهي وظيفة طبيعية يقوم بها الذهن .

ـ (( فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ))([[256]](#footnote-256)) .

27ـ غفلة القلب : قد يقصد بالقلب الهم فيقال : حاضر القلب أو غافل القلب ساه :

ـ ففي تفسير القرطبي : (( { لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ } أَيْ سَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ، مُعْرِضَةً عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، مُتَشَاغِلَةً عَنِ التَّأَمُّلِ وَالْتَفَهُّمِ ، مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: لَهَيْتُ عَنْ ذِكْرِ الشَّيْءِ إِذَا تَرَكْتُهُ وَسَلَوْتُ عَنْهُ))([[257]](#footnote-257)) .

ـ فموضع الغفلة في القلب : (( وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا ))([[258]](#footnote-258)) .

ـ والعمى يقصد به الغفلة بدليل قوله تعالى : (( لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ))([[259]](#footnote-259)) ، والعمى المقصود هو عمى القلب : (( فإنها لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ))([[260]](#footnote-260)) .

ـ وفي الحديث : (( واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه ))([[261]](#footnote-261)) .

28ـ الطبع على القلب : أي التغافل والتجاهل أي غياب التصور أي عدم الوعي والفهم الحقيقي :

ـ ففي تفسير القرطبي : (( أولئك الذين طبع الله على قلوبهم أي عن فهم المواعظ وسمعهم عن كلام الله تعالى وأبصارهم عن النظر في الآيات وأولئك هم الغافلون عما يراد بهم لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون ))([[262]](#footnote-262))

ـ الطبع على القلب معناه عدم الفقه وعدم العلم والغفلة ويصبح كأنه لم يسمع ، والآيات تبين ذلك كالتالي : (( وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ))([[263]](#footnote-263)) ، (( وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ))([[264]](#footnote-264)) ، (( كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ))([[265]](#footnote-265)) .

ـ وسبق أن أوضحنا من قبل الأدلة على أن كلمة " القلب " كثيرا ما تُذكر ويقصد بها العقل .

29ـ الختم على القلب : أي التغافل والتجاهل أي غياب التصور أي عدم الوعي والفهم :

ـ جاء في تفسير القرطبي : (( { خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ } فالختم على القلوب عدم الوعي عن الحق سبحانه مفهوم مخاطباته والكفر في آياته ، وعلى السمع عدم فهمهم للقرآن إذا تلي عليهم أو دعوا إلى وحدانيته ، وعلى الأبصار عدم هدايتها للنظر في مخلوقاته وعجائب مصنوعاته هذا معنى قول أبن عباس وابن مسعود وقتادة وغيرهم ))([[266]](#footnote-266))

ـ وفي تفسير الكشف والبيان : (( { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصارَكُمْ } فذهب بها { وَخَتَمَ عَلى قُلُوبِكُمْ } وطبع عليها يعني لا يفقهوا قولا ولا يبصروا حجة ))([[267]](#footnote-267)) ، وفي التفسير المظهرى : (( خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ - فلا تعي خيرا - والقلب هو المضغة وقد يطلق على المعرفة والعقل قال اللّه تعالى : { إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ } ))([[268]](#footnote-268)) .

30ـ التجاهل : أي التغافل :

ـ الجهل إما أن يكون خارج عن إرادة الإنسان فلم يصل الأمر إلى علمه أو يكون جهل متعمد ، والجهل المتعمد يسمى بالتجاهل فهو الذي أنزل نفسه منزلة الجاهل بالأمر ، والجهل المذكور في آيات القرآن والمرتبط بالله والآخرة المقصود به الجهل المتعمد ، لأن الجهل الخارج عن إرادة الإنسان يجعل الإنسان غير مكلف والإنسان معذور به ولا ذنب عليه .

ـ العلم بعظمة الله وقدرته وحكمته هو من الربوبية ورغم ذلك يبين القرآن أن هناك من يجهلون عظمة الله وقدرته وحكمته وذلك لأن الآيات تعني أنهم لا يشعرون بما تعنيه عظمة الله وقدرته وحكمته وليس مجرد اليقين النظري بعظمة الله وقدرته وحكمته ، ففي أيسر التفاسير للجزائري : (( { وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلآئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ إِلاَّ أَن يَشَاء اللهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ } { يجهلون } : عظمة الله وقدرته وتدبيره وحكمته ))([[269]](#footnote-269)) ، وفي صفوة التفاسير : (( { ولكن أكثر الناس لا يعلمون } أي يجهلون عظمة الله فيعبدون ما لا يضر ولا ينفع ))([[270]](#footnote-270)) ، وفي بيان المعاني : (( { قالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ } عظمة اللّه وقوة سلطانه ولا تقدرون نعمه ))([[271]](#footnote-271)) .

ـ ومن تعبيرات القرآن عن الجهل : (( وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ))([[272]](#footnote-272)) ، (( قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ))([[273]](#footnote-273)) ، (( وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ))([[274]](#footnote-274)) ، (( قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ))([[275]](#footnote-275)) .

31ـ عدم العلم : يقصد به التجاهل والتغافل :

ـ يقصد بعدم العلم عدم وجود الفائدة من العلم ، فما الفائدة من علم لا تتصور قيمته ، فمثلا إذا علمت أن أمامك قنبلة ولم تتصور خطورتها ولم تشعر بالخوف من هذا الأمر فما فائدة هذا العلم إذن ، فهو عندئذ كأنه لا يعلم ، فمثلا الذي علم بالآخرة فتصور خطورتها فخاف وأسرع بإنقاذ نفسه هذا فقط هو الذي علم بالآخرة ، فيقول تعالى : (( أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ))([[276]](#footnote-276)) .

ـ فالعلم الذي يتبعه التصور وتأثر المشاعر هو العلم الحقيقي وغيره لا يعلم ، لذلك قد يطلق على العلم بالله أنه هو الخشية لأنه ما لم تتحقق الخشية من الله فلا يعرف الإنسان من هو الله ، ففي تفسير يحيى بن سلام : (( {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: 28] وَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ ، وَبَلَغَنِي أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَحَدَّثَنِي قُرَّةُ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: لَيْسَ الْعِلْمُ رِوَايَةَ الْحَدِيثِ وَلَكِنَّ الْعِلْمَ الْخَشْيَةُ ، قَالَ يَحْيَى: نَرَاهُ أَنَّهُ، يَعْنِي: أَنَّهُ مَنْ خَشِيَ اللَّهَ فَهُوَ عَالِمٌ ))([[277]](#footnote-277)) .

ـ وفي تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية : (( { أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } [النمل: 61] لا يعلمون قدر عظمة الله جل ذكره ، وما عليهم من الضرر في إشراكهم مع الله غيره ))([[278]](#footnote-278)) ، وفي تفسير البحر المحيط : (( { وَمَنْ يَعْشُ } بِضَمِّ الشِّينِ ، أَيْ يَتَعَامَ وَيَتَجَاهَلْ عَنْ ذِكْرِهِ ، وَهُوَ يَعْرِفُ الْحَقَّ ))([[279]](#footnote-279)) ، (( كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ))([[280]](#footnote-280)) ، (( وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ))([[281]](#footnote-281)) .

32ـ عدم الإحاطة بالأمر علما : العلم مع عدم التصور ، أي التغافل والتجاهل :

ـ الإحاطة بالأمر علما معناه العلم بالأمر مع التصور والتأمل والتدبر ، فالعلم من غير تصور وتأمل وتدبر هو علم نظري لا قيمة له .

ـ الكفار علموا بالأمر ولكن لم يتصوروه ويتدبروه ويتأملوا حقيقته فلم يحيطوا بالأمر علما ، أي تجاهلوه وتغافلوا عنه .

ـ ففي تفسير روح المعاني : (( { بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ } ذم لهم بالمسارعة إلى تكذيب الحق قبل التأمل والتدبر والاطلاع على الحقيقة ))([[282]](#footnote-282)) .

ـ وفي تفسير البحر المحيط : (( { بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ } قال الزمخشري : { بل كذبوا } بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن ، وفاجأوه في بديهة السماع قبل أن يفهموه ويعلموا كنه أمره ، وقبل أن يتدبروه ويفقهوا تأويله ومعانيه ، وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم ، وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم ))([[283]](#footnote-283)) .

ـ وفي التفسير القرآني للقرآن : (( وفي قوله تعالى : { وَلَمْ تُحِيطُوا بِها عِلْماً } إشارة إلى أنهم لم ينظروا في آيات اللّه ، ولم يعرضوها على عقولهم ، بل واجهوها بالبهت والتكذيب ، ورموها بالسخرية والاستهزاء ، من قبل أن ينظروا فيها ))([[284]](#footnote-284)) .

ـ وفي التفسير المنير : (( { بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جاءَهُمْ ، فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ } أي إن كفار قريش في الحقيقة كذبوا بالقرآن وبنبوة محمد صلّى اللَّه عليه وسلّم الثابتة بالمعجزات، أنهم كذبوا ( بالقرآن وبالنبوة ) بمجرد تبليغهم به من قبل الرسول صلّى اللَّه عليه وسلّم ، من غير تدبر ولا تفكر ولا إمعان نظر ، فهم في أمر دينهم في أمر مختلط مضطرب ، يقولون مرة عن القرآن والنّبي : ساحر وسحر، ومرة : شاعر وشعر، ومرة : كاهن وكهانة ، فهم في قلق واضطراب ولبس ، لا يدرون ماذا يفعلون ، كما قال تعالى : { إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ، يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ } ))([[285]](#footnote-285)) .

ـ وفي حاشية الشهاب : (( المسارعة إلى التكذيب مأخوذة من قوله : { لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله } فإن التصديق والتكذيب بالشيء ينبغي أن يكون بعد العلم به والإحاطة بكنهه ومعرفة مآله ومرجعه وإلا كان مسارعة إليه في غير أوانه ))([[286]](#footnote-286)) .

ـ وفي تفسير التحرير والتنوير : (( { بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ }[ يُونُس : 39] لِأَنَّ الْإِخْبَارَ عَنْ تَكْذِيبِهِمْ بِأَنَّهُ دُونَ الْإِحَاطَةِ بِعِلْمِ مَا كَذَّبُوا بِهِ يَقْتَضِي أَنَّ تَكْذِيبَهُمْ بِهِ لَيْسَ عَنْ بَصِيرَةٍ وَتَأَمُّلٍ ))([[287]](#footnote-287)) ، وفي تيسير التفسير : (( { بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ } ، لقد سارَعوا إلى تكذيبه من غير أن يتدبّروا ما فيه ، أو يقفوا على ما احتوى عليه من الأدلة والبراهين والحقائق ))([[288]](#footnote-288)) ، وفي مفردات القرآن : (( { حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا } [النمل : 84] : أي ولم تدركوا حقيقة كنهها ))([[289]](#footnote-289)) ، وفي التفسير المظهري : (( { بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ } يعنى أن كلامهم وإنكارهم للقران ليس مبتنيا على التحقيق والتفكر بل كذبوا به أول ما سمعوه قبل أن يتفكروا فيه ويحيطوا بالعلم بشأنه وإدراك أنه ليس من جنس أن يمكن إتيانه من البشر ))([[290]](#footnote-290)) ، وفي تفسير الرازي : (( { وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْماً } فالواو للحال كأنه قال أكذبتم بها بادي الرأي من غير فكر ولا نظر يؤدي إلى إحاطة العلم بكنهها ، أما قوله : { بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } فالمراد لما لم تشتغلوا بذلك العمل المهم فأي شيء كنتم تعملونه بعد ذلك ، كأنه قال كل عمل سواه فكأنه ليس بعمل ))([[291]](#footnote-291)) ، وفي تفسير البيضاوي : (( { ولم تحيطوا بها علما } الواو للحال أي أكذبتم بها بادئ الرأي غير ناظرين فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق أو التكذيب أو للعطف أي أجمعتم بين التكذيب بها وعدم إلقاء الأذهان لتحققها ))([[292]](#footnote-292)) .

ـ وفي تفسير النسفي : (( { وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إلا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } أي ولكن من شهد بالحق بكلمة التوحيد وهم يعلمون أن الله ربهم حقا ))([[293]](#footnote-293)) ، وفي تفسير القرطبي : (( { إلا من شهد بالحق } يعني عزيرا وعيسى والملائكة فإنهم يشهدون بالحق والوحدانية لله وهم يعلمون حقيقة ما شهدوا به ))([[294]](#footnote-294)) .

33ـ عدم الفقه : يقصد به التغافل والتجاهل :

ـ عدم الفقه لا يقصد به عدم الفهم وإنما التجاهل ، ففي تفسير السمعاني : (( { ذلك بأنهم قوم لا يفقهون } أي : لا يعلمون عظمة الله وقدرته فيخافون منه ))([[295]](#footnote-295)) ، (( وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ))([[296]](#footnote-296)) ، (( وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ))([[297]](#footnote-297)) ، وقال الكفار لشعيب : (( مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ ))([[298]](#footnote-298)) مع أن شعيبًا خطيب الأنبياء ، (( وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ))([[299]](#footnote-299)) ، (( وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ))([[300]](#footnote-300)) .

ـ فهم يسمعون القرآن أو يَقْرَءُونَه ويفهمون معاني كلماته لكن لا يعقلونه ( غياب التصور وعدم شغل البال بالأمر ) ، فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (( وفي الصحيحين ... { ... ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مرٌّ ... }([[301]](#footnote-301)) . فهذا قارئ القرآن يسمعه الناس وينتفعون به وهو منافق ، وقد يكون مع ذلك عالمًا بتفسيره وإعرابه وأسباب نزوله ، إذ لا فرق بين حفظه لحروفه وحفظه لمعانيه ... ولكن قد يكون في القلب موانع من اتباع الأهواء والحسد والحرص والاستكبار، التي تَصُدُّ القلب عن اتباع الحق، قال تعالى: { إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (22) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ }([[302]](#footnote-302)) ))([[303]](#footnote-303)) .

ـ وفي التفسير المنير : (( { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } ... أولئك الموصوفون بما ذكر من تعطيل عقولهم وحواسهم هم كالأنعام ( البقر والإبل والغنم ) لا همّ لهم إلا الأكل والشرب والتمتع بلذات الحياة والدنيا ، ... أولئك هم كاملوا الغفلة عن آيات الله وعن استعمال مشاعرهم وعقولهم فيما خلقت من أجله ، وهو الاستفادة من المسموعات ، والانتفاع من المبصرات، وهم الأغبياء الجاهلون الذين لا ينظرون إلى المستقبل ، وإنما انصرفوا إلى الحياة الدنيا ، وتركوا الاشتغال بما يؤهلهم للخلود في نعيم الحياة الآخرة ، وعلى هذا تكون غفلتهم بمعنى ترك التدبر ، والإعراض عن الجنة والنار ))([[304]](#footnote-304)) .

34ـ التغابي كأنه لا يفهم : غباء متعمد بعدم شغل الهم بالأمر وعدم تصوره ، أي التغافل والتجاهل :

ـ اليهود يفهمون معاني الكلام في التوراة وبالتالي يوقنون بالتوراة ولكن نظريا لأنهم يتغابون كأنهم لا يفهمون ، فعطلوا عقولهم وأصبحوا كالحمير ، ففي التفسير المنير : (( { مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ، ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً } أي إن شبه اليهود الذين تركوا العمل بالتوراة، بعد أن كلّفوا القيام بها والعمل بما فيها، فلم يعملوا بموجبها، ولا أطاعوا ما أمروا به فيها، كشبه الحمار الذي يحمل الكتب الكبيرة على ظهره، وهو لا يدري الفرق بين الكتاب والزبل ، لأنه لا فهم له ، واليهود وإن كان لهم عقول وأفهام ، فإنهم لم ينتفعوا بها فيما ينفعهم وفي إدراك الحقائق، لأنهم حفظوا اللفظ ولم يتفهموه ، ولا عملوا بمقتضاه بل أوّلوه وحرفوه وبدّلوه ، فهم أسوأ حالا من الحمير، لأن الحمار لا فهم له ، وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها ، لذا وصفهم تعالى بقوله : { أُولئِكَ كَالْأَنْعامِ ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ ، أُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ } ))([[305]](#footnote-305)) .

35ـ السكر ( فقدان الوعي ) : تشبيه للدلالة على التغافل والتجاهل :

ـ عند القيام بعملية جراحية لمريض فإنه يأخذ مخدر ، فهو عندئذ يكون فاقد الوعي لما حوله لا يدرك ما يحدث حوله ، وكذلك الإنسان عندما يتناسى قيمة ما حوله من الأشياء فهو بذلك يصطنع فقدان الوعي كأنه سكران لا يعي ولا يدرك ما حوله أي كأنه في غيبوبة لا يدري ما حوله .

ـ ففي تفسير أضواء البيان : (( ( وقوله : { لَفِي سَكْرَتِهِمْ } أي : عماهم وجهلهم وضلالهم ، والعمه : عمى القلب ، فمعنى { يَعْمَهُونَ } يترددون متحيرين لا يعرفون حقاً من باطل ، ولا نافعاً من ضار ، ولا حسناً من قبيح ))([[306]](#footnote-306)) .

36 ـ التعامل مع الأمر بغير جدية كأنه لعب ولهو ( عدم تصور خطورة الأمر ) : أي التغافل والتجاهل :

ـ الدنيا لعب ولهو والدين أمر جاد وخطير ، ولكن بعض الناس يتعاملون مع الدنيا كأنها أمر جاد وخطير ويتعاملون مع الدين بغير جدية كأنه لعب ولهو ، فالآيات تبين أن الدنيا لعب ولهو : (( وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ))([[307]](#footnote-307)) ، ولكنهم تعاملوا مع الدين بغير جدية كأنه لعب ولهو : (( وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ))([[308]](#footnote-308)) ، (( الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ))([[309]](#footnote-309)) .

ـ ففي محاسن التأويل : (( { رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ } .. وقيل : معناه إن كنتم موقنين بما تقرون به من أنه رب الجميع وخالقه : { لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ } أي : بل ليسوا بموقنين في إقرارهم بربوبيته ؛ لأن الإيقان يستتبع قبول البرهان ، وإنما هو قول ممزوج بلعب ، لغشيان أدخنة أهوية نفوسهم بصائر قلوبهم وأرواحهم ))([[310]](#footnote-310)) ، وفي تفسير الشيخ المراغي : (( { بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ } أي بل هم في شك من التوحيد والبعث والإقرار بأن اللّه خالقهم ، وإن قالوا ذلك فإنما يقولونه تقليدا لآبائهم من غير علم ، إذ هم قابلوه بالهزء والسخرية فعل اللاعب العابث الذي يأخذ الجدّ وما لا مرية فيه أخذ الهزل الذي لا فائدة فيه ))([[311]](#footnote-311)) ، وفي تفسير السمعاني : (( { بل هم في شك يلعبون } أي : يسمعون سماع لاعب ، ويقولون قول لاعب ، ويقبلون قبول لاعب ))([[312]](#footnote-312)) ، وفي تفسير البحر المحيط : (( { بَلْ هُمْ في شَكٍّ يَلْعَبُونَ } أي في شك لا يزالون فيه يلعبون ، فإقرارهم ليس عن جد ولا تيقن ))([[313]](#footnote-313)) ، وفي التفسير المنير : (( ثم ذكر حقيقة المشركين ، فقال : ( بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ) أي بل هؤلاء المشركون في شكّ من أمر البعث والتّوحيد والإقرار الذي صدر منهم بأن اللَّه هو خالقهم ، وهم في الواقع عابثون لا هون لاعبون، لا جدّية عندهم في الاعتقاد الصحيح، والسّلوك المطابق له ))([[314]](#footnote-314)) .

ـ وفي تفسير السمعاني : (( { فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون } أي : في باطل لاهون ، ويقال : يخوضون في أمر النبي بالتكذيب ، ويلعبون بما هو [ الجد ] . وعن بعضهم : أنه رؤي في المنام ، فقيل له : كيف الأمر ؟ فقال : الأمر جد فإياك أن تخلطه بالهزل ))([[315]](#footnote-315)) .

ـ وفي تفسير القرطبي : (( { اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (1) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ } [الأنبياء : 1، 2]{ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ } يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ، أو القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم أو من أمته ، { وَهُمْ يَلْعَبُونَ } الواو واو الحال يدل عليه { لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ } ومعنى { يَلْعَبُونَ } أي يلهون. وقيل : يشتغلون ؛ فإن حمل تأويله على اللهو احتمل ما يلهون به وجهين : أحدهما : بلذاتهم ، الثاني : بسماع ما يتلى عليهم ، وإن حمل تأويله على الشغل احتمل ما يتشاغلون به وجهين : أحدهما : بالدنيا لأنها لعب ؛ كما قال الله تعالى : { إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ } [محمد : 36] ، الثاني : يتشاغلون بالقدح فيه ، والاعتراض عليه ))([[316]](#footnote-316)) .

ـ وفي تفسير إيجاز البيان : (( الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً : [اتخذوا أمر دينهم ] كأمر دنياهم ، والدنيا لهو وباطل ))([[317]](#footnote-317)) ، وفي تفسير الرازي : (( هؤلاء الكفار بأنهم اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وفيه وجهان : الوجه الأول أن الذي اعتقدوا فيه أنه دينهم تلاعبوا به وما كانوا فيه مجدين ، والوجه الثاني أنهم اتخذوا اللهو واللعب ديناً لأنفسهم ))([[318]](#footnote-318)) ، وفي تفسير السعدي : (( { لَهْوًا وَلَعِبًا } أي: لهت قلوبهم وأعرضت عنه، ولعبوا واتخذوه سخريا ، أو أنهم جعلوا بدل دينهم اللهو واللعب ، واستعاضوا بذلك عن الدين القيم ، { وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا } بزينتها وزخرفها وكثرة دعاتها، فاطمأنوا إليها ورضوا بها وفرحوا، وأعرضوا عن الآخرة ونسوها ، { فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ } أي: نتركهم في العذاب { كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا } فكأنهم لم يخلقوا إلا للدنيا ، وليس أمامهم عرض ولا جزاء ))([[319]](#footnote-319)) ، وفي تفسير السمعاني : (( قوله تعالى : { الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا } معناه : أكلا وشربا ، قاله عبد الله بن الحارث ، وقيل : معناه : الذين كانت همتهم الدنيا ، واشتغالهم بها ؛ فهم الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا ، وغرتهم الحياة الدنيا ))([[320]](#footnote-320)) .

ـ فاليقين النظري بشيء بغير شعور بخطورته هو يقين هزلي غير حقيقي وجاد وفعلي يصدر من إنسان يلعب ويلهو كالأطفال ولذلك يقول تعالى : (( إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ، وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ))([[321]](#footnote-321)) .

ـ فهو يستمع إلى الأمر وهو يلعب فلا يلقي له بالا : (( اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (1) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إلا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ، لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ))([[322]](#footnote-322)) .

37 ـ التعامل مع الأمر بغير جدية كأنه هزل ( عدم تصور خطورة الأمر ) : أي التغافل والتجاهل :

ـ يتعامل مع الأمر كأنه هزل : (( إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ، وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ))([[323]](#footnote-323)) .

ـ كانت المشكلة عند بني إسرائيل أنهم لم يأخذوا الأمر بقوة وجدية ، وعكس القوة التهاون واللعب وعدم أخذ الأمر بجدية وبقوة : (( وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ))([[324]](#footnote-324)) ، (( وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ))([[325]](#footnote-325)) ، (( يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ))([[326]](#footnote-326)) ، (( فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ))([[327]](#footnote-327)) ، (( وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ))([[328]](#footnote-328)) .

38 ـ لوي الرأس : تصور الأمر على أنه تافه لا قيمة له ( التغافل عن الأمر وتجاهله ) :

ـ ففي تفسير المراغي : (( {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ } لوّوا رءوسهم : أي حوّلوها استهزاء ))([[329]](#footnote-329)) ، وفي صفوة التفاسير : (( { لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ } أي حركوها وهزوها استهزاءاً واستكباراً ))([[330]](#footnote-330)) .

39 ـ تحريك الرأس لأعلى ولأسفل : علامة للتعجب من تفاهة الأمر ( في نظره ) :

ـ ففي أيسر التفاسير للجزائري : (( { فسينغضون }: أي يحركون رؤوسهم تعجباً ، .. { فسينغضون } أي يحركون إليك رؤوسهم خفضاً ورفعاً استهزاء ))([[331]](#footnote-331)) ، وفي تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن (7/ 404) : (( { فسينغضون إليك رؤوسهم } أي يحركونها استهزاء، يقال نغض رأسه ينغض نغضاً ونغوضاً إذا تحرك وانغض رأسه حركه كالمتعجب من الشيء ))([[332]](#footnote-332)) .

40 ـ غياب العقل : يقصد به التغافل والتجاهل :

ـ غياب العقل ليس معناه أنه لم يفهم الأمر أو لم يعقله ، ولكن معناه أنه منع نفسه من تصور الأمر ومنع همه من الانشغال بالأمر ، وهذا من الغباء .

ـ ومن ناحية أخرى فغياب العقل معناه غياب الفائدة المترتبة على العقل ، فما الفائدة من أن يعقل الإنسان شيئا ثم لا يتصور خطورته ولا تتأثر به مشاعره .

ـ لذلك يصف الله الكافرين بأنهم لا يعقلون رغم أنه لا يوجد خلل عضوي أو وظيفي في عقولهم ومنهم عباقرة في علوم الدنيا : (( صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ ))([[333]](#footnote-333)) ، (( إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ ))([[334]](#footnote-334)) .

ـ فقد يكون الإنسان عبقريا من علماء الذرة ـ وذلك أمر عظيم يأمر به الشرع ـ ورغم ذلك لم يعقل ما في داخل هذه الذرة من العجب وأن وراءها قوة قاهرة فوق قوة الإنسان هي قوة الخالق وبالتالي يستسلم للخالق ويعيش خاضعا له ، فهو عبقري في ظاهر الأمر لكن حقيقته أنه لا عقل له ، كما أنه لا يشعر بضآلة علم الذرة والتكنولوجيا والدنيا بالمقارنة بالآخرة ، ولا يشعر بقدرة الخالق وضآلة علم الذرة والتكنولوجيا والدنيا بالمقارنة بقدرة الخالق وعلمه ، فهو بذلك غبي لا يعقل .

ـ إذا لم يتعامل الإنسان مع الأشياء على أنها آيات تدل على الخالق ونعمة منه فهو لا يعقل : (( الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (53) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ))([[335]](#footnote-335)) ، (( إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ))([[336]](#footnote-336)) .

ـ ومن تعبيرات القرآن عن غياب العقل : (( وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أو نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ))([[337]](#footnote-337)) ، (( صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ ))([[338]](#footnote-338)) ، (( إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ ))([[339]](#footnote-339)) ، (( أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أو آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَأنها لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ))([[340]](#footnote-340)) ، (( أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أو يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إلا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ))([[341]](#footnote-341)) ، (( وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ))([[342]](#footnote-342)) ، (( وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ))([[343]](#footnote-343)) ، (( وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إلا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ))([[344]](#footnote-344)) ، (( وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ))([[345]](#footnote-345)) ، (( قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ))([[346]](#footnote-346)) ، (( وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ))([[347]](#footnote-347)) ، (( أَلَا أنهم هُمُ السُّفَهَاءُ ))([[348]](#footnote-348)) .

ـ وردت عبارة ( أفلا تعقلون ) ثلاثة عشر مرة ، وعبارة ( لَا يَعْقِلُونَ ) اثنى عشر مرة ، وعبارة ( لقوم يعقلون ) ثماني مرات ، وعبارة ( لعلكم تعقلون ) ثماني مرات .

ـ ويصف الله المؤمنين على أنهم هم العاقلين ( أولى الألباب ) وغيرهم لا عقل لهم :

ـ (( فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ))([[349]](#footnote-349)) ، (( الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ))([[350]](#footnote-350)) ، (( فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ))([[351]](#footnote-351)) ، (( هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ))([[352]](#footnote-352)) ، (( وَمَا يَذَّكَّرُ إلا أُولُو الْأَلْبَابِ ))([[353]](#footnote-353)) ، وفي تفسير اللباب في علوم الكتاب : (( { لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ } قال ابن عباس ( رضي الله عنهما ) : أي عَقْل ))([[354]](#footnote-354)) .

41ـ انقلاب العقل ( تعطيل العقل ) :

ـ قد يكون عقل الإنسان مقلوبا يحتاج إلى أن يقوم بعدله ليكون في الوضع الصحيح وذلك كناية عن مرض العقل وعدم قيامه بوظيفته السليمة :

ـ ففي تفسير التحرير والتنوير : (( { وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } يجوز أن يكون عطفا على جملة { أنها إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ } [ الأنعام : 109] فتكون بيانا لقوله : { لا يُؤْمِنُونَ } أي بأن نعطل أبصارهم عن تلك الآية وعقولهم عن الاهتداء بها فلا يبصرون ما تحتوى عليه الآية من الدلائل ولا تفقه قلوبهم وجه الدلالة فيتعطل تصديقهم بها ، وذلك بأن يحرمهم الله من إصلاح إدراكهم ، وذلك أنهم قد خلقت عقولهم نابية عن العلم الصحيح بما هيأ لها ذلك من انسلالها من أصول المشركين، ومن نشأتها بين أهل الضلال وتلقي ضلالتهم ، كما بينته آنفا ، فعبر عن ذلك الحال المخالف للفطرة السليمة بأنه تقليب لعقولهم وأبصارهم ، ولأنها كانت مقلوبة عن المعروف عند أهل العقول السليمة ))([[355]](#footnote-355)) ، وفي التفسير المنير : (( { وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ } نحول قلوبهم عن الحق فلا يفهمونه وَأَبْصارَهُمْ عنه فلا يبصرونه ))([[356]](#footnote-356)) .

42 ـ الحيلولة بين المرء وقلبه ( غياب العقل ) :

ـ ففي تفسير البحر المحيط : (( { وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ } ... وقال مجاهد : يحول بين المرء وعقله فلا يدري ما يعمل عقوبة على عناده ففي التنزيل { إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب } أي عقل ))([[357]](#footnote-357)) .

43ـ ضيق الصدر : منع نفسه من تصور الاعتقادات والتأثر بها وتعامل مع الاعتقادات كأنه لا يعرفها أي تغافل عنها :

ـ القلب عبارة عن عقل وهم ومشاعر ، الاعتقادات دخلت إلى العقل فعلمها ولكن لم تدخل إلى الهم والمشاعر ، فقلبه ضيق لا يسمح بدخولها إلى الهم والمشاعر .

ـ ففي تفسير القاسمي : (( { وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً } أي : شديد الضيق، فلا يتسع للاعتقادات الصائبة في الله ، والأمور الأخروية ))([[358]](#footnote-358)) .

44ـ نكس على رأسه ( جعل رأسه أسفل ورجلاه أعلى إشارة إلى تعطيل العقل ) :

ـ بعدما عقل الأمر تراجع وأغلق عقله .

ـ ففي أيسر التفاسير : (( { فرجعوا إلى أنفسهم } : أي بعد التفكر والتأمل حكموا على أنفسهم بالظلم لعبادتهم مالا ينطق ، { نسكوا على رؤوسهم } : أي بعد اعترافهم بالحق رجعوا إلى إقرار الباطل فكانوا كمن نكس فجعل رأسه أسفل ورجلاه أعلى ))([[359]](#footnote-359)) ، وفي التفسير المنير : (( فَرَجَعُوا إلى أَنْفُسِهِمْ أي راجعوا عقولهم ، وفكروا وتدبروا فَقالُوا لأنفسهم إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ بعبادتكم من لا ينطق ، ثُمَّ نُكِسُوا عَلى رُؤُسِهِمْ انقلبوا إلى المجادلة بعد ما استقاموا ، وعادوا إلى جهلهم ، وردوا إلى كفرهم ، وقالوا لإبراهيم : واللّه لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ أي فكيف تأمرنا بسؤالهم ))([[360]](#footnote-360)) ، فهؤلاء لو رجعوا إلى أنفسهم فاستمروا على ذلك لاهتدوا لكنهم تناسوا الأمر مرة أخرى .

45ـ تصنع الموت : تشبيه للدلالة على التغافل والتجاهل التام :

ـ لا يمكن أن تحدث إنسانا ميتا ، لأنه لا يسمع ولا يرى ولا يتأثر بكلامك ولا يتحرك ، ففي أيسر التفاسير : (( { وما أنت بمسمع من في القبور} أي فكذلك لا تسمع الكفار فإنهم كالأموات ))([[361]](#footnote-361)) ، فالمتحدث يتكلم لكن المستمع يتصنع كأنه ميت لا يسمع كلام المتحدث ولا يتأثر به نهائيا ، وكما يقول الشاعر : لقد أسمعت إذ ناديت حيا ، ولكن لا حياة لمَنْ تنادي ، فمهما أنذرته فلن يستجيب إلا إذا كان حيا .

ـ ولذلك يقول تعالى : (( إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إليه يُرْجَعُونَ ))([[362]](#footnote-362)) ، (( إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ))([[363]](#footnote-363)) ، (( لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ))([[364]](#footnote-364)) ، (( أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ))([[365]](#footnote-365)) .

ـ وفي التفسير المنير : (( الاستجابة لدعوة النّبي صلّى اللّه عليه وسلّم تتطلب سماع آيات القرآن سماع إصغاء وتفهم وإرادة الحق، وهذا منهج المؤمنين الذين يقبلون ما يسمعون، فينتفعون به ويعملون ، أما الإعراض عن الدعوة فمنشؤه تعطيل طاقات الحواس، فهم لا يسمعون سماع تدبر، ولا يتفهمون الآيات في إمعان وروية، فصاروا كأنهم موتى لموت قلوبهم، لا موتى أجساد ))([[366]](#footnote-366)) .

ـ فقد تموت وظائف الإنسان وهو لا يزال حي ، فهو عندئذ كالمريض الذي أصيب " بسكتة مخية " حيث توقف المخ عن العمل في حين أعضاءه لا تزال تعمل ، أو كالرجل الذي شرب خمرا فأصبح سكرانا كأنه لا عقل له ، أو كالطفل الصغير يلعب ويلهو دون أن يعقل الأمور ، أو كالنائم الذي يقوم من نومه ويتحرك وهو لا يزال نائما ( كما يحدث عند بعض الناس ) ، أو كالبهائم لا عقل لها رغم أنها تعيش حياتها وتأكل وتنام وتتكاثر ، أو كالحمار يحمل على ظهره كتب سماوية ومصاحف لكنه لا يعي ولا يفهم قدر ما يحمله ، فوظائف المعرفة والعلم والفهم والوعي والإدراك أصبحت معطلة بسبب غياب الشعور بالقيمة ، فهو يسمع ويعقل لكنه ليس لديه شعور بقيمة ما يسمعه أو يعقله ، فأصبح كأنه لا يسمع ولا يعقل وكأنه ميت : (( أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أو يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إلا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ))([[367]](#footnote-367)) .

46ـ تصنع النوم : تشبيه للدلالة على التغافل والتجاهل التام :

ـ وكذلك يتعامل مع المتحدث كأنه نائم ، فالمتحدث يحذره من النار ويدله على الجنة والمستمع يتصنع النوم فلا يتأثر ، ففي الحديث : (( ما رأيت مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها ))([[368]](#footnote-368)) .

47 ـ غياب الهموم والمشاعر : دليل على أن الإنسان يتغافل عن الأمر ويتجاهله ولا يقيم له وزنا فلا تتعلق به الهموم والمشاعر :

ـ فهموم الإنسان ومشاعره تتعلق بالأمر الهام ولا تتعلق بالأمر التافه أو الأمر الهام الذي يتجاهله صاحبه ، فالأمر الذي لا تحبه ولا تكرهه ولا تخافه ولا ترجوه هو أمر تتجاهله وتتناساه وتنظر إليه على أنه لا قيمة له ، فغياب حب الله والخوف منه ورجاءه والخوف من الآخرة دليل على عدم شغل الهم بالأمر وتجاهله ودليل على غياب الإيمان .

48ـ التباكم : تشبيه للدلالة على التغافل والتجاهل :

ـ عندما يطلب منك إنسان أمرا ما ، إما أن تجيب بنعم أو تجيب بلا أو تسكت ، والسكوت معناه أنك ترفض الأمر ولكن ليس لديك ما يبرر رفضك ، فهذا تشبيه كأن الرسل جاءت تدعوه للإيمان بالله والآخرة وهولا يجيب بنعم ولا بلا ولكن يتغافل ويتجاهل الرسل ويسكت كأنه أبكم لا يتكلم ، فالتباكم ليس على الحقيقة بعدم الكلام ولكن للتشبيه ومعناه التغافل والتجاهل .

ـ (( صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ ))([[369]](#footnote-369)) .

49ـ يضع يده على فمه : نفس المعنى السابق للدلالة على التغافل والتجاهل :

ـ (( جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ))([[370]](#footnote-370)) .

50ـ الزيغ ( الميل عن الحق ) : تشبيه للدلالة على التغافل عن الأمر وتجاهله :

ـ فهو قد ترك المتحدث يتحدث وانصرف عنه : ففي أيسر التفاسير : (( { وقد تعلمون أني رسول الله إليكم } والحال أنكم تعلمون أني رسول الله إليكم حقاً وصدقاً ... وقوله تعالى : { فلما زاغوا } أي مالوا عن الحق بعد علمه غاية العلم فآثروا الباطل ))([[371]](#footnote-371)) ، وفي محاسن التأويل : (( { وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ } [الصف : 5]{ فَلَمَّا زَاغُوا } أي : عن مقتضى علمهم لفرط الهوى ، وحب الدنيا ))([[372]](#footnote-372)) .

51ـ الانصراف في سرية كأنه غير موجود : تشبيه للدلالة على التغافل عن الأمر وتجاهله :

ـ (( وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ))([[373]](#footnote-373)) .

52 ـ التسلل في سرية كأنه غير موجود : للدلالة على التغافل عن الأمر وتجاهله :

ـ ففي تفسير الماتريدي : (( { قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا } يتسللون أي يذهبون مستخفين ، يقال: انسل الرجل، أي: انسرق ْمن الناس، أي فارقهم، وهم لا يعلمون به، والتسلل من الجماعة ، وقوله: { لِوَاذًا } يقال : لاذ مني، أي: اختبأ مني واختفى. ويقال: لاذ بي، أي: استتر بي ، وقَالَ الْقُتَبِيُّ: قوله: { يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا } أي: من يستتر بصاحبه، ويتسلل، ْويخرج ))([[374]](#footnote-374)) ، وفي تفسير البغوي : (( قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : { لِوَاذًا } أَيْ يَلُوذُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ كَانَ يَثْقُلُ عَلَيْهِمُ الْمَقَامُ فِي الْمَسْجِدِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاسْتِمَاعُ خُطْبَةِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانُوا يَلُوذُونَ بِبَعْضِ أَصْحَابِهِ فَيَخْرُجُونَ مِنَ الْمَسْجِدِ فِي اسْتِتَارٍ ))([[375]](#footnote-375)) .

53ـ الاستخفاء : تشبيه للدلالة على التغافل عن الأمر وتجاهله :

ـ (( أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ))([[376]](#footnote-376)) .

54ـ انفضوا ( تفرقوا عن المتحدث وتركوه ) : للدلالة على التغافل عن المتحدث وتجاهله لأنهم يرون التجارة أهم :

ـ ففي تفسير الرازي : (( { وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ } [الجمعة: 11] وَقَوْلُهُ: { انْفَضُّوا إِلَيْها } أَيْ تَفَرَّقُوا وَقَالَ الْمُبَرِّدُ: مَالُوا إِلَيْهَا وَعَدَلُوا نَحْوَهَا، وَالضَّمِيرُ فِي (إِلَيْهَا) لِلتِّجَارَةِ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: انْفَضُّوا إِلَيْهِ وَإِلَيْهَا، وَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ [الْبَقَرَةِ: 45] وَاعْتُبِرَ هُنَا الرُّجُوعُ إِلَى التِّجَارَةِ لِمَا أَنَّهَا أَهَمُّ إِلَيْهِمْ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَتَرَكُوكَ قائِماً اتَّفَقُوا عَلَى أن هذا القيام كان في هُنَا الرُّجُوعُ إِلَى التِّجَارَةِ لِمَا أَنَّهَا أَهَمُّ إِلَيْهِمْ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَتَرَكُوكَ قائِماً اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ هَذَا الْقِيَامَ كَانَ فِي الْخُطْبَةِ لِلْجُمُعَةِ ))([[377]](#footnote-377)) .

55ـ الإدبار : تشبيه للدلالة على التغافل عن الأمر وتجاهله :

ـ أي يترك المتحدث يتحدث ويعطيه ظهره ( أي يدبر عنه ) ويتركه مبتعدا عنه ، والآيات في ذلك كثيرة منها : (( ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ))([[378]](#footnote-378)) ، (( تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ))([[379]](#footnote-379)) ، (( إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ))([[380]](#footnote-380)) .

56ـ اتخاذ الأمر ظهريا : تشبيه للدلالة على التغافل والتجاهل :

ـ ففي تفسير فتح القدير للشوكاني : (( { وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا } وَالضَّمِيرُ فِي { وَاتَّخَذْتُمُوهُ } رَاجِعٌ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَالْمَعْنَى: وَاتَّخَذْتُمُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِسَبَبِ عَدَمِ اعْتِدَادِكُمْ بِنَبِيِّهِ الَّذِي أَرْسَلَهُ إِلَيْكُمْ وَراءَكُمْ ظِهْرِيًّا أَيْ: مَنْبُوذًا وَرَاءَ الظَّهْرِ لَا تُبَالُونَ بِهِ ))([[381]](#footnote-381)) ، وفي تفسير أبي السعود : (( {وَرَاءكُمْ ظِهْرِيّاً} أي شيئاً منبوذاً وراء الظهر منسياً لا يبالى به ))([[382]](#footnote-382)) ، وفي تفسير السمرقندي : (( وقال الزجاج: معناه، اتخذتم أمر الله وَراءَكُمْ ظِهْرِيًّا أي: نبذتموه وراء ظهوركم- والعرب تقول لكل من لا يعبأ بأمره: قد جعل فلان هذا الأمر بظهره ، وقال الأخفش: وَراءَكُمْ ظِهْرِيًّا يقول: لم تلتفتوا إليه))([[383]](#footnote-383)) .

ـ وفي تفسير الطبري : (( { وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا } أي وكان الكافر على ربه هينا، من قول العرب: ظهرت به، فلم ألتفت إليه، إذا جعله خلف ظهره فلم يلتفت إليه ))([[384]](#footnote-384)) .

ـ وفي تفسير المراغي : (( { وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كأنهم لَا يَعْلَمُونَ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كأنهم لَا يَعْلَمُونَ } (فَنَبَذُوهُ وَراءَ ظُهُورِهِمْ) أي لم يبالوا به ولم يهتموا بشأنه، وقد كان من الواجب عليهم أن يجعلوه نصب أعينهم لا شيئا مهملا ملقى وراء الظهور لا ينظر إليه، ولا يفكّر في أمره ، فقد كان منهم الذين لا يستفيدون منه شيئا- ويحملونه كما يحمل الحمار الأسفار ))([[385]](#footnote-385)) .

57 ـ جعلوه كالمنبوذ وراء ظهورهم : أي تغافلوا عن الأمر وتجاهلوه :

ـ ففي تفسير السراج المنير : (( { وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } { وراء ظهورهم } أي : لم يعملوا بما فيها من الآيات بالرسل وغيره مًثل لإعراضهم عنه بالكلية بالإعراض عما يرمي به وراء الظهر لعدم الالتفات إليه { كأنهم لا يعلمون } ما فيها من أنه نبيّ حق أو فيه شك يعني أنّ علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا ))([[386]](#footnote-386)) .

ـ وفي تفسير فتح القدير : (( وَقَوْلُهُ : وَراءَ ظُهُورِهِمْ أَيْ: خَلْفَ ظُهُورِهِمْ، وَهُوَ مَثَلٌ يُضْرَبُ لِمَنْ يَسْتَخِفُّ بِالشَّيْءِ فَلَا يَعْمَلُ بِهِ، تَقُولُ الْعَرَبُ: اجْعَلْ هَذَا خَلْفَ ظَهْرِكَ، وَدُبُرَ أُذُنِكَ، وَتَحْتَ قَدَمِكَ أَيِ: اتْرُكْهُ وَأَعْرِضْ عَنْهُ ))([[387]](#footnote-387)) .

ـ وفي تفسير المراغي : (( { فَنَبَذُوهُ وَراءَ ظُهُورِهِمْ } أي لم يبالوا به ولم يهتموا بشأنه، وقد كان من الواجب عليهم أن يجعلوه نصب أعينهم لا شيئا مهملا ملقى وراء الظهور لا ينظر إليه، ولا يفكّر في أمره، فقد كان منهم الذين لا يستفيدون منه شيئا- ويحملونه كما يحمل الحمار الأسفار، ومنهم الذين يحرّفونه عن مواضعه، ومنهم الذين لا يعلمون منه إلا أماني يتمنونها وقراءات يقرؤونها ))([[388]](#footnote-388)) .

58 ـ يذر الأمر ( يتركه ) : تشبيه للدلالة على إهمال الأمر والتغافل عنه وتجاهله :

ـ (( كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (20) وَتَذَرُونَ الآخرة ))([[389]](#footnote-389)) ، (( إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ))([[390]](#footnote-390)) .

59ـ التشويش على المتحدث ( التحدث أثناء حديثه ) : تشبيه للدلالة على التغافل والتجاهل :

ـ أي يتشاغل بالكلام مع أحد آخر أو مع آخرين أثناء حديث المتكلم حتى يتداخل الكلام مع بعضه .

ـ ففي إعراب القرآن وبيانه : (( { لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ } أي أظهروا اللغو برفع الأصوات تخليطا وتشويشا عليه ))([[391]](#footnote-391)) .

60ـ الإعراض : تشبيه للدلالة على التغافل والتجاهل :

ـ الأعراض معناه أنه ترك المتحدث وأعرض عنه ، ففي أيسر التفاسير : (( { وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إلا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ } وما يأتي هؤلاء المُشركينَ ، الذين يُكَذِّبُونَكَ ، شيءٌ من عندِ اللهِ يُذَكِّرهُم بالدّينِ الحَقِّ ، إلا أعْرَضُوا عنِ اسْتِمَاعِهِ وتَرَكُوا إعْمَالَ الفِكْرِ فيهِ ، ولَمْ يُوَجِّهُوا هَمَّهُمْ إلى تَدَبُّرِهِ ))([[392]](#footnote-392)) .

ـ والإعراض ورد في آيات كثيرة منها : (( فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ))([[393]](#footnote-393)) ، (( قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (67) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ))([[394]](#footnote-394)) ، (( وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ))([[395]](#footnote-395)) ، (( وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ))([[396]](#footnote-396)) ، (( وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إلا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ))([[397]](#footnote-397)) .

61ـ الصدف ( الإعراض ) : تشبيه للدلالة على التغافل والتجاهل :

ـ ففي تفسير الماتريدي : (( { فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا }([[398]](#footnote-398)) أي أعرض عنها ))([[399]](#footnote-399)) .

62ـ الصد ( الإعراض ) : تشبيه للدلالة على التغافل والتجاهل :

ـ مضاد الإيمان هو الإعراض وليس عدم الاقتناع : (( فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ))([[400]](#footnote-400)) .

ـ (( وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ))([[401]](#footnote-401)) .

63ـ التولي : تشبيه للدلالة على التغافل والتجاهل :

ـ التولي معناه أنه ترك المتحدث وتولى عنه كما في قوله تعالى : (( وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ))([[402]](#footnote-402)) ، (( وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ))([[403]](#footnote-403)) ، (( فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا ))([[404]](#footnote-404)) .

64ـ النكوص ( الرجوع إلى الوراء ) : تشبيه للدلالة على التغافل والتجاهل :

ـ ابتعد عن المتحدث ونفر منه بالرجوع إلى الوراء ، ففي التفسير المنير : (( { قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ } أي إنه متى تليت عليكم آيات القرآن نفرتم منها وأعرضتم عن سماعها وعمن يتلوها ، كما يذهب الناكص ( الراجع ) على عقبيه ، بالرجوع إلى ورائه ، والمراد : أنهم يعرضون عن الحق ، فإذا دعوا أبوا ، وإن طلبوا امتنعوا ))([[405]](#footnote-405)) .

65ـ النفور ( الابتعاد ) : الابتعاد عن التذكير لأنه لا يريد أن يتذكر ويتدبر ، للدلالة على التغافل والتجاهل :

ـ ففي تفسير القرطبي : (( { وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا } ( وَما يَزِيدُهُمْ ) أَيِ التَّصْرِيفُ وَالتَّذْكِيرُ ، (إِلَّا نُفُوراً) أَيْ تَبَاعُدًا عَنِ الْحَقِّ وَغَفْلَةً عَنِ النَّظَرِ وَالِاعْتِبَارِ ))([[406]](#footnote-406)) ، وفي تفسير السمرقندي : (( { وَإِذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ } يعني: وحدانيته، قول لا إله إلا الله ، { وَلَّوْا عَلى أَدْبارِهِمْ نُفُوراً} أي أعرضوا تباعداً عن الإيمان ، وقال القتبي: ولوا على أعقابهم هرباً ))([[407]](#footnote-407)) .

ـ وفي تفسير فتح القدير : (( { أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ } بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ أَيْ: لَمْ يَتَأَثَّرُوا لِذَلِكَ، بَلْ تَمَادَوْا فِي عناد واستكبار عن الحقّ ونفور عنه، ولم يَعْتَبِرُوا، وَلَا تَفَكَّرُوا ))([[408]](#footnote-408)) .

ـ وفي تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية : (( {وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي القرءان وَحْدَهُ } أي إذا قلت لا إله إلا الله في القرءان {وَلَّوْاْ على أدبارهم نُفُوراً} أي: انفضوا عنك وذهبوا نفوراً من قولك واستعظاماً من توحيد الله جل ذكره ))([[409]](#footnote-409)) .

66ـ الاشمئزاز : لا يطيق سماع الأمر فينفر منه متغافلا عنه ومتجاهلا له :

ـ (( وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخرة وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ))([[410]](#footnote-410)) .

67ـ السمود أي يرفع رأسه لأعلى كأنه يبحث عن شيء في السماء ، ولا شيء ( كأنه يتغافل عن من يتحدث إليه ) : تشبيه للدلالة على التغافل والتجاهل :

ـ ففي التفسير القرآني للقرآن : (( « وَأَنْتُمْ سامِدُونَ » أي وأنتم غافلون في صلف وكبر ، والسامد هو البعير الذي يرفع رأسه كأنه يبحث عن شيء في السماء ، ولا شيء ! .. ))([[411]](#footnote-411)) .

68ـ يرفع رأسه إلى أعلى ويثبتها على ذلك حتى لا ينظر إلى المتحدث : تشبيه للدلالة على التغافل والتجاهل :

ـ ففي أيسر التفاسير للجزائري : (( { إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا } أي جعلنا أيديهم مشدودة إلى أعناقهم بالأغلال { فهي إلى الأذقان } أي أيديهم مجموعة إلى أذقانهم ، والأذقان جمع ذقن وهو مجمع اللحيين { فهم مقمحون } أي رافعو رؤوسهم لا يستطيعون خفضها ))([[412]](#footnote-412)) .

ـ وفي التفسير القرآني للقرآن : (( لقد جعل الله «فِي أَعْناقِهِمْ أَغْلالًا» أي أطواقا من حديد، أشبه بالقلادة، تطوق بها أعناقهم ، «فَهِيَ إِلَى الْأَذْقانِ» أي وهذه الأغلال أو القلائد تشتمل على العنق كله ، حتى لتصل إلى الأذقان ، «فَهُمْ مُقْمَحُونَ» أي مشدود والرءوس إلى أعلى فهم لا يستطيعون أن يحركوا رءوسهم يمينا أو شمالا أو إلى تحت أو فوق ، والصورة التي تبدو ممن طوّق بهذا الطوق أنه تمثال جامد ))([[413]](#footnote-413)) .

69ـ يغلق عقله بأن يضع على عقله غطاء ( أكنة ) : تشبيه للدلالة على أنه لا يعرض الأمر على عقله ، فلا يفكر في الأمر ولا يتصور قيمته :

ـ ففي تفسير ابن كثير : (( { إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ } أَيْ : قُلُوبِ هَؤُلَاءِ {أَكِنَّةً} أَيْ: أَغْطِيَةً وَغِشَاوَةً، {أَنْ يَفْقَهُوهُ} أَيْ: لِئَلَّا يَفْهَمُوا ))([[414]](#footnote-414)) ، وفي تفسير زاد المسير : (( { وَقالُوا قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ } أي: في أغطية فلا نفقه قولك. ))([[415]](#footnote-415)) .

70ـ الكفر : الكفر في اللغة معناه وضع على نفسه أو على عقله غطاء حجبه وستره عن الحق ، أي رفض أن يتصور الأمر :

ـ الكفار الذين يعبدون الأصنام ويكذبون بالبعث ويأتون بالحجج الواهية على أنهم على الحق ، هم في الحقيقة عندهم يقين نظري بربوبية الله وعندهم يقين نظري بتوحيد الله وعندهم أيضا يقين نظري بألوهية الله ، فهم يعلمون بأن الإله لابد أن يعبد ويعلمون أنه لابد أن يخضعوا لله ويعلمون أنه لابد أن يطيعوا الله ، فهم يوقنون نظريا بكل شيء في الدين ، لكنهم لا يحبون الخضوع ويريدون أن يعيشوا معيشة الحر الذي يفعل ما يشاء وليس معيشة العبد لسيده ، وهم لا يستطيعون أن يقنعوا أنفسهم بأن الدين باطل ، وبالتالي يلجأوا إلى حيلة الهروب من الدين ، فهم لا يبتعدوا عن الدين لأنهم ضد الدين فيرونه خطأ ، وإنما لا يريدون الخضوع ويريدون الشهوات فيهربون من الدين ويتناسونه ولا يفكرون فيه ، ويشغلون عقولهم بغير ذلك حتى يأتيهم الموت .

ـ فالكفر معناه أنه وضع ساترا أو غطاءا بينه وبين المتحدث ، أي وضع ساترا أو غطاءا بينه وبين الله أو بينه وبين الحق أو بينه وبين الدين ، فكلمة "الكفر" في اللغة معناها الستر أو الغطاء وليس معناها رفض الدين بعدم الاقتناع به ، ففي أساس البلاغة : (( كفر الشيء وكفّره: غطّاه، يقال: كفر السحاب السماء، وكفر المتاع في الوعاء، وكفر الليل بظلامه، وليل كافر ، ولبس كافر الدروع وهو ثوب يلبس فوقها ، وكفرت الريح الرّسم، والفلاح الحب، ومنه قيل للزرّاع: الكفار ))([[416]](#footnote-416)) ، وفي المغرب في ترتيب المعرب : (( ( الْكَفْرُ ) فِي الْأَصْلِ السَّتْرُ يُقَالُ كَفَرَهُ وَكَفَّرَهُ إذَا سَتَرَهُ ))([[417]](#footnote-417)) ، وفي شرح سنن أبي داود للعباد : (( وأصل الكفر: الستر، ويقال: سمي الكافر كافراً لستره نعمة الله عليه، أو لستره على نفسه شواهد ربوبية الله ودلائل توحيده ))([[418]](#footnote-418)) .

71ـ وضع حاجز بين المتحدث والسامع حتى لا يصل الكلام ( إشارة إلى التغافل عن كلام المتحدث ) : تشبيه للدلالة على التغافل والتجاهل :

ـ ـ ففي أيسر التفاسير : (( { وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ } أي مانع وفاصل بيننا فلا نسمع ما تقول ولا نرى ما تفعل ))([[419]](#footnote-419)) .وفي أيسر التفاسير أيضا : (( { وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخرة حِجَابًا مَسْتُورًا } أي ساتراً لهم فلا يسمعون كلام الله تعالى ))([[420]](#footnote-420)) .

72 ـ المشاقة : تشبيه للدلالة على التغافل والتجاهل :

ـ أي جعل بينه وبين المتحدث فاصل فأحدهما في جانب والآخر في جانب آخر فأحدهما يتكلم في وادي والآخر في وادي آخر ، ففي التفسير المنير : (( { شاقوا الله ورسوله } أي عادوهما وخالفوهما، فساروا في شق أو جانب وتركوا الشرع والإيمان به واتباعه في شق آخر ))([[421]](#footnote-421)) .

73ـ الفرار : تشبيه للدلالة على التغافل والتجاهل :

ـ التشبيه بالحمار الوحشي حين يفر الأسد : ففي صفوة التفاسير : (( { فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (49) كأنهم حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (50) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ }([[422]](#footnote-422)) { كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ } أي كأن هؤلاء الكفار حمر وحشية نافرة وشاردة { فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ } أي هربت ونفرت من الأسد من شدة الفزع ، قال في البحر : شبههم تعالى بالحمر النافرة مذمة لهم وتهجيناً ، وقال ابن عباس : الحمر الوحشية إِذا عاينت الأسد هربت، كذلك هؤلاء المشركون إِذا رأوا محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم َ هربوا منه كما يهرب الحمار من الأسد ))([[423]](#footnote-423)) .

ـ وهم يفرون من الموت رغم أنهم موقنون به لأن الموت يعني ضعفهم وقوة من يقدر عليهم فيميتهم ، فالموت يأمرهم بالخضوع لذلك يفرون منه : (( قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فإنه مُلَاقِيكُمْ ))([[424]](#footnote-424)) ، فكذلك يفرون من الله والآخرة وكل ما يأمرهم بالخضوع .

74ـ يهرب ويحيد : تشبيه للدلالة على التغافل والتجاهل :

ـ ففي تفسير السمعاني : (( { وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ } أَي : تَفِر وتهرب ، وَيسْتَحب لِلْمُؤمنِ حب الْمَوْت؛ لِأَنَّهُ بِهِ يستخلص من الأوزار، ويصل إِلَى محبوبه إِن قدر لَهُ خير ، وَعَن بعض السّلف : لَا يكره الْمَوْت إِلَّا مريب. وَإِنَّمَا كره تمني الْمَوْت بضر نزل بِهِ على مَا فِي الْخَبَر ، فَأَما إِذا تمنى الْمَوْت ليستخلص من الدُّنْيَا وفتنها وشوقا إِلَى لِقَاء ربه فَهُوَ مَحْبُوب ))([[425]](#footnote-425)) .

75ـ ثني الصدر ( يطأطئ رأسه ويميله فوق صدره ليستخفي من المتحدث إليه كأنه منشغل بأمر آخر غير المتحدث ) : للدلالة على التغافل والتجاهل :

ـ ففي أيسر التفاسير : (( وقوله تعالى : { ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه } هذا النوع من السلوك الشائن الغبي كان بعضهم يثني صدره أي يطأطئ رأسه ويميله على صدره حتى لا يراه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبعضهم يفعل ذلك ظناً منه أنه يخفي نفسه عن الله تعالى وهذا نهاية الجهل ، وبعضهم يفعل ذلك بغضاً للرسول صلى الله عليه وسلم حتى لا يراه فرد تعالى هذا بقوله : { ألا حين يستغشون ثيابهم } أي يتغطون بها ))([[426]](#footnote-426)) .

76 ـ الانسلاخ ( خرج من العلم ) : تشبيه للدلالة على التغافل عن العلم كأنه لم يسمع عنه أصلا :

ـ الإنسان يترك العلم إما بالإتيان بالأدلة التي تثبت بطلانه أو بتناسيه وتجاهله والتغافل عنه ، فهو لم يرفض العلم لأنه لم يقتنع به ولكنه هرب منه وتغافل عنه كأن الله لم يؤتيه علما فانشغل بالدنيا وشهواتها متلهيا عن هذا العلم ، فلا تنفع معه موعظة سواء وعظته أم لا لأنه يتعامل مع الموعظة كأنه لم يسمعها : (( وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ))([[427]](#footnote-427)) .

77 ـ الهجر : تشبيه للدلالة على التغافل كأنه ابتعد عن الأمر تماما ولم يرجع اليه :

ـ ففي تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية : (( { وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا } وقال ابن زيد : مهجوراً : أي لا يريدون أن يسمعوه ، أي هجروه وأعرضوا عنه فلا يسمعونه ))([[428]](#footnote-428)) ، وفي أيسر التفاسير للجزائري : (( { مهجوراً } أي شيئاً متروكاً لا يلفت إليه ))([[429]](#footnote-429)) .

78ـ التفلت : تشبيه للدلالة على التغافل والتجاهل :

ـ والتفلت كما في الحديث : (( مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارا فجعل الفراش والجنادب يقعن فيها وهو يذبهن عنها وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي ))([[430]](#footnote-430)) .

79ـ العناد والإصرار والجحود : أي منع الذهن من تصور الأمر وتدبره أي التغافل عن الأمر وتجاهله :

ـ الإنسان إما أن يرفض الأمر بما عنده من دليل أو يرفضه عنادا عن طريق التغافل والتجاهل :

ـ ففي تفسير مراح لبيد : (( { كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا } كانَ لِآياتِنا الدالة على التوحيد والقدرة والعدل وصحة النبوة وصحة البعث عَنِيداً ، أي رادا وهو يعرفها بقلبه وينكرها بلسانه ))([[431]](#footnote-431)) ، وفي تفسير البحر المحيط : (( وقال قتادة والسدي : { لا يُكَذِّبُونَكَ } بحجة وإنما هو تكذيب عناد وبهت ))([[432]](#footnote-432)) ، وفي تفسير التسهيل لعلوم التنزيل : (( { فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ } من قرأ بالتشديد فالمعنى : لا يكذبونك معتقدين لكذبك ، وإنما هم يجحدون بالحق مع علمهم به ))([[433]](#footnote-433)) .

ـ والإصرار كما في قوله تعالى : (( وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ))([[434]](#footnote-434)) .

80 ـ الاحتقار : تصور الأمر على أنه تافه لا قيمة له ( تجاهل الأمر ) :

ـ هذا الاحتقار قد يكون تصورا في الذهن أي ينظر إلى الأمر نظرة احتقار إهمالا له ، وقد يكون بالكلام والفعل ، واذا كان الإنسان في مجتمع يلومه ويزجره إذا احتقر بكلامه وفعله فإنه يمتنع مع بقاء الاحتقار الذي في ذهنه ونظرته للأمور :

(( ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ))([[435]](#footnote-435)) .

81 ـ عدم الاتعاظ والاعتبار : للدلالة على منع ذهنه من تصور الأمر وتدبره أي تغافل عنه وتجاهله :

ـ هو أغلق عقله بمنع ذهنه من تصور وتدبر حقيقة الأمر وإن رأى الآيات بعينه : (( وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ))([[436]](#footnote-436)) ، (( وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (14) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ))([[437]](#footnote-437)) ، (( وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ))([[438]](#footnote-438)) ، (( وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ))([[439]](#footnote-439)) .

ـ فهو مهما رأى من الآيات فلن تغني عنه شيئا وهناك علماء صعدوا الفضاء واكتشفوا فيه الكثير ولم يغني ذلك عنهم شيئا ، ولو رأى معجزات الرسل بعينه لن تغني عنه شيئا ، فلن يتعظ بأي شيء .

82 ــ عدم التدبر : أي عدم التصور لحقيقة الأمر أي التغافل عنه وتجاهله :

ـ (( أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ))([[440]](#footnote-440)) ، (( أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ))([[441]](#footnote-441)) .

83 ـ عدم التفكر : أي عدم التصور لحقيقة الأمر أي التغافل عنه وتجاهله :

ـ (( فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ))([[442]](#footnote-442)) ، (( أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إلا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ))([[443]](#footnote-443)) .

ـ وورد في القرآن عبارة ( أَوَلَمْ يَرَوْا ) اثنى عشر مرة ، وعبارة ( أَفَلَمْ يَرَوْا ) مرة واحدة ، وعبارة ( أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ) أربعة مرات ، كما وردت عبارات ( أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ) ، ( أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ) ، ( أَفَلَا يَنْظُرُونَ ) ، ( أَفَلَمْ يَنْظُرُوا ) ، ( أَوَلَمْ يَنْظُرُوا ) .

84 ـ عدم التذكر : أي عدم التصور لحقيقة الأمر أي التغافل عنه وتجاهله :

ـ ففي صفوة التفاسير : (( { أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر } أي أولم نترككم ونمهلكم في الدنيا ، عمرا مديدا ، يكفي لأن يتذكر فيه من يريد التذكر والتفكر ؟ فماذا صنعتم في هذه المدة التي عشتموها ؟ وما لكم تطلبون عمرا آخر ؟ ))([[444]](#footnote-444)) .

ـ وورد في القرآن عبارة ( أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ) ستة مرات ، وعبارة ( أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ) مرتان ، كما وردت عبارات

ـ عبارات التفكر والتذكر والتدبر والتأمل ليست مسألة معرفية وإنما مسألة تصور ، فمثلا الذي يتفكر ليس أمامه سوى أرض وسماء ولا يحتاج إلى مزيد من معلومات فهو يتصور معنى هذا الكون ويتصور مدى قدرة من أوجده ويتصور حقيقة قدرة الإنسان الضعيف أمام قدرة من أوجد هذا الكون ، والتذكر معناه أن هناك معلومات سابقة عند الإنسان ولا يحتاج لمزيد من المعلومات ، وإنما عليه تصور حقيقة المعلومات التي يعرفها ، وهكذا التدبر والتأمل .

85 ـ إفساد وظائف السمع والبصر والعقل : يتغافل عن ما يسمعه وما يراه وما يعقله فهو بذلك يعطل السمع والبصر والعقل :

ـ السمع والبصر والعقل هي وسائل يستخدمها الإنسان من أجل تصور حقيقة الأشياء ، فإذا لم يتصور الإنسان حقيقة الأشياء ووجه تصوره إلى ظاهر الأشياء فقد أضاع الفائدة من السمع والبصر والعقل .

ـ ففي تفسير أبي السعود : (( { وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وأبصارا وَأَفْئِدَةً } ليستعملُوهَا فيمَا خُلقتْ لهُ ويعرفُوا بكلَ منَها ما نِيطتْ بهِ معرفتُه من فنونِ النعمِ ويستدلُّوا بها على شؤونِ منعمِها عزَّ وجلَّ ويداومُوا على شُكرِه ، { فَمَا أغنى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ } حيثُ لم يستعملُوه في استماعِ الوَحي ومواعظِ الرسلِ .{ وَلاَ أبصارهم } حيثُ لم يجتلُوا بها الآياتِ التكوينيةَ المنصوبةَ في صحائفِ العالمِ . { وَلاَ أَفْئِدَتُهُمْ } حيثُ لم يستعملُوها في معرفةِ الله تعالَى ))([[445]](#footnote-445)) .

ـ وفي صفوة التفاسير : (( { وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة } أي خلق لكم هذه الحواس لتسمعوا وتبصروا وتفقهوا ، وفيه توبيخ للمشركين حيث لم يصرفوا النعم في مصارفها ، لأن السمع خلق ليسمع به الإنسان ما يرشده ، والبصر ليشاهد به الآيات الكونية في الآفاق ، والعقل ليتأمل به في مصنوعات الله وباهر قدرته ، فمن لم يصرف تلك النعم في مصارفها ، فهو بمنزلة فاقدِها ، كما قال تعالى : { فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء } ))([[446]](#footnote-446)) .

ـ وفي تفسير الخازن : (( { وَجَعَلْنا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصاراً وَأَفْئِدَةً } يعني إنا أعطيناهم هذه الحواس ليستعملوها فيما ينفعهم في أمر الدين فما استعملوها إلا في طلب الدنيا ولذاتها فلا جرم فَما أَغْنى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ ))([[447]](#footnote-447)) .

ـ وفي تفسير الرازي : (( { وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَة } والمعنى أنا فتحنا عليهم أبواب النعم وأعطيناهم سمعاً فما استعملوه في سماع الدلائل وأعطيناهم أبصاراً فما استعملوها في تأمل العبر وأعطيناهم أفئدة فما استعملوها في طلب معرفة الله تعالى بل صرفوا كل هذه القوى إلى طلب الدنيا ولذاتها فلا جرم ما أغنى سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من عذاب الله شيئاً ))([[448]](#footnote-448)) .

ـ وفي تفسير البغوي : (( { يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } يعني : أمر معاشهم ، كيف يكتسبون ويتجرون ، ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون ، وكيف يبنون ويعيشون ، قال الحسن : إن أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه ولا يخطئ وهو لا يحسن يصلي ، { وَهُمْ عَنِ الآخرة هُمْ غَافِلُونَ } ساهون عنها جاهلون بها ، لا يتفكرون فيها ولا يعملون لها ))([[449]](#footnote-449)) ، وفي تفسير الشيخ المراغى : (( ( ذلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ) أي إن منتهى علمهم أن يتفهموا شئون الحياة الدنيا ، ويتمتعوا باللذات ، ويتصرفوا في التجارات ، ليحصلوا على ما يكون لهم فيها من بسطة في المال ، وسعة في الرزق ، ويكونوا ممن يشار إليهم بالبنان ، وما به يذكرون لدى الناس ، ولا يعنون بما وراء ذلك ، فشئون الآخرة دبر أذنهم ، ووراء ظهورهم ، لا يعرفون منها قبيلا من دبير ))([[450]](#footnote-450)) .

ـ وفي تفسير زاد المسير : (( { أنهم كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ } [الأعراف : 64] قال ابن عباس : عميت قلوبهم عن معرفة الله وقدرته وشدة بطشه ))([[451]](#footnote-451)) ، وفي تفسير الطبري : (( ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن قُدرة الله فيها وحججه ، فهو في الآخرة أعمى ))([[452]](#footnote-452)) ، وفي أيسر التفاسير : (( { فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ } أي ذكر بمظاهر قدرتنا وآياتنا في الآفاق وآلائنا على العباد إنما أنت مذكر ليس غير ))([[453]](#footnote-453)) .

ـ السبب في أن الله خلق كل هذه السماوات الهائلة والأرض وأنزل الوحي من السماء إلى الأرض هو أن نعلم مدى قدرته الهائلة جدا ومدى علمه الهائل جدا فنخضع لقدرته وعلمه الهائل : (( اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأمر بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ))([[454]](#footnote-454)) .

86 ـ التشبيه بالحمار : في أنه لا يتصور خطورة وأهمية ما يحمله :

ـ ففي تفسير عبد الرزاق : (( { كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا } [الجمعة: 5] قَالَ: « مَثَلُ الْحِمَارِ يَحْمِلُ كُتُبًا لَا يَدْرِي مَا عَلَى ظَهْرِهِ » ))([[455]](#footnote-455)) ، وفي تفسير مجاهد : (( كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ كُتُبًا لَا يَدْرِي مَا فِيهَا، وَلَا يَعْقِلُهَا ))([[456]](#footnote-456)) .

87 ـ التشبيه بالبهائم : في أنها لا تعقل وفي أنها لا هم لها إلا الطعام والشراب والجماع :

ـ (( أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أو يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إلا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ))([[457]](#footnote-457)) ، (( أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ))([[458]](#footnote-458)) .

ـ وفي تفسير زاد المسير : (( { وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ } أي: إِن الأنعام تأكُل وتشرب، ولا تَدري ما في غدٍ، فكذلك الكفار لا يلتفتون إِلى الآخرة. ))([[459]](#footnote-459)) .

88 ـ التشبيه بالكلب : في أنه أغلق عقله فلا يقبل الوعظ ، فإذا وعظته أو لم تعظه فكلاهما سواء :

ـ كما في قوله : (( مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ))([[460]](#footnote-460)) ، ـ ففي تفسير الهداية : (( { فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكلب } أي مثله إذ لم ينتفع بما أُوتي مثل الكلب الذي لا ينتفع بترك الحمل عليه ، هو يلهث على كل حال ، فكذلك هذا ، هو ضال على كل حال ، لا ينتفع بما أوتي من الآيات ، كما لم ينتفع الكلب بترك الحمل عليه ، وقيل : إن هذا مثل من يتلو كتاب الله عز وجل ، ولا يعمل به ، هو مثل الكلب لا ينتفع بترك الحمل عليه ، ولا يترك اللهث ، كذلك هذا لا ينتفع بقراءة كتاب الله عز و جل فيعمل ، هو مثل من لا يقرأه ولا يعمل به ، ومعنى {تَحْمِلْ عَلَيْهِ} تطرده وتشرده ، فهو يلهث طردته ، وكان الحسن يقول : هو المنافق ))([[461]](#footnote-461)) ، وفي تفسير السراج المنير : (( { كمثل الكلب } أي : كمثله في أخس أوصافه وهو { إن تحمل عليه } أي : بالطرد والزجر { يلهث } أي : يدلع لسانه {أو} إن {تتركه يلهث} فهو يلهث دائماً سواء حمل عليه بالزجر والطرد أو ترك ، وليس غيره من الحيوان كذلك ، قيل : كل شيء يلهث إنما يلهث من إعياء أو عطش إلا الكلب ، فإنه يلهث في حال الكلال والراحة ؛ لأنّ اللهث طبيعة أصلية فيه ، فكذلك حال من كذب بآيات الله إن وعظته فهو ضال ، وإن تركته فهو ضال ، وكذلك حال الحريص على الدنيا إن وعظته فهو حريص لا يقبل الوعظ ولا ينجع فيه ، وإن تركته ولم تعظه فهو حريص أيضاً ؛ لأنّ الحرص على طلب الدنيا صار طبيعة له لازمة كما أن اللهث طبيعة لازمة للكلب ))([[462]](#footnote-462)) .

ـ وفي تفسير المنتخب : (( { أمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أو يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إلا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا } .. وهل تظن أن أكثرهم يسمعون سماع الفهم أو يهتدون بعقولهم؟! لقد نفذوا ما تأمرهم به أحلامهم ، وصاروا كالبهائم لا همّ لهم إلا الأكل والشرب ومتاع الحياة الدنيا ، ولا تفكير لهم فيما وراء ذلك ، بل هم شر مكاناً من البهائم ، فالبهائم تنقاد لأصحابها إلى ما فيه خيرها ، وتنأى عما يضرها ، وهؤلاء يلقون بأنفسهم فيما يهلكهم ))([[463]](#footnote-463)) .

89 ـ التشبيه بالخشب في قلة الفهم ( أي كالجمادات لا تعي ولا تحس ) :

ـ ففي تفسير ابن جزي : (( { كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ } شبههم بالخشب في قلة أفهامهم ، فكان لهم منظر بلا مخبر ))([[464]](#footnote-464)) ، وفي تفسير اللباب : (( شبههم بخشب مسندة إلى الحائطِ لا يسمعون ولا يعقلون أشباحٌ بلا أرواحٍ ، وأجسامٌ بلا أحلامٍ ))([[465]](#footnote-465)) ، وفي التفسير الحديث : (( كأنهم خشب مسندة : تعبير تنديدي يراد به وصفهم بفقد العقل والروح رغم ما هم عليه من الجسامة والوسامة اللتين تعجب الناظر فكأنهم أخشاب مسندة بالدعائم ))([[466]](#footnote-466)) .

90 ـ عدم المبالاة وعدم الاهتمام : أي التغافل والتجاهل :

ـ ففي أضواء البيان : (( { وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ } فَقَوْلُهُ تَعَالَى عَنْهُمْ : { مَاذَا قَالَ آنِفًا } يَدُلُّ عَلَى أنهم مَا كَانُوا يُبَالُونَ بِمَا يَتْلُو عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنَ الْآيَاتِ وَالْهُدَى ))([[467]](#footnote-467)) ، وفي تفسير الخازن : (( قوله تعالى : { وَمِنْهُمْ } يعني ومن هؤلاء الكفار { مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ } وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاونا به وتغافلا عنه ))([[468]](#footnote-468)) ، وفي تفسير الشعراوي : (( وقولهم : { مَاذَا قَالَ آنِفاً . . } دليل على عدم اهتمامهم بالقرآن ، وأنه شيء لا يُؤْبَهُ له ))([[469]](#footnote-469)) .

ـ فهم يستمعون إلى الأمر وهم لاهون يفكرون في أمور دنياهم متشاغلين عن الأمر : (( اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (1) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (2) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ))([[470]](#footnote-470)) .

91 ـ لم يهتم بالأمر : تغافل عن الأمر ولم يتصور خطورته :

ـ ففي الحديث : (( إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء النجاء ، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق ))([[471]](#footnote-471)) ، فلم يهتموا أو يبالوا بالأمر رغم أنهم صدقوه .

92 ـ عدم تأثر المشاعر : دليل على التغافل :

ـ عدم تأثر المشاعر بشيء ما دليل على أن ذلك الأمر إما أنه تافه أو أنه هام ولكن لا يعرفه أو يعرفه ولكن يتغافل عنه ، فعدم تأثر المشاعر بالله والآخرة مع معرفة وجود الله وصفاته ومعرفة الآخرة دليل على التغافل عن الله والآخرة .

ـ عدم تأثر المشاعر بالمتحدث أو بكلامه أو بالأمور المذكورة في كلامه ( المتحدث هو آيات الكون أو دعوة الرسل أو الرسل أو الرسول صلى الله عليه وسلم أو القرآن أو الدين أو الله سبحانه وتعالى ) دليل على عدم المبالاة به وبكلامه .

ـ معني أن شيئا ما لا تحبه ولا ترجوه ولا تخافه إذن هو في نظرك أمر غير مهم ، والأمر الغير مهم أمر غير خطير تأخذه علي سبيل الهزل وليس علي سبيل الجد ، والله يقول : (( إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ، وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ))([[472]](#footnote-472)) ، فإن الآخرة أمر خطير وقول فصل وأمر لا يحتمل التراخي والهزل .

ـ إن الشيء الذي لا تخافه ولا ترجوه ولا تحبه ولا تكرهه ولا تشعر تجاهه بأي شيء هو شيء لا قيمة له أو أنك فاقد العقل لا تشعر له بقيمة ، كما أن عدم الشعور بأي شيء تجاه الغيبيات معناه الغفلة والإعراض القلبي وإهمال الغيبيات ، ففي تفسير اللباب : (( { وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرحمن } أي يُعْرِض عن القرآن ، وقيل : يُعرض عن الله ، فلم يخفْ عقابه ولم يرجُ ثَوَابَه ))([[473]](#footnote-473)) .

ـ فالإنسان الذي لا يشعر إطلاقا بألم الخوف من مهابة النار أو بلذة الشوق إلى الجنة هو في حقيقة أمره لا يعرف شيء اسمه النار ولا شيء اسمه الجنة ، فهي في مشاعره أمور مثل الأمور التي لا تنفع ولا تضر فيقتنع بها فقط نظريا وليس يشعر بها ، فهو بذلك قد سلب خاصية الألم من النار وخاصية اللذة من الجنة فأصبحت أمور نظرية لا قيمة لها ، وكذلك إذا لم يشعر إطلاقا بشيء من ألم الخوف من مهابة الله أو شيء من لذة الحب لله فهو لا يعرف كلمة ( الله ) ، وإن كانت كلمات ( الله ) و( النار ) و( الجنة ) موجودة في الاقتناع واليقين التام لكنه يقين نظري ، وهي غير موجودة في شعور الإنسان ولا تتأثر بها مشاعره وهمومه وأهدافه وأمانيه .

93 ـ قسوة القلب ـ قلبه كالحجارة ( غير قابل للنقاش ) : يتعمد التغافل عن الأمر ويمنع نفسه من تصوره :

ـ لا فائدة من الكلام معه فلن يسمع ولن يغير من موقفه ورأيه أبدا ، فالحديد يمكن ان يتحول من شكل الى شكل بالنار والحجارة يمكن ان تتفتت ولكن هؤلاء لن يتغيروا أو يتحولوا أبدا مهما وعظتهم فقد أغلقوا عقولهم وافسدوها بعدم التصور لما يقوله المتكلم ، ففي تفسير التحرير والتنوير : (( { ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً } ... وَوَجْهُ تَفْضِيلِ تِلْكَ الْقُلُوبِ عَلَى الْحِجَارَةِ فِي الْقَسَاوَةِ أَنَّ الْقَسَاوَةَ الَّتِي اتَّصَفَتْ بِهَا الْقُلُوبُ مَعَ كَوْنِهَا نَوْعًا مُغَايِرًا لِنَوْعِ قَسَاوَةِ الْحِجَارَةِ قَدِ اشْتَرَكَا فِي جِنْسِ الْقَسَاوَةِ الرَّاجِعَةِ إِلَى مَعْنَى عَدَمِ قَبُولِ التَّحَوُّلِ كَمَا تَقَدَّمَ فَهَذِهِ الْقُلُوبُ قَسَاوَتُهَا عِنْدَ التَّمْحِيصِ أَشَدُّ مِنْ قَسَاوَةِ الْحِجَارَةِ لِأَنَّ الْحِجَارَةَ قَدْ يَعْتَرِيهَا التَّحَوُّلُ عَنْ صَلَابَتِهَا وَشِدَّتِهَا بِالتَّفَرُّقِ وَالتَّشَقُّقِ وَهَذِهِ الْقُلُوبُ لَمْ تُجْدِ فِيهَا مُحَاوَلَةٌ ))([[474]](#footnote-474)) .

ـ فليست المشكلة في أن يخطئ الإنسان ولكن المشكلة أنه يقاوم التغيير ولا يريد أن يشعر بأنه مخطئ ويثبت على ما اعتاد عليه فهذا هو العناد .

94 ـ العلم بالحق مع إنكاره دليل على وجود التغافل :

ـ الإنسان إما أن يجهل الأمر أو يعلمه أو يتغافل عنه ، فإذا كان الكفار يعلمون الحق ويوقنون به نظريا ثم هم ينكرونه يدل ذلك على أنهم يتغافلون عن ما هم يوقنون به نظريا في قرارة أنفسهم ، والأدلة على وجود العلم واليقين النظري عند الكفار والمنافقين بالفصل الثالث .

95 ـ عدم الترقب والانتظار للآخرة : أي عدم تصور حدوث الأخرة وتوقع حدوث الأخرة أي التغافل عن السفر إلى الآخرة :

ـ ففي تفسير أبي السعود : (( { وارجوا اليوم الآخر } أي توقَّعوه وما سيقعُ فيه من فُنون الأهوالِ وافعلُوا اليوم من الأعمالِ ما تأمنون غائلتَهُ ))([[475]](#footnote-475)) .

96 ـ عدم انشغال الهم بالآخرة :

ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( من جعل الهم هما واحدا كفاه الله هم دنياه ومن تشعبته الهموم لم يبال الله في أي أودية الدنيا هلك ))([[476]](#footnote-476)) ، وفي حديث آخر : (( من جعل الهموم هما واحدا هم المعاد كفاه الله سائر همومه ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك ))([[477]](#footnote-477)) .

97 ـ تلهي القلب : تغافل عن الأمر الهام بشغل همه بأي أمر آخر : انظر الفصل السابع .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

# الفصل السابع : تلهي القلب ( شغل الهم بالدنيا )

ـ التلهي نوعان هما :

1ـ تلهي القلب : وهو انشغال الهم بهموم الدنيا وابتعاده عن هم الآخرة ، أي الغفلة بالدنيا عن الموت والآخرة ولقاء الله تعالى ، فكلما انشغل الهم بالدنيا كلما ابتعد عن الآخرة والعكس صحيح .

ـ ففي تفسير القرطبي : (( { لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ } أَيْ سَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ، مُعْرِضَةً عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، مُتَشَاغِلَةً عَنِ التَّأَمُّلِ وَالْتَفَهُّمِ ، مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: لَهَيْتُ عَنْ ذِكْرِ الشَّيْءِ إِذَا تَرَكْتُهُ وَسَلَوْتُ عَنْهُ ))([[478]](#footnote-478)) .

2ـ تلهي الوقت : وهو استغراق العمر أو معظم الوقت في أعمال الدنيا ، فقد يعمل الإنسان ليلا ونهارا طول عمره لكسب الرزق مثلا .

ـ وتلهي الوقت قد يؤدي إلى تلهي القلب لذلك يقول تعالى : (( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ))([[479]](#footnote-479)) ،

ـ ما المشكلة في شغل الهم بالدنيا سواء بتعظيم متعها أو بتعظيم مشاكلها وآلامها أو باعتبارها تسلية ؟ ، وما المشكلة في أن يستغرق الإنسان عمره كله أو معظم وقته في متابعة أمور الرياضة أو أمور السياسة أو أخبار فلان وفلان أو مشاهدة التلفاز والأفلام والمسلسلات أو سماع الأغاني أو في أمور التسلية ؟ ، وهل يحاسب الإنسان على انشغال الهم ؟ ، يبدو الأمر في البداية كأنه لا علاقة له بالدين ، ولكن الأمر كالتالي :

ـ الإنسان يعلم أن الدنيا تافهة وأن الآخرة عظيمة القيمة ، وهذا معناه أن ينشغل همه بالآخرة ولا ينشغل بأمور الدنيا ، لكنه يريد الدنيا ولا يريد الآخرة فيتعمد شغل همه بأمور الدنيا ويتعمد إبعاد همه عن الآخرة .

ـ فذهن الإنسان كلما انشغل بالدنيا كلما ابتعد عن الآخرة والعكس صحيح .

ـ إذن هو يتغافل عن الموت والآخرة ولقاء الله بشغل همه بأي أمر آخر .

ـ الطبيعي أن ذهن الإنسان ينشغل بالأمر الهام ولا ينشغل بالأمر التافه ، فإذا أراد الإنسان أن يمنع ذهنه من تصور الأمر الهام ( معرفة الله والآخرة ) تعمد شغل همه بأي أمر آخر فشغل همه بأمور الدنيا .

ـ ففي تفسير البغوي : (( { يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } يعني : أمر معاشهم ، كيف يكتسبون ويتجرون ، ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون ، وكيف يبنون ويعيشون ، قال الحسن : إن أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه ولا يخطئ وهو لا يحسن يصلي { وَهُمْ عَنِ الآخرة هُمْ غَافِلُونَ } ساهون عنها جاهلون بها ، لا يتفكرون فيها ولا يعملون لها ))([[480]](#footnote-480)) .

ـ وفي تفسير البيضاوي : (( { ولكن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ } بأنواع النعم فاستغرقوا في الشهوات { حتى نَسُواْ الذكر } حتى غفلوا عن ذكرك أو التذكر لآلائك والتدبر في آياتك ))([[481]](#footnote-481)) .

ـ وفي تفسير فتح القدير : (( { ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر } .. والمعنى : ما أضللناهم ولكنك يا رب متعتهم ومتعت آباءهم بالنعم ووسعت عليهم الرزق وأطلت لهم العمر حتى غفلوا عن ذكرك ونسوا موعظتك والتدبر لكتابك والنظر في عجائب صنعك وغرائب مخلوقاتك ))([[482]](#footnote-482)) .

ـ وقد ينشغل الإنسان بالمال وجمعه حتى يشغله عن التفكير في حقائق الأشياء ومعرفة الخالق والآخرة ، ففي تفسير زاد المسير : (( قوله تعالى : { أما من استغنى } قال ابن عباس : استغنى عن الله وعن الإيمان بماله ))([[483]](#footnote-483)) ، وفي تفسير البحر المحيط : (( { أما من استغنى } : ظاهره من كان ذا ثروة وغنى ، وقال الكلبي : عن الله ، وقيل : عن الإيمان بالله ))([[484]](#footnote-484)) .

ـ وفي تفسير فتح القدير : (( قوله : { ألهاكم التكاثر } أي : شغلكم التكاثر بالأموال والأولاد ، والتفاخر بكثرتها ، والتغالب فيها ... وقال الحسن : معنى ألهاكم : أنساكم ))([[485]](#footnote-485)) .

ـ فقد يظل الإنسان منشغلا بالمال والأولاد وجمع الدنيا ، وتظل الدنيا تسرق منه عمره وهمه ومشاعره وأهدافه ثم يفاجئ بلحظة يذهب فيها للقاء الله تعالى لم يكن قد حمل لها هما أو تفكر فيها واستعدت لها نفسه ، وفي الحديث : (( عن مطرف عن أبيه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ ( ألهاكم التكاثر ) قال يقول ابن آدم مالي مالي ، قال وهل لك يا ابن آدم إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت ؟ ))([[486]](#footnote-486)) ، ومعنى ( حتى زرتم المقابر ) أي حتى دفنتم فيها ، وفي تفسير أضواء البيان : (( قوله تعالى : { كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ }، أي : لو تعلمون علم اليقين لما { أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ } ))([[487]](#footnote-487)) ، وفي تفسير ابن كثير : (( { إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ } [ التغابن : 15 ] أي : الإقبال عليه والتفرغ لعبادته خير لكم من اشتغالكم بهم والجمع لهم والشفقة المفرطة عليهم ))([[488]](#footnote-488)) .

ـ وفي تفسير البيضاوي : (( { وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرحمن } يتعام ويعرض عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات ))([[489]](#footnote-489)) .

ـ وفي تفسير القرطبي : (( قوله تعالى : ( لاهية قلوبهم ) أي ساهية قلوبهم ، معرضة عن ذكر الله ، متشاغلة عن التأمل والتفهم ، من قول العرب : لهيت عن ذكر الشيء إذا تركته وسلوت عنه ))([[490]](#footnote-490)) .

ـ وفي تفسير القرطبي : (( ومعنى { يلعبون } أي يلهون وقيل : يشتغلون فإن حمل تأويله على اللهو احتمل ما يلهو به وجهين : أحدهما : بلذاتهم ، الثاني : بسماع ما يتلى عليهم ، وإن حمل تأويله على الشغل احتمل ما يتشاغلون به وجهين : أحدهما : بالدنيا لأنها لعب كما قال الله تعالى : { إنما الحياة الدنيا لعب ولهو } [ محمد : 36 ] ، الثاني : يتشاغلون بالقدح فيه والاعتراض عليه قال الحسن : كلما جدد لهم الذكر استمروا على الجهل ))([[491]](#footnote-491)) .

ـ وفي تفسير النسفي : (( { ذَرْهُمْ } أمر إهانة أي اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم { يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ } بدنياهم { وَيُلْهِهِمُ الأمل } ويشغلهم أملهم وأمانيهم عن الإيمان { فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } سوء صنيعهم ، وفيه تنبيه على أن إيثار التلذذ والتنعم وما يؤدي إليه طول الأمل ليس من أخلاق المؤمنين ))([[492]](#footnote-492)) فالقضية في الأصل ليست عدم اقتناعهم وإنما انشغلوا عن الإيمان وتركوه كأنه أمرا ليس معروضا عليهم وكأنهم لم يسمعوا عنه ، كما ورد نسيان الآخرة بمعنى ترك الإيمان بها أي إهمال الأمر دون النظر فيه وليست مسألة عدم الاقتناع بها .

ـ وفي أيسر التفاسير : (( { أذهبتم طيباتكم في حياتكم } : أي يقال لهم أذهبتم طيباتكم باشتغالكم بملذاتكم في الدنيا ، { واستمتعتم بها } : أي تمتعتم بها في الحياة الدنيا ))([[493]](#footnote-493)) .

ـ وفي تفسير الكشف والبيان : (( { وَالَّذِينَ كَفَرُوا } محلّه رفع على الابتداء { يَتَمَتَّعُونَ } في الدُّنيا { وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الاْنْعَامُ } ليس لهم همّة إلا بطونهم ، وفروجهم ، وهم لاهون ساهون عمّا في غدهم ))([[494]](#footnote-494)) ، وفي تفسير بحر العلوم : (( { والذين كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ } يعني : يعيشون بما أعطوا في الدنيا ، { وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأنعام } ليس لهم هَمٌّ إلا الأكل ، والشرب والجماع ))([[495]](#footnote-495)) ، وفي تفسير الجلالين : (( وَاَلَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ" فِي الدُّنْيَا "وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُل الْأَنْعَام" أَيْ لَيْسَ لَهُمْ هَمّ إلا بُطُونهمْ وَفُرُوجهمْ وَلَا يَلْتَفِتُونَ إلى الآخرة ))([[496]](#footnote-496)) .

ـ وفي تفسير بحر العلوم : (( { ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ } يقول : اتركهم ، وخلّ عنهم يا محمد في الدنيا . يأكلوا ، ويتمتعوا ؛ يأكلوا كالأنعام ، ويتمتعوا بعيشهم في الدنيا ، لا تهمهم الآخرة ولا يعرفون ما في غد { وَيُلْهِهِمُ الأمل } يعني : يشغلهم الأمل الطويل عن الطاعة ، وعن ذكر الله تعالى . ويقال يشغلهم طول الأمل عن الطاعة ، وعن ذكر الأجل { فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } وهذا وعيد لهم أي يعرفون ما نزل بهم من العذاب والشدة يوم القيامة ))([[497]](#footnote-497)) ، وفي تفسير البغوي : (( وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ } في الدنيا ، { وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأنْعَامُ } ليس لهم همة إلا بطونهم وفروجهم ، وهم لاهون ساهون عما في غد ))([[498]](#footnote-498)) ، وفي تفسير الجلالين : (( وَاَلَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ" فِي الدُّنْيَا "وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُل الْأَنْعَام" أَيْ لَيْسَ لَهُمْ هَمّ إلا بُطُونهمْ وَفُرُوجهمْ وَلَا يَلْتَفِتُونَ إلى الآخرة ))([[499]](#footnote-499)) .

ـ وفي تفسير البحر المديد : (( { وتركتم ما خولناكم } أي : تفضَّلنا به عليكم من الدنيا فشُغلتم به عن الآخرة ))([[500]](#footnote-500)) .

وفي تفسير الطبري : (( عن مجاهد في قوله ( إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ) قال : بذكر الآخرة فليس لهم همّ غيرها ))([[501]](#footnote-501)) ، وفي تفسير بحر العلوم للسمرقندي : (( قوله عز وجل : { إِنَّا أخلصناهم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدار } يعني : اختصصناهم بذكر الله تعالى ، وبذكر الجنة ، وليس لهم همّ إلا همّ الآخرة ))([[502]](#footnote-502)) .

ـ وفي التفسير القرآني للقرآن : (( { ذلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ } أي ذلك الذي يعيش فيه المشركون ، من إعراض عن ذكر اللّه ، وعن الخشية من لقائه يوم القيامة ، واستفراغ وجودهم كله في الحياة الدنيا ـ هو غاية علمهم الذي حصّلوه بعقولهم الفاسدة ، فهم إنما كان همّهم كله منصرفا إلى الحياة الدنيا ، فوجهوا عقولهم إليها ، وحصلوا من العلم ما يصلهم بهذه الحياة ، ويمكن لهم فيها ، وهو علم تافه يمسك بالقشور من حقائق الأشياء ، ولا ينفذ إلى صميمها ولبابها ، ولو أن علمهم بالحياة الدنيا كان علما قائما على فهم صحيح وإدراك سليم لكان لهم من هذا العلم سبيل إلى الإيمان باللّه واليوم الآخر : « يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ عَنِ الآخرة هُمْ غافِلُونَ » ))([[503]](#footnote-503)) .

ـ وفي التفسير المنير للزحيلي : (( { فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنا وَلَمْ يُرِدْ إلا الْحَياةَ الدُّنْيا } أي فأعرض أيها الرسول عمن أعرض عن القرآن أو تذكير اللّه ، ولم يكن همّه إلا الدنيا ، وترك النظر إلى الآخرة ))([[504]](#footnote-504)) .

ـ وفي تفسير الشيخ المراغي : (( { ذلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ } أي إن منتهى علمهم أن يتفهموا شئون الحياة الدنيا ، ويتمتعوا باللذات ، ويتصرفوا في التجارات ، ليحصلوا على ما يكون لهم فيها من بسطة في المال ، وسعة في الرزق ، ويكونوا ممن يشار إليهم بالبنان ، وما به يذكرون لدى الناس ، ولا يعنون بما وراء ذلك ، فشئون الآخرة دبر أذنهم ، ووراء ظهورهم ، لا يعرفون منها قبيلا من دبير ))([[505]](#footnote-505)) .

ـ وفي التفسير القرآني للقرآن : (( { ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } ... فليدعهم وما اختاروا لأنفسهم من حياة ، كل همهم فيها أن يأكلوا ، ويتمتعوا ، ويتلهّوا بالآمال الكاذبة ، التي تقيم لهم من دنياهم تلك عالما من سراب تتراقص على أمواجه عرائس زائفة ينخدع لها الحمقى والسفهاء من الناس ويقطعون العمر في جري لاهث وراءها ! ، وفى قوله تعالى « فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ » تهديد ووعيد لهؤلاء المشركين ، الذين رضوا بهذه الحياة ، واطمأنوا بها ، وأذهبوا طيباتهم فيها ، واستهلكوا وجودهم في لذاذاتها الفانية ، أنهم في سكرة يعمهون ، فإذا جاء أجلهم صحوا من سكرتهم ووجدوا ما عملوا من سوء حاضرا بين أيديهم يقودهم إلى عذاب السعير ))([[506]](#footnote-506)) .

ـ وفي تفسير أبي السعود : (( { أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ } ، { وَهُمْ يَلْعَبُونَ } أي يلهُون من فرط الغفلةِ أو يشتغلون بما لا ينفعهم كأنهم يلعبون ))([[507]](#footnote-507)) .

ـ ومن صور التلهي بالدنيا كثرة التفكير في أمور الدنيا خاصة عندما تنقص أو تزيد ، وقد يشعر بالقلق والاكتئاب والأرق والضيق والكآبة عندما يفقد شيئا من أمور الدنيا ، وقد يؤدي ذلك إلى إصابته بمرض السكر وارتفاع ضغط الدم وقرحة المعدة وضعف المناعة وقد يؤدي ذلك إلى الوفاة حزنا على الدنيا ! .

ـ والتلهي لا يكون فقط بالشهوات أو بالسعي لها ولكن أيضا بالمشاكل الدنيوية والصراعات بين الناس ، ففي التفسير المنير : (( { ما يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ } أي ما ينتظرون للعذاب والقيامة إلا نفخة واحدة في الصور ، هي نفخة الفزع التي يموت بها جميع أهل الأرض فجأة ، وهم يختصمون فيما بينهم في البيع والشراء ونحوهما من أمور الدنيا أي وهم متشاغلون في شؤون الحياة من معاملة وحديث وطعام وشراب وغير ذلك ))([[508]](#footnote-508)) ، وفي تفسير السعدي : (( { وَهُمْ يَخِصِّمُونَ } أي : وهم لاهون عنها ، لم تخطر على قلوبهم في حال خصومتهم وتشاجرهم بينهم الذي لا يوجد في الغالب إلا وقت الغفلة ، وإذا أخذتهم وقت غفلتهم ، فإنهم لا ينظرون ولا يمهلون ))([[509]](#footnote-509)) .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

# الفصل الثامن : تصور معنى كلام الله

ـ كلام الله يطلق عليه : ( القرآن ) و( الذكر ) و( آيات الله ) .

ـ التعامل مع القرآن يكون من ناحيتين :

1ـ باعتباره كلام له معاني .

2ـ باعتباره كلام الله ( تصور عظمة الكلام ) .

ـ الفرق بين العلم بأن القرآن كلام الله وتصور معنى أن القرآن كلام الله تعالى :

ـ كل الناس يعلمون ويوقنون بأن القرآن هو كلام الله تعالى : (( فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ))([[510]](#footnote-510)) [ راجع الأدلة على وجود اليقين بالله والآخرة وبصدق دعوة الرسل بالفصل الثالث ] ، ولكنه عند البعض هو يقين كاذب فهم يرفضون الإيمان بأن القرآن كلام الله بطريقة التغافل ( عدم تصور خطورة كونه كلام الله تعالى ) .

ـ والتغافل عن القرآن يطلق عليه : ( الإعراض ) ، ( الغفلة ) ، ( النسيان ) ، ( الغمرة ) ، ( العمى ) ، ( الصدف ) ، ( التولي ) ، وقسوة القلب وعدم التدبر وعدم التعقل ، وهذه العبارات وردت في القرآن كالتالي :

1ـ التناسي كما في قوله : (( يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ ))([[511]](#footnote-511)) ، (( فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي ))([[512]](#footnote-512)) ، (( كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ))([[513]](#footnote-513)) ، (( وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ ))([[514]](#footnote-514))، (( اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ))([[515]](#footnote-515)) .

2ـ التغافل والغمرة([[516]](#footnote-516)) كما في قوله : (( وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ))([[517]](#footnote-517)) ، (( ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ))([[518]](#footnote-518)) ، (( وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا ))([[519]](#footnote-519)) ، (( بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا ))([[520]](#footnote-520)) .

3ـ التعامي كما في قوله تعالى : (( أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ))([[521]](#footnote-521)) ، (( وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ ))([[522]](#footnote-522)) .

4ـ الإعراض والصدف([[523]](#footnote-523)) : كما في قوله : (( وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ ))([[524]](#footnote-524)) ، (( وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ))([[525]](#footnote-525)) ، (( وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي ))([[526]](#footnote-526)) ، (( بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ))([[527]](#footnote-527)) ، (( وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (99) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ))([[528]](#footnote-528)) ، (( فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ))([[529]](#footnote-529)) .

5ـ التولي : كما قوله تعالى : (( فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا ))([[530]](#footnote-530)) ، (( وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ))([[531]](#footnote-531)) .

6ـ قسوة القلب : كما في قوله : (( أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ))([[532]](#footnote-532)) .

7ـ عدم التدبر : كما في قوله : (( أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ))([[533]](#footnote-533)) ، (( أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ))([[534]](#footnote-534)) .

8ـ عدم التعقل:(( وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ))([[535]](#footnote-535)) ، (( وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ))([[536]](#footnote-536)) ، (( الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ))([[537]](#footnote-537)) ، وقال الكفار لشعيب : (( مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ ))([[538]](#footnote-538)) مع أن شعيبًا خطيب الأنبياء ، (( مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ))([[539]](#footnote-539)) .

ـ فهم يسمعون القرآن أو يقرأونه ويفهمون معاني كلماته لكن لا يعقلونه ( غياب التصور والشعور بالقيمة وعدم شغل البال بالأمر ) ، فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (( وفي الصحيحين ... { ... ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مرٌّ ... }([[540]](#footnote-540)) . فهذا قارئ القرآن يسمعه الناس وينتفعون به وهو منافق ، وقد يكون مع ذلك عالمًا بتفسيره وإعرابه وأسباب نزوله ، إذ لا فرق بين حفظه لحروفه وحفظه لمعانيه، لكن فهم المعنى أقرب إلى أن ينتفع الرجل به، فيؤمن به ويحبه ويعمل به، ولكن قد يكون في القلب موانع من اتباع الأهواء والحسد والحرص والاستكبار، التي تَصُدُّ القلب عن اتباع الحق، قال تعالى: { إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (22) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ }([[541]](#footnote-541)) ، فهؤلاء لا خير فيهم يقبلون الحق به إذا فهموا القرآن، فهو سبحانه لا يُفهِمهم إياه، ولو علم فيهم خيرًا لأفهمهم إياه، ولمّا لم يكن فيهم خير فلو أفهمهم إياه لتولّوا وهم معرضون، فيحصل لهم نوع من الفهم الذي يعرفون به الحق، لكن ليس في قلوبهم قصدٌ للخير والحق وطلبٌ له، فلا يعملون بعلمهم ولا يتبعون الحق ))([[542]](#footnote-542)) .

ـ المقصود من النسيان أي التناسي : ففي تفسير ابن كثير : (( { قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى } أي : لما أعرضت عن آيات الله ، وعامَلْتها معاملة من لم يذكرها ، بعد بلاغها إليك تناسيتها وأعرضت عنها وأغفلتها ، كذلك نعاملك اليوم معاملة من ينساك { فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا } [ الأعراف : 51] فإن الجزاء من جنس العمل ))([[543]](#footnote-543))، وفي أيسر التفاسير : (( { وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إلا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ } وما يأتي هؤلاء المُشركينَ ، الذين يُكَذِّبُونَكَ ، شيءٌ من عندِ اللهِ يُذَكِّرهُم بالدّينِ الحَقِّ ، إلا أعْرَضُوا عنِ اسْتِمَاعِهِ وتَرَكُوا إعْمَالَ الفِكْرِ فيهِ ، ولَمْ يُوَجِّهُوا هَمَّهُمْ إلى تَدَبُّرِهِ ))([[544]](#footnote-544)) .

ـ مفهوم التغافل عن كلام الله تعالى :

ـ أي التغافل عن وصول كلام من الله للبشر ، أي التغافل عن وجود أوامر ونواهي وأخبار وصلت من الله للناس عن طريق رسله رغم العلم واليقين بذلك : (( وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ))([[545]](#footnote-545))، كأن الله موجود لكن لا علاقة له بالبشر وهم يفعلون ما يشاءون ،

ـ نحن نعرف البعث والآخرة عن طريق ما أخبر الله تعالى ، وطالما حدث التغافل عن نزول هذا الخبر من الله تعالى إذن يعيش الإنسان كأنه لا بعث ولا آخرة .

ـ المعاصي إما أن تنشأ من التغافل عن كلام الله ، أو تنشأ من ضعف اليقين بكلام الله ( ضعف اليقين بأن القرآن هو كلام الله تعالى .

ـ بماذا يشغل الإنسان همه ؟ :

ـ يجب أولا أن نعرف على أي أساس يشغل الإنسان همه ؟ :

ـ وظيفة الهم الطبيعية مصممة بحيث ينشغل الهم بالشيء الهام الخطير ولا ينشغل بالأمر التافه ، وينشغل أكثر بأخطر شيء ثم الأقل في الخطورة والأهمية وهكذا .

ـ إذن ما هو أخطر شيء في حياة الإنسان على الإطلاق ؟ : هما أمران على الترتيب :

1ـ نزول كلام الخالق إلى الناس :

ـ أخطر حدث على وجه البشرية هو أن بعض البشر سمعوا كلاما من خالق البشر وكلفهم الخالق بتوصيل هذه الرسالة إلى البشر جميعا ، وهؤلاء هم الرسل اختارهم الله لتوصيل كلامه إلى البشر .

ـ إذن أكبر حدث هو نزول كلام الخالق سبحانه وهو أكبر دليل على الخالق وفيه بيان السبب في خلق البشر وهو عبادة الله ، وفيه بيان بوجود الآخرة .

ـ وعدم شغل الهم بهذا الأمر وعدم الالتفات إلى مدى خطورته يطلق عليه الغفلة عن آيات الله وعن ذكر الله ، ويقصد به الغفلة عن خطورة كونه كلام الله .

2ـ الآيات الكونية ( معرفة الخالق من خلال الآيات الكونية ) :

ـ ثاني أهم شيء في حياة الإنسان هو آيات الله الكونية :

ـ أهم شيء يلفت نظر انتباه الإنسان حينما يجد نفسه على هذه الأرض هو وجوده نفسه ، من أوجده ولماذا أوجده ؟ ومن أوجد هذه الأشياء من حوله ؟ ومن الذي جعل هذه الكائنات تتحرك وتحيا ؟ وما هي حقيقة الشهوات وحقيقة الإنسان وحقيقة الموت .

ـ وهذا هو معرفة الخالق من خلال الآيات الكونية .

ـ وعبارة ( آيات الله ) تشمل الأمران معا ( كلام الله والآيات الكونية ) .

ـ تصحيح وظيفة الهم :

ـ إذا لم يشغل الإنسان همه بهذان الأمران : نزول كلام الله تعالى ( وما تضمنه من معرفة الخالق والآخرة والملائكة ) ومعرفة الخالق من خلال آيات الكون ، فهذا معناه وجود خلل أو مرض في وظيفة الهم : (( فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ))([[546]](#footnote-546)) .

ـ المرض هو أن الإنسان كل همه منشغل بالمال والشهوات وأمور الدنيا ومسئولياتها ومشاكلها ، والخطأ في ذلك أنه يوجه همه في جانب واحد من الأمر دون أن يوجه همه إلى حقيقة الأمر ، فالحل أن يشغل همه بحقيقة المال وماذا بعد الحصول عليه وحقيقة الشهوات سواء في ذاتها أو في مقارنتها بشهوات الجنة أو في مقارنتها بألم العقاب عليها ، وينظر في حقيقة أمور الدنيا ومشاغلها من حيث فناء الدنيا بمشاغلها ومشاكلها ومتعها فيكون كل ذلك أمر تافه لا يستحق أن يشغل الهم .

ـ لماذا لم ينشغل الهم بهذان الأمران رغم خطورتهما ؟ :

1ـ لأنه لم يتعامل مع الأمر كأنه يعلمه لأول مرة .

2ـ لأنه ينظر إلى ظاهر الدنيا وظاهر الشهوات وليس حقيقة الدنيا وحقيقة الشهوات .

ـ وفي الفصل الحادي عشر بيان للخلل في وظيفة الهم وشروط الهم السليم .

ـ الإنسان يعلم بوجود الخالق من خلال :

1ـ آيات الكون : وهي أدلة استنتاجية .

2ـ وصول كلام الخالق إلى البشر : وهو دليل قوي جدا وهو أن يسمع الإنسان بأذنه الوحي المرسل إليه من الله ، ويقوم بإبلاغ ما سمعه إلى الناس ، ومعه معجزات أعلى من قدرات البشر تدل على أنه مؤيد من الله تعالى ، وهؤلاء هم الرسل وما سمعه هو القرآن والرسالات السماوية ، ومن رحمة الله أنه لم يقم الحجة على الناس إلا بوصول الدليل المباشر إليهم ( القرآن وكلام الرسل ) .

ـ والإنسان يتغافل عن الله ويتناساه من خلال :

1ـ التغافل عن آيات الكون .

2ـ التغافل عن وصول كلام الخالق إلى البشر .

ـ تصور معنى كلام الخالق :

ـ لكي يتصور الإنسان معنى كلام الخالق لابد أن يتصور الأمر كأنه يسمع عنه لأول مرة .

ـ الطبيعي أن الإنسان يسمع كلاما من غيره من البشر ، لكن كونه يسمع كلاما من أحد غير البشر فذلك يدعو إلى خوف المهابة .

ـ أخطر حدث على مر البشرية هو نزول كلام من الخالق إلى البشر ومن ذلك نشأت قضية الدين ، فالذي لا يشعر بخطورة هذا الحدث الهائل ويتناساه هو في حقيقته يتجاهل قضية الدين ، وهذا إعراض عن ذكر الله ( تجاهل خطورة نزول كلامه ) ، أما الذي يشعر بخطورة هذا الحدث فإنه يعيش حياته معيشة الهارب الذي يبحث عن مخرج للنجاة .

ـ وصول كلام إلى البشر من الخالق هو أعظم دليل على الخالق ، وذلك يوجب على الإنسان الخضوع ، لذلك يتناسى الإنسان أن للخالق كلاما .

ـ أهل الكتاب يوقنون بأن الرسول حق ولكنه يقين كاذب ، فهم يتجاهلون ما يوقنون به ويتغافلون عنه كأنهم لا يعلمون وكأنهم لم يسمعوا عنه : (( وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كأنهم لَا يَعْلَمُونَ ))([[547]](#footnote-547)).

ـ لماذا لم يكلم الله الناس بصورة مباشرة ؟ :

ـ الله سبحانه يستطيع أن يكلم الناس جميعا بصورة مباشرة ويستطيع أن يجعل الناس جميعا يسمعونه ، ولكن إذا حدث ذلك فقد يموت الناس جميعا من خوف المهابة ، ولو مكن الله الناس من سماع كلامه ( كما أسمع موسى كلامه ) فإن الناس سوف يؤمنوا جميعا ويصبح لا معنى للاختبار ، فالله يريد من الناس أن يؤمنوا به بالغيب من غير أن يروه أو يسمعوا كلامه أو يروا ملائكته أو يروا آية تجعلهم يؤمنوا جميعا : (( وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ))([[548]](#footnote-548)) ، وفي التفسير المنير : (( { وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا } [الفرقان: 21] هلا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أي أرسلوا إلينا، فيخبروننا بصدق محمد صلّى الله عليه وسلم أَوْ نَرى رَبَّنا فيأمرنا بتصديقه وإتباعه ، لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ أي لقد تكبروا في شأن أنفسهم ))([[549]](#footnote-549)) .

ـ وطالما أن الإنسان يمنع نفسه من تصور خطورة المعجزات فلن تفلح معه المعجزات ، فلو أنزل الله كلامه في كتاب يراه الناس هابطا من السماء وينزل لكل واحد باسمه مكتوب فيه ( من رب العالمين إلى فلان ابن فلان ) لقالوا إنه سحر حتى لو أمسكوا بالكتاب بأيديهم وتبينوا أنه ليس سحرا ، ففي تفسير البحر المحيط : (( { بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً } [المدثر: 52]: أَيْ مَنْشُورَةٌ غَيْرُ مَطْوِيَّةٍ تُقْرَأُ كَالْكُتُبِ الَّتِي يُتَكَاتَبُ بِهَا، أَوْ كُتِبَتْ فِي السَّمَاءِ نَزَلَتْ بِهَا الْمَلَائِكَةُ سَاعَةَ كُتِبَتْ رَطْبَةً لَمْ تُطْوَ بَعْدُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَنْ نَتَّبِعَكَ حَتَّى يُؤْتَى كُلٌّ وَاحِدٍ مِنَّا بِكِتَابٍ مِنَ السَّمَاءِ عُنْوَانُهُ: مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَى فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ، يُؤْمَرُ فِيهَا بِاتِّبَاعِكَ، وَنَحْوُهُ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ ))([[550]](#footnote-550)) ، وفي تفسير البحر المديد : (( { وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (7) وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ (8) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ } يقول الحق جلّ جلاله : وَلَوْ نَزَّلْنا عَلَيْكَ يا محمد كِتاباً مكتوبًا فِي قِرْطاسٍ أي: رَقٍّ، فرأوه بأعينهم، ولمسوه بأيديهم، حتى لا يبقى فيه تزوير، لعاندوا، ولَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا منهم بعد ذلك: إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ تعنتًا وعنادًا، وتخصيص اللمس لأن التزوير لا يقع فيه ، فلا يمكنهم أن يقولوا: إِنَّما سُكِّرَتْ أَبْصارُنا، وتقييده بالأيدي لدفع التجوز، فإنه قد يُتَجوز فيه فيطلق على الفحص كقوله: وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّماءَ ، ثم اقترحوا معجزة أخرى، وَقالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ يكلمنا أنه نبي، فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً أو شهيدًا له بالرسالة ))([[551]](#footnote-551)) .

ـ فنزول كلام الخالق إلينا نقرأه في كتاب هو معجزة ، فعندما تقرأ القرآن فأنت تسمع كلاما للخالق يصل إليك من فوق سبع سماوات ، وهذا أمر رهيب لمن يتصور هذه الحقيقة الرهيبة، فلابد من الشعور بأن القرآن هو كلام الله إليك أنت شخصيا ، ولابد أن تشعر كأنك تسمعه من الله بغير واسطة وحي أو رسل وبغير أن تقرأه في مصحف لأن كل ذلك لا يغير من حقيقة الأمر شيء فهو خطاب الله إليك أنت شخصيا وكل البشر ، فمن شعر بذلك شعر بالوجل والرهبة ولم يكن شيء في حياته أخطر من ذلك ، لكن التعود على القرآن من غير تصور لخطورة أنه كلام الله والتعامل معه مثل التعامل مع الكلام البشري هو غفلة عن ذكر الله تعالى .

ـ نزول القرآن هو أصل الدين :

ـ أصل قضية الدين هو أن رجلا جاء إلى الناس وقال لهم لقد سمعت كلام الخالق وأنا مكلف بتبليغه إليكم ، وهذا الكلام هو القرآن ، ومعرفة الإنسان بالغيبيات وأوامر الدين جاءت منه ، وبدون القرآن لا يعرف الإنسان شيئا وهو معذور بجهله غير محاسب ، ومن بلغه نزول كلام من الخالق إلى البشر ولم يمنعه شيء من معرفة كلام الخالق فقد قامت عليه الحجة ، لذلك فالتغافل عن خطورة نزول القرآن هو تغافل عن خطورة الدين .

ـ تصور خطورة وصول كلام من الخالق :

ـ تصور أننا نعيش الآن ولم يصلنا شيئا من كلام الخالق ولا نعرف هل يرسل الخالق لنا كلامه أم لا ؟ ، الطبيعي أنك تتوقع أن الخالق لن يتركنا تائهين لا نعرف لماذا خلقنا وما حقيقة ما حولنا وماذا يريد منا ؟ ، وتصور كيف يصلنا كلام الخالق وهل يصلنا بلغة البشر حتى نفهمه ؟ ، وهل يكلمنا الله بصورة مباشرة من فوق سبع سماوات فيصل إلى سمع كل البشر ؟ أم يرسل ملك إلى الأرض ليبلغ كلام الله إلى الناس ؟ وكيف يطيق الناس رؤية الملك ذلك الكائن الهائل الخلقة جدا الذي هو أعظم بكثير من عفاريت الجن فربما يموتوا من الرعب والخوف من مهابته ، وهل يرسل الملك في غير صورته الحقيقية إلى واحد يختاره الله من الناس ليبلغه كلام الله ويكلفه تبليغ كلامه إلى الناس ؟ .

ـ فتصور أننا لا نعرف الطريقة التي يصل بها كلام الله إلينا ولم يصلنا شيئا من كلامه ثم فجأة سمعنا أن أحد الناس قال أنه نزل إليه ملك مرسل من عند الله وأبلغه بكلام الله وكلفه تبليغ كلامه ماذا يكون موقفك ورد فعلك ؟ ، إنك سوف تندهش وتنبهر من هول المفاجئة وخطورة الحدث وستشتاق إلى معرفة ماذا يقوله ربنا وماذا يريده منا وستعيش حياتك كلها بناءا على هذا الحدث ، فهذا ما كنت تنتظره وتتوقعه .

ـ تخيل حال الناس بغير أن تنزل الكتب السماوية أو يأتي الرسل إنهم سوف يتمنون أن يرسل الخالق إليهم رسالة يعرفهم بمراده ويقسموا أنهم سيكونون في قمة الخضوع والشكر لذلك .

ـ إن القرآن هو رسالة من عالم الغيب إلى عالم الشهادة فهو بين أيدينا الآن نقرأه في عالم الشهادة ، لو كان القرآن الذي بين أيدينا الآن هو كلام لرجل في عالم الآخرة ينصحنا فيه ويعرفنا بما يكون من أمر الآخرة لكان له شأنا عظيما ، فما بالك وهو كلام الخالق وهو يخبرنا بما يكون من أمر المستقبل في الآخرة .

ـ تصور رسالة نزلت إلينا من السماء مكتوب فيها : " من الله تعالى إلى الناس ......." مثلا فكيف تشعر بكلام الله وكيف تتعامل مع كلام الله من العظمة ؟ ، فإن إنزال القرآن من عند الله ليس أمر عادي وإنما يدعو إلى الشعور بالانبهار والوجل والتعظيم .

ـ إنك إذا نظرت إلى ساحر مثلا فيأخذك العجب وتتفاعل مشاعرك بما يصنع ، فماذا لو كان سحره هذا حقيقة ؟ ، فما بالك والقرآن أعظم معجزة فهو أعظم من معجزات كل الأنبياء ، فهل تنظر إلى القرآن بين يديك علي أن نزوله معجزة وما فيه إعجاز فتتفاعل مشاعرك به ؟ .

ـ إذن فالشعور بوصول كلام من الخالق يعني الشعور بخوف المهابة والحب لأن الإنسان يحب الشيء العظيم القيمة الهام .

ـ ولكنك تجد أن القرآن نزل علي الإنسان فلم يتأثر به في حين لو نزل القرآن علي جبل لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ : (( لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ))([[552]](#footnote-552)) ، وما أكثر ما ورد عن الصحابة والتابعين عن تأثرهم بالقرآن لمجرد أنهم شعروا أنه كلام الخالق العظيم سبحانه إلى العبيد من البشر .

ـ إن الذي يحمل مصحفا ولا يدري مدى خطورة ما يحمل وقيمته وما يعنيه من الأهمية وبالتالي لا يعمل بما فيه هو كالحمار : ففي تفسير ابن كثير : (( يقول تعالى ذاما لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفارا أي كمثل الحمار إذا حمل كتبا لا يدري ما فيها فهو يحملها حملا حسيا لا يدري ما عليه وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه حفظوه لفظا ولم يتفهموه ولا عملوا بمقتضاه بل أولوه وحرفوه وبدلوه فهم أسوأ حالا من الحمير لأن الحمار لا فهم له وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها ، ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى : { أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون } ))([[553]](#footnote-553)) .

ـ تخيل لو أن هناك كنز عظيم جدا يطمح إليه كل الناس لكن لا أحد يعرف مكانه بالضبط وكيفية الوصول إليه ، فإذا وجدت خريطة مكتوب فيها مكان الكنز وكيفية الوصول إليه كيف يكون فرحك وحبك لمدى أهمية وخطورة هذه الخريطة ، إن هذا الكنز حقيقي فعلا وأعظم من كل الكنوز التي يتخيلها الإنسان وهو الجنة وهذه الخريطة هي القرآن ، أو تخيل لو أن هناك كارثة متوقعة سوف تهلك الناس ولا أحد يعرف كيفية الخلاص فإذا وجدت خريطة مكتوب فيها كيفية الخلاص من هذه الكارثة فكيف يكون فرحك وحبك لهذه الخريطة ، إن هذه الكارثة حقيقية فعلا وهي النار ، وهذه الخريطة هي القرآن ، أو تخيل أننا نعيش من غير رسل فلا أحد يدرى ما سر الحياة وما سر الأشياء ولماذا خلقنا ثم عثرت على مخطوطة قديمة تكشف لنا هذه الأسرار فكيف يكون فرحك بها وحبك لها ، إن هذه المخطوطة هي القرآن ، فلابد أن تشعر بالرهبة من عظمة كلام الملك والشوق لسماع كلامه .

ـ إذا ألقى أحد الرؤساء أو الزعماء أو القادة خطبة فإنك تجد اهتمام الناس والإعلام بكلام وتصريحات الرؤساء والزعماء وتحليل أقوالهم ، وذلك لأنه طالما أن الكلام صادر عن مسئول كبير أو عن عظيم فكلامه مهم وعظيم يهتم به الناس ، وإذا أهمل الناس وتجاهلوا كلام زعيم من الزعماء فهذا يعني أن ذلك الزعيم ليس ذو أهمية في نظرهم ، إذن عظمة الكلام تأتي من عظمة قائلها ، فالقرآن هو خطاب الله إلى البشر ، ودعوة الرسل هي إخبار الناس بوصول هذا الخطاب إليهم ، فإذا كنت لا تشعر بقدر وعظمة القرآن ، فإن القرآن في مشاعرك هو كلام عادي مثل كلام أي شخص عادي ، وإن كان في الاقتناع الكاذب هو كلام الله العظيم وهو القرآن العظيم.

ـ إذا جاء إليك طفل من أولادك وتحدث إليك في موضوع ما ، فأنت تشعر أن الطفل وكلامه ليس له قيمة ، ولكن إذا جاء إليك مديرك في العمل وتحدث إليك في أمر ينبني عليه ترقيتك إن أديته أو فصلك من العمل إن فشلت فيه ، فأنت تشعر بقدر المتكلم وخطورة الكلام ، فإذا لم تشعر بقدر المتكلم وخطورة الكلام فكأنك مجنون كأنك لا تعرف أن المتكلم هو مديرك في العمل وكأنك لم تسمع كلامه ، فلا قيمة للسماع عندئذ ، فمعرفتك بأن هذا الرجل هو مديرك في العمل وبأن هذا الموضوع خطير هي معرفة كاذبة .

ـ فالله يدعو الناس إلى دار السلام ، فإذا لم يشعر الإنسان بقدر الكلام ولا بقدر المتكلم فأصبح سماع الكلام لا قيمة له في شعوره فكأنه لا يعرف الله وكأنه لم يسمع كلامه .

ـ تصور عظمة الكلام في حد ذاته :

ـ إذا تخيل الإنسان أنه لا يعرف أن القرآن هو كلام الله تعالى وتصور أنه لأول مرة يقرأ هذا الكلام فسيجد أنه كلاما مختلفا تماما عن كلام الناس وسيشعر بالانبهار من مدى عظمته لما فيه من البلاغة والإعجاز: (( قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ))([[554]](#footnote-554)) .

ـ عظمة كلام الله يؤدي إلى خوف المهابة والخضوع :

ـ (( اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إلى ذِكْرِ اللَّهِ ))([[555]](#footnote-555)) ، (( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ))([[556]](#footnote-556)) ،(( الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ إلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ))([[557]](#footnote-557)) ، ((لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ))([[558]](#footnote-558)) .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

### ـ تصور الرسل باعتبارهم رسل الله

ـ اليقين بالرسل نقصد به الجانب الغيبي أي اليقين بنزول الوحي عليهم ، واليقين الحقيقي بالرسل هو الشعور بخطورة إرسال الوحي إلى بعض البشر ، والتغافل عن الرسل معناه التغافل عن كونهم رسل الله للناس .

ـ كل الناس يوقنون بأن الرسل يوحى إليهم : (( فَإِنَّهُمْ لَايُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ))([[559]](#footnote-559)) [ راجع الأدلة على وجود اليقين بالله والآخرة وبصدق دعوة الرسل بالفصل الثالث ] ، ولكنه عند البعض هو يقين كاذب فهم يرفضون الإيمان بالرسل بطريقة التغافل [ راجع الأدلة على رفض دعوة الرسل بطريقة التغافل بالفصل السادس ] .

ـ تصور معني ( رسول الله ) :

ـ عندما يعلم الناس بكسوف الشمس فإنهم يجتمعون ويرصدون الأمر بالكاميرات ، فماذا لو علم الناس بنزول الوحي من السماء وأنهم سيرونه بأعينهم وهو ينزل من السماء إلى الأرض برسالة الله إلى البشر ؟ ، إن هذا الأمر حدثَ على وجه الحقيقة ولكن الفرق الوحيد هو أن البشر لم يروا الوحي وهو ينزل إلى البشر ليستلموا منه رسالة الله ، فيستلمها نيابة عن الناس أحدهم فيكون مكلفا بإبلاغ رسالة الله إلى الناس .

ـ فعندما يأتي أحد الناس فيخبرهم بأن رسولا أرسله الله إليه ( الوحي ) حاملا رسالة الله إلى الناس فمنهم من ينكر ذلك بلسانه ومشاعره ، ومنهم من ينكر ذلك بمشاعره فقط فلا يشعر بأهمية وخطورة ذلك الأمر ولا يشعر بخوف المهابة من عظمته ويتناساه كأنه لم يكن ، فهو بذلك يقول بمشاعره : (( مَا هَذَا إلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ))([[560]](#footnote-560)) رغم أنه على يقين كاذب بصدق دعوة الرسل .

ـ إن الرسول هو الذي ينقل رسالة من شخص إلى شخص ، ورسول الله أي الذي ينقل رسالة من الله إلى الناس ، وهذا يعني أن يشعر الإنسان بوصول رسالة من عالم الغيب إلى أحد البشر ليكون بذلك رسولا إلى الناس ، فإذا لم يشعر الإنسان بتلك الصلة بين أحد البشر وبين الغيب فإن الرسول في مشاعره سوف يكون رجل عادي أتى برسالة عادية من واحد من الناس وليس من الله ، وإن كان في الاقتناع الكاذب هو رسول الله أتى برسالة عظيمة من العظيم سبحانه.

ـ إن إنزال الوحي من السماء من عالم الغيب إلى واحد من البشر في عالم الشهادة أمر عجيب ويحتاج إلى تصور وشعور ، فمثلا لو قال أحد رواد الفضاء أنه وصلته رسالة من كائنات فضائية علي كوكب آخر في السماء فلابد أن يحدث العجب والانبهار ، فالشعور بقدر كلمة ( رسول الله ) يعني الشعور بكيفية وصول رسالة من أحد لا نراه وليس من البشر ، وليس الأمر فقط كذلك بل إنه من الخالق العظيم ومن فوق سبع سماوات تنزل رسالة إلى واحد من سكان الكرة الأرضية ( تلك الهباءة المعلقة في الفضاء ) ليبلغ رسالة الخالق العظيم إلى العبيد .

ـ إن الذي خلق الإنسان وكل هذا الكون لا يمكن أن يتركهم دون يعرفهم بمَنْ هو ولماذا خلقهم ، ولكي يعرفهم بذلك ، فإما أن يكلم هو الناس فيسمعه كل الخلق ، فبماذا يشعر الناس عندئذ ؟ ، إنه شعور رهيب ، أو يُنزل إليهم أحدا من الملائكة فينزل من عند الله ويهبط إلى الناس من السماء فيخبرهم ، وتصور ذلك عندما ينزل إلى الناس ملك من الملائكة يمشي بين الناس ويكلمهم وهو علي هيئته الهائلة المرعبة ويراه الناس ويكلمونه ويرد عليهم ، ويخبرهم أنه جاءهم من عند الله ، بماذا يشعر الناس عندئذ ؟ ، إنه أيضا شعور رهيب ، إن ذلك يزيد من شعورهم بالله أي يزيد من شعورهم بوجوده وصفاته لأن أمامهم مَنْ جاء إليهم من عنده ، ومن رحمة الله أنه أنزل الوحي على بعض البشر ليكونوا رسلا إلى الناس لأن الناس لو رأوا ملك من الملائكة لصعقوا من خوف المهابة .

ـ الشعور بقدر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحبه :

ـ الرسول يأخذ قدره من قدر من أرسله ، ويأخذ حبه من حب مَنْ أرسله ، فإذا جاءك من حبيب فأنت تحبه وتكرمه وتحتفي به ، وإذا جاءك من عدو فأنت تكرهه ، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاءك من عند مَنْ تحب ، فهو ليس رسولا يأتيك برسالة من أي شخص في الدنيا ولو كان ملكا ، إنه يأتيك برسالة من عند ملك الملوك ، ولابد أن تعرف قدر الله سبحانه وعظمته وقدرته أولا فتشعر بعظمة الرسول ليس لذاته ولكن لكونه رسولا للعظيم سبحانه .

ـ الذي يدلك على طريق الكنز أو ينبهك من خطر يهلكك ويدلك على طريق النجاة منه فكأنما هو يعطيك هذا الكنز أو كأنما هو ينجيك من هذا الخطر لأنه إذا لم يدلك على طريق الكنز لم تحصل عليه وإذا لم ينبهك للخطر ويدلك على طريق الهرب والمفر منه وقعت في هذا الخطر ، فأنت تحب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الله لأنه يدلك على طريق الجنة والنجاة من النار ولأنه أفضل الناس إيمانا ، فأنت تحبه حتى يكون أحب إليك من نفسك ومالك ففي الحديث : (( لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إليه مِنْ مَالِهِ وَأَهْلِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ))([[561]](#footnote-561))، والذي يشعر بقدر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشعر بالاشتياق للقائه قريبا على الحوض وفي الجنة إن شاء الله تعالى .

ـ إن مغالاة بعض الناس في حب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتقديره خطر عظيم ، ولكن الأخطر أن البعض لا تجد عندهم شعور حقيقي بحب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتقديره ، وإن كانوا على اقتناع كاذب بقدر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ـ إن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس مجرد مرسال أو ناقل لتوصيل القرآن وإن كان في ذلك شرف كبير ومنزلة كبيرة للرسول توجب محبته ، فإن حياة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفسها هي رسالة مثل أن القرآن رسالة ، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشرع وعبارة عن رسالة عملية إلى الناس ولكن في صورة بشر ولم ينزل الله ملكا حتى يكون الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نموذج عملي بشري تطبيقي بلغة الناس ولسان الناس وإمكانياتهم ، وهذا يعني حبه وتقديره : (( قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ))([[562]](#footnote-562)) ، (( يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً ))([[563]](#footnote-563)) .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

# الفصل التاسع : تصور السفر إلى الآخرة وقصر عمر الدنيا

ـ تصور الأمر الخطير يؤدي إلى انشغال الهم وخوف المهابة وتأثر المشاعر ، وتصور الأمر التافه يؤدي إلى عدم تأثر الهم أو المشاعر .

ـ ضآلة الدنيا تتمثل في كونها تزول سريعا أمام الخلود في الآخرة وفي كونها دار سفر فليست مكانا يستقر فيه الإنسان ويتمتع ، وفي كون متعها وآلامها ليست بشيء أمام متع وآلام الآخرة ، وبالتالي لا ينشغل هم الإنسان بالدنيا إلا في حدود ما يحتاجه عابر السبيل أثناء سفره ، ولا تتأثر مشاعره بالدنيا وشهواتها إلا في حدود ما يحتاجه عابر السبيل ، ولا تنشغل جوارحه بالعمل فيها إلا بما ينشغل به عابر السبيل .

ـ مسألة السفر نفسها هي أمر خطير يدعو إلى انشغال الهم وخوف المهابة وتأثر المشاعر وعمل الجوارح بإعداد العدة لما بعد هذا السفر .

ـ الذي يوقن بأنه مسافر إلى الآخرة فإن صورة الآخرة ومشهد اليوم الذي يموت فيه ومشهد وقوفه أمام الله ومحاسبته له لا يكاد يفارق ذهنه .

ـ يقين الإنسان بأن هناك عالم آخر غير عالمنا الذي نعيش فيه مجهز ومعد لاستقبالنا حينما نصل إليه لابد أن يكون يقينا حقيقيا ، لكن مات المعنى لكلمة ( الآخرة ) ، ولإحياء هذا المعنى يجب التعامل مع الآخرة كأن الإنسان يسمع عنها لأول مرة .

ـ المؤمن يتعامل مع الدنيا على أنها مؤقتة عابرة وأنها دار سفر ، أما الكافر والمنافق فيتعامل مع الدنيا على أنها داره ومقامه كأنه خالد فيها ومستقر فيها رغم اليقين الكاذب بأن الدنيا دار ممر وأن الآخرة هي دار إقامة .

ـ كل الناس مسافرون إلى الآخرة ولقاء الله تعالى رغما عنهم سواء رضوا بذلك أم لم يرضوا ، وكل الناس ذاهبون إلى الموت رغما عنهم ، والفرار من الآخرة ومن لقاء الله ومن الموت وتناسي ذلك والتغافل عنه وتجاهله لن يفيدهم شيئا .

ـ اليقين الحقيقي بالآخرة وبلقاء الله وبالموت هو الشعور بذلك ( خوف المهابة من ذلك ) ، أي الشعور بأنك مسافر إلى الآخرة وإلى لقاء الله وإلى الموت ، ومن شعر بذلك فإنه يعيش معيشة المسافر المستعد للرحيل : (( فَفِرُّوا إلى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ))([[564]](#footnote-564)) ، أي حاله حال الذي يسارع ويفر إلى لقاء الله تعالى .

ـ فالدنيا دار غربة نحن الآن مسافرون منها عائدين إلى وطننا وأهلينا ، فنحن الآن مسافرون سفر العودة والرجوع وليس سفر الذهاب بعيدا عن الوطن والأهل ، فوطن الإنسان وأهله هو في الآخرة وليس في الدنيا ، فمثلا الذي يسافر من بلده مصر إلى السعودية هو سفر ذهاب بعيدا عن الأهل ، وهو لا يريد السفر إلى السعودية إلا مؤقتا وفي ذهنه العودة إلى أهله ، أما سفر العودة والرجوع هو أنه موجود في السعودية ويريد أن يسافر سفر العودة إلى مصر حيث بلده وأهله ، وهذا هو السفر المقصود ، ففي تفسير البغوي : (( { إِنَّ إِلى رَبِّكَ الرُّجْعى } أَيِ المرجع في الآخرة ))([[565]](#footnote-565)) .

ـ ويمكن تشبيه ذلك بأن إنسانا ركب سيارة أجرة ليصل إلى مكان ما ، دخل السيارة فوجد فيها ركاب آخرين مثله ، ربما يتحدث معهم أو يتعرف على أحد منهم ، وعندما يصل إلى المكان الذي يريده ينزل من السيارة ويترك الركاب الموجودين فيها ، فالدنيا هي وقت الإنسان الذي يقضيه داخل السيارة ، والركاب الموجودون داخل السيارة هم الناس الموجودون في الدنيا ، والإنسان مهما تعامل معهم فليسوا أهله ولكنهم غرباء مسافرين مثله ، وعندما ينزل من السيارة لا يشعر بألم الفراق لأنه لا تربطهم به سوى أنه تقابل معهم أثناء الطريق .

ـ فينبغي أن تشعر أنك الآن في دار الغربة ، والأصح أن تشعر بأنك الآن أثناء السفر منتقلا من دار الغربة إلى مكان الإقامة والمعيشة فأنت عابر سبيل ، ففي الحديث : (( كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور ))([[566]](#footnote-566)) ، و( أو ) في الحديث بمعنى ( بل ) للإضراب أي كن في الدنيا كأنك غريب بل عابر سبيل .

### ـ التعامل مع الدنيا على أنها دار سفر :

ـ أنت الآن في مكان غير المكان المعد لمعيشتك ، فقد نزل آدم إلى الأرض ليعيش هو وأبناؤه معيشة مؤقتة عابرة للاختبار ، أما معيشتك المعدة لك هي في الآخرة ، فيجب أن تعيش على أساس أن حياتك في الآخرة وليست هنا فتعيش معيشة المسافر الذي يستعد للرحيل .

ـ فالدنيا إما أنها دار إقامة مؤقتة أو أنها مجرد طريق يسير فيه السائر ليصل إلى بيته ، ومن لم يشعر بهذا أو بهذا فهو يعتبر الدنيا دار إقامة دائمة وأنها بيته وبالتالي فهو لا يوقن بالآخرة يقينا حقيقيا ، وفي الحديث : (( كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ))([[567]](#footnote-567)) .

ـ شعور الإنسان تجاه دار الإقامة المؤقتة هو شعور بالفراق ، وشعور الإنسان تجاه دار الإقامة الدائمة هو شعور بالغربة ، من لم يشعر بالفراق وبالغربة فهو لا يوقن يقينا حقيقيا بأنه مسافر إلى دار إقامته ( لا يوقن بالآخرة يقينا حقيقيا ) .

ـ مدة البقاء في دار الإقامة المؤقتة قصير جدا والسفر فوري في أي لحظة من ليل أو نهار فلابد أن يكون الإنسان جاهزا بحقائبه مرتديا ملابس سفره في كل وقته .

### ـ الفرق بين اليقين بأننا مسافرون وبين تصور ذلك :

ـ اليقين بالآخرة معناه اليقين بأن الدنيا دار سفر ورحيل ودار اختبار وإعداد للآخرة وليست دار إقامة .

ـ فالدنيا دار سفر ودار رحيل أو أنها ليست دار أصلا باعتبارها مجرد ممر أو طريق يسير فيه المسافر إلى هدفه وهو الآخرة ، وكل الناس يوقنون بذلك ، ففي يقينهم وعلمهم أنهم مسافرون ولكن ليس في تصورهم أنهم مسافرون ولا يتعاملون مع هذه الحياة المؤقتة في الدنيا على أنها مجرد سفر ، فهم يفسدون يقينهم بعدم تصورهم له وعدم انشغال البال بصورة المسافر المرتحل .

ـ صفات المقيم في الدنيا وصفات عابر السبيل :

ـ المقيم في الدنيا يحسب أن الدنيا تصلح لأن تكون دار إقامة ويعتبر الدنيا دار إقامته ، لذلك فهو يغترف من الدنيا ومتعها بقدر ما يستطيع ، أما عابر السبيل فإنه يأخذ من الدنيا بقدر ما يعينه على سفره ولا يأبه بالزيادة لأنها لا قيمة لها في نظره ، لذلك يبين القرآن صفات المقيم في الدنيا وهي التمتع بالدنيا والشهوات والطعام والشراب والترف وطول الأمل : (( كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ ))([[568]](#footnote-568)) ، (( إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ))([[569]](#footnote-569)) ، (( ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ))([[570]](#footnote-570)) ، (( وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ))([[571]](#footnote-571)) ، (( أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (206) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ))([[572]](#footnote-572)) .

ـ تصور قيمة هذه الحياة الدنيوية بين إنسان عاد من الآخرة إلى الدنيا وبين من يعيشون في الدنيا اليوم :

ـ تصور لو أن رجلا عاد من الآخرة إلى الناس ماذا يمكن أن يقول لهم ؟ ، إنه سوف يجد الناس يعتبرون هذه الحياة الدنيوية معيشتهم وأن حياتهم هنا في هذه الحياة ، ويجد أمورا يراها الناس عظيمة جدا مثل أمور التقدم والتكنولوجيا الهائلة لكنه يراها لعب بالمقارنة بأمور الآخرة .

ـ تصور قيمة الحياة الدنيوية وما بها في نظر أهل الآخرة :

ـ الإنسان عندما يذهب إلى الآخرة فيعيش حياة القبر ثم يعيش أهوال يوم الحساب ثم يعيش الحياة في الجنة أو في النار ، الإنسان في أي مرحلة من هذه المراحل يرى أيام عمره في الحياة الدنيوية ضئيلة وحقيرة ويندم على ما كان عليه من اهتمام بهذه الحياة المؤقتة وهي لا تساوى شيئا ويتحسر على تفريطه .

ـ كل ما في الدنيا من أمور هامة وخطيرة ومشاغل كبرى وإنجازات رهيبة ومسئوليات وتبعات ونظم إدارية ضخمة وشهوات وأموال ومتع ورفاهيات وتكنولوجيا رهيبة ومدنية حديثة فكل ذلك لا قيمة له بالمقارنة بالآخرة ، ففي الحديث : (( لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء ))([[573]](#footnote-573)) ، وفي الحديث : (( ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ))([[574]](#footnote-574)) ، وفي حديث آخر : (( إن مطعم ابن آدم قد ضرب مثلا للدنيا وإن قزحه وملحه فانظر إلى ما يصير ))([[575]](#footnote-575)) .

ـ تصور قيمة الحياة الدنيوية بين من يعيش في الدنيا من أجل الآخرة وبين من يعيش في الدنيا من أجل الدنيا :

ـ المؤمن يعيش الحياة الدنيوية وكل نظره على الآخرة وكل شيء يقيسه على أساس قيمته في الآخرة ، فهو يرى المتمتع بهذه الحياة ويعيش في شهواتها على أنه غير متمتع بل إنه يورد نفسه موارد الهلاك لأن هذه المتع تنقلب عليه عذابا فضلا عن أنها في حقيقتها متع ضئيلة زائلة مؤقتة ، وهو يرى المعصية التي فيها لذة هي في الحقيقة فيها عذاب لأنها تجره إلى ألم شديد في الآخرة .

ـ المؤمن يحدث دائما في ذهنه تصور عن الآخرة ، فهو مشغول بالآخرة باستمرار ، فالمؤمن يعيش الآخرة وهو في هذه الحياة المؤقتة ، أما الذين يعبدون هذه الحياة المؤقتة ويعبدون أهواءهم فيحدث دائما في ذهنهم تصور عن هموم هذه الحياة المؤقتة ومشاغلها وما يتعلق بالمال أو الشهوات أو المظاهر ، فهو مشغول بهذه الحياة المؤقتة باستمرار .

ـ هناك فرق بين نظرة الإنسان إلى الدنيا على أنها مجرد معبرة وقنطرة إلى الآخرة وبين نظرته على أنها مغنم يريد أن يتحصل عليه ، وكذلك هناك فرق بين النظر إلى مشاكل الدنيا على أنها أمور مؤقتة لأنها تزول بزوال الدنيا وبين النظر على أنها هي القضية والشغل الشاغل ، فالمشكلة الحقيقية في نظر الإنسان العاقل ليست هي مشاكل الدنيا وإنما هي كيف يصل الإنسان للجنة ؟ .

ـ تصور خطورة أننا مسافرون :

ـ هل على الإنسان أن يعيش طوال عمره يعد نفسه للرحيل ، أي يعيش منتظرا يوم موته ؟! ، إن هذه الحياة التي نعيشها ما خلقت إلا لهذا الغرض ، فالدنيا ما هي إلا طريق للآخرة ، فهل يمكن لإنسان عاقل أن يبني سكنه في الطريق أو الشارع الذي يسير فيه الناس ويعيش ويقيم في طريق المارة ، فلا تصلح المعيشة في الطريق ، إنما هو مجرد سفر أي معيشة مؤقتة عابرة لضرورة الترحال ولإعداد الحقائب .

ـ لو قيل أن بعض الناس يستعدون للسفر إلى كوكب آخر عبر الفضاء لكان ذلك العجب والدهشة ، فهل تتصور أننا مسافرون لما هو أعجب من ذلك وأبعد من ذلك إلى الدار الآخرة ؟! ، فهل أنت في انتظار حياة غير الحياة التي تعيشها الآن وطعاما غير الطعام الذي تأكله ؟! ، وسكنا غير السكن الذي تسكن فيه ؟! ، وهل تتصور أن البيت الذي تسكن فيه ليس هو بيتك ، إنما بيتك هناك ، وأن هناك مَنْ ينتظرك الآن من الحور العين ( إن شاء الله تعالى ) ؟! ، هل في تصورك أن الطعام الذي تأكله هو طعام مؤقت ، وأن السكن الذي تسكن فيه هو سكن مؤقت ، أم أنك تتصور أنه سكن دائم ؟! ، إن الذي يري أن طعامه إنما هو في الآخرة فإنه لا يهتم كثيرا بطعام الدنيا فهو كيفما اتفق ، وإنما هو يأخذ زاد المسافر ، وكذلك سكن الدنيا ومتطلباتها ، وقد كان الإمام أحمد بن حنبل يقول : (( إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وإنها أيام قلائل ))([[576]](#footnote-576)) ، فهل تشعر بالترقب والانتظار ليوم العودة إلى وطنك وأهلك ؟! ، وهل تشعر أنك تعيش الآن في بلد الغربة ( الدنيا ) ؟! ، وهل عندك شعور بأنك مفارق الناس وكل ما تملك ؟ ، وهل تشعر بالترقب والانتظار لمجيء اليوم الذي تصل فيه إلى بيتك بعد سفر طويل ؟! ، إن الذي يشعر فعلا بعالم الغيب فإنه يشعر بالموت علي أنه مجرد مرحلة ينتقل به إلى حياة أخري فلا يكره الموت ولا يكن مرعوبا منه ، وعندما يأتيه الموت فإنما يأتيه مَنْ كان ينتظره علي موعد وأنه ليس النهاية وإنما هو البداية للحياة الحقيقية ، أما الذي لا يشعر بعالم الغيب فإنه يعيش كأنه لن يموت ، فالموت عنده مجرد اقتناع كاذب ، وعندما يأتيه الموت يشعر أنه هو النهاية ، ولا يريد أن يموت ، ويكره مَنْ يقبض روحه ، لأنه يرى الدنيا دار سعادة ويرى في الموت النهاية وليس بداية الحياة الحقيقية ( في الآخرة ) وهذا يمثل الحقيقة الموجودة في مشاعره ، وإن كان في اقتناعه الكاذب عكس ذلك تماما فهو على يقين تام بأن الدنيا فانية ضئيلة وأن الموت مجرد انتقال إلى الحياة الباقية لكنه يقين كاذب .

ـ فالدنيا هي دار فرار والآخرة هي دار القرار : (( فَفِرُّوا إلى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ))([[577]](#footnote-577)) ، فالمسلم يعيش حياته مثل الهارب الذي يفر من العدو الذي يطارده ويلاحقه ويتربص به فهو دائما في حالة فرار إلى الله ، إذن أنت واقع الآن في خطر وعليك أن تفر من هذا الخطر ، والفرار هو الجري السريع بعيدا عن العدو في خوف لأنه لو أدركك لقتلك ، فأنت واقع في خطر هو الشيطان والدنيا ، وعليك أن تفر أيضا من الله إلى الله لأنه شديد العذاب لأنه لن ينجيك من عذابه ومن الشيطان ومن الدنيا إلا الله سبحانه ، وعن مالك بن دينار قال : (( إن الله جعل الدنيا دار مفر والآخرة دار مقر فخذوا لمقركم وأخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم ، ففي الدنيا حييتم ولغيرها خلقتم ؛ إنما مثل الدنيا كالسم أكله من لا يعرفه واجتنبه من عرفه ، ومثل الدنيا مثل الحية مسها لين وفي جوفها السم القاتل يحذرها ذوو العقول ويهوي إليها الصبيان بأيديهم ))([[578]](#footnote-578)) ، ولاحظ أن الآية لم تقل واجه العدو ولكن قالت : ( فَفِرُّوا إلى اللَّهِ ) ، فلا تكن من المتنافسين على الدنيا المتهالكين عليها ودعهم يتنافسون عليها ، فهؤلاء مثل الكلاب المسعورة تتنافس على جيفة قذرة ! ، ففي تفسير البحر المديد : (( الإستعاذة الحقيقية من الشيطان هي الغيبة عنه في ذكر الله أو شهوده ، فلا ينجح في دفع الشيطان إلا الفرار منه إلى الرحمن ، قال تعالى : { ففروا إلى الله } ، فإن الشيطان كالكلب ، كلما اشتغلت بدفعه قوي نبحه عليك ، فإما أن يخرق الثياب ، أو يقطع الإهاب ، فإذا رفعت أمره إلى مولاه كفه عنك ، وقد قال شيخ شيوخنا سيدي علي الجمل رضي الله عنه : عداوة العدو حقًا هو اشتغالك بمحبة الحبيب حقا ، وأما إذا اشتغلت بعداوة العدو ، فاتتك محبة الحبيب ، ونال مراده منك ))([[579]](#footnote-579)) ، وفي تفسير اللباب : (( { ففروا إلى الله } أي فاهربُوا من عذاب الله إلى ثوابه بالإيمان والطاعة ، قال ابن عباس ( رضي الله عنهما ) : فروا منه إليه واعملوا بطاعته ، وقال سهل بن عبد الله : فروا ممَّا سوى الله إلى الله ))([[580]](#footnote-580)) .

ـ تصور معني الخلود في الآخرة :

ـ قارن بين قصر العمر في الدنيا وطول العمر الأبدي في الآخرة (( أَفَرَأيتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ، ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ، مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ))([[581]](#footnote-581)) ، فالعمر ما هو إلا يومان يوم ذهب وباقي يوم ، وفي الحديث : (( الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إلى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ ))([[582]](#footnote-582)) .

ـ الخلود في الآخرة ليس أمر بسيط يمكن أن نمر عليه مر الكرام ، فالخلود في النار معناه أن يظل الإنسان في العذاب داخل النار ليس لمدة ساعة ـ وإن كان ذلك مروع جدا ـ وليس لمدة يوم كامل ، ولا لمدة شهر ولا سنة ولا مائة سنة ولا مليون سنة ولا مليار سنة ولكن للأبد من غير أن يموت ، فمقارنة ذلك بأيام الدنيا وآلامها تكون الدنيا لحظات ، حتى لو عاش الإنسان في الدنيا مائة عام تكون لحظات تمضي سريعة ، وكذلك الخلود في نعيم الجنة وملذات الجنة ليس لمدة يوم ـ وإن كان ذلك غاية في المتعة ـ وليس لمدة شهر ولا سنة ولا مائة سنة ولا مليون سنة ولا مليار سنة ولكن للأبد من غير أن يموت ، فمقارنة ذلك بأيام الدنيا ومتاعها الضئيل تكون الدنيا لحظات ، حتى لو عاش الإنسان في الدنيا مائة عام تكون لحظات تمضي سريعة ، لذلك من تصور معنى الخلود في الآخرة لم يهتم بالدنيا وما فيها وانصرف همه عنها ولم يعبأ بما يلقاه فيها من ألم أو نعيم ، ولذلك من انشغل همه وفكره ومشاعره بالدنيا على حساب انشغال همه وفكره ومشاعره بالآخرة فهو لا يؤمن بالخلود في الآخرة إيمانا حقيقيا ، وإيمانه بالآخرة عندئذ هو إيمان كاذب ، لأنه لو شعر بالخلود في الآخرة لما انشغل بالدنيا عن الآخرة ، وكذلك الحال لمن شعر بالمقارنة بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة ، وبين آلام الدنيا وآلام الآخرة فإنه عندئذ لا يعبأ بآلام الدنيا ولا بنعيمها .

ـ إن كل شيء منتهي فهو ضئيل ، وكل شيء خالد فهو عظيم ، فالدنيا زائلة ومنتهية وليس فيها خلود ، والمتع والشهوات التي تنتهي لا قيمة لها ، ولكي يشعر الإنسان بذلك يسال نفسه : وماذا بعد أن يأكل ويشرب وينام ويعمل ويتمتع ويقوم بأمور الدنيا ؟ ، فالإجابة أن كل ذلك إلى زوال وبعد ذلك القيامة .

ـ قال مالك بن دينار : (( لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان الواجب أن يؤثر خزف يبقى على ذهب يفنى فكيف والآخرة من ذهب يبقى والدنيا من خزف يفنى ؟ ))([[583]](#footnote-583)) .

ـ فمهما حقق الإنسان في الدنيا من طموحات ، ومهما حصَّل من نعم في الأموال وفي المناصب وفي المتع والملذات فكل ذلك ضئيل القيمة لأن كل ذلك مصيره إلى الزوال ويُحرم الإنسان منه بعد ذلك ، فعلى الإنسان أن يسال نفسه : وماذا بعد أن يحقق الطموحات ؟ إن كل شيء سوف يفنى ، فالشيء الذي يفنى مهما كان عظيما فإنه ضئيل القيمة لأنه يفنى ، أما المتع في الآخرة فهي باقية ، ولو عاش الإنسان في الدنيا ألف سنة فلا تعادل لحظة من عمره اللا نهائي في الآخرة .

ـ وكذلك فآلام الدنيا ضئيلة لأنها فانية ، وآلام النار في الآخرة عظيمة وخطيرة لأنها أبدية .

ـ كما أن نعيم الدنيا ليس فقط يفنى بالموت ولكن قد يفنى لأي سبب آخر كمرض أو ابتلاءات .

ـ الشعور بأن الدنيا دار مؤقتة :

ـ هذه الحياة التي نعيشها هي حياة كاذبة وخادعة وليست بحياة وإنما هي طريق والناس في الطريق ليس لهم بيوت يسكنونها أو حياة يعيشونها وإنما هم يأكلون في السيارة التي يسافرون فيها وينامون فيها وهم جالسون على الكراسي داخل السيارة ، فليست لهم سرائر ينامون عليها وليس لهم متسع من المكان أو متسع من الوقت ، لكن الأحمق يعيش في السيارة كأنها بيته وكأن مَنْ فيها هم أهله رغم أنهم مجرد مسافرين مثله تقابل معهم .

ـ إن الذي يوقن يقينا حقيقيا بالآخرة فإنه يرتب أموره على أساس أنه سيموت ، فيرتب ترتيبات الموت ، أي يعيش حياته الدنيوية في الإعداد لما بعد الموت وتجهيز حقائبه للسفر ويستعد نفسيا لاستقبال الحياة الجديدة الحقيقية لأنه يوقن بأن هذه الحياة الدنيوية ما هي إلا مرحلة انتقالية لا أكثر ، فينصب همه في إعداد الزاد الذي ينفعه في الآخرة ، أما المئونة التي يحتاجها أثناء الطريق فهي كيفما اتفق .

ـ الشيطان يزين للإنسان أن الحياة في الدنيا طويلة ، وأن الستين سنة ( مثلا ) التي يحياها في الدنيا أعمار طويلة ، وينسيه الموت ، فيزين له الدنيا كأن فيها الخلود وأن فيها السعادة : (( فَوَسْوَسَ إليه الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى ))([[584]](#footnote-584)) .

ـ قد يتكاسل الإنسان عن إعداد نفسه للآخرة ويترك الدنيا تشغله رغم أن الهدف من وجوده في الدنيا هو أن يعد نفسه للآخرة ، وسوف يظل حاله غدا مثل حاله الآن ، فالسنين تسرق عمره دون أن يدري والدنيا ستظل تشغله ، وسيبقى الوضع الذي هو عليه الآن كما هو بعد عشرين سنة ، فلابد أن توقف الآن انشغال مشاعرك بالدنيا ، وتسأل نفسك هل أنت مستعد الآن لو جاءك الموت للقاء الله أم لا ؟ .

ـ من الناس مَنْ يأكل ويشرب ويتمتع بقدر ما يستطيع لأنه إذا فاته الطعام والشراب والمتع فلن يجد طعاما غيره ولا متعا غيرها حيث لا يشعر أن هناك طعاما آخر ومتعا أخرى وحياة أخرى في الآخرة ، وفي الحديث : (( الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ))([[585]](#footnote-585)) ، ولذلك يقول ابن مسعود : (( الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له ))([[586]](#footnote-586)) ، وكما يقولون في المثل : ( الدنيا أشغال شاقة وآخرتها الإعدام ) ، فهو لا يشعر أن الطعام والمتع والحياة الحقيقية في الجنة ، ولا يشعر أن هذه الحياة التي نعيشها كاذبة : (( وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إلا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخرة لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ))([[587]](#footnote-587)) ، " الحيوان " أي الحياة الحقيقية وفي الآية : (( يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ))([[588]](#footnote-588)) أي لحياته في الآخرة ، فإن الآخرة هي الحياة الحقيقية ، أما الحياة الدنيوية التي نعيشها الآن فهي حياة مؤقتة ، ويمكن تسميتها بمرحلة ما قبل الحياة ، أو بالمرحلة التي يعيشها عابر السبيل ، أما الذي يشعر أن الآخرة هي الحياة الحقيقية فإنه لا يكون حريصا علي ألا يفوته طعام الدنيا أو متعها لأنها مؤقتة ، وإن فاتته فهناك في انتظاره طعام آخر ومتع أخري ، فالذي يشعر أن الدنيا مؤقتة يكون طعامه وأمور دنياه كيفما اتفق ، فمن الناس مَنْ كل همه أن يكون حريصا علي ألا يموت ، وكل همه صحته ومتعته ودنياه (( وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ))([[589]](#footnote-589)) وكلمة ( حياة ) نكرة تدل علي أنهم يبحثون عن أي حياه .

ـ إن الذي لا يشعر بخطورة الآخرة فإنه يعيش دنياه ، وتأخذه أمور الحياة وما بها ويطمئن بها ، ويغفل عن الآخرة : (( إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ، أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ))([[590]](#footnote-590)) ، (( بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُوراً ))([[591]](#footnote-591)) ، (( إنهم كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَاباً ))([[592]](#footnote-592)) .

ـ فالدنيا لا تصلح لأن تكون دار إقامة لأننا لا نرى فيها الجزاء لمن عبد الله والعقاب لمن عصى الله فلابد من دار فيها الثواب والعقاب ، والله يرزق المؤمن والكافر ويعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، فلابد من دار للثواب والعقاب : (( وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ))([[593]](#footnote-593)) .

ـ آيات القرآن تبين ضآلة الدنيا لأنها مؤقتة تمر سريعا : (( إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أنهم قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أو نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ))([[594]](#footnote-594)) ، (( وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ))([[595]](#footnote-595)) .

ـ الدنيا عبارة عن حياة مؤقتة فهي ( لعب ولهو ) مثل لعب ولهو الأطفال أما الحياة الحقيقية الجادة فهي في الآخرة : (( وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إلا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخرة لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ))([[596]](#footnote-596)) ، (( وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إلا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ))([[597]](#footnote-597)) ، (( إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ))([[598]](#footnote-598)) ، (( اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ))([[599]](#footnote-599)) ، ورغم اليقين بأن الحياة الدنيا ليست حياة هامة وخطيرة وحاسمة وجادة لأنها حياة مؤقتة فهي مجرد لعب ولهو كما تبين الآيات إلا أنه يقين كاذب فمشاعر الإنسان وهمومه وأهدافه قد تكذب آيات القرآن وتقول عكس ذلك تماما .

ـ فالدنيا مثل الطعام لا يمكث إلا قليلا ثم يصير براز ، ففي الحديث : (( إن مطعم ابن آدم قد ضرب مثلا للدنيا وإن قزحه وملحه فانظر إلى ما يصير ))([[600]](#footnote-600)) ، وفي حديث آخر : (( عن الضحاك بن سفيان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : يا ضحاك ما طعامك ؟ ، قال : يا رسول الله اللحم واللبن ، قال : ثم يصير إلى ماذا ؟ ، قال : إلى ما قد علمت ، قال : فإن الله تعالى ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا ))([[601]](#footnote-601)) ، وفي الحديث : (( عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد أثر في جنبه قلنا : يا رسول الله لو أتخذ لك وطاء فقال : ما لي وللدنيا ؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل شجرة ثم راح وتركها ))([[602]](#footnote-602)) .

ـ فالدنيا أشبه بحلم في المنام ثم يفيق منه الإنسان ، (( عن يونس بن عبيد ، قال : ما شبهت الدنيا إلا كرجل نام فرأى في منامه ما يكره وما يحب ، فبينما هو كذلك إذ انتبه ... قيل لبعض الحكماء : أي شيء أشبه بالدنيا ؟ قال : « أحلام النائم » ))([[603]](#footnote-603)) ، وفي إحياء علوم الدين أيضا : (( وكتب رجل إلى أخ له أما بعد فإن الدنيا حلم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن في أضغاث أحلام والسلام ))([[604]](#footnote-604)) .

ـ ولقد أحسن من قال : إنّ لله عبـاداً فطنا ....... طلّقوا الدّنيا وخافوا الفتنا

نظروا فيها فلمّا علموا ....... أنها ليست لحيٍّ وطنا

جعلوها لجّةً واتّخذوا ..... صالح الأعمال فيها سفنا

ـ ادعاء اليقين بالموت وبالآخرة :

ـ البعض قد يتعامل مع الدنيا على أنها دار إقامة وليس على أنها دار سفر وليس على أنه عابر سبيل ، فيعيش حياته كأنه لن يموت ، فيهتم بمسكنه الذي يسكن فيه اهتمام من هو خالد فيه كأنه دار إقامته غير مبالي أن داره ليست هنا ، ويهتم بصحته اهتمام من هو خالد كأنه لن يموت ، ويهتم بممتلكاته اهتمام من هو خالد كأنه يأخذها معه عند رحيله من الدنيا ، ويهتم بأمور الدنيا اهتمام من هو خالد فيها كأن الدنيا هي دار إقامته ، ولذلك ففي تفسير الرازي : (( { وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ } المصانع مآخذ الماء ، وقيل القصور المشيدة والحصون { لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ } ترجون الخلد في الدنيا أو يشبه حالكم حال من يخلد ، وفي مصحف أبي : ( كأنكم ) ، وقرأ ( تخلدون ) بضم التاء مخففاً ومشدداً ، واعلم أن الأول إنما صار مذموماً لدلالته إما على السرف ، أو على الخيلاء ، والثاني : إنما صار مذموماً لدلالته على الأمل الطويل والغفلة عن أن الدنيا دار ممر لا دار مقر ))([[605]](#footnote-605)) ، أما الإنسان الذي يوقن يقينا حقيقيا بأنه سيموت ويلقى الله فإنه يعيش مثل الذي يعيش في غربة في بلد ما ، فليست قضيته واهتمامه الأكبر أن يبحث عن الراحة والطعام والشراب ، فإنه ينتظر الراحة والطعام والشراب عند العودة إلى وطنه ، أما طعامه وشرابه ومكان نومه وعيشه في بلد الغربة فهو كيفما اتفق يرضي بأي شيء يؤدي الغرض ، فإن الذي يري أن طعامه إنما هو في الآخرة فإنه لا يهتم كثيرا بطعام الدنيا فهو كيفما اتفق ، وإنما هو يأخذ زاد المسافر ، وكذلك سكن الدنيا ومتطلباتها ، ففي الحديث : (( عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثر في جنبه فقال يا رسول الله لو اتخذت فراشا أوثر من هذا فقال : ما لي وللدنيا ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة ثم راح وتركها ))([[606]](#footnote-606)) ، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك لم يكن يرفض التكنولوجيا والعلم الحديث والذي كان يتمثل في عهده في فراش لين بدلا من الحصير ، لكن ذلك ليس الذي يشغل همه وفكره ومشاعره ، وإنما الهم الأكبر الذي كان يشغل همه وفكره ومشاعره هو الآخرة ، وفي الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : (( مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا لنا فقال ما هذا ؟ ، فقلنا : قد وَهَى فنحن نصلحه ، قال : ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك ))([[607]](#footnote-607)) ، وفي الحديث : (( إنما يكفي أحدكم ما كان في الدنيا مثل زاد الراكب ))([[608]](#footnote-608)) ، وقد كان الإمام أحمد بن حنبل يقول : (( إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وإنها أيام قلائل ))([[609]](#footnote-609)) .

ـ الشعور بأن الدنيا دار تعب وشقاء :

ـ كل شيء حلو في الدنيا هو مر في الآخرة ، وكل شيء مر في الدنيا هو حلو في الآخرة ، ففي الحديث : (( حلوة الدنيا مرة الآخرة ومرة الدنيا حلوة الآخرة ))([[610]](#footnote-610)) ، وفي الحديث القدسي : (( قال الله تعالى : وعزتي وجلالي لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين إن هو أمنني في الدنيا أخفته يوم أجمع عبادي وإن هو خافني في الدنيا أمنته يوم أجمع عبادي ))([[611]](#footnote-611)) ، وفي حديث آخر : (( الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ))([[612]](#footnote-612)) ، وفي حديث آخر : (( إن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شبعا في الدنيا ))([[613]](#footnote-613)) ، وفي رواية أخرى : (( تجشأ([[614]](#footnote-614)) رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال كف عنا جشاءك فإن أكثرهم شبعا في الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة ))([[615]](#footnote-615)) ، وفي الحديث : (( يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنَ الْكُفَّارِ فَيُقَالُ اغْمِسُوهُ في النَّارِ غَمْسَةً ، فَيُغْمَسُ فِيهَا ثُمَّ يُقَالُ لَهُ أي فُلأن هَلْ أَصَابَكَ نَعِيمٌ قَطُّ ، فَيَقُولُ لاَ مَا أَصَابَنِى نَعِيمٌ قَطُّ ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ الْمُؤْمِنِينَ ضُرًّا وَبَلاَءاً ، فَيُقَالُ اغْمِسُوهُ غَمْسَةً في الْجَنَّةِ ، فَيُغْمَسُ فِيهَا غَمْسَةً فَيُقَالُ لَهُ أي فُلأن هَلْ أَصَابَكَ ضُرٌّ قَطُّ أو بَلاَءٌ فَيَقُولُ مَا أَصَابَنِى قَطُّ ضُرٌّ وَلاَ بَلاَءٌ ))([[616]](#footnote-616)) .

ـ فالدنيا دار تعب ، ومتعها قليلة وبها كدر ، وهذا من رحمة الله ، فلو جعل الله الدنيا مليئة بالمتع ورفع عنها التعب لفسد الناس جميعا : (( وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ))([[617]](#footnote-617)) ، (( وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ، وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ، وَزُخْرُفاً وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخرة عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ))([[618]](#footnote-618)) ، ومعنى ( أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ) أي في الكفر ، أي يكفر جميع الناس عندما يجدوا أن مَنْ يكفر يكون له هذا النعيم في الدنيا ( وهم لا يشعرون أن نعيم الدنيا زائل ولا قيمة له ) ، ولذلك ففي الحديث : (( تنزل المعونة من السماء على قدر المئونة وينزل الصبر على قدر المصيبة ))([[619]](#footnote-619)) .

ـ فهذه الحياة هي حياة مؤقتة عابرة وليست دار إقامة ومعيشة ، وهذه الحياة غير مصممة وغير صالحة لتكون دار إقامة واستقرار ومعيشة لكي يبحث الإنسان فيها عن السعادة ، فالله خلقها بحيث تكون مرحلة مؤقتة وجيزة جدا ( رغم أن الإنسان يحسبها طويلة جدا ) ، لذلك فسباق الدنيا سباق خاسر لأنك مهما حاولت البحث عن السعادة فلن تجد ، فلقد شاء الله أن تكون الحياة كلها تعب وليس فيها راحة : (( لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي كَبَدٍ ))([[620]](#footnote-620)) أي أن الله يبين أن الدنيا دار تعب ونصب ولكنك تريد أن تجعلها دار سعادة وتبحث فيها عن السعادة ! ، فمهما حاولت أن تجمل في الدنيا وتدعي أن فيها سعادة فهي دار تعب ولن تستطيع أن تجعلها دار سعادة ، واسأل مَنْ جمعوا الأموال لم تحقق لهم السعادة ، ومهما حاولت أن تجعل الدنيا دار إقامة فلن تستطيع ، وإنك تجد من يبحث عن الاستقرار فليس هنا دار استقرار فإنها دار مؤقتة ، وكذلك تجد مَنْ يكون همه في أن يبحث عن الراحة وفي أن يتخلص من تعب ومشاكل وأعباء الدنيا وتكاليفها المعيشية ولن يجد الراحة لأن الله قال : (( لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي كَبَدٍ )) ، فإنك لن تسعد مهما أكلت أو شربت أو تنعمت بالدنيا ، فالله حكم أنها دار شقاء وتعب وليست دار سعادة ، ولكن هناك من لا يزال يتسابق في جمع الدنيا من الأموال والأولاد والمناصب والشهوات ، فهو كمن يخبط رأسه في الحائط لأنه لن يجني شيء ، أما دار السعادة فهي في الآخرة ، إن الذي يشعر بأن الدنيا دار مؤقتة والآخرة دار إقامة وأنه يعيش في غربة يرضي بما عنده من طعام وشراب ومسكن .... الخ ويقنع به ولا يكون عنده طول أمل وطموحات في جلب المزيد من الطعام والشراب والسكن والمتع والشهوات لأنه في غربة ، فالذي يعيش مغتربا في بلد ما فإنه لا يبالى بالطعام والشراب ..الخ ، فيكون طعامه وشرابه كيفما اتفق لأن طعامه وشرابه ومتعه عندما يعود إلى وطنه ومسكنه في دار الآخرة .

ـ فالذي يبحث عن شهوة النساء الفاتنات لا يجب أن يبحث عنها في الدنيا وإنما يبحث عنها في الجنة ، والذي يتطلع إلى مسكن فاره أو قصر مشيد يتطلع إلى ذلك في الجنة ، والذي يتطلع إلى أن يشرب الخمور ويرقص مع النساء يتطلع إلى ذلك في الجنة ، وهكذا ، إذن فالإسلام جميل جدا وليس أعباء وتكاليف ويحقق للإنسان السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة حيث السعادة النفسية وراحة البال في الدنيا مع الحياة الطيبة ففي تفسير ابن كثير : (( { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أو أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } ، هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا ـ وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه من ذكر أو أنثى من بني آدم ، وقلبه مؤمن بالله ورسوله ، وإن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله ـ بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة ))([[621]](#footnote-621)) .

ـ الشعور بأن الآخرة خير وأبقى :

ـ الإنسان يعيش الحياة مرتان أو يعيش حياتان : (( قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ))([[622]](#footnote-622)) ، (( كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إليه تُرْجَعُونَ ))([[623]](#footnote-623)) ، (( وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الإنسان لَكَفُورٌ ))([[624]](#footnote-624)) ، ولابد من الشعور بأن الحياة في الآخرة أفضل : (( قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخرة خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى ))([[625]](#footnote-625)) ، (( وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إلا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخرة خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ))([[626]](#footnote-626)) ، (( وَلَأَجْرُ الآخرة خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ))([[627]](#footnote-627)) ، (( وَالآخرة خَيْرٌ وَأَبْقَى ))([[628]](#footnote-628)) .

ـ إذا كان الإنسان يوقن يقينا حقيقيا بأن الحياة الأخروية خير وأبقى من الحياة الدنيوية فلابد أن يكون تعلق مشاعره وهمومه وأهدافه بالآخرة أكبر من تعلقها بالدنيا ، وإذا شعر الإنسان أن هناك حياة أفضل بديلة عن هذه الحياة الدنيوية فلن يتشبث بها ، فمن أثر ذلك مثلا أن الإنسان إذا أيقن يقينا حقيقيا بالحور العين وأن ذلك قريبا فلن ينظر إلى العاريات ويصبر عن النظر إليهن لأن هناك البديل الأفضل القريب المنال ، وإذا أيقن يقينا حقيقيا بأن كل ما في الدنيا من متع مجرد أسماء فقط وأن المتع الحقيقية إنما هي في الجنة فلن يلهث وراء متع الدنيا وسيصبر عنها ولن يعبأ بها لأنه قريبا سيصل إلي البديل الأفضل قريبا جدا ، ولذلك نجد الآية مقترنة بالصبر : (( فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً ، إنهم يَرَوْنَهُ بَعِيداً ، وَنَرَاهُ قَرِيباً ))([[629]](#footnote-629)) .

ـ (( وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلا تَعْقِلُونَ ))([[630]](#footnote-630)) فما أوتيت من مال وصحة وهواء ومال وعقارات ومظاهر ومناصب ... الخ فمتاع الحياة الدنيا الضئيلة الزائلة ، وما عند الله خير وأبقى .

ـ إن الدنيا ليست بشيء ، ولو كانت الدنيا ذهبًا يفنى والآخرة خزفًا يبقى لكان العاقل اللبيب هو من يفضل الخزف الباقي على الذهب الفاني ، فكيف والدنيا خزف يفنى والآخرة ذهب يبقى؟! ، كيف يفضل الخزف الفاني على الذهب الباقي ؟! ، كيف نتهالك على الدنيا ونحن راحلون عنها ؟! ، ذلك لأن الشعور بخطورة الآخرة غير موجود عندنا .

ـ لا يتحقق الإيمان حتى يكون الشعور بقدر الله أكبر من الشعور بقدر الدنيا ، وحتى يكون الشعور بقيمة الآخرة والنفع فيها أكبر من الشعور بقيمة الدنيا والنفع فيها ، فالله في الاقتناع أكبر وأعظم من كل شيء ، وكل إنسان يفهم ذلك جيدا ، لكن في المشاعر فقيمة الدنيا والنفع فيها أكبر ، كذلك لا يتحقق الإيمان عند الإنسان حتى يكون الله والآخرة أكبر أهدافه وطموحاته وحتى يكون الله والآخرة لهما وجود في همومه ، فما بالك إذا لم يكن الشعور بقدر الله موجود أصلا ولم يكن الله والآخرة ضمن أهدافه أصلا .

ـ الشعور بضآلة الدنيا أمام الآخرة :

ـ إذا قارنا الدنيا بالآخرة فالدنيا لعب ولهو مثل لعب ولهو الأطفال لأنها حياة قصيرة جدا وتافهة جدا بل إنها ليست بحياة أصلا : (( وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخرة لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ))([[631]](#footnote-631)) ، (( وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخرة خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ))([[632]](#footnote-632)) .

ـ إذا شعر الإنسان بأن الآخرة هي داره ومستقرة وأن الدنيا ليست إلا ممر فيزول تعظيم الدنيا والمال والشهوات من عقله وقلب ، لأنه لا وجه للمقارنة بين الدنيا والآخرة ، فمن عرف حقيقة الآخرة وحقيقة ما بها من نعيم فإنه بالضرورة ينظر إلى شهوات الدنيا والأموال نظرة احتقار ، وطالما أن الإنسان لا يزال ينظر إلى الأموال والشهوات والمناصب نظرة انبهار على أنها ذات قيمة كبيرة فهذا يدل على أن يقينه الحقيقي بالآخرة لم يتحقق ، لأن من يوقن بالآخرة يقينا حقيقيا فإن الدنيا تصبح لا قيمة لها في عينه .

ـ الدنيا وما بها من مال وشهوات ومتع لا تساوي شيئا بالمقارنة بالآخرة ، فمن يوقن بالآخرة يقينا حقيقيا تكون كل أموال الدنيا وشهواتها ومناصبها هي مثل الطين في نظره لأنه يقارنها بالآخرة فلا تساوي شيئا ، وهو ينظر إلى من عنده قدر كبير من أموال الدنيا ومناصبها وشهواتها على أنه عنده قدر كبير من الطين ، فلا ينظر له نظرة انبهار ، وينظر إلى الفقير المعدوم على أنه عنده قدر قليل من الطين ، وإذا ظلمه أحد فلا يتألم ويشتد حزنه لأنه يعلم أن ذلك الظالم مسكين قد أتعب نفسه وأخذ منه قدرا من الطين ، وهذا لا يمنع من أن يطالب بحقه ، أما الذي لا يوقن بالآخرة يقينا حقيقيا فإذا كان مظلوما أو فقيرا فإنه يكون دائم التسخط والتألم الشديد والحزن الشديد ودائم الشكوى وإذا خسر في تجارة أو أصابه مصاب قد يصاب بسكتة قلبية أو اكتئاب شديد جدا ، وإذا كان ظالما أو غنيا فإنه يكون دائم التهلل والفرح الشديد ويعجب بنفسه بشدة ويتكبر على غيره ، والذي لا يوقن بالآخرة يقينا حقيقيا فهو خائف خوف شديد جدا على صحته وعلى عمره لدرجة الهلع كأنه لا يريد أن يموت ، وكذلك فهو خائف بشدة على ألا يفوته أو ينقص منه شيء من متع الدنيا وحريص بشدة كبيرة جدا على أن يفقد غيره من الناس متع الدنيا وألا يحصلوا على شيء من متعها حتى يكون هو الأعلى ، وذلك لأن الدنيا ومناصبها وأموالها وشهواتها هي في نظره عظيمة وكبيرة جدا ويوم القيامة يفاجئ بأن كل ذلك كان مجرد طين وأنه كان حريصا على جمع الطين ! ، فالناس أمامهم جبل من الذهب الحقيقي وجبل من الطين ، وهم يتهافتون ويتنافسون على جبل الطين الذي هو أموال الدنيا وشهواتها ومناصبها ، ويتركون جبل الذهب الذي هو رضا الله وجنات النعيم .

ـ فالتأثر الشديد بظلم الظالم هو من الغباء لأن الدنيا ليست إلا طينا ، فالظالم أخذ كثيرا من الطين والمظلوم عنده قليل من الطين .

ـ اليقين الحقيقي بالشيخوخة والتعرض للأمراض والمحن :

ـ إن كل إنسان عنده اقتناع تام وبلا أدنى شك أنه قد يصل إلى سن الشيخوخة وتضعف قواه أو أنه قد يتعرض لأمراض أو محنة ، لكن بلسان المشاعر فكأنما يقول : لن أمرض أو أضعف أو أصل إلى الشيخوخة أو لا أريد أن أمرض أو أضعف أو أصل إلى الشيخوخة ، فهذا في لغة المشاعر هراء ولا يمكن أن يحدث أبدا ! : (( وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ))([[633]](#footnote-633)) ، إن الإنسان لو انتبه فعلا لأنه قد يتعرض للمرض والمحن لشعر بالخوف والقلق وشعر بمدي ضعف الإنسان وشعر بأن هناك قوة أعلي من الإنسان تفعل به ما تشاء ، وشعر بالخضوع لهذه القوة ، ولتغير حاله تماما ، ولذلك من الناس من إذا وصل إلى سن الشيخوخة ، أو من النساء من إذا وصلت إلى سن اليأس ، أو إذا تعرض لمرض أو محنة فإنه يستنكر ذلك ولا يسلم به ويحدث له اكتئاب شديد لأنه لا يريد لنفسه أن يمرض ولا يريد أن يموت رغم أن الناس من حوله يمرضون ويموتون ، فهو بمشاعره يعترض أولا على إمكانية حدوث المرض أو المحنة ، وينشأ عن ذلك أنه يعترض أيضا بمشاعره على الله وأن ذلك مقدر أو بأن هذا ظلم وتعدي من الله عليه بدون وجه حق ، ونفس الشعور قد يحدث له عند خروج الروح لأنه يُسلب منه كل شيء .

### ـ اليقين الحقيقي بالموت :

ـ كل إنسان يوقن يقينا تاما بأنه سيموت ، ولكن الإنسان لا يريد أن يموت ، فيلجأ إلى حيلة وهي أن يتجاهل قضية الموت ويتغافل عنها ولا يشغل همه بها ويعيش كأنه لن يموت وبذلك يتوهم أنه لن يموت ! ، فيقينه بأنه سيموت هو يقين كاذب ، ورغم أن الموت من أخطر القضايا في حياة الإنسان ، فهو أخطر من كل أمور الدنيا ومسئولياتها ومشاكلها وأموالها وشهواتها وبالتالي لابد أن ينشغل الهم بهذا الخطر الرهيب ، فوظيفة الهم الانشغال بالأمر الخطير ، وينشغل بالأمر الأخطر أكثر .

ـ الله سبحانه يظهر لنا قدرته من خلال آيات الكون والزلازل والبراكين والابتلاءات ونزول القرآن وإرسال الرسل وما جاءوا به من معجزات ، فإذا لم تفلح كل طرق الوعظ للإنسان بإقناعه بضعفه وقدرة الله عليه وخضوعه للخالق وبالتالي شعوره بالخضوع والحب للخالق وطاعته ، فهنا يتم تدمير كل قوى الإنسان وما كان يغتر به بإهلاكه ثم بعثه ليجد نفسه قد زال عنه كل شيء فيعقل الحقيقة ولكن بعد فوات الأوان (( رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ))([[634]](#footnote-634)) .

ـ فالبعث يبين قدرة الخالق على أنه يفعل بالإنسان ما يشاء فيميت البشرية بكل ما فيها من صور القوة والغرور وكل ما فيها من أمول وشهوات وجاه وسلطان وتكنولوجيا ، أي القضاء والتدمير التام على كل ما عند البشرية من قوة وغرور وكل الجبال والأرض والسماوات ثم يحي البشرية مرة أخرى وهي عارية من كل شيء عندئذ يعقل الناس حقيقة ضعفهم : (( لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ))([[635]](#footnote-635)) .

ـ ويضاف على قدرة الله على إفناء البشرية بكل ما تملك قدرته على إعادة بعثهم فيرون أنفسهم أحياء من جديد فيرون قدرة الله بأعينهم .

ـ قد يذهب الإنسان إلى المقابر أو يرى قريبا له وهو يغسل فيهتز وجدانه وتتأثر مشاعره ، فهو عندئذ فقط يعلم ماذا يعني الموت ، أي يتصور ويدرك ويعي معنى الموت وأنه نهاية كل شيء في الدنيا ، فينشأ عن ذلك أن لا يسعى للدنيا لأنها تفنى سريعا في لحظة فتلك تجارة خاسرة .

ـ وقد يفعل إنسان آخر نفس الشيء لكن لا يعتبر ولا يفهم معنى الموت ، فهذا هو الفرق بين من يوقن يقينا حقيقيا بأنه سيموت ومن يوقن يقينا كاذبا بأنه سيموت .

ـ من يشعر بأن الموت هو النهاية فهذا معناه أن لا يوقن بالآخرة ولقاء الله يقينا حقيقيا ، أما من يشعر بأن الموت هو مجرد انتقال وسفر إلى مرحلة أخرى فهذا معناه أن يوقن بالآخرة ولقاء الله يقينا حقيقيا ، وبالتالي يكون الأول مرعوبا جدا من الموت وقد يحسب أن الله يظلمه بإماتته ، أما الثاني فليس مرعوبا من الموت ولكن يخاف من مهابة الانتقال إلى مرحلة شديدة الخطر مجهولة لا يدري ما يناله منها .

ـ الموت معناه تسليم الأمانة لصاحبها ! ، فالله هو المالك لكل شيء ، فأنت تعيش في ملك الله وعلى أرض الله ، والهواء الذي تتنفسه ملك لله ، والشقة التي تسكن فيها هي ملك لله ، وأنت نفسك وجسمك ويدك وزوجتك وأولادك ملك لله تعالى ، وكل ذلك أعطاك الله إياه كأمانه يستردها في موعد محدد ، هذا الموعد هو الموت ، فالموت هو سلب لكل النعم ، والابتلاء هو سلب لبعض النعم ، فالموت معناه أن تترك كل شيء مالك وأهلك ووظيفتك وأعضاؤك وروحك التي تجعلك تتحرك ، وكل ذلك ليس ملكا لك وإنما أمانة يستردها الله منك ، فهذا هو معنى الموت ، فمن عرف معنى الموت معرفة حقيقية فإنه لا يفزع من الموت لأنه إعطاء الأمانة لصاحبها وأنت محبا له لأنه جعلك تستفيد منها طوال هذه المدة التي عشتها في الدنيا .

ـ ولا يتحقق الإيمان بغير الإيمان بالموت ففي الحديث : (( لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق ، ويؤمن بالموت ، ويؤمن بالبعث بعد الموت ، ويؤمن بالقدر خيره وشره ))([[636]](#footnote-636)) .

ـ إن كل إنسان عنده اقتناع تام وبلا أدنى شك أنه سيموت ويترك كل شيء ، لكنه اقتناع كاذب عند البعض ، فهو بلسان المشاعر يقول : لن أموت أو لا أريد أن أموت ، خاصة إذا كان صاحب جاه ومنصب ودنيا وممتلكات فكون أنه يموت ويكون تحت التراب فهذا في لغة المشاعر هراء ولا يمكن أبدا ! : (( وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ))([[637]](#footnote-637)) ، إن الإنسان لو شعر فعلا بالموت لشعر بالخوف والقلق وشعر بمدي ضعف الإنسان وشعر بأن هناك قوة أعلي من الإنسان هي التي تميته وتفعل به ما تشاء هي قوة الله تعالى ، وشعر بالخضوع لمن له هذه القوة ، ولتغير حاله تماما ، كما أن الناس لو شعروا بالموت لما نظروا إلى أصحاب الجاه والمناصب والممتلكات نظرة تعظيم ، ولكن الموت في مشاعر البعض كلمة عادية روتينية فلا يشعر بما تعنيه الكلمة من خطر ، حيث كلمة الموت في لغة المشاعر تعني فقدان كل شيء وتعني ذهاب عن الدنيا بلا رجعة ، إن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمرنا بالذهاب إلى المقابر لا لنعرف ونقتنع بأننا سنموت فكل إنسان علي اقتناع تام بالموت ولكن لنشعر بالموت ونتصوره حتى يكون يقيننا بالموت حقيقي ، إن الشعور بخطورة الموت يؤدي إلى شعور بضآلة الدنيا وشعور بغباء مَنْ يسعى لها ، فأيهما يفضل الإنسان ويريد ؟ حياة الدنيا أم حياة الآخرة ؟ : (( فَأَمَّا مَنْ طَغَى ، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ))([[638]](#footnote-638)) ، كما أن الذي يشعر بالموت لا يهمه كل مصائب الدنيا لأنها أقل من مصيبة الموت ، ولأن مصائب الدنيا تعني ترك جزء مما تملك من صحة أو مال أو ممتلكات .. إلخ ، أما الموت فهو ترك كل شيء ، إذن سواء تركت شيئا مما تملك في حياتك أم لم تترك فالنهاية واحدة هي أنك تترك كل شيء عند الموت ، فهذا يعني عدم الاكتراث وعدم السخط والغضب علي مصائب الدنيا ، والذي يوقن يقينا حقيقيا بالموت فإنه يعيش حياته يعبد الذي يميته : (( قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ))([[639]](#footnote-639)) ، فهناك من وضع للإنسان شيء اسمه الشيخوخة لكي يعلم الإنسان أنه لا يمكن أن يخلد في الدنيا وأن هناك من قدًّرَ عليه الموت : (( وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ ))([[640]](#footnote-640)) ، ومهما حاول الإنسان التغافل والهروب عن الحقيقة والمصير القادم ، فإنها أيام قصيرة وغدا اللقاء رضي أم لم يرضى ، شعر بذلك أم لم يشعر ، وقد سبقه الكثير إلى هناك ولكن من عنده مشاعر يحس بها ؟ (( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ))([[641]](#footnote-641)) ، وغدا تنتهي الحياة فماذا أنت صانع ؟ .‌

ـ والموت يسمى هاذم اللذات لأن من يشعر بأنه سيموت يوما ما فإن حياته وما فيها من متع ولذات سوف تتكدر ، وفي الحديث : (( أكثروا ذكر هاذم اللذات الموت ))([[642]](#footnote-642)) ، فكيف يفرح الإنسان بشيء هو مفارقه ، فهو مفارق لكل النعم ، يقول الشيخ أبو حامد الغزالي : (( ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا ينبغي أن يتذكر في الحال أنه لابد له من مفارقته ، نظر ابن مطيع ذات يوم إلى داره فأعجبه حسنها ثم بكى فقال والله لولا الموت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا ثم بكى بكاء شديدا حتى ارتفع صوته ))([[643]](#footnote-643)) ، وفي الحديث : (( اذكر الموت في صلاتك فإن الرجل إذا ذكر الموت في صلاته لحري أن يحسن صلاته وصل صلاة رجل لا يظن أنه يصلي صلاة غيرها وإياك وكل أمر يعتذر منه ))([[644]](#footnote-644)) ، وفي الحديث : (( اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك واحسب نفسك مع الموتى واتق دعوة المظلوم فإنها مستجابة ))([[645]](#footnote-645)) ، وفي رواية أخرى : (( اعبد الله كأنك تراه وعد نفسك في الموتى ))([[646]](#footnote-646)) ، وفي الحديث : (( ما حق امرئ مسلم تمر عليه ثلاث ليال إلا وعنده وصيته ، قال عبد الله بن عمر : ما مرت علي منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك إلا وعندي وصيتي ))([[647]](#footnote-647)) ، ولذلك يقول تعالى : (( إنك ميت وإنهم ميتون ))([[648]](#footnote-648)) ولم يقل إنك ستموت وإنهم سيموتون حتى يعد الإنسان نفسه من الموتى .

ـ ورد عن حذيفة بن اليمان أنه كان يقول : (( ما من صباح ولا مساء إلا ومناد ينادي : يا أيها الناس الرحيل الرحيل ، وإن تصديق ذلك في كتاب الله عز وجل : ( إنها لإحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم ) قال : في الموت ( أو يتأخر ) قال : في الموت ))([[649]](#footnote-649)) .

ـ فالموت عند المؤمن هو اليوم المنتظر ، فهو يعيش عمره ينتظر هذا اليوم الذي بعده السعادة الأبدية ، أما المنافق فيتغافل عن ذلك اليوم ، ففي مشاعره أن لقاء الله أمر لا وجود له لأنه لا يشعر له بقيمة ، فهو بذلك لا يريد لقاء الله رغم اليقين الكاذب التام بأنه سوف يلقى الله : (( إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ، أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ))([[650]](#footnote-650)) ، (( بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُوراً ))([[651]](#footnote-651)) ، (( أنهم كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَاباً ))([[652]](#footnote-652)) .

ـ فنسيان الموت والتغافل عنه وتجاهله مثل نسيان الآخرة ونسيان الله ، فإن جميع الناس يؤمنون بالموت ويوقنون به تماما لكن لا يتأثرون بالموت مطلقا كأنه شيء غير مؤثر وكأنه غير موجود ، كذلك اليقين بالله وبالآخرة موجود لكنه يقين كاذب لأنه بلا أثر في النفس أو الهم أو المشاعر ، بل إن البعض قد يعجب : وهل معرفة الإنسان بالله والآخرة أمور مؤثرة ؟!! وكأن عظمة الله الهائلة وقدرته الفائقة وعلمه الهائل وأهوال القيامة ونعيم الجنة كل ذلك مسألة معلومات يقتنع بها الإنسان فحسب !! .

ـ بعض الناس اهتدوا بسبب أنهم رأوا أحدا مات فتأثرت مشاعرهم وأيقنوا بالموت وبأنهم سيموتون ، خاصة لو كان صديقا حميما وكان شابا صغيرا .

ـ بعض الناس عندهم كراهية شديدة للموت تصل إلى درجة الرعب : (( قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فإنه مُلاقِيكُمْ ))([[653]](#footnote-653)) ، وهؤلاء عند احتضارهم أو عند الشدائد تجد عندهم رعب شديد من الموت ، فهو لا يريد أن يموت ، وربما كان سبب موتهم هو رعبهم من الموت ، في حين تجد الصالحين عند احتضارهم يتقبلون أمر الموت وقد تجد ذلك في حديثهم عند الاحتضار .

ـ فالموت عند البعض هو الطامة الكبرى وهو نهاية الحياة ، أما المؤمن فالموت عنده هو بداية الحياة الحقيقية وهو مجرد مرحلة ينتقل بها إلى الدار الآخرة ، وهو مجرد ألم مؤقت عليه أن يتحمله ثم بعده يحيا مرة أخرى ، وذلك لأن الآخرة هي حقيقة واقعة في ذهن المسلم وفي شعوره ، فالأرواح لا تموت والجسد يتم تشكيله من جديد بشكل آخر ، أما عند البعض فهي مجرد قناعات ومعلومات نظرية لا يحمل لها هما ولا ينشغل بها باله .

ـ تصور الموت على أنه نهاية الحياة وفقدان الأهل والمال والشهوات خاطئ ، ولذلك يحدث الخوف من الموت ، فالموت هو انتقال من عالم إلى عالم ، فلا يخاف الإنسان منه ولكن يخاف من مهابته لأنها لحظة فارقة مهيبة ينتقل فيها الإنسان من عالم إلى عالم آخر ، فخوف المهابة هو شعور بالقلق والتحير والدهشة من هول من الانتقال للعالم الآخر ، وغياب خوف المهابة من الموت معناه غياب اليقين الحقيقي بالموت وتغافل عن قضية الموت ، والعاقل هو الذي ينشغل ذهنه بالموت ليلا ونهارا لا يفارقه : (( كُنْ في الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أو عَابِرُ سَبِيلٍ وَعُدَّ نَفْسَكَ في أَهْلِ الْقُبُورِ ، فَقَالَ لي ابْنُ عُمَرَ إِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْمَسَاءِ وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّبَاحِ ))([[654]](#footnote-654)) .

ـ الشعور بخطورة اقتراب الآخرة واقتراب الموت وقصر الحياة في الدنيا :

ـ الإنسان منذ أن يولد يبدأ العد التنازلي ، فكلما مرت ساعة نقص من عمره ساعة ، والعد التنازلي مستمر فأنت توشك أن تبلغ ، فأنت منذ ولدت تقطع الطريق إلى الله توشك أن تبلغ ، فكل يوم يمر من عمرك هو اقتراب من أجلك لتصل إلى لقاء الله تعالى ، وفي حلية الأولياء : (( قال فضيل بن عياض لرجل : كم أتت عليك ؟ قال : ستون سنة ، قال : فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك توشك أن تبلغ ، فقال الرجل : يا أبا علي إنا لله وإنا إليه راجعون ، قال له الفضيل : تعلم ما تقول ؟ قال الرجل : قلت إنا لله وإنا إليه راجعون ، قال الفضيل تعلم ما تفسيره ؟ ، قال الرجل : فسره لنا يا أبا علي ، قال قولك إنا لله ، تقول : أنا لله عبد وأنا إلى الله راجع ، فمن علم أنه عبد الله وأنه إليه راجع ، فليعلم بأنه موقوف ومن علم بأنه موقوف فليعلم بأنه مسئول ، ومن علم أنه مسئول فليعد للسؤال جوابا ، فقال الرجل : فما الحيلة ؟ قال : تستره ، قال : ما هي ؟ قال : تحسن فيما بقى يغفر لك ما مضى وما بقى ، فإنك أن أسأت فيما بقى أخذت بما مضى وما بقى ))([[655]](#footnote-655)) ، فإنما أنت أيام معدودة ، فإذا ذهب يوم ذهب بعضك ، ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل .

ـ فالدنيا هي وقت وجيز جدا ويمضي سريعا ، وعمر الإنسان في الدنيا إلى عمره في الآخرة يكاد يكون صفرا ، وما يتبقى من عمر الإنسان ليصل إلى الآخرة هو وقت وجيز جدا وسريع جدا ، واليقين الحقيقي بضآلة قيمة الوقت الذي يقضيه الإنسان في الدنيا وسرعة مروره هو شعور الإنسان باقتراب الآخرة كأنها غدا ولا يبالي كثيرا فيما يحدث في هذا الوقت الوجيز لأنه يمضي سريعا .

ـ فمن عرف قصر حياته في الدنيا عرف اقتراب الآخرة ، ومن عرف ضآلة الدنيا عرف خطورة الآخرة ، ومن قصر أمله في الدنيا عرف الخلود في الآخرة ، ومن عرف ضآلة نفسه عرف عظمة ربه ، ومن عرف في نفسه صفات النقص والضعف عرف صفات الكمال في الله تعالى .

ـ الشعور باقتراب الآخرة معناه الشعور كأن أهوال القيامة تهجم علينا ، وتعنى أننا الآن في حالة استعداد وتأهب للقائها كاستعدادنا لحرب عدو قادم إلينا ، ففي تفسير الطبري : (( يعني تعالى ذكره بقوله ( اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ) : دنت الساعة التي تقوم فيها القيامة ، وقوله ( اقْتَرَبَتِ ) افتعلت من القُرب ، وهذا من الله تعالى ذكره إنذار لعباده بدنوّ القيامة ، وقرب فناء الدنيا ، وأمر لهم بالاستعداد لأهوال القيامة قبل هجومها عليهم ، وهم عنها في غفلة ساهون ))([[656]](#footnote-656)) .

ـ لو أن إنسان محكوم عليه بالإعدام وهو ينتظر تنفيذ الحكم وينتظر لقاء الله عن قريب ، ماذا يمكن أن يفعل ؟ وكيف يكون شعوره بالدنيا ؟ ، هل يظل قلبه متعلقا بالدنيا وبما فيها ؟ ، أم أنه سوف لا يتعلق قلبه إلا بالآخرة وما هو صائر إليه ؟ ، إن جميع الناس في الدنيا محكوم عليهم بالإعدام بالفعل وليس على سبيل البلاغة ، مع اختلاف كيفية الموت هل بالمرض أم حادثة أم بالقتل أم موت فجائي ، إن عمر الإنسان في الدنيا ولو كان مائة سنة فهي سنوات قليلة وأيام معدودة لمن يعقل سواء في مرورها سريعا أو بالمقارنة بالخلود في الآخرة ، إذن فالإنسان ينتظر قريبا تنفيذ الحكم بموته وانتقاله إلى الدار الآخرة فلابد أن يكون حاله مثل حال الإنسان المحكوم عليه بالإعدام وهو ينتظر تنفيذ الحكم بل أشد لأن تنفيذ الحكم هنا في أي لحظة مفاجئة دون معرفة الوقت المحدد لتنفيذ الحكم ، فمن كان يوقن يقينا حقيقيا باقتراب الآخرة فإنه يوقن يقينا حقيقيا بقصر العمر في الدنيا وأنه على وشك الوصول إلى الآخرة ، ومن كان يوقن بذلك فلن تتعلق مشاعره وهمومه وأهدافه بالدنيا إلا مثل عابر السبيل أو المسافر الذي يستعد للرحيل والعودة إلى بلده ، خاصة وأن الدنيا ليست إلا دار تعب ونصب ، لذلك في المثل : ( الدنيا أشغال شاقة وآخرتها الإعدام ) .

ـ فالحياة في الدنيا قصيرة : (( قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أو بَعْضَ يَوْمٍ فاسْأَلِ الْعَادِّينَ ))([[657]](#footnote-657)) ، (( وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إلا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ))([[658]](#footnote-658)) ، (( وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ))([[659]](#footnote-659)) ، (( كأنهم يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إلا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ))([[660]](#footnote-660)) ، (( كأنهم يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إلا عَشِيَّةً أو ضُحَاهَا ))([[661]](#footnote-661)) فالدنيا يومين يوم مضى وبقي يوم .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

# الفصل العاشر : تصور خطورة معنى ( الآخرة )

ـ الإنسان إما أن يوافق على الذهاب إلى الآخرة فيذهب إليها ، أو يرفض الذهاب إلى الآخرة فلا يذهب إليها ( وهذا مستحيل ) ، أو يتغافل عن الذهاب إلى الآخرة ويتخيل أنه غير ذاهب إليها رغم أنه ذاهب إليها رغما عنه .

ـ فالهروب من الآخرة بالتغافل عنها ( عدم تصور خطورتها وعدم شغل الهم بها ) لن يمنع من مجيئها ولكنها حيلة الأحمق .

ـ تصور خطورة الآخرة يكون من ثلاثة نواحي هي :

1ـ تصور الآخرة كعالم آخر رهيب ، وهذا يدعو إلى خوف المهابة من الآخرة :

ـ فلو افترضنا مثلا أن الآخرة فيها جنة فقط ، وكل الناس ينتقلون من حياة الدنيا إلى الحياة في الجنة ، فهذا أمر رهيب يدعو إلى خوف المهابة فهو انتقال من حياة إلى حياة مختلفة تماما وأعلى بكثير جدا مما يدعو إلى خوف المهابة ، ولو افترضنا جدلا أن كل الناس لن يدخلوا النار فوجود النار نفسها تدعو إلى خوف المهابة من مدى ضخامتها وشدتها وعجبها ، وكذلك الوقوف على أرض المحشر وما يحدث على أرض المحشر من أمور الحساب هو أيضا أمر رهيب يدعو إلى خوف المهابة .

ـ هذا التصور لن يتحقق إلا إذا تصور الإنسان أنه يسمع عن الآخرة وما فيها لأول مرة فيتعجب من الأمر ، وبدون هذا التصور لا يعرف الإنسان شيئا اسمه ( الآخرة ) معرفة حقيقية .

ـ كما يؤدي هذا التصور إلى كراهية النار وحب الجنة .

2ـ تصور الآخرة كصورة من صور قدرة الله : وتتمثل في قدرته على البعث وقدرته على الثواب والعقاب الهائل وقدرته على خلق الجنة والنار الهائلتين ، وهذا يدعو إلى خوف المهابة من الله سبحانه .

2ـ تصور الآخرة كثواب وعقاب ، وهذا يدعو إلى خوف المهابة من مبدأ الثواب والعقاب وخوف العقاب ورجاء الثواب .

### ـ اليقين الحقيقي بقدرة الله على البعث :

ـ لو أن إنسان مات منذ سنين وبلي جسمه ثم أخبروك أنه سوف يقوم حيا يسعى إليك وتراه وتتحدث معه ، إنه أمر مرعب يجعلك ترتعد وتخاف ، وسبب هذا الرعب أن ذلك الأمر خارق للأسباب ، إن هذا الأمر سوف يحدث بالفعل لجميع الناس ولكن أنت ستكون واحدا من هؤلاء الذين يقومون بعد أن ماتوا وفنيت أجسامهم ، إن هذا الأمر حقيقة فعلية وقادمة قريبا فلماذا لا تصاب بالخوف من مهابة هذا الأمر ولماذا لا تنشغل به ؟ ، ذلك لأن قضية البعث ليس لها قيمة في مشاعرك فأنت غافل عنها كأنها لن تحدث على وجه الحقيقة ، فالبعث والحياة في الآخرة هي أخطر قضية في حياة أي عاقل ، فلماذا لا ينشغل بها عقل الإنسان ؟ ، ذلك لأن اليقين بالبعث والآخرة هو يقين كاذب .

ـ بل إنك كنت ميتا ثم أحياك الله ، فكنت نطفة ميتة لا روح فيها في رحم أمك ثم نفخ الله فيك الروح فأصبحت حيا ، وهذا ما تراه كل يوم لجميع الناس حيث يخلق الله الأطفال في الأرحام من نطفة لا قيمة لها وينفخ فيها الروح ، إن ذلك أشد عجبا وغرابة وليس سحرا ولكنه حقيقة وخرق للأسباب ، فلماذا لا تشعر بالتحير والتعجب من مدى عظمة الخالق وقدرته فتشعر بالاستسلام والخضوع لقدرة الله : (( كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إليه تُرْجَعُونَ ))([[662]](#footnote-662)) ، وتشعر بضعفك وضآلتك حيث يفعل الله بك ما يشاء فيحييك ثم يميتك ثم يحييك : (( قُتِلَ الإنسان مَا أَكْفَرَهُ ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ، مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ))([[663]](#footnote-663)) .

ـ والزروع تراها أمام عينك بذور ميتة تتحول إلى أشجار حية تتنفس وتكبر ثم تموت ، فإذا لم يؤثر كل هذا في الإنسان فيشعر بالرهبة من أمر البعث وخطورته ويشعر بالخضوع والاستسلام لله ، فهذا معناه أن اليقين بالبعث كاذبا وليس يقينا حقيقيا .

ـ فلو أن إنسان وضع في يده حفنة من التراب ثم قال لك انظر إلى هذا التراب فلما نظرت إليه وجدته يتحول إلى برتقالة ! ، إنك تقول إن هذا الإنسان ساحر ، إن هذا الأمر يحدث بالفعل ولكن الساحر هنا ليس إنسان ولكنه بذرة البرتقال حيث تستطيع بذرة شجرة البرتقال أن تستخدم تراب الأرض وتحوله إلى برتقال ! ، وهكذا كل النباتات والزروع ، وفي الحقيقة فإن بذرة البرتقال ليس لديها القدرة على عمل ذلك ولكن هناك قوة خارجية خفية هي التي تمكن بذرة البرتقال من هذا العمل ، فالبذرة هي جماد تحول إلى كائن حي ( نبات ) : (( وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ))([[664]](#footnote-664)) .

ـ إذا لم يتحير ذهن الإنسان من مدى قدرة الله على إحياء الأموات ويشعر بخوف المهابة من البعث ويتأثر همه بهذا الحدث المنتظر القريب الهائل حينما يقوم من موته ويقوم معه كل الناس فهذا معناه أنه يقول بمشاعره وهمومه : ( لا يستطيع أحد أن يعيد الإنسان بعد أن أصبح ترابا إلى الحياة وما الجنة والنار إلا أساطير ) .

ـ المؤمن يتعامل مع البعث والآخرة على أنها حقيقة واقعة وجد لا هزل فيه وخطر محقق ، والكافر والمنافق يتعامل مع البعث والآخرة كأنها لعب أو أمر غير مهم ولا يأخذها مأخذ الجد ويتغافل عنها رغم اليقين الكاذب بها .

### ـ مفهوم نسيان الآخرة والغفلة عن الآخرة :

ـ نسيان الآخرة والغفلة عن الآخرة معناه عدم التصور وعدم الشعور بخطورة الآخرة وعدم شغل الهم بها وعدم تأثر المشاعر بها .

ـ (( فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ))([[665]](#footnote-665)) ، (( إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ))([[666]](#footnote-666)) ، (( فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ ))([[667]](#footnote-667)) ، (( وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ))([[668]](#footnote-668)) .

ـ (( يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ))([[669]](#footnote-669)) ، (( وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ))([[670]](#footnote-670)) ، (( اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ))([[671]](#footnote-671)) ، (( وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ))([[672]](#footnote-672)) ، (( لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ))([[673]](#footnote-673)) .

ـ وسبق أن أوضحنا أكثر من تسعين دليلا تبين صور النسيان والغفلة والبعد عن الله والآخرة ( راجع الفصل السادس ) ، وفي الفصل السادس عشر نوضح الأدلة على أن عدم تأثر المشاعر بالله والآخرة هو نسيان لله والآخرة .

ـ فلا يتحقق اليقين الحقيقي بالآخرة حتى تكون الآخرة حقيقة واقعة في ذهن المؤمن يشعر بخطورتها وبالتالي تؤثر على مشاعره وهمومه وتفكيره وأمانيه لأنها الخطر المترقب والحياة المنتظرة .

ـ لماذا يتناسى الإنسان الآخرة ؟ :

ـ الآخرة هي ثواب الله وعقابه الهائل فمن أيقن بها يقينا حقيقيا خضع لقدرة الله الهائلة ، وخاف من مهابة قدرته المتمثلة في الجنة والنار وأحب الله إعجابا بمدى قدرته المذهلة ، والإنسان الذي لا يريد الخضوع يتناسى الآخرة حتى لا يخضع ، ومهما جاءته الأدلة على الآخرة فسوف يتجاهلها ويتناساها ، لدرجة أنه لو ذهب إلى الآخرة ورآها بعينه ثم عاد إلى الدنيا فسوف يتناسى الآخرة ويتناسى ما رآه بعينه : (( وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ))([[674]](#footnote-674)) ، ولا يفعل ذلك إلا من لا عقل له ، فهؤلاء مصيرهم النار لأنهم عطلوا عقولهم فلا يعقلون : (( وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أو نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ))([[675]](#footnote-675)) .

ـ تصور خطورة الآخرة :

ـ إن الآخرة فوق مستوى الخيال وأشد رعبا من كابوس مرعب وأشد رعبا من رؤية أشباح وأعجب من السحر ، لكن الآخرة في مشاعر البعض هي عالم عادي جدا لا خطورة منه ولا مشكلة فيه مثل حواديت ، فمثل هؤلاء يفاجئون بعد الموت بعالم حقيقي أخطر وأعجب وأغرب من هذه الأشياء ، فيرون الملائكة ويفاجئون بالحساب والجنة والنار : (( وَنُفِخَ فِي الصُّور فَإِذَا هُم مِنَ الْأَجْدَاثِ إلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (51) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ))([[676]](#footnote-676)) .

ـ عندما يرى الإنسان كابوس مرعب فإنه قد لا ينام عدة أيام لأنه كلما نام رأى الكابوس ، ويكون في حياته قلقا متوترا خائفا منزعجا وصورة الكابوس لا تفارق عينه ولا يستطيع أن ينساها ، فالآخرة أشد في خطورتها من أي كابوس لأن فيها أهوال أشد من أي كابوس ، فضلا عن أنها حقيقة وليست كابوسا ، فالذي يوقن بالآخرة يقينا حقيقيا لا تفارق صورة الآخرة ذهنه : (( كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (5) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ))([[677]](#footnote-677)) .

ـ من الناس مَنْ ليس عنده أي هم بالآخرة رغم ما بها من أهوال وأنها المصير لدرجة أنك قد تجد المرء يستغرب ولماذا الهم بالآخرة ؟! ، وكأنه لا يوجد أي شيء يدعو للهم بالآخرة ! ، فهو في غفلة تامة عن الآخرة فلا يوجد أي تأثر بالآخرة سواء سلبا أو إيجابا فلا يخاف الآخرة ولا يكرهها ولا يحبها لأنه لا يشعر بها أصلا وكذلك كل الغيبيات ، وهذا هو نسيان الله والآخرة ، فإن الشيء الذي تهتم به فإنه يشغل همك ولا تنساه ، فمعني عدم انشغال الهم بالآخرة عدم الاهتمام بشأنها كأنها أمرا غير مهم ، إذن فنسيان الآخرة ليس نسيان وجودها ولكن نسيان ما تعنيه من الأهمية والخطورة فلا تشغل البال ، وكذلك نسيان الله لا يعني نسيان وجوده فالكفار يعلمون وجوده ، ولكن يعني عدم شغل الهم بعظمته وقدره وقدرته ، فلا ينشغل البال أو المشاعر بأمر الله والدين ، (( نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ))([[678]](#footnote-678)) ، (( فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ))([[679]](#footnote-679)) .

ـ اليقين الحقيقي بالآخرة يؤدي إلى أن يعيش الإنسان حياته من أجل الإعداد للآخرة ، فتكون حياته كلها كالذي يرتب أموره ويعد حقائبه ويجهز نفسه ويستعد للرحيل ، فلا يعيش حياة المقيم وإنما حياة الإعداد والترتيب والاستعداد النفسي والتأهب للمرحلة القادمة الخطيرة .

ـ إن الإنسان عندما يشعر بالآخرة فإن حساباته في الحياة سوف تختلف تماما ، وإنه سوف يسقط أمور الدنيا والناس من حساباته ، لأنه يشعر أن الدنيا ضئيلة ويشعر بأن السعادة إنما هي في الجنة ، فتكون الجنة هدفه وطموحه وغايته ومستقبله ، لأنه سوف يشعر بأن الحياة التي نعيشها الآن بكل ما فيها من الأعمال الضخمة هي حياة كاذبة ومجرد لعب ولهو مثل لهو ولعب الأطفال : (( وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إلا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخرة لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ))([[680]](#footnote-680)) ، فالمكان الطبيعي لمعيشة البشر ليس الكرة الأرضية وإنما هو الآخرة ، والكرة الأرضية ليست إلا مكان هبط إليه آدم ليتم اختباره وذريته ثم يعودون إلى حيث ديارهم وأهليهم وأوطانهم في الآخرة ، أما إذا ظل الإنسان غافلا تلهيه الدنيا فغدا سوف يشعر بالآخرة حين لا ينفع الندم : (( يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ))([[681]](#footnote-681)) .

### ـ الدنيا هادئة تماما ومعزولة عن خطر الآخرة الهائل :

ـ رغم أن الدنيا عبارة عن طريق قصير يوصل إلى الآخرة ، وكل الناس مقبلون على هذا الخطر الهائل ، ورغم ذلك أراد الله أن تكون الدنيا معزولة تماما عن الآخرة وحجب عنا رؤية الآخرة ، والإنسان له أن يعمل ما شاء في الدنيا ولا يحاسبه أحد ، فالحساب في الآخرة ، فالدنيا عمل ولا حساب ، والآخرة حساب ولا عمل .

ـ فالعاقل هو الذي لا ينخدع بهدوء الدنيا كأنه لا خطر يتعرض له أو يوشك أن يلحق به ، ويسارع بالفرار قبل الكارثة والطامة الكبرى .

ـ الدنيا لها ظاهر وباطن والآخرة كذلك ، والظاهر عكس الباطن تماما ، فظاهر الآخرة أننا لا نراها ، وظاهر الدنيا زينة هائلة توحي بأن الدنيا عظيمة في متعها وآلامها ، والعاقل هو الذي لا ينخدع بالظاهر ويفكر في الباطن ليعرف حقيقة الشيء .

ـ فمثلا لو كان في يدك ظرف فارغ لا شيء فيه ومكتوب عليه مليون جنيه ، فالذي ينظر إلى المكتوب على ظاهر الظرف ولا ينظر إلى حقيقة ما بداخله فهو أحمق لا عقل له ، فالمكتوب على الظرف هو زينة الدنيا ، وما بداخل الظرف هو حقيقة الدنيا ، والعكس لو كان في يدك ظرف مكتوب عليه صفر ولكن بداخله مليون جنيه فالعاقل هو الذي ينظر إلى داخل هذا الظرف ليعرف حقيقته ، فالدنيا والآخرة كاذبتان تقولان عكس ما بداخليهما تماما .

ـ الآخرة خطر هائل لا تراه ، فمن كان تفكيره في ظاهر الأمر فهو لا يرى شيئا ولا يفكر في حقيقتها ليشعر بخطرها الهائل جدا ، فهي في نظره لا قيمة لها كأنها لعب ولهو ، وهو لا عقل له ، وعلى العكس فالدنيا أنت تراها بعينك وهي مزينة بزينة خادعة جدا تجعل الإنسان يظن أن متعها عظيمة جدا وألمها عظيم جدا ، فمن كان تفكيره في ظاهر الأمر فهو ينخدع بزينتها ولا يفكر في حقيقتها ليشعر بأنها لعب ولهو ، وهو لا عقل له .

ـ أراد الخالق سبحانه أن نعرف الآخرة بطريقة غير مباشرة ، فنحن لا نرى الجنة والنار رغم أنهما موجودتان الآن في الدنيا ، ولا يستطيع الإنسان مهما أوتي من مركبات الفضاء أن يصل إلى الجنة أو النار ليراهما ـ ولكن الله سبحانه مكن الرسول صلى الله عليه وسلم من الوصول إلى الجنة ورؤية ما فيها وهو لا يزال في الدنيا ـ فأراد الله أن نعرف الجنة والنار والآخرة بطريقة غير مباشرة من خلال دعوة الرسل وآيات الكون ، والعاقل يؤمن بالآخرة طالما أن الأدلة موجودة في دعوة الرسل وآيات الكون .

ـ فرغم علم الإنسان بأن الدنيا إلى زوال وأنها لا قيمة لها وأن الآخرة هي الخطر الكبير والحياة الأبدية فإنه يبعد نظره عن حقيقة الدنيا ويوجه نظره إلى ظاهرها متناسيا حقيقتها ، وكذلك يبعد نظره عن حقيقة الآخرة وخطورتها ويوجه نظره إلى ظاهرها من حيث أننا لا نراها وأنها غير قائمة الآن متناسيا حقيقتها وخطورتها .

ـ فالذي يبحث عن الدنيا وشهواتها هو يبحث عن السراب والوهم ، لأن الدنيا وزينتها عبارة عن غلاف يلمع مثل الذهب وبداخله هواء ، فالإنسان الذي لا عقل له ينظر إلى ظاهر هذا الغلاف فينخدع به والعاقل هو الذي يعقل حقيقة ما بداخله .

ـ أراد الله أن تظهر الأمور على عكس حقيقتها تماما ، والحكمة من ذلك هو اختبار الإنسان ، فالاختبار هو إما أن ينخدع الإنسان بظاهر الأمر أو يعمل عقله فيكتشف حقيقة الأمر ، فمثلا الإنسان أمامه صورتين من الشهوات هما شهوات الدنيا وشهوات الجنة ، شهوات الدنيا هي في حقيقتها ضئيلة جدا ووقتية وتفنى سريعا ولكنها خادعة جدا تبدو كأنها المتع واللذات الهائلة والتي لا تفنى فلا يستطيع أن يقاومها الإنسان أبدا إلا إذا أعمل عقله فعقل حقيقتها فلم ينخدع بها ، وشهوات الجنة لا يراها الإنسان فتبدو كأنها وهم وسراب لمن لا عقل له ، أما إذا أعمل الإنسان عقله فتصور حقيقتها وتصور مدى تحقق أدلتها وتصور مدى ما فيها من النعيم الهائل الخالد فلم ينخدع بعدم رؤيتها فهو الذي ينجح في الاختبار .

ـ وكذلك الإنسان أمامه صورتين من الآلام هما آلام الدنيا وآلام النار وأهوال القيامة ، آلام الدنيا هي في حقيقتها ضئيلة جدا ووقتية وتفنى سريعا ولكنها خادعة جدا تبدو كأنها الآلام الهائلة والتي لا تفنى فلا يستطيع أن يتحملها الإنسان أبدا إلا إذا أعمل عقله فعقل حقيقتها فلم ينخدع بها ، فهو مطالب بتبعات كثيرة جدا من مشاغل الحياة اليومية وأعباءها ورفع الظلم عن نفسه وعن غيره والفقر والمرض وقلة المئونة والعمل للكسب وغير ذلك ، وإذا قصر في أمور الدنيا يجد الآلام نتيجة لتقصيره ، بينما النار لا يراها الإنسان فتبدو كأنها وهم وسراب لمن لا عقل له ، أما إذا أعمل الإنسان عقله فتصور حقيقتها وتصور مدى تحقق أدلتها وتصور مدى ما فيها من العذاب الهائل الخالد فلم ينخدع بعدم رؤيتها فهو الذي ينجح في الاختبار .

ـ تصور خطورة الانتقال للآخرة في أي لحظة :

ـ ليست المشكلة فقط في قصر عمر الدنيا وأنها دار سفر ، فالأخطر من ذلك أن الانتقال إلى الآخرة يكون في لحظة مفاجئة مباغتة وبلا مقدمات وينتهي كل شيء للأبد : (( قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ))([[682]](#footnote-682)) ، (( وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إلا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أو هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ))([[683]](#footnote-683)) ، فيفتح الإنسان عينيه فلا يجد بيته الذي كان يسكن فيه وعمله الذي كان يعمل فيه وأهله وأصدقاءه الذين ألف المعيشة معهم ، فجأة يفتح عينه ليجد كل شيء قد تغير في لحظة : (( وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (51) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ))([[684]](#footnote-684)) ، فاليقين الحقيقي بأن الموت يأتي في أي لحظة وينتقل الإنسان للآخرة معناه استمرار انشغال البال واستمرار خوف المهابة من خطورة الانتقال إلى الآخرة في أي لحظة ، ففي الحديث عَنْ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بمنكبي فَقَالَ : (( كُنْ في الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أو عَابِرُ سَبِيلٍ وَعُدَّ نَفْسَكَ في أَهْلِ الْقُبُورِ ، فَقَالَ لي ابْنُ عُمَرَ إِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْمَسَاءِ وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّبَاحِ وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ قَبْلَ سَقَمِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِى يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ غَدًا ))([[685]](#footnote-685)) ، معنى ( كن في الدنيا كأنك غريب ) أي تصور دائما أنك غريب في هذه الحياة ، ومعنى ( وعد نفسك في أهل القبور ) أي تصور نفسك وأنت في القبر وتصور اقترابك من هذه الحال ، وبالتالي ينشغل الذهن دائما بالموت .

### ـ الغفلة التامة عن الخطر العظيم ( الآخرة ) !! :

ـ إذا أخبرت إنسانا أنه مقبل على خطر ما ولم يشعر بالخطر فهذا معناه أنه لم يوقن بما أخبرته ، رغم أنك أتيت له بالأدلة على صدق كلامك فهو يوقن بصدق كلامك من حيث صحة الأدلة ، فكذلك الرسل جاءت لتنذر الناس بالخطر العظيم الذي هم مقبلون عليه ، فمن شعر بالخطر تحقق عنده اليقين بالآخرة ، ومن لم يكن عنده أي قدر من الشعور بالخطر فيقينه كاذبا وليس يقينا حقيقيا بالآخرة ، فاليقين الحقيقي بالآخرة معناه الشعور بخطورة الحياة الآخرة : (( قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ، أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ))([[686]](#footnote-686)) ، (( إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ، وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ))([[687]](#footnote-687)) .

ـ مجرد العلم بأن هناك آخرة فهذه ليست معلومة سهلة لأن معناها أننا نعيش حياتنا مترقبين ليوم المعاد ، ولكن لا يزال البعض يعيش في غيبوبة أو في حالة سكر لم يفق بعد إلى حجم الخطر الذي ينتظره ولا يدري بما هو صائر إليه بعد لحظات من الخطر العظيم ، فنحن مقبلون على خطر عظيم وحدث هام جدا ، والعد التنازلي مستمر الآن ، ويوشك أن نلحق بالآخرة ، لكننا لا نشعر بذلك ، ونظن أن الأيام طويلة والعمر مديد ، وإذا كان هناك أحد عنده شيء من الشعور بقدر الآخرة فتكون درجة شعوره ودرجة إفاقته لا تتناسب أبدا مع خطورة الحدث ، فلابد أن تشعر بمدى الفرق الهائل بين الدنيا والآخرة ، فعندئذ تشعر بمدى خطورة الآخرة ومدى ضآلة الدنيا فتشعر بالخوف من ذلك الخطر العظيم ( الآخرة ) .

ـ إن تصور لحظة واحدة من الحياة في القبر أو الحياة في الآخرة يجعل الإنسان ينسى الحياة الدنيا ، وبالتالي فالعاقل هو الذي يتجه تفكيره واهتمامه وتصوره إلى الحياة في الآخرة وليس الدنيا .

ـ الألم واللذة في الآخرة شديد جدا وفوق كل التصورات وواقع متحقق وشيك جدا ودائم ، بينما الألم واللذة في الدنيا ليس إلا لعب ولهو بالمقارنة بالآخرة ، ومهما وصف لك حجم الألم واللذة في الآخرة فلن تشعر بالحجم الحقيقي للخطر الهائل واللذة الهائلة ، ولو أدرك الإنسان واحد على مليون من معنى ألم النار أو لذة الجنة لهانت عليه الدنيا بكل ما فيها من آلام ولذات .

ـ ورغم ذلك فطبيعة تفكير البعض ومشاعرهم تقول عكس ذلك تماما ، فطبيعة تفكيرهم ومشاعرهم تقول أن الألم واللذة إنما هو الذي نعايشه في الدنيا ولا لذة أو ألم غير ذلك ، وذلك رغم اليقين الكاذب بألم النار ولذات الجنة الهائلة لكن شعور الإنسان بهذا الخطر كأنه غير واقع .

ـ فلو أن رجلا عاد إلينا من الآخرة ، ماذا يمكن أن يقوله ؟ ، إن هذا الكتاب عبارة عن تصور لما يمكن أن يقوله ذلك الرجل ، إنه سوف يجد الناس علي يقين واقتناع تام بالله واليوم الآخر وكل ثوابت الدين ، وربما عندهم تفاصيل قد أيقنوا بها أكثر منه هو نفسه ، ورغم ذلك فالله والآخرة ليس لهما وجود في شعور البعض ومشاعرهم وهمومهم وأهدافهم ، إنه سوف يَعجب من هذا الانفصام التام الذي يتمثل في وجود مسلمين يقرون بالغيبيات ، ولكنهم علمانيين في شعورهم ومشاعرهم وهمومهم وأهدافهم حيث أن الغيبيات غائبة تماما من شعورهم ومشاعرهم وهمومهم وأهدافهم ، فكيف يوقن الإنسان بالآخرة التي هي المستقبل والمصير ثم لا يشعر بخوف المهابة وخوف العقاب وكيف لا يشعر بالغربة وهو مسافر إليها ؟! ، وكيف يوقن الإنسان بالله الذي صنع بقدرته كل البشر والكون وهم مقهورون تحت قدرته ثم لا يشعر بخوف المهابة والحب إعجابا بقدرته والخضوع وخوف العقاب ورجاء الثواب ؟! ، ذلك لأن هذا اليقين كاذب عند البعض .

ـ الإنسان لا ينكر وجود الآخرة ، لكنه قد يتجاهل ما بها من ألم وخطر وأهمية فتصبح كأنها لا قيمة لها ، فهي عندئذ غير موجودة في شعوره ، وهو بذلك قد أفرغ الكلمة من محتواها ، مثل الطفل الذي في يده أسد مصنوع من البلاستيك فهو يلعب به رغم أنه يوقن تماما أنه أسد لكنه مسلوب القوة .

ـ وكل إنسان حر له أن يفعل ما يشاء ، فإما أن يتجاهل الآخرة وذلك بتجاهل ما بها من ألم ، وإما أن يعترف بذلك في نفسه فيشعر بما في الآخرة من ألم وخطر ، ولكن تجاهل الإنسان للآخرة وألمها لن يغير من حقائق الأمور شيء ، فالآخرة قادمة وشيكة والألم شديد والموت قادم ، فهو عندئذ مثل النعامة التي تضع رأسها في التراب حتى لا يراها الأعداء ، أي كأنها تقول لنفسها أنه طالما أنها لا ترى الأعداء إذن فهم غير موجودون ولا أحد يطاردها ! .

ـ الآخرة هي الحقيقة الكبرى المرعبة : (( يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ))([[688]](#footnote-688)) ، وقد سبقنا إليها الكثير والدور علينا ، ورغم ذلك فإن مشاعر الناس تجاه الآخرة وأمور الدين فاترة باردة ، في حين تتفاعل مشاعرهم وانفعالاتهم تجاه أمور الدنيا الفانية ، فالآخرة أمر جاد جدا وخطير جدا ولا يحتمل التراخي ، ونحن نتعامل معه بلا مبالاة وفتور شديد بغير جدية وإدراك لخطورته ، هذا معناه أن هناك غفلة تامة عن الخطر العظيم الذي نحن مقبلون عليه ، إن الآخرة هي خطر عظيم جدا نحن مقبلون عليه حتما بعد وقت ضئيل جدا يمر سريعا دون أن ندري ، إن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء إلى الناس لينذرهم ويحذرهم ، ويمكن تشبيه ذلك بأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء إلى الناس ليحذرهم من أن هناك خطر عظيم سوف يجتاحهم ، هذا الخطر هو جيش جرار جاء ليقضي عليهم ، فكان طائفة منهم عندهم لا مبالاة ولم يتأثروا ولم ينتبهوا لخطورة الأمر ولم يشعروا بالخوف والرعب ، ومن أثر ذلك أنهم لم يتحركوا من مكانهم ولم يهربوا وكأن شيئا لم يكن وكأنهم لم يسمعوا وكأنهم كالحائط الذي لا يحس ، وبقوا مكانهم منشغلين بحياتهم وطعامهم وشرابهم ، فهؤلاء جاء الجيش إليهم فقضى عليهم ، وطائفة أخرى تحركت مشاعرهم وشعروا بالخوف ولاذوا بالفرار فنجو من الجيش ، وهذا المثل هو ما أوضحه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ففي الحديث : (( إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء النجاء ، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق ))([[689]](#footnote-689)) ، وكان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا خطب على المنبر فذكر الآخرة تحركت مشاعره وانفعل بشدة ففي الحديث : (( وكان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه وعلا صوته واشتد غضبه كأنه نذير جيش يقول صبحكم مساكم ))([[690]](#footnote-690)) ، فقد جاء الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الناس ليقول لهم ( أيها الناس : أنقذوا أنفسكم من النار !! ) وهذا ما جاء في الحديث : (( لما نزلت { وأنذر عشيرتك الأقربين } جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فخص وعم فقال يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم من الله ضرا ولا نفعا ، يا معشر بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم من الله ضرا ولا نفعا ، يا معشر بني قصي أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم ضرا ولا نفعا ، يا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم ضرا ولا نفعا ، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لك ضرا ولا نفعا ، إن لك رحما سأبلها ببلالها ))([[691]](#footnote-691)) ، وفي حديث آخر : (( مثلي كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي يقعن في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فذلك مثلي ومثلكم ، أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار هلم عن النار فتغلبوني فتقتحمون فيها ))([[692]](#footnote-692)) ، وعن ابن عباس قال : لما نزلت { وأنذر عشيرتك الأقربين } صعد النبي صلى الله عليه وسلم الصفا فجعل ينادي : (( يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا نعم ما جربنا عليك إلا صدقا ، قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فقال أبو لهب تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت { تبت يدا أبي لهب وتب } ))([[693]](#footnote-693)) ، وفي رواية : (( يا بني عبد مناف يا بني عبد مناف إني نذير إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد أهله فخشي أن يسبقوه إلى أهله فجعل يهتف يا صباحاه يا صباحاه أُتيتم أُتيتم ))([[694]](#footnote-694)) ، وفي حديث آخر : (( خذوا جُنَّتكم ! ، قالوا يا رسول الله عدو حضر قال لا ولكن جُنَّتكم من النار قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فإنهن يأتين يوم القيامة مجنبات ومعقبات وهن الباقيات الصالحات ))([[695]](#footnote-695)) وفي الحديث : (( الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إلى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ ))([[696]](#footnote-696)) ، وفي الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : (( مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا لنا فقال ما هذا ؟ ، فقلنا : قد وَهَى فنحن نصلحه ، قال : ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك ))([[697]](#footnote-697)) أي الآخرة قريبة ووشيكة حتى كأنه لا وقت للانشغال بشيء غيرها .

ـ وكان أبو الدرداء يقول : (( لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت ، ما أكلتم طعاماً على شهوة ، ولا شربتم شراباً على شهوة أبداً ، ولا دخلتم بيتاً تستظلون به ، ولخرجتم إلى الصعيد تضربون صدوركم وتبكون على أنفسكم ، ولوددت أنى شجرة تعضد ثم تؤكل ))([[698]](#footnote-698)) ، وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : (( ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه ))([[699]](#footnote-699)) ، ورغم ذلك فلا يزال البعض يتغافلون عن الآخرة ، فمتى تزول الغشاوة عن هذا الخطر القريب الخطير ؟! .

ـ الشعور بأن الآخرة خطر واقع لا اختيار فيه :

ـ مهما أصابك من الملل أو الغضب أو الضجر ومهما ضعف إيمانك ومهما كانت أسباب انشغالك بالدنيا ومهما حدث فالآخرة واقع قادم والسفر لا اختيار فيه فهو إجباري رغما عن أنفك وموعد السفر قد تحدد وهو في وقت قريب جدا ، وإذا جاء موعد السفر فلا رجعة سواء كنت مستعد للرحيل أم غير مستعد ولا انتظار ولو ثانية واحدة وانتهت القضية وقد اقفل دفتر حياتك : (( إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (7) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ))([[700]](#footnote-700)) .

ـ فهل لديك شعور بأن هذا السفر هو سفر نهائي وأنه سفر بلا عوده ؟! ، وقد سبقك إليه الكثيرون والدور في انتظارك ، والرحيل مفاجئ وفوري وبلا رجعة ، فالقضية حاسمة وخطيرة ولا تحتمل التراخي ولكننا في غفلة ، وغدا تنتهي الحياة فماذا أنت صانع ؟ ، إنها ليست موعظة ورقائق ولكنها حقائق ومشاعر حقيقية في النفس ، يتضح الآن أن عالم الغيب في نظرك ليس إلا اقتناع كاذب وليس له وجود في مشاعرك ، فمشاعرك تقول أننا لسنا في دار غربة ولسنا علي سفر ، ومشاعرك تقول : (( إِنْ هِيَ إلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ))([[701]](#footnote-701)) رغم أن الاقتناع تام بالآخرة لكنه كاذب .

ـ إنك مهما حاولت التغافل والهروب عن الحقيقة والمصير القادم ، فإنها أيام قصيرة وغدا اللقاء رضيت أم لم ترضي أعجبك الأمر أم لم يعجبك شعرت بذلك أم لم تشعر ، ومهما كانت الظروف والأوضاع من الفقر أو الغنى ، من الراحة أو التعب من طاعات أو معاصي ، ومهما تبدلت الظروف والأوضاع فذلك لن يغير من حقائق الأمور شيء ، وقد سبقك الكثير إلى هناك والدور في انتظارك قد أوشك فعلا وتكاد تصل ، وهذا التغافل والتعامي لن يغير من حقائق الأمر شيء فالملكين من حولك والله ناظر إليك والآخرة أمامك سواء رضيت أم لم ترضى سواء أخذت تبرر لنفسك ما تفعل أم لم تأخذ ، فالحقائق الغيبية التي نعيش فيها والتي في انتظارنا رهيبة ولكن أين مَنْ عنده مشاعر يحس بها : (( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أو أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ))([[702]](#footnote-702)) ، فإنك تظن أنك تفر من الموت بأن تتغافل عن أن تشعر به وإن كنت مقتنعا به تماما وأنه ملاقيك ، ففي الحديث : (( أتاني جبريل فقال يا محمد عش ما شئت فإنك ميت وأحبب من شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك مجزي به واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس ))([[703]](#footnote-703)) ، وكل الناس سوف يذهبون إلى الآخرة ، فإذا لم يعجبك الأمر فامتنع عن الذهاب إلى الآخرة إن استطعت ! : (( إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (134) قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ))([[704]](#footnote-704)) ، فيجب عليك أن توقن بالآخرة يقينا حقيقيا ، فالقضية حاسمة وخطيرة ولا تحتمل التراخي ولكننا في غفلة ، وغدا تنتهي الحياة فماذا أنت صانع ؟! .

ـ تصور لو أن رجلا عاد من الآخرة إلى الناس ماذا يمكن أن يقول لهم ؟ ، إنه سوف يقول للناس : ليس أمامكم إلا ثواني معدودة والعد التنازلي مستمر ، فأنتم مقبلون على خطر هائل جدا من أشد ما يمكن ويوشك أن تلحقوا بالآخرة فأدركوا أنفسكم ، لكنه سوف يجد الناس هادئين تماما ويعتبرون أن هذه الحياة التي يعيشونها سنوات طويلة وعمر مديد وليست ثواني معدودة ، ويعتبرون الذهاب إلى الآخرة مثلما يتسلى الإنسان بلعبة مملة قد مل منها ، إنه سوف يجد الناس يعيشون في هروب وتجاهل للموت وهروب وتجاهل للآخرة وهروب وتجاهل وتغافل عن الله ، رغم أن هذا الهروب وهذا التجاهل والتغافل لن يغير من حقائق الأمور شيء فالخطر قائم وهم مقبلون عليه رضوا أم لم يرضوا والأمر خطير وعظيم : (( قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ، أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ))([[705]](#footnote-705)) ، فهم يعيشون في غيبوبة مثل السُّكْرْان الذي لا يدري ما الذي ينتظره ، وإذا كان هناك أحد عنده شيء من الشعور بقدر الآخرة فتكون درجة شعوره ودرجة إفاقته لا تتناسب أبدا مع خطورة الحدث ، فينظر إلى الآخرة بفتور شديد ومشاعر باردة ، رغم أن الآخرة هي الحقيقة الكبرى المرعبة : (( يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ))([[706]](#footnote-706)) ، وقد سبقنا إليها الكثير والدور علينا .

ـ الشعور بمدي الخطر في الآخرة :

ـ إن كلمة الآخرة تعني المصير المرعب والمخيف الذي أنت مقبل عليه ، وتعني الأهوال العظيمة ، فلماذا لا تشعر بخوف المهابة والقلق من أهوال القيامة ؟ ، فمن أسماء الآخرة ( يوم الحسرة ) و( يوم الزلزلة ) و( يوم تشخص فيه الأبصار ) ، و( الغاشية ) وفي تفسير البحر المحيط : (( { هل أتاك حديث الغاشية } والغاشية : الداهية التي تغشى الناس بشدائدها يوم القيامة ))([[707]](#footnote-707)) ، وهو (( يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً ))([[708]](#footnote-708)) ، إن الآخرة هي أخطر شيء في حياة الإنسان ، وأهوال القيامة من أشد ما يمكن ومن أخطر ما يمكن ، وما نشعر به من ذلك الخطر لا يساوي واحد علي مليون من خطورة الآخرة ، فالأمر يقابله البعض ببرود في حين مع أي أمر من أمور الدنيا تجد المشاعر تتفاعل والخوف شديد ، وأنظر إلى شدة خوف الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة والتابعين والصالحين من الآخرة ، فلو جاء إلينا إنسان من الآخرة فرأي حالنا لأصابته سكتة قلبية من حال البعض وبرود أعصابهم تجاه هذا الخطر المحدق ، أنظر كيف يعبر القرآن عن هذا الخطر (( يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ))([[709]](#footnote-709)) ، فهل رأيت إنسان أصابه السكر من شدة العذاب ، إن الذي يقول أن ما يحدث في الآخرة هو خيال لا يصدق هو أفضل حالا من الغافل عن الآخرة ، وإن الذي يشعر بخطورة الآخرة علي أنها فيلم مرعب يثير الفزع والرعب من أفلام السينما فهو رغم خطأه الفادح أفضل حالا ممَنْ تكون الآخرة في شعوره عادي ! ، فلابد أن تشعر بمدي ما أنت مقبل عليه ، وكيف لا يهتم إنسان بأن يشعر بما هو مقبل عليه .

ـ إن الآخرة التي في مشاعر البعض تختلف عن الآخرة الحقيقية ، فإن الآخرة التي في مشاعر بعض الناس اليوم هي آخرة أليفة ودودة لا مشكلة فيها ولا خطر فيها ، وإن شعورهم بالآخرة مثل شعورهم بأي شيء عادي ! ، إنك لو قارنت بين خطر الآخرة وبين أي أخطار أو مخاوف في الدنيا فسوف تجد أن الآخرة لا تمثل في مشاعرك خطر حقيقي أو أهمية حقيقية مثل أي خطر تواجهه أو تتعرض له في الدنيا فتجد المشاعر متفاعلة به والبال مشغول ، وذلك رغم الفارق العظيم بين كل أخطار ومخاوف الدنيا وبين خطر الآخرة ، إن الذي لا يتأثر بشيء مؤثر جدا فإنه لا يعي ولا يشعر بحقيقة ما في هذا الشيء من خطورة ، فهو لا عقل له ، إن الآخرة أمر مؤثر جدا وخطير جدا ولكن لا يوجد تأثر بها !! .

ـ فكلمة ( الآخرة ) عند من لم يشعر بخطورتها تختلف عن كلمة ( الآخرة ) عند من يشعر بخطورتها وأنها أمر فعلي حقيقي وحقيقة ماثلة فعلا ، فالأول يراها أمرا عاديا ومجيئها لا يمثل خطورة والثاني خائف منها : (( يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أنها الْحَقُّ إلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ ))([[710]](#footnote-710)) ، والأول سوف يفاجئ المفاجأة الرهيبة بيوم القيامة كأنها مفاجأة لم يكن يعرفها كأنه لم يسمع عن شيء اسمه الآخرة لأنه لم يكن يشعر بخطورة الآخرة ، أما الثاني فكان يعيش وعنده تهيئة نفسية فلا يفاجئ بالآخرة وإنما هو منتظر مجيئها ومنتظر تحقيق وعد الله تعالى .

### ـ الفرق بين اليقين الكاذب واليقين الحقيقي بالآخرة :

ـ إن الآخرة تعني الأهوال والمصير والمستقبل ، فكيف لإنسان عاقل يصدق بهذا ولا تنشغل همومه ومشاعره بمصيره ومستقبله ، ذلك لأن الآخرة ليس لها وجود حقيقي في همومه ومشاعره ، إن الذي يعرف أن هناك آخرة هي مستقبله ومصيره وأنه مسافر إليها ثم لا يشعر بالغربة لأنه مسافر إلى الآخرة ولا يشعر بالخوف والقلق في حين تتعلق مشاعره بالدنيا مع علمه بفنائها وضآلتها فهذا الإنسان لا يوقن بالآخرة يقينا حقيقيا ، فالذي يقول بأن الدنيا ضئيلة فانية والآخرة هي الحياة والمتع الحقيقية ثم تجد مشاعره منقطعة عن الآخرة ومتجهة إلى الدنيا فهو كذاب ، ولو كان صادقا فيما يقول لتعلقت مشاعره بالآخرة ، لأن الدنيا في مشاعره هي الحياة والمستقبل والمصير ، ومن هنا نستطيع أن نفهم معنى الصدق الحقيقي ( صدق المشاعر ) ، فإن اقتناعه بأن الدنيا ضئيلة فانية والآخرة هي الباقية هو اقتناع كاذب ، وإنما هو يقول بمشاعره : (( إِنْ هِيَ إلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ))([[711]](#footnote-711)) رغم أن الاقتناع تام بالآخرة إلا أنه اقتناع كاذب ، فالآخرة في الاقتناع الكاذب عنده خطيرة ومصيرية لكنها في المشاعر ودودة أليفة لا مشكلة فيها وليس لها تأثير حقيقي علي المشاعر ، وغدا سوف يفاجئ بيوم القيامة كأنها مفاجأة لم يكن يعرفها كأنه لم يسمع عن شيء اسمه الآخرة لأنه لم يكن يشعر بخطورة الآخرة ، لأن الذي يشعر بخطورة الآخرة يعيش وعنده تهيئة نفسية فلا يفاجئ بالآخرة وإنما هو منتظر مجيئها ومنتظر تحقيق وعد الله تعالى .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

### ـ الشعور بوجود الجنة

ـ كل الناس يحبون الشهوات ويحبون النظر إلى العورات ، ولكن هناك من يحبون شهوات الدنيا ويحبون النظر إلى نساء الطين ، فهؤلاء لا عقل لهم ، وهناك من يحبون شهوات الجنة ويتصورون في عقولهم الحور العين وجمالهن ويشتاقون لها ويعدون المهر الذي يصلون به إلى الحور العين بالإيمان والتقوى ، وهؤلاء هم العقلاء .

ـ شهوات الجنة فوق مستوى الخيال وأعجب من السحر :

ـ كل ما يمكن أن تتخيله من المتع والشهوات من نساء فاتنة ساحرة وخمور وكل ألوان الطعام والشراب وكل ألوان المرح والترفيه فشهوات الجنة أكبر من ذلك ، وكل شيء بمجرد أن تتمناه يتحقق لك كأنه سحر لكنه حقيقة ، وكل هذا موجود الآن في الجنة : (( وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ))([[712]](#footnote-712)) ، (( وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ))([[713]](#footnote-713)) ، (( وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ))([[714]](#footnote-714)) ، (( لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ))([[715]](#footnote-715)) ، وفي الحديث القدسي : (( أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل { فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون } ))([[716]](#footnote-716)) .

ـ والساحر يسحر لك أشياء تدعو للدهشة والعجب فيحدث خوف من مهابة الأمر ، أما شهوات الجنة فهي فوق مستوى الخيال وأعجب من السحر فضلا عن أنها حقيقة وليس سحرا ، فلماذا لا يحدث خوف من مهابة الأمر ؟ ، ولماذا يحدث الحب والرجاء لشهوات الدنيا ونساءها في حين لا يحدث ذلك لشهوات الجنة التي هي أعظم بكثير ، ذلك لأن اليقين الحقيقي بالجنة وما بها غير موجود مطلقا .

ـ الشعور بوجود الجنة :

ـ تصور لو أن هناك كوكب آخر في السماء غير الأرض عليه سكان من البشر يعيشون حياة غاية في التطور والرفاهية ، فمن يعيش على هذا الكوكب يعيش في متع متناهية لا حد لها ، وينال كل ما يشتهي ويتمنى ولا يتعب ولا يعمل ، ولكن تركيبة البشر هناك مختلفة عن تركيبة البشر على الأرض ، فهم في شباب دائم وصحة دائمة وأجسادهم مصممة بحيث أنها غير قابلة للمرض أو الموت وهم يأكلون ويتنعمون كيفما شاءوا وكل ما يريدونه يتحقق فورا وكأنه سحر ، لذلك من أراد الوصول إلى هذا الكوكب من سكان الأرض فلابد أن يتغير جسده ويتكون من جديد حيث يموت أولا ثم يتشكل جسده من جديد ثم يصعد به إلى هناك بدون مركبة فضائية .

ـ فكذلك الجنة موجودة الآن ، وسكانها الآن هم الحور العين ، ومن يصل إليها هم المؤمنون ، وفي كتاب لوامع الأنوار البهية : (( والحاصل أن الجنة فوق السماء السابعة وسقفها العرش ، وأن النار في الأرض السابعة على الصحيح المعتمد ))([[717]](#footnote-717)) .

ـ أنت إذا نظرت إلى أعلى فإنك ترى الله وترى الجنة لولا أن عين الإنسان فيها مشكلة تجعلها غير قادرة على رؤية الله ورؤية الجنة ، فالجنة موجودة الآن فوق السماء ، وحجمها ضخم جدا حتى أن عرضها يبلغ السماوات والأرض ، وهناك عالم آخر كامل من المعيشة في حياة الخلود في هذه الجنة ، ففي الجنة الآن الحور العين وهن ينظرن إليك ويرونك الآن لأن أعينهن ليس فيها هذه المشكلة التي تمنع من الرؤية ، ففي الحديث : (( لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا ))([[718]](#footnote-718)) .

### ـ اليقين الحقيقي بمتع وملذات الجنة :

ـ تخيل لو أن رجل أخبرك بأنه على موعد مع فتاة جميلة ولكنها تسكن في مكان ما فوق السحاب ، وأنه لن يصعد إليها بطائرة ، ولكنه سوف يصعد إليها بعد أن يموت ! ، لأنه سوف تحل الروح في جثته ثم يطير فوق السحاب ليلقاها ! ، إنك سوف تقول أن هذا هراء وأساطير وخرافات ، فما بالك أن وجود الحور العين أمر أعجب من ذلك ، فأنت فعلا علي موعد مع فتيات حسناوات جميلات في مكان آخر غير العالم الذي نعيش فيه ، وسوف تلقاهن بعد أن تموت ويتحلل جسدك في التراب ، ثم تحل فيك الروح وتذهب للقائهن إن كنت من أهل الإيمان ، وهذا الأمر قريبا جدا فما العمر في الدنيا إلا لحظات ؟! ، فإذا لم يشعر الإنسان بخوف المهابة من هذا الأمر العجيب فهذا يعنى أنه لم يدرك ويعقل هذا الأمر فيقينه به كاذبا .

ـ تخيل رجل يحب امرأة جميلة ، ويشتاق إلى لقاءها بماذا يشعر ؟ ، فإن الحور العين أجمل من ذلك بكثير واللقاء بهن حق ، فلماذا لا تشعر بالحب للحور العين ؟ ولماذا لا تشتاق وتحلم بلقائهن ؟ ولماذا لا تسبح بخيالك مع فتاة أحلامك من الحور العين فإن كل محبوب يفكر في محبوبه ؟ أليست الحور العين حقيقة أم أنها مصنوعة من البلاستيك ؟ ، وأليس الوصول إليهن قريبا جدا ؟ ففي الحديث : (( الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إلى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ ))([[719]](#footnote-719)) ، وإذا كانت حور الطين يلهث وراءها الكثيرون ويعيشون من أجلها فما بالك بحور العين ، إن لكل إنسان مقعده من الجنة ومقعده من النار ، فهل تشعر أن الحور العين الآن تشتاق إليك وتنتظرك إلى أن تلقاها ، إن كلمة ( الحور العين ) هي كلمة موجودة وراسخة في الاقتناع الكاذب لكن في المشاعر لا يوجد شيء اسمه الحور العين .

ـ تخيل مكانا ما به كل ألوان المتع والملذات من نساء وخمور ورقص وطعام وشراب ، فإن الجنة بها أعجب من كل ذلك ، فلماذا لا تشعر بجب الجنة وتشتاق للوصول إلى متعها ؟ ، أين الرغبة الحقيقية والشوق إلى الجنة ؟ .

ـ تخيل لو علم الناس بوجود كنز كبير يمكن الوصول إليه ، تصور كيف ستكون مشاعرهم متجهة بالشوق للوصول لهذا الكنز ، وسوف يشغل ذلك الكنز بالهم وأكثر همهم ، فالجنة كنز حقيقي هائل لا ينفد فلماذا لا تتجه إليه المشاعر والتطلعات مثلما تتجه لكنز من كنوز الدنيا ؟ ، ذلك لأن ذلك الكنز الحقيقي ( الجنة ) في مشاعر البعض إنما هو كلاما نظريا فقط كأساطير الأولين !! .

ـ تخيل أن العلم قد توصل إلى طريقة تجعل الإنسان يعود من الشيخوخة إلى الشباب ولا يمرض ولا يموت ، فسوف تجد الناس يتسابقون إلى ذلك ويدفعون في ذلك كل ما يملكون ولكان ذلك كل همهم وكل هدفهم وكل مشاعرهم ، فالإنسان في الجنة يعود من الشيخوخة إلى الشباب ولا يمرض ولا يموت ويعيش في متع أبدية ولا يوجد ما يعكر مزاجه أو يشغل باله ، ورغم ذلك لا تجد أي شعور أو رغبة أو انشغال الهم بهذا الإعجاز الهائل القريب جدا ، ذلك لأن الجنة مجرد يقين كاذب وليست يقينا حقيقيا .

ـ وفي الحديث : (( إن الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والشهوة والجماع ، حاجة أحدهم عرق يفيض من جلده فإذا بطنه قد ضمر ))([[720]](#footnote-720)) ، وفي حديث آخر : (( يعطى المؤمن في الجنة قوة مائة في النساء ))([[721]](#footnote-721)) ، فالجماع في الجنة مائة ضعف الجماع في الدنيا وهو في ريعان الشباب ( في سن 33 سنة ) ويستطيع الإنسان ذلك لأنه يعطى قوة مائة ففي حديث آخر : (( يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع قيل يا رسول الله أويطيق ذلك قال يعطى قوة مائة ))([[722]](#footnote-722)) ، وفي حديث آخر : (( إذا دخل أهل الجنة الجنة ينادي مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا وذلك قول الله عز وجل : { ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون } ))([[723]](#footnote-723)) ، وفي حديث آخر : (( ... قال فكل من يدخل الجنة على صورة آدم وطوله ستون ذراعا فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن ))([[724]](#footnote-724)) ، فلماذا لا تشعر بالحب لأن تكون كذلك ؟ ، إن الإنسان الذي يعيش للدنيا هدفه أن يأكل ويشرب ويتمتع بكل ألوان الراحة ، وكذلك الإنسان الذي يعيش للآخرة يريد أن يأكل ويشرب ويتمتع بكل ألوان الراحة ولكن أي طعام وأي متعة ؟ ، إنه يريد المتع الحقيقية التي لا تفني والتي لا يحيطها مخاوف بالمرض أو الشيخوخة أو الموت أو سلب النعمة ، إنه يريد المتع الدائمة والشباب الدائم وحياة لا يموت فيها ولا يمرض ، وحياة بها الفاتنات الحسناوات من الحور العين ، ومن أدعية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((... وأسألك نعيما لا ينفد وقرة عين لا تنقطع وأسألك الرضا بالقضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك ...))([[725]](#footnote-725)) ، والإنسان إما أن يختار لذة المتع الضئيلة الفانية في الدنيا فيعيش لنفسه وإما أن يختار نعيم الجنة فيعيش خاضعا لربه : (( فَأَمَّا مَنْ طَغَى ، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، فإن الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ، وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ، فإن الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ))([[726]](#footnote-726)) ، فالذي يشعر بنعيم الجنة وألوان المتع فيها لا يمكن بحال من الأحوال أن يؤثر متع الدنيا الفانية ، وفي الحديث : (( مَنْ أحب دنياه أضر بآخرته ومَنْ أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى ))([[727]](#footnote-727)) ، وفي الحديث : (( ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ))([[728]](#footnote-728)) ، وعن وهب بن منبه قال : (( مثل الدنيا والآخرة كمثل رجل له ضرتان ، إن أرضى إحداهما أسخط الأخرى ))([[729]](#footnote-729)) ، وفي الحديث : (( التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة ))([[730]](#footnote-730)) ، ويقول علي رضي الله عنه : (( إن أخوف ما أخاف اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسي الآخرة ، ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة ، ألا وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة ولكل واحدة منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل ))([[731]](#footnote-731)) .

ـ تأمل قوله تعالى : (( لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ))([[732]](#footnote-732)) ، فكل ما تتمنى يتحقق فورا وتراه حقيقة وليس سحرا ، فقد ورد أن رجلا من أهل الجنة اشتهى أن يزرع فبذر فنما الزرع سريعا وكان كالجبال ففي الحديث : (( إن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع فقال له ألست فيما شئت قال بلى ولكن أحب أن أزرع فبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده فكان أمثال الجبال فيقول الله دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شيء ))([[733]](#footnote-733)) ، وفي حديث آخر : (( المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة كما يشتهي ))([[734]](#footnote-734)) .

ـ لو أن امرأة من نساء أهل الجنة نظرت من نافذة مثلا وهي في الجنة إلى الأرض فإن نور جمالها سوف يضيء الدنيا ، ورائحة العطر الذي فيها سوف يملأ الدنيا عبقا ، والزينة التي تظهر على رأسها أجمل من كل الجمال الذي في الدنيا ، ففي الحديث : (( ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحا ولأضاءت ما بينهما ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها ))([[735]](#footnote-735)) ، فأين الذين يبحثون عن الشهوات ؟ ، فهذه هي الشهوات الحقيقية .

ـ تخيل أننا الآن في الجنة ونذكر أيام الدنيا وما كان فيها ، فما قيمتها وما قدرها عندئذ ؟ ، إنها كانت أيام قليلة وحياة ضئيلة انتهت ولا قيمة لها ، أما نحن الآن ( في الجنة ) فهذه هي حقا الحياة نعيش فلا نموت ولا نمرض ونتمتع كيفما نشاء .

ـ أنظر إلى مدي لذة النظر إلى الله تعالى التي هي أعظم من كل لذات الجنة ، فهل من مشتاق إلى الجنة من أجل أن يستمتع بلذة النظر إلى وجه الله تعالى .

ـ إن الجنة هي المتع والشهوات لمَنْ لا يفهمون إلا لغة المتع والشهوات ، وإن الجنة هي التجارة الرابحة لمَنْ لا يفهمون إلا لغة التجارة والمكسب والخسارة ، وهناك فرق بين مَنْ يقتنعون بأنها المتع وبأنها تجارة ، وبين مَنْ يشعرون بأنها فعلا شهوات مثل شهوات الدنيا ولكنها الشهوات الحقيقية وبلا حدود وتجارة مثل تجارة الدنيا ولكنها التجارة الرابحة وبلا حدود : (( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ))([[736]](#footnote-736)) ، إن متع الدنيا تجد المشتاقون إليها فأين المشتاقون إلى الجنة ؟ ذلك لأن الجنة غير موجودة في المشاعر ، ومَنْ يدعي أنه يشتاق إلى الجنة وليس عنده نفس الحالة النفسية لشخص يشتاق إلى محبوبه فهو كذاب .

ـ إذا نظر الإنسان إلى منزل جميل واسع أو شقة جميلة واسعة بها كل أدوات الترفيه والراحة أو إذا نظر إلى سيارة فارهة أو قصر مشيد أو .... الخ ، فإن الإنسان قد يحدث عنده شعور بالانبهار والإعجاب والشوق لأن يكون عنده مثل ذلك ، وقد يسعى سنوات طويلة وعنده طول أمل أن يحصل على سيارة فارهة أو شقة واسعة أو ...... الخ ، إذن هذا الإنسان بداخله أمل وشوق وشعور بالإعجاب والانبهار ، فإذا كانت الجنة أفضل من الشقة الواسعة أو السيارة الفارهة أو ...الخ ، فلماذا لا يشعر الإنسان بهذا الإعجاب وهذا الأمل والشوق للوصول إليها ؟ ، ذلك لأن الجنة غير موجودة في المشاعر ، ففي المشاعر هي خيال أو وهم أو شيء مصنوع من البلاستيك لا معنى له ، أو شيء بعيد الاحتمال تماما أو كلاما نظريا فقط كأساطير الأولين ، رغم وجود الاقتناع التام واليقين التام بوجود الجنة ، فذلك اقتناع كاذب ويقين كاذب بوجود الجنة والوصول إليها .

ـ نعيم الدنيا مجرد تشابه في الأسماء ، ففي الحديث : (( ليس في الجنة شيء مما في الدنيا إلا الأسماء ))([[737]](#footnote-737)) ، ‌أما النعيم الحقيقي فهو في الجنة : (( وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ))([[738]](#footnote-738)) .

ـ إن شهوات الدنيا ضئيلة حتى وإذا حاول الإنسان أن يكثر منها فإن اللذة منها تقل عندئذ حتى تنتفي كأن يكثر من الطعام أو الشراب أو الجماع أو ينظر إلى عورات النساء ، بل يتعرض عندئذ للأمراض ، كما أن المتع تقل مع كبر عمر الإنسان خاصة عندما يصل إلى الشيخوخة ويعود إلى الضعف مثلما كان طفل ضعيف ، ولذلك يقول تعالى : (( وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ ))([[739]](#footnote-739)) ، أما في الجنة فلا يحدث أن تقل اللذة مهما أكثر الإنسان من ألوان المتع : (( لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنْزِفُونَ ))([[740]](#footnote-740)) ، إن شهوات الدنيا كما أنها ضئيلة فليست سهلة المنال أيضا ولابد من السعي والتعب ، فالحصول على الدنيا ليس أمرا سهلا ، فإن المتنافسين على الدنيا كثير وطلاب الدنيا كثير ، وهم يتقاتلون ويتشاحنون عليها ، ويتشبثون بها بأيديهم وأسنانهم ، ومن يأتي بينهم ليتنافس على الدنيا لا يرقبون فيه إلا ولا ذمة فيأكلوه ، ورغم أن متاع الدنيا قليل لكن الشيطان يزين للإنسان كل ما هو حرام لكي يجره إلى أن يقع فيه فيصور له أن في ذلك نفع عظيم له أو متعة عظيمة له كما فعل مع آدم عليه السلام : (( فَوَسْوَسَ إليه الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى ))([[741]](#footnote-741)) ، ومهما فعل الإنسان فالدنيا دار شقاء : (( لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي كَبَدٍ ))([[742]](#footnote-742)) ، أما شهوات وطعام وفواكه الجنة (( لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ ))([[743]](#footnote-743)) ، وفي الحديث : (( قالوا يا رسول الله رأيناك تناولت شيئا في مقامك هذا ثم رأيناك تكعكعت قال إني رأيت الجنة أو أريت الجنة فتناولت منها عنقودا ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ))([[744]](#footnote-744)) .

ـ فلا يتحقق الإيمان حتى يزول تعظيم قيمة المال وقيمة الشهوات الدنيوية وقيمة الطعام والشراب الدنيوي في نظر الإنسان ، وحتى تكون شهوات الجنة لها قيمة حقيقية في النفوس وقدر وأهمية ، بمعنى أن تكون قيمة شهوات الجنة وما فيها من نعيم دائم أعظم بكثير من قيمة ما في الدنيا من شهوات فانية ، فيؤدي ذلك إلى أن يكون تعلق المشاعر بالله والآخرة أكبر ، فهو بذلك يرى الآخرة أفضل وأدوم : (( وَلَلْآخِرَةُ أكبر دَرَجَاتٍ وَأكبر تَفْضِيلاً ))([[745]](#footnote-745)) ، (( وَالآخرة خَيْرٌ وَأَبْقَى ))([[746]](#footnote-746)) .

ـ لا يتحقق الشعور بقدر عظم السعادة في الجنة وعظم الألم في النار إلا إذا تحقق الشعور بقدر ضآلة متع الدنيا وضآلة آلام الدنيا ، أي ضآلة حجم شهوة المال وضآلة حجم شهوة النساء وضآلة حجم شهوة الطعام والشراب وضآلة حجم شهوة الزعامة والمناصب والمظاهر وهكذا ، وكذلك ضآلة حجم أي آلام أو متاعب أو مشاكل أو ضيق في الدنيا ، إذن الشعور بقدر خطورة الآخرة لا يتحقق إلا إذا تحقق الشعور بقدر ضآلة الدنيا وفي الحديث : (( يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنَ الْكُفَّارِ فَيُقَالُ اغْمِسُوهُ في النَّارِ غَمْسَةً ، فَيُغْمَسُ فِيهَا ثُمَّ يُقَالُ لَهُ أي فُلأن هَلْ أَصَابَكَ نَعِيمٌ قَطُّ ، فَيَقُولُ لاَ مَا أَصَابَنِى نَعِيمٌ قَطُّ ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ الْمُؤْمِنِينَ ضُرًّا وَبَلاَءاً ، فَيُقَالُ اغْمِسُوهُ غَمْسَةً في الْجَنَّةِ ، فَيُغْمَسُ فِيهَا غَمْسَةً فَيُقَالُ لَهُ أي فُلأن هَلْ أَصَابَكَ ضُرٌّ قَطُّ أو بَلاَءٌ فَيَقُولُ مَا أَصَابَنِى قَطُّ ضُرٌّ وَلاَ بَلاَءٌ ))([[747]](#footnote-747)) ، وبالتالي من عرف حقيقة الدنيا فقد عرف حقيقة الآخرة ، ومن عرف حقيقة نفسه فقد عرف الله ، أي من عرف ضآلة نفسه عرف عظمة ربه ، ومن عرف ضآلة الدنيا عرف خطورة الآخرة ، وطالما أن الإنسان لا يزال مغرورا بألوان السعادة في الدنيا ويظن فيها سعادة كبيرة وتنشغل بها أكبر همومه ومشاعره فهو لا يزال لا يوقن يقينا حقيقيا بالآخرة وبعظمة الله وخطورة أن الله مطلع عليه .

ـ الإنسان يحب متع النساء والخمور والقصور ويعيش لذلك ، فمن الناس من يرى أن هذه المتع في الدنيا فيعيش لها ، فهو الكافر أو المنافق ، أما المؤمن فيرى أن هذه المتع في الجنة فيعيش لها وقلبه يشتاق إلى نساء الحور العين وجمالهن ولذة الخمور وفخامة القصور .

ـ إذن فمن لا يشعر بأي قدر من حب الجنة والشوق لها والتعجب ( خوف المهابة ) من مدى ما فيها من ألوان النعيم هو في حقيقته يقول بمشاعره أن الجنة أساطير الأولين وحواديت الشاطر حسن ! ، رغم اليقين الكاذب بالجنة ، فالحور العين بالنسبة له كأنهن نساء خيالية وليست نساء حقيقية فيها لذة أمتع من كل نساء العالم ! ، فلو كان موقنا بهن حقا لعاش من أجل الوصول إليهن وزهد في نساء الطين ! .

ـ الشعور بمعنى الخلود في الجنة :

ـ إنها السعادة الأبدية في متعة ولذة بلا حدود وإلى الأبد ومع الجميلات الفاتنات الساحرات من الحور العين ليس مائة سنة ولا ألف ولا مليون ولا مليار سنة ، إنها حياة بلا نهاية ، قارن هذا أمام السنوات الحقيرة المعدودة في الدنيا ، فلا وجه للمقارنة أصلا ، فإنك في الجنة سوف تبقي شباب للأبد بلا مرض ولا ضعف ولا موت مع كل ألوان المتع .

ـ الشعور بأن الجنة هي المستقبل القريب والطموح والأمل :

ـ لماذا تؤمل في متع من الدنيا ضئيلة وتنتظرها وتفكر فيها في حين أنك قريبا جدا تصل إلى متع بلا نهاية بلا حدود ، فالجنة بعد لحظات ولكنك لا تدري ، فما سنوات العمر إلا لحظات ففي الحديث : (( الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إلى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ ))([[748]](#footnote-748)) ، فابقي كما أنت تؤمل في متع وملذات ولكن في متع وملذات الجنة ، وفي الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : (( مَرَّ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ نُعَالِجُ خُصًّا لَنَا فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ ، فَقُلْتُ خُصٌّ لَنَا وَهَى نَحْنُ نُصْلِحُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : مَا أُرَى الأمر إلا أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ ))([[749]](#footnote-749)) .

### ـ الفرق بين اليقين الكاذب واليقين الحقيقي بالجنة :

ـ كل الناس يوقنون أن جميع متع وملذات الدنيا ليست بشيء أمام متع وملذات الجنة ، لكنه عند البعض يقينا كاذبا لأنهم لا يتصورون مدى لذة هذه المتع ومدى تحققها ، فلا يشعرون بالشوق والحب لمتع الجنة ولا ينشغل بالهم بلقاء الحور العين ، في حين تتعلق مشاعرهم وتتأثر بمتع وملذات الدنيا فقط ، فحقيقة ما في شعورهم أن المتع والملذات إنما هي في الدنيا فقط أما متع الجنة فهي أمر كلامي بعيد المنال ، فحقيقة أمرهم أنهم لا يوقنون بالجنة يقينا حقيقيا .

ـ المشاعر الناشئة عن الشعور بوجود بالجنة :

ـ الشعور بخوف المهابة من مدى ما في الجنة من متع ولذات عجيبة جدا ومذهلة وتفوق كل التصورات والانبهار بها والشعور بالشوق والحب للجنة والشعور بالأمل والرجاء فيها والشعور بالخوف من فواتها ، والشعور بالصبر والترقب والانتظار للوصول إليها .

ـ فعندما يسمع الإنسان أن هناك شيئا فيه ألوان هائلة من المتع ، فإنه يحب ذلك الشيء ، فالجنة فيها كل ألوان المتع والملذات فإذا لم تشعر بلذة الحب للجنة ، فهذا معناه أن اليقين الحقيقي بوجود الجنة غير موجود .

ـ الحالة النفسية للحب والشوق والرغبة في الجنة :

ـ الحب صورة من صور الشعور باللذة ، فإذا لم يشعر الإنسان باللذة فهو لا يحب ، فالحب عبارة عن متعة ولذة ، فمن لم يجد في محبة الجنة متعة ولذة فهو لا يحب الجنة .

ـ وكثيرا من الناس يدعون حب الجنة والشوق إلى الحور العين فهل عندك نفس الحالة النفسية التي عند محب يشتاق إلى محبوبته ؟ ، إذن فالحور العين لا وجود لها في مشاعرك ، إنما هي في الاقتناع الكاذب وليست في الشعور ، كأنها مصنوعة من البلاستيك وليست نساء جميلات .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

### ـ الشعور بوجود النار

ـ لا يمكن لعاقل أبدا يوقن بالنار أن ينسى النار ، ذلك المصير المرعب الذي يخشاه كل عاقل ، فالعاقل يكون دائم التفكير في ذلك الخطر الهائل وكيفية تفاديه .

ـ الشعور بوجود النار :

ـ إن الغرض الأصلي من وجود النار في الدنيا هو أنها تذكرة لنار الآخرة : (( نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ))([[750]](#footnote-750)) ، ولو كانت نار الآخرة كذلك لكفت ، ففي الحديث : (( ناركم هذه التي توقدون جزء واحد من سبعين جزءا من حر جهنم ، قالوا والله إن كانت لكافية يا رسول الله قال فإنها فضلت بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها ))([[751]](#footnote-751)) .

ـ لو كانت الشمس هي نار الآخرة لكانت كافية ، فيمكن أن نتخيل أن الشمس هي نار الآخرة ، فإذا رأينا مدى حجمها وشدة نارها بحيث أنها يمكن أن تبتلع الأرض ومن عليها ولا يمثل ذلك سوى واحد على مليون من حجمها ، وشدة نارها تصل إلى ملايين الدرجات المئوية ، وحر الصيف الذي نعيشه هو مجرد اقتراب بسيط جدا من الشمس فنحن على مسافة هائلة منها ، فالشمس عبارة عن كتلة هائلة من النار معلقة في الفضاء ونحن على الكرة الأرضية ندور حول هذه الشمس في دورة كل عام ، فإذا ما تصورنا حجم هذه النار ووجودها وأننا ندور حولها وأثرها الواصل إلينا فيمكننا أن نتصور مدى خطورة نار الآخرة الأكثر شدة والتهابا .

ـ وحيث أن وجود هذه الشمس التي هي نار معلقة في الفضاء أمر عجيب وخارق للأسباب حيث أنها لا تقع وحيث أنها بهذه الشدة والالتهاب وحيث أنها ما زالت موقدة ولم تنطفئ على مدى ملايين السنين من قبل خلق البشر أساسا ، فما بالك إذن بنار الآخرة .

ـ وجميع النجوم مثل الشمس عبارة عن نار هائلة معلقة في الفضاء ، ومنها ما هو أضخم من الشمس ملايين المرات ، وهذه النجوم ما هي إلا زينة للسماء فانظر إلى مدى قدرة الله تعالى .

ـ ونار الآخرة موجودة الآن وبالطبع هي أضخم من كل هذه النجوم .

ـ الشعور بمدي عذاب وألم النار :

ـ إذا ذهبت إلى قسم الحرائق بأحد المستشفيات ونظرت كيف تفعل النار في الجسم ، بماذا تشعر ؟ ، وهذا بعد أن حدث الحريق فما بالك لو رأيت حادثة ما فيها أحداً يحترق ، وما بالك إذا كنت أنت المصاب في هذه الحادثة ؟ ، إن أهل النار يسمع لجلودهم أزيز من الاحتراق مثلما توضع الدجاجة في النار لتشوي ، فما بالك لو أنك أنت في مكان هذه الدجاجة ، إذا لم يتحقق عندك الشعور بالخوف من مهابة النار ومن الوقوع فيها فإن النار في مشاعرك لا تنفع ولا تضر مثل النار التي وضع فيها سيدنا إبراهيم عليه السلام ، فإن نار الآخرة في الاقتناع عذابها شديد أما نار الآخرة في مشاعر البعض فإنها نار لا تحرق قد سلبت منها خاصية الإحراق ، فنار الآخرة لا وجود لها في مشاعر البعض .

ـ ومما ورد في عذاب أهل النار ما جاء في تفسير ابن كثير : (( ( ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ ) .. قال ابن عباس : { فاسلكوه } تدخل في أسته ثم تخرج من فيه ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد في العود حين يشوى ))([[752]](#footnote-752)) ، وفي تفسير القرطبي : (( وقال مقاتل لو أن حلقة منها وضعت على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرصاص ، وقال كعب إن حلقة من السلسلة التي قال الله تعالى { ذرعها سبعون ذراعا } أن حلقة منها مثل جميع حديد الدنيا ، فاسلكوه قال سفيان بلغنا أنها تدخل في دبره حتى تخرج من فيه ))([[753]](#footnote-753)) ، وفي الحديث : (( لو كان في هذا المسجد مائة ألف أو يزيدون وفيهم رجل من أهل النار فتنفس فأصابهم نفسه لاحترق المسجد ومن فيه ))([[754]](#footnote-754)) ، وفي الحديث : (( إن في النار حيات أمثال أعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا ، إن فيها لعقارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا ))([[755]](#footnote-755)) ، وفي الحديث : (( لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن تكون طعامه ))([[756]](#footnote-756)) .

ـ الشعور بضآلة آلام الدنيا أمام ألم النار :

ـ إن نار الآخرة أمر أبعد من كل تصوراتنا وخطر من أشد ما يمكن ، وإذا وضعت مقارنة بين نار الآخرة وكل مخاوف الدنيا وآلامها فإنها لا تساوي شيئا ، وفي الحديث : (( يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنَ الْكُفَّارِ فَيُقَالُ اغْمِسُوهُ في النَّارِ غَمْسَةً ، فَيُغْمَسُ فِيهَا ثُمَّ يُقَالُ لَهُ أي فُلأن هَلْ أَصَابَكَ نَعِيمٌ قَطُّ ، فَيَقُولُ لاَ مَا أَصَابَنِى نَعِيمٌ قَطُّ ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ الْمُؤْمِنِينَ ضُرًّا وَبَلاَءاً ، فَيُقَالُ اغْمِسُوهُ غَمْسَةً في الْجَنَّةِ ، فَيُغْمَسُ فِيهَا غَمْسَةً فَيُقَالُ لَهُ أي فُلأن هَلْ أَصَابَكَ ضُرٌّ قَطُّ أو بَلاَءٌ فَيَقُولُ مَا أَصَابَنِى قَطُّ ضُرٌّ وَلاَ بَلاَءٌ ))([[757]](#footnote-757)) ، إلا أنك إذا قارنت بين الحالة النفسية للخوف من أي أمر دنيوي وبين الحالة النفسية للخوف من الآخرة والنار تجد حالة خوف حقيقية هائلة في النفس من الأمر الدنيوي في حين لا تجد أي شعور نفسي حقيقي عند مَنْ يدعي الخوف من النار ، وإذا افترضنا أنه وُجد فلا يساوي واحد علي ألف من أقل شيء مخيف في الدنيا .

ـ فلا ألم في ألم بعده الجنة ولا راحة في راحة بعدها النار ، لذلك فالعاقل يستوي عنده ألم الدنيا مع نعيمها فكلاهما لعب ولهو : (( لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ))([[758]](#footnote-758)) ، فقارن بين مخاوف الدنيا الفانية وبين الشقاء إلى الأبد فتعيش في عذاب بلا حدود وإلى الأبد ، فإن كل آلام الدنيا وهمومها وأحزانها ومشاكلها ليست بشيء أمام آلام النار .

ـ ومن لم يشعر بالفارق بين آلام الدنيا وألم النار فقد يبيع إيمانه مخافة آلام الدنيا ويسقط في اختبار الابتلاءات : (( وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ))([[759]](#footnote-759)) ، أما من شعر بهذا الفارق لم تهمه آلام الدنيا ، وفي الحديث : (( لو أن رجلا يجر على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرما في مرضاة الله تعالى لحقره يوم القيامة ))([[760]](#footnote-760)) .

ـ إن كل آلام الدنيا ومشاكلها وهمومها ليست بشيء أمام ألم النار يوم القيامة ، فمن كان يشعر بألم الكراهية والضيق لآلام الدنيا ومشاكلها وهمومها وخطورتها ولا يشعر بألم الكراهية والضيق والاشمئزاز لآلام النار في الآخرة ( خوف المهابة من شدة النار وخوف الوقوع فيها ) فذلك لأن النار في مشاعره خيال وأساطير الأولين ! .

ـ المشاعر الناشئة من الشعور بوجود النار :

ـ خوف المهابة لمدى عظم حجم النار وعظم آلامها ، والشعور بالكراهية الشديدة للنار والاشمئزاز والضيق والألم والنفور عند تذكرها ، والشعور بخوف العقاب من دخول النار ، والشعور بالأمل والرجاء في النجاة منها ، فمن لم يشعر بهذه المشاعر فهو لا يوقن يقينا حقيقيا بوجود النار .

ـ فأنت إذا ذهبت إلى قسم الحرائق بأحد المستشفيات ونظرت كيف تفعل النار في الجسم ، بماذا تشعر ؟ ، إنك تشعر بالتألم من فظاعة ومن مهابة الأمر ، رغم أن الأمر لم يحدث لك أنت وليس فيه ضرر عليك ، وكذلك إذا سمعت عن حادثة مروعة فيحدث تألم وخوف من رهبة الأمر وفظاعته ، فإذا لم يحدث هذا التأثر فهذا معناه أنك لا تعي ولا تدرك حقيقة ما رأيت أو سمعت كأنك لم تسمعه ولم تعلمه .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

# الفصل الحادي عشر : شروط الهم السليم

ـ يشغل الإنسان همه بأمرين هما :

1ـ تصور حقائق الأشياء .

2ـ استمرار التصور بمقدار خطورة الأمر .

ـ ذهن الإنسان مصمم بحيث ينشغل بالأمر الخطير ولا ينشغل بالأمر التافه ، لكن لابد أن يعرف الأمر الخطير من الأمر التافه عن طريق التصور وليس عن طريق العقل والمعرفة والعلم .

ـ فمثلا مهما أخبرت الإنسان بأن الآخرة خطر كبير فلابد أن يتصور ذلك الخطر وليس مجرد العلم والمعرفة بهذا الخطر .

ـ أولا : تصور حقائق الأشياء :

ـ أي يتصور كل شيء يراه أو يسمعه أو يصل إلى علمه ، وهناك فرق بين العلم والفهم للأمر وبين تصور الأمر ( راجع الفصل الثاني ) .

ـ أين الخلل ؟ :

ـ نستطيع هنا أن نحدد وبمنتهى الدقة أصل الخلل الذي يحدث في القلب وعلاجه ، والخلل هو أن تصور الإنسان للأشياء خاطئ والعلاج هو أن يصحح الإنسان تصوره للأشياء ، لذلك سوف نبين شروط التصور السليم .

### ـ شروط التصور السليم لحقائق الأشياء :

1ـ أن يكون الأمر تصور وليس علما ومعرفة :

ـ كثيرا ما يختلط الأمر ويتحول التصور إلى معرفة ودراسة علمية ، فهناك فرق بين معرفة قيمة الشيء وخطورته وبين تصور قيمة الشيء وخطورته ( راجع الفصل الثاني ) .

ـ كما أنه قد يعرض الإنسان عن تصور خطورة الآخرة مثلا بحجة أنه يعرف الآخرة ويوقن بها فيرى أنه لا حاجة لتصورها وتذكرها ، فهو يخلط بين العلم وبين التصور فأصبح علمه ميتا فاسدا لا قيمة له .

ـ يقول شيخ الإسلام ابن القيم : (( التفكر والتذكر أصل الْهدى والفلاح وهما قطبا السَّعَادَة وَلِهَذَا وسعنا الْكَلَام فِي التفكر فِي هَذَا الْوَجْه لعظم الْمَنْفَعَة وَشدَّة الْحَاجة إليه ، قَالَ الْحسن : مَا زَالَ أهل الْعلم يعودون بالتذكر على التفكر وبالتفكر على التَّذَكُّر ويناطقون الْقُلُوب حَتَّى نطقت فَإِذا لَهَا أسماع وأبصار ))([[761]](#footnote-761)) . يقول شيخ الإسلام ابن القيم : (( التفكر والتذكر أصل الهدى والفلاح ... قال الحسن : ما زال أهل العلم يعودون بالتذكر على التفكر وبالتفكر على التذكر ويناطقون القلوب حتى نطقت فإذا لها أسماع وأبصار ))([[762]](#footnote-762)) .

2ـ تصور الأمر كأنه يسمع عنه لأول مرة :

ـ يتصور الأمر كأنه يسمع عنه أول مرة ، وفي كل مرة يتصوره كأنه يسمع عنه لأول مرة .

ـ أخطر مشكلة هي التعود على الأمر ، فكل يوم ينظر إلى السماء ويرى الشمس ولا مشكلة في ذلك ، والحل هو أنه ينظر إلى السماء كأنه يراها لأول مرة ، وينظر إلى الشمس كأنه يراها لأول مرة وكأنه لأول مرة يسمع عن كلمة غريبة اسمها ( الشمس ) مثلا .

ـ من أكثر المعلومات التي يعلمها الناس ويسمعونها كثيرا في حياتهم هي أن لهم خالقا وأن هناك آخرة ، ولكن هذا الأمر أصبح عند البعض تعود ومعلومات روتينية باهتة ، فلابد أن يتصور الإنسان معنى الخالق ومعنى الآخرة كأنه يسمع عن ذلك لأول مرة ، وفصول هذا الكتاب هي تصور لمعنى الخالق والآخرة وآيات الله كأنه يسمع عن ذلك لأول مرة .

ـ فمثلا لابد أن يتعامل الإنسان مع النوم والموت كأنه يسمع عن ذلك الأمر لأول مرة ، فيجد الأمر عجيبا مدهشا يلفت النظر ويستوجب انشغال البال ، وكلما أراد أن ينام كأنه يسمع عن النوم لأول مرة فيتساءل ماذا يعني النوم ؟ ، إنه سلب للسمع والبصر والكلام والحركة ، فمن الذي يسلب هذه الصفات رغما عن الإنسان ويجبره على النوم مرات ومرات ، فهو دليل على قدرة هائلة مهيمنة على الإنسان ودليل على ضعف الإنسان ، وكذلك كلما قام يتساءل من أين عادت هذه الصفات إليه ؟ ، لكن تعودنا أن ننام ونصحوا وتعودنا أن نسمع كل يوم : مات فلان ، ولم نتخيل اليوم الذي نموت فيه : (( اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ))([[763]](#footnote-763)) ، وفي الحديث : (( النوم أخو الموت ولا ينام أهل الجنة ))([[764]](#footnote-764)) .

ـ عندما يأكل الإنسان برتقالة ينظر إليها كأنه يراها لأول مرة ، ويتساءل من أين أتت ؟ وفي أي مصنع أو شركة تم تصنيعها ؟ ولماذا صنعت بهذا الشكل ؟ ، والإجابة أنه لا أحد من البشر صنعها وإنما خرجت من الطين لتكون طعام مناسب ومعد للإنسان ومحفوظ بطريقة معينة بحيث لا تفسد ، فلابد من قوة خفية لها قدرة هائلة وخبرة هائلة وبراعة على صناعة هذه البرتقالة ولابد أن الذي صنعها يحب الإنسان ويرسل له ما يفيده ، فعندئذ يكون الإنسان شاكرا ممتنا لهذا الذي أعطاه هذه البرتقالة وكل هذه النعم ، وكلما أكل برتقالة لا تغيب هذه الصورة عن عينه ، فعندئذ قد تصور الإنسان معنى كلمة ( برتقالة ) .

ـ كذلك يتعامل مع قضية البعث كأنه يسمع عنها لأول مرة فيتعجب من الأمر ومن غرابته ثم يدرك هذه الحقيقة المذهلة .

ـ عندما يرى الإنسان آية فلم تؤثر فيه فلن يغني عنه رؤية المزيد من الآيات بعد ذلك أو رؤية نفس الآية مرات أخرى ، والعاقل هو الذي يرى الأمر كأنه أول مرة ولو تكرر مئات المرات لأن التعود يجعل الإنسان لا يتصور الأمر : (( وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ))([[765]](#footnote-765)) ، (( ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ))([[766]](#footnote-766)) ، (( كَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ))([[767]](#footnote-767)) .

3ـ تصور أصل القضية :

ـ أصل القضية هي أهم شيء فيها ، فإذا تناسى الإنسان الأصل أصبحت القضية بلا معنى ولا قيمة ، فالهم ينبغي أن ينشغل بالأهم والأخطر وهو أصل القضية ، فالعاقل يفكر في أصل القضية وحقيقتها وليس في تفاصيلها متناسيا أصل القضية .

ـ تصور أصل القضية معناه أن يستمر في السؤال لماذا ؟ وما حقيقة الأمر ؟ ، فالإنسان يأكل ويعيش ولا يسأل لماذا يأكل ولماذا يعيش ؟ ، وهدفه كذا وكذا ولا يسأل ماذا بعد تحقيق أهدافه ؟ ، فهي أهداف وراءها أهداف ، فلابد أن يستمر السؤال : وماذا بعد ؟ الإجابة بعد كل هذا يموت وتأتي القيامة وكل ما حققه من أهداف تفنى ويأتي الحساب عليها ، فمن يتصور ذلك فلن يعيش من أجل أهداف دنيوية وسوف يكون هدفه شيئا واحدا هو الإعداد ليوم موته وما بعده من حياة .

ـ فالمطلوب أن يظل تفكيره متوجها إلى حقائق الأشياء ولا يوجه تفكيره في تفاصيل الأمور دون أصل هذه الأمور وحقيقتها وقيمتها ومآلها ، فمثلا لا يفكر في تفاصيل الأمور التي يسعى بها لجلب المال ولكن يفكر في قضية المال نفسه وما فائدته ومآله وهل يحقق هدفه أم لا ؟ ، ويظل يناقش نفسه في حقيقة أهدافه وقيمة هذه الأهداف ولماذا هذه الأهداف ؟

ـ فيسأل الإنسان نفسه عن حقائق الأشياء من حوله كيف وجدت ولماذا وجدت ومن أوجدها ومن الذي أوجد الإنسان وما الهدف من ذلك ؟ وماذا عليه أن يفعل ؟ ولماذا يعيش وما الهدف من حياته ؟ وليس المطلوب المعرفة النظرية على هذه الأسئلة فهي معروفة ولكن يستشعر خطورة هذه المعرفة وما تدل عليه .

ـ سبب عدم الاتعاظ من الابتلاءات هو تصور أن الفاعل للابتلاءات هي الأسباب ، فالمرض بسبب الفيروس وحرارة الجو مثلا وينسى من الذي صنع الفيروس وجعله يقدر على الإنسان ويجعله ضعيفا ومريضا ، ويحسب أن سبب تعرض السفينة للانقلاب هو الريح والأمواج وينسى من الذي يسير الريح ، ويتصور أن الزمن هو الفاعل للشيخوخة .

ـ الأسباب عبارة عن قوانين تسير بها الأشياء فمن الذي وضع هذه القوانين ؟ ، فالله هو الذي خلق القانون الذي يسير به الكون ، ففي تفسير الشعراوي : (( فلا تظن أن الكون قائم على قانون يُديره ، بل على القيومية القائمة على كل أمر من أمور الكون ))([[768]](#footnote-768)) ، فالإنسان إما أن يؤمن بالله الذي يخرق الأسباب وإما أن يؤمن بالأسباب فيكون مادي ، فإما أن يعبد الله وإما أن يعبد الأسباب ، فالأسباب هي قوانين مخلوقة لا تنفع ولا تضر ، وهذه القوانين عند البشر فقط وليست عند الله ، والبشر لا يستطيعون إلغاء الأسباب ولكن الله يستطيع أن يلغي الأسباب لأنه هو الذي خلقها ووضعها .

ـ فمثلا قانون الجاذبية هو الذي يجعلك إذا سقط شيء من يدك أن يقع على الأرض ، فهذا القانون مخلوق يلزمك أنت ولكن لا يلزم الله ، فالله إذا أراد أن لا يقع على الأرض ما يسقط من يدك لفعل ، كما أن قانون الجاذبية لا يستطيع أن يفعل شيء فليس هو الفاعل الحقيقي ، ولكن الفاعل هو الله سبحانه ، فإذا سقط شيء من يدك فوقع على الأرض فنقول أن سبب ذلك قانون الجاذبية مجازا لكن في الحقيقة الله هو الذي أوقع ما سقط من يدك على الأرض لأن الله هو الذي صمم هذا القانون .

ـ وكذلك فالدواء لا يشفي والشافي هو الله ، فالله هو الذي جعل الدواء يؤدي إلى الشفاء لأنه هو الذي خلق القانون الذي به يستطيع الدواء أن يؤدي إلى الشفاء ، أي أن الله هو الذي خلق الخواص المعينة التي في الدواء ، والخواص المعينة الموجودة في الجسم بحيث إذا وضع الدواء نتج الشفاء ، والإنسان فقط يكتشف ويعرف ما هو موجود فيستفيد من خواصه وليس يخترع ويبتكر الخواص التي تؤدي إلى الشفاء ، وقد يريد الله للمريض أن يشفى بغير دواء ولا أسباب ، وقد يبقيه على مرضه وإن أخذ بكل الأسباب ، والإنسان مطالب أن يأخذ بالأسباب فقط لأن الله أمره بذلك لأن عدم الأخذ بالأسباب معصية .

ـ وقد يوقف الإنسان تصوره عند الحدود المادية فقط ، فهو يتصور ما يحدث داخل النبات من أسباب ، وعندما يسأل عن السبب يجد له سبب آخر ، وعندما يصل إلى كيفية اختيار النبات للعناصر التي يحتاجها من التربة وبدقة متناهية ( النفاذية الاختيارية ) لا يجد لذلك سبب ويعلم أن هناك قوة خفية هي التي تصنع ذلك لكنه لا يتصور ذلك الأمر ولا يلفت انتباهه إليه ولا يشغل همه به .

ـ عندما تتفكر في أي أمر ينبغي عدم التوقف عند الحدود المادية للأسباب ، فعندما تتفكر في أي أمر تجد له مبررات علمية لحدوثه ، فتبحث عن سبب هذه المبررات فتجد لها مبررات أخري وهكذا ، وعليك أن تستمر في هذا حتى يعجز العلم المادي ويقول هذه لا أجد لها مبررات فتعرف أن هناك قوة خفية خارجية خارقة للأسباب هي التي أحدثت ذلك الأمر ، وعندئذ تشعر أن هناك قوة قاهرة تهيمن على كل شيء وتسيطر علي كل شيء سيطرة كاملة وهيمنة كاملة وعلى الجميع الاستسلام والخضوع الكامل للخالق : (( ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ ))([[769]](#footnote-769)) ، أما التوقف عند الحدود المادية للأسباب يجعل الإنسان يشعر أن الأسباب هي التي أوجدت وصنعت وخلقت هذه الأمور ، وإن كان مقتنعا نظريا أن الخالق هو الذي أوجدها ، فيعيش بمشاعره في دنيا الأسباب ، دون أن تخرج مشاعره عن التعلق بالأسباب ، فينبغي أن تكون نظرة الإنسان إلى كل شيء على هذا النحو .

ـ فالمشكلة أننا نتوقف عند الأسباب ونفسر حدوث كل شيء بالأسباب العلمية ونتغافل عن عدم مقدرة الأسباب عن تفسير الأمر ، فمثلا خروج النبات من الأرض هو معجزة وأمر خارق للأسباب ولكننا نفسر أي عملية تحدث في النبات لوجود شيء معين هو الذي يؤدي إلى ذلك ، وإذا سألنا عن سبب وجود ذلك الشيء نكتشف أن هناك شيء آخر أدى إليه وهكذا حتى نصل إلى أن العلم يعجز عن تفسير ذلك الأمر ، هنا نكتشف أن القضية كلها خرق للأسباب وأن هناك قوة خارجية هي التي تصنع ذلك الأمر ، والمشكلة أننا لا نترك أنفسنا نصل إلى عجز العلم عن تفسير الأمر ولا نتفكر في هذه النقطة لكن تفكيرنا يتوقف عند حدود الأسباب العلمية .

ـ فمثلا الأشياء المصنوعة جاءت من خامات ، وهذه الخامات من خامات أخرى ، فلابد أن هناك خامات أو أشياء بدأت من العدم ، وهذا لا يقدر عليه غير الخالق سبحانه ، فالإنسان لا يستطيع إيجاد نفسه ، والأشياء لا تستطيع إيجاد نفسها .

ـ فالأسباب هي قوانين مخلوقة لا تنفع ولا تضر ، فهذه القوانين عند البشر فقط وليست عند الله ، فالبشر لا يستطيع أن يلغي الأسباب ولكن الله يستطيع أن يلغي الأسباب لأنه هو الذي خلقها ووضعها .

ـ عجز علم الإنسان عن تفسير وفهم الأمور يدل على وجود قوة خارقة للأسباب ، مثل وجود الروح وخروجها .

ـ التصور السليم هو التصور الذي يتجه إلى حقائق الأمور وليس ظاهرها ، فإذا نظر إلى الأشياء من حوله نظر إلى حقيقتها وكيف وجدت ولماذا وجدت ، وإذا نظر إلى الدنيا نظر إلى قيمتها وما تؤول إليه وفنائها ، وإذا نظر إلى الشهوات نظر إلى حقيقتها الضئيلة وفناءها والعقاب عليها ، وإذا نظر إلى نفسه نظر إلى سر وجوده كيف وجد ولماذا يموت وماذا بعد الموت ؟ ، وينظر إلى حقائق الأشياء من حوله وكيف جاءت ولماذا جاءت ؟ ، والتصور الخاطئ هو أن يتجه التصور إلى ظواهر الأشياء دون أصولها ولم يسأل لماذا يأكل ولماذا يشرب ولماذا ينام ؟ .

ـ المشكلة أن الإنسان قد يقطع هذا التصور ويعتبره فلسفة ، فيكون مثل الذي سار في الطريق ونسي هدفه .

4ـ تصور جميع الجوانب :

ـ الذي ينظر إلى ظاهر الأشياء ينخدع بظاهر شهوات الدنيا فيراها كبيرة القيمة ، فينشغل تفكيره بأنه يريد أن يأكل ويشرب وينام ويتناسل ويتمتع ويعيش كما يعيش الآخرون ، وتلهيه مشاغل الحياة فلا يفكر إلا في ظاهر الأمور : (( يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخرة هُمْ غَافِلُونَ ))([[770]](#footnote-770)) ، ورغم أن الأشياء تدعو الإنسان إلى أن يعرف سر وجودها وما وراءها لكنه يتناسى حقائق الأشياء ويشغل عقله بظواهر الأشياء فقط ، وينشأ عن ذلك شعور خادع بقيمة الدنيا فيراها عظيمة القيمة رغم ضآلتها وفناءها .

ـ وكذلك ينظر إلى ظاهر أمر الغيبيات فلا يرى شيئا لأن الغيبيات لا نراها فظاهرها عكس حقيقتها ، فلا ينظر إلى حقيقتها وخطورتها ولا يوجه تفكيره في معرفتها ، فلا تتعلق مشاعره بها ولا يعيش لها .

ـ فالإنسان الذي لا عقل له عنده علم سطحي وظاهري بأمور الدنيا ، فلا ينظر إلى حقائق وجود الأشياء وما وراءها وحقيقة قيمتها ، ولكن فقط علمه مقصور ومحدود في إطار السطحيات والظاهر ، ففي تفسير البغوي : (( { يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } يعني : أمر معاشهم ، كيف يكتسبون ويتجرون ، ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون ، وكيف يبنون ويعيشون ، قال الحسن : إن أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه ولا يخطئ وهو لا يحسن يصلي ، { وَهُمْ عَنِ الآخرة هُمْ غَافِلُونَ } ساهون عنها جاهلون بها ، لا يتفكرون فيها ولا يعملون لها ))([[771]](#footnote-771)) ، وفي تفسير الشيخ المراغى : (( ( ذلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ) أي إن منتهى علمهم أن يتفهموا شئون الحياة الدنيا ، ويتمتعوا باللذات ، ويتصرفوا في التجارات ، ليحصلوا على ما يكون لهم فيها من بسطة في المال ، وسعة في الرزق ، ويكونوا ممن يشار إليهم بالبنان ، وما به يذكرون لدى الناس ، ولا يعنون بما وراء ذلك ، فشئون الآخرة دبر أذنهم ، ووراء ظهورهم ، لا يعرفون منها قبيلا من دبير ))([[772]](#footnote-772)) .

ـ أراد الله أن يكون ظاهر الأشياء عكس حقيقتها ، وذلك لاختبار الإنسان ( وقد أوضحنا ذلك بالفصل الخامس عشر ) .

ـ فمثلا يتصور المتعة الظاهرة في المعصية ـ وهي متعة حقيقية ولكنها ضئيلة ـ مع عدم تصور حقيقة المعصية وألم العقاب عليها وعدم تصور غياب الاستحياء من الله وعدم تصور أن الله هو المالك والمالك له الحق في أن يفعل فيما يملك ما يشاء

ـ تصور ظاهر الأمر مع عدم تصور باقي الجوانب يؤدي إلى رؤية الشيء التافه عظيما ورؤية الشيء العظيم تافها ، وهذا هو التصور الخاطئ ، فيرى الأمور مقلوبة : (( أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ))([[773]](#footnote-773)) ، (( فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ))([[774]](#footnote-774)) .

ـ فتكون نظرة الإنسان للمال وأصحاب الثروات نظرة انبهار وإعجاب وتعظيم وتقدير لعظيم قيمته ، وكذلك نظرته إلى حجم المتعة من شهوة النساء أو النظر إلى العورات ، وهكذا ، في حين نظرته إلى قدر الله مثل نظرته إلى أي شيء لا ينفع ولا يضر ، فقدرة الله لا تلفت نظره أصلا ولا يستشعر في ذلك أثر أو أهمية ، وكذلك نظرته إلى الآخرة تكون مثل نظرته إلى الحواديت وهكذا ، وكل هذا يختلف عن الاقتناع الكاذب بعظمة الله وضآلة الدنيا وخطورة الآخرة .

ـ أما إذا نظر الإنسان إلى حقائق الأشياء تغيرت نظرته إلى ما حوله ، لأنه يكتشف حقيقة الدنيا فيشعر بضآلتها ، ويكتشف حقيقة الآخرة فيشعر بخطورتها ، فتكون نظرته للأشياء نظرة أخروية وليست نظرة دنيوية ، فمثلا إذا وقع بصره إلى نساء متبرجات فإنه يغض بصره ولا يكون تفكيره في زينتهن ولكن تفكيره في أن زينتهن فانية وهن أموات كجيف نتنة تحت التراب مثل مصير كل البشر ، وهن يلقون جزاء تبرجهن في الآخرة ، وكذلك لا ينظر إلى أصحاب الجاه والسلطان نظرة انبهار ولكن يتذكر أنهم صائرون إلى القبور ويتركون كل شيء ، وكذلك ينظر إلى الظلمة على أنهم ضعفاء مساكين وهم في النار يعذبون فيشفق عليهم في الدنيا وهم يوردون أنفسهم موارد الهلاك : (( إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ))([[775]](#footnote-775)) وهكذا .

5ـ تصور المقارنة بين الأمور وبعضها :

ـ أي تصور المقارنة بين قوة الله وقوة الإنسان ، وبين الأمر الطبيعي والأمر الخارق للأسباب وبين قيمة الدنيا وقيمة الآخرة .

ـ فمثلا : هل ألف جنيه هو مبلغ كبير أم صغير ؟ ، بدون المقارنة بشيء لا نعرف ، بالمقارنة بالمليون جنيه فهو تافه ، وبالمقارنة بالجنيه فهو عظيم القيمة .

ـ فالشيطان إذا ذكر الإنسان بلذة المعصية فإن العاقل يتذكر صورة العقاب عليها ويضع الصورتين معا في نفس الوقت ليقارن بينهما ، كما يتذكر مراقبة الله له في نفس الوقت .

ـ ثانيا : استمرار التصور بمقدار خطورة الأمر

ـ من شروط التصور السليم أن يستمر بمقدار خطورة الأمر فلابد أن :

1ـ أن يتناسب مقدار التصور مع مقدار الخطر :

ـ المشكلة أن رد فعل الإنسان وانفعالاته ومشاعره لا تتناسب مع حجم الألم أو اللذة الشديدة جدا فوق كل التصورات .

ـ فلابد أن يتناسب مقدار التصور لقيمة الشيء مع حجم الألم أو اللذة الشديدة جدا فوق كل التصورات ، فإذا كان الشعور بقيمة الآلام أو الملذات في الآخرة أقل من أو يساوى الشعور بقيمة الآلام أو الملذات في الدنيا فهذا معناه عدم وجود اليقين الحقيقي بالآخرة ، وكذلك إذا كان الشعور بقيمة قدرة الله وقوته وصفاته أقل من أو يساوى الشعور بقيمة قدرة البشر وقوتهم وصفاتهم فهذا معناه عدم وجود اليقين الحقيقي بالخالق وصفاته .

ـ ومهما شعر الإنسان بحقيقة الآخرة ومدى ما تعنيه من الأهمية والخطورة فلن يصل إلى قدرها ، ومهما شعر الإنسان بقدر الله ومدى عظمته فلن يصل إلى الشعور بمدى قدره وعظمته : (( وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ))([[776]](#footnote-776)) .

ـ فلو أن إنسانا غمس في النار غمسة واحدة ثم عاد إلى الدنيا فكل آلام الدنيا ومشاكلها في نظره لهو ولعب ولا قيمة لها ، ولو أن إنسانا غمس في الجنة غمسة واحدة ثم عاد إلى الدنيا فكل متع الدنيا ولذاتها في نظره لهو ولعب ولا قيمة لها ، ولو إن إنسانا عاد من الآخرة إلى الدنيا فسوف ينظر إلى السنوات الطويلة التي يقضيها في الدنيا على أنها ثواني معدودة لا قيمة لها وأنه باقي على قيام الآخرة ثواني معدودة : (( قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (112) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أو بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (113) قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إلا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ))([[777]](#footnote-777)) ، وفي الحديث : (( يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنَ الْكُفَّارِ فَيُقَالُ اغْمِسُوهُ في النَّارِ غَمْسَةً ، فَيُغْمَسُ فِيهَا ثُمَّ يُقَالُ لَهُ أي فُلأن هَلْ أَصَابَكَ نَعِيمٌ قَطُّ ، فَيَقُولُ لاَ مَا أَصَابَنِي نَعِيمٌ قَطُّ ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ الْمُؤْمِنِينَ ضُرًّا وَبَلاَءاً ، فَيُقَالُ اغْمِسُوهُ غَمْسَةً في الْجَنَّةِ ، فَيُغْمَسُ فِيهَا غَمْسَةً فَيُقَالُ لَهُ أي فُلأن هَلْ أَصَابَكَ ضُرٌّ قَطُّ أو بَلاَءٌ فَيَقُولُ مَا أَصَابَنِى قَطُّ ضُرٌّ وَلاَ بَلاَءٌ ))([[778]](#footnote-778)) .

ـ العاقل عليه أن يتخيل أنه الآن موجود داخل نار الآخرة سواء لذنوب يتطهر منها أو لأنه لم يحقق الإيمان ويتذكر ما كان في الدنيا من آلام ولذات ومشاغل الدنيا فإن كل ذلك في نظره عندئذ لا يساوي شيئا ، فالذنب الذي يعتبره بسيط عقابه الآن شديد جدا داخل النار ، وعدم تحقيق الإيمان عقابه الخلود الدائم داخل هذه النار وهي تلتهم وجهه وجلده وتشويه كما تشوى الدجاجة داخل النار ، ولكن هذا التذكر بعد فوات الأوان : (( يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإنسان وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ))([[779]](#footnote-779)) ، وكذلك عليه أن يتصور أنه الآن موجود داخل الجنة ويتذكر ما كان في الدنيا من آلام ولذات ومشاغل الدنيا فان كل ذلك في نظره عندئذ لا يساوي شيئا ، فالمتع التي كان الناس يتمنونها في الدنيا ويتقاتلون عليها هي الآن موجودة أمامه مضاعفة ، فهذه شهوات النساء من الحور العين وهذه القصور والخمور والمتع التي لا تنتهي ، ويتذكر أنه لو ازداد في الطاعة لارتقى في درجات أعلى .

ـ فالمشكلة أن رد فعل الإنسان وانفعالاته ومشاعره لا تتناسب مع حجم الألم أو اللذة الشديدة جدا فوق كل التصورات ، فالجنة فيها متع ونفع كبير جدا فوق كل التصورات لكن الإنسان لا يشعر بلذة الشوق تجاهها ، وإذا كان عنده شعور بلذة الشوق لها فلا يتناسب أبدا مع حجم المتع والملذات الهائل جدا الذي يفوق كل التصورات .

ـ والنار فيها ضرر كبير جدا فوق كل التصورات لكن الإنسان لا يشعر بألم الخوف من مهابتها وألم الخوف من دخولها ، وإذا كان عنده شعور بألم الخوف منها فلا يتناسب أبدا مع حجم الضرر والألم الهائل جدا الذي يفوق كل التصورات .

ـ بل إن الإنسان مهما كان يقينه ففي يوم القيامة سوف يكتشف أن حجم الألم أو اللذة كان يفوق كل تصوراته عندما يرى الملائكة ويرى الجنة والنار ويجد أن الدنيا قد انتهت وأنها ليست بشيء على الإطلاق ! ، فهو عندئذ يعلم الحقيقة واضحة ولكن بعد فوات الأوان ، فالناس في غفلة فإذا ماتوا انتبهوا ، ففي اللحظة التي يموت فيها الإنسان فإنه يرى الملائكة ويرى الأهوال ويعلم أنه كان في الدنيا أعمى لا يرى شيئا والآن أصبح يرى وأنه كان أحمقا لا عقل له والآن أدرك الحقائق ولكن لا يستطيع أن يعود ولو لحظة واحدة ، فالغافل يرى أمر الآخرة بعيد جدا ولا يعلم أنه في لحظة واحدة مفاجأة مباغتة من ليل أو نهار يأتيه عذاب الآخرة فورا : (( قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أو نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ (50) أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ))([[780]](#footnote-780)) .

ـ الله سبحانه له قدرات هائلة جدا فوق كل التصورات ولو اجتمع البشر جميعا لا يستطيعوا أن يصنعوا شيئا ولو بسيطا مما يصنعه الخالق كأن يخلقوا ذبابة مثلا ، وعلم الله بكل شيء حتى ما سيكون ومقدرته على كل شيء ، ولكن الإنسان لا يشعر بالانبهار والإعجاب والحب لهذه الصفات الخارقة التي تصل إلى الكمال ولا يشعر بالخوف من مهابة هذه القدرات ، ولو كان الإنسان عاقلا لمات من شدة الحب لله ولمات من شدة الخوف من مهابة الله تعالى ولمات من شدة الخوف من عقابه بالنار المحرقة التي يفوق ألمها كل التصورات ، ولمات من شدة الشوق والرجاء في ثوابه بالجنة بما فيها من المتع والحور العين والخمور والملذات التي تفوق كل التصورات .

ـ وجميع آلام الدنيا وملذاتها ليست بشيء أمام الآخرة ورغم ذلك تتفاعل معها مشاعر الإنسان وانفعالاته في حين لا تتفاعل وتتأثر بالغيبيات ، فذلك يدل على حماقة الإنسان وعدم وجود اليقين الحقيقي بالغيبيات .

ـ تصور أنك تقف الآن على أرض المحشر في الآخرة أو أنك الآن داخل جنة الآخرة أو أنك الآن داخل نار الآخرة ، أنت الآن فقط تعرف قيمة الدنيا وأنها بكل ما فيها من لذات وآلام لم تكن سوى لعب ولهو ، وأنت الآن تدرك أن الناس الذين يعيشون في الدنيا في غفلة تامة عن الآخرة وأن الآخرة خطر هائل جدا فوق كل تصورات الناس ، وأنت تدرك الآن أن الأمور معكوسة تماما فكل تفكير الناس ومشاعرهم وأعمالهم هي في أمور الدنيا وأنت تقول أهؤلاء أغبياء لا عقل لهم ! .

ـ الإنسان العاقل هو الذي لا يحتاج إلى أن يذهب للآخرة لكي يصدق بكل هذا الخطر ويشعر به ولكي يصدق بأن الدنيا ما كانت إلا لعب ولهو ، وإنما هو يستطيع أن يدرك ذلك بأن يتصور خطورة الأمر وهو ما زال في الدنيا وهذا هو المؤمن الذي وعده الله بالجنة .

ـ العجيب أن الإنسان يعيش في هدوء تام وغفلة تامة عن هذه المخاطر الهائلة ، فهو يوقن بها ولكن لا يشعر بخطرها مطلقا .

ـ وأراد الله أن تكون الدنيا معزولة تماما عن هذه المخاطر وهادئة تماما ، فالإنسان لا يرى الغيبيات بعينه فلا يرى تلك المخاطر ، وجعل الله ذلك ليختبر الإنسان ، والرسل جاءت تحذر من هذه المخاطر ولكن لا حياة لمن تنادي ، ولكن بعد لحظات من الآن نجد أنفسنا واقفين على أرض المحشر لنتذكر تحذير الرسل ولكن ذلك لا ينفع .

ـ الإنسان يعيش وسط خطر رهيب وعلى حافة هاوية سحيقة وأمامه كم هائل لا يستطيع تصوره من شهوات الحور العين والملذات والطعام والشراب ، لكنه معزول تماما عن رؤية كل هذا ولا يرى أثر لهذه الأمور على حريته في التصرف في حياته وهو يعيش في هدوء تام ، بل على العكس تبدو الحياة حلوة خضرة بما فيها من شهوات تبدو عظيمة القيمة في حين أن الحقيقة عكس ذلك تماما ، فالمتع التي نعيشها ليست هي المتع ، والآلام التي نعايشها ليست بآلام ، وإنما المتع هي متع الجنة والآلام هي آلام النار ونحن نعرف ذلك ولكننا نتناسى ونتغافل .

ـ لابد أن يستمر التصور حتى يصل إلى تصور لقدر خطورة ذلك الشيء ، فقد يكون الشيء خطيرا جدا ، وتصور الإنسان لمدى هذا الخطر لم يصل لمقدار هذا الخطر ، أي أن مقدار التصور لا يتناسب أبدا مع مقدار الخطر الهائل ، وحيث أن قدر قدرة الله هو مالا نهاية فهذا معناه أن الإنسان يستمر في تصور مدى قدرة الله دائما ، وفي كل مرة يرى ويتصور قدرة أعظم مما كان يتصورها من قبل ، ولن يستطيع أن يقدر الله حق قدره ، ولو ظل الإنسان يتصور مدى قدر الله طول عمره لم يصل ، فيظل الإنسان يتعرف على الله تعالى ، فكلمة ( إله ) في اللغة أي الذي تتحير من مدى عظمته ، ففي غريب الحديث لابن قتيبة : (( أَلِهَ يَأْلَه إذا تحيِّر كأَنَّ القُلوب تأْلَهُ عند التفكّر في عَظَمة اللّه ))([[781]](#footnote-781)) ، وكذلك خطورة الآخرة هائلة جدا ، فيستمر الإنسان في تصور قدرتها إلى أن تنطبع صورة في الذهن لمدى خطورتها .

ـ فإذا كان الإنسان يتصور قدرة الله كأنها أعلى بقليل من قدرة الإنسان ، ويتصور خطورة الآخرة وأهميتها كأنها أعلى بقليل من الدنيا فهذا تصور خاطئ ، وأيضا إذا كان الإنسان يتصور قدرة الله كأنها أعلى بكثير من قدرة الإنسان ، ويتصور خطورة الآخرة وأهميتها كأنها أعلى بكثير من الدنيا فهذا أيضا تصور خاطئ ، لأن قدرة الله أعلى إلى ما لا نهاية من قدرة الإنسان ، بل الإنسان لا قدرة له ، والآخرة أهم وأخطر من الدنيا إلى ما لا نهاية ، بل الدنيا لا قيمة لها مطلقا ، فقدرة الله هائلة جدا جدا وتحيط بالإنسان إحاطة تامة وهو في تمام الغفلة ، وكذلك فنحن مقبلون على خطر هائل جدا جدا وكارثة كبرى هي الآخرة ونحن في غفلة تامة عنها ، فالخطر هائل جدا وفوق كل تصور ، وقدرة الله هائلة وفوق كل تصور ، والغفلة تامة ، ولكننا نعيش في عزلة تامة عن عالمنا الذي نكون فيه بعد ثواني معدودة .

ـ قد يقل التصور حتى ينعدم ويصبح الأمر معرفة كاذبة بخطورة الأمر وهذا هو التناسي ، وقد يتكون التصور ولكن لا يرقى إلى مستوى الخطر ، فالمليون جنيه في نظره كأنها جنيه ، واحتراق جسد الإنسان داخل النار وهو حي مثل اشتعال عود كبريت في إصبعه ، واليقين في هذه الحالة غائب أيضا لأنه في حقيقته استهزاء بحجم الخطر .

ـ فمثلا لو ايقن الإنسان يقينا حقيقيا بأن غمسة واحدة في النار أشد من كل آلام الدنيا لكانت كل آلام الدنيا في نظره لا تساوي شيء .

2ـ أن يستمر تصور الأمر الخطير ما دام خطره :

ـ الإنسان لا يخاف من الخطر الذي انتهى ، وإنما يخاف من الخطر الواقع الآن والذي سوف يحدث ، وخوفه من الخطر الواقع الآن أشد ، وعدم وجود الخوف دليل على أن اقتناع الإنسان بوجود الخطر كاذب .

ـ الموت خطر واقع الآن لأن الإنسان مهدد في أي لحظة بالموت ، وكذلك ما بعد الموت هو خطر واقع الآن لأنه إذا مات العبد فقد دخل إلى عالم القبر والآخرة .

ـ خضوعك لقوة الله ومراقبته هو خطر واقع الآن وفي كل وقت ، فعدم وجود خوف المهابة من ذلك يؤدي إلى عدم الشعور بالخضوع ، كما أن قدرة الله أمر هائل ، فعدم وجود خوف المهابة من ذلك معناه عدم وجود اليقين الحقيقي بعظمة الله .

ـ هم الإنسان يظل منشغلا بالأمر الخطير طالما أن خطره ما زال قائما ويستمر حتى ينتهى خطره ، فعدم استمرار انشغال الهم بالأمر الخطير ولم ينتهي خطره معناه أن الإنسان نسي خطره وتغافل عنه ولم يتصوره أو أن تصوره له خاطئ ، فلابد من استمرار انشغال الهم بالله والآخرة طالما أن قدرة الله محيطة بالإنسان دائما وطالما أن الآخرة لم تأتي بعد .

ـ الحياة عند لحظات وقوع الخطر :

ـ عندما تقع كارثة معينة أو توشك أن تقع أو عندما يتعرض الناس لخطر معين ما الذي يحدث ؟ ، إن الناس يعيشون لحظات الخطر في رعب وخوف وهلع وترقب لما يمكن أن يحدث ، كل الناس يتركون عملهم ولعبهم ويتوقفون عن الطعام والشراب ولا ينشغلون بأمور الدنيا مطلقا ، منهم من يجري ومنهم يموت من هول الصدمة ومنهم من يصاب بالهستريا .

ـ السنوات التي نعيشها في هذه الحياة ولو كانت مائة سنة ليست إلا لحظات وقوع الخطر ، والخطر الذي نتعرض له هو أننا الآن مسافرون في لحظات إلى الآخرة بكل ما فيها من أهوال لنعيش فيها حياة أبدية وبلا رجعة ، وكذلك الخطر الهائل جدا الذي هو قدرة الله وعلمه ومراقبته لنا ، فقدرة الله معنا في كل مكان أينما ذهبنا ولو في الحصون والمخابئ المحصنة ، وقدرة الله هائلة جدا فهي أمر مخيف ومرعب ، وكذلك علم الله ومراقبته لنا ورؤيته لنا في كل مكان ولو في الظلام ولو داخل الحجرات المغلقة ، نحن نعيش في حصار تام ونخضع لهيمنة تامة لن نستطيع أن نفلت أو نهرب .

ـ ولكن المشكلة هي وجود عزلة تامة عن الخطر الهائل ، فنحن لا نرى الله ولا نرى الآخرة وكذلك لا نرى مخاطر في الدنيا تنبئ بأننا قادمون على خطر عظيم ، بل على العكس طبيعة الدنيا أنها هادئة جدا جدا وفيها اللعب والشهوات البراقة ذات المنظر الخادع .

ـ وبالتالي يعيش الإنسان في هدوء تام جدا ومحاط بسور هائل جدا يعزله تماما عن الخطر الذي يحيط به من كل جانب ، وبالتالي كلما نظر الإنسان إلى ما وراء الحائط تذكر ثم إذا نظر داخل الحائط نسي ، والعاقل هو الذي لا يغفل نظره عن الواقع الحقيقي الذي هو الخطر المحيط به وليس الواقع المزيف الذي هو مجرد سور يعزله عن الخطر ، أما الجاهل الذي لا عقل له فكلما تعرض لمحنة تذكر الخطر وعرف هنا فقط معنى قوة الله ومعنى أنه ضعيف خاضع ثم إذا مرت المحنة عاد فنظر إلى الدنيا الهادئة ونظر إلى شهواتها الخادعة فينسى الله والآخرة ، فبني إسرائيل بعد أن رأوا بأعينهم معجزة إهلاك فرعون بمجرد أن خرجوا نسوا : (( وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ))([[782]](#footnote-782)) ، (( هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ))([[783]](#footnote-783)) .

ـ أعمال الدنيا كلها عند لحظة وقوع الخطر ما هي إلا لعب ولهو ، والدنيا ما هي إلا لحظات الخطر ، والعجيب أن هناك نائمون وآخرون يلعبون والخطر يحيط بهم فهؤلاء لا عقل لهم قد ماتت عقولهم ، وهناك آخرون قد أخرجوا كل أعمال الدنيا من قلوبهم وشمروا سواعدهم ولاذوا بالفرار في رعب وخوف لا يأمنون ما الذي يمكن أن يحدث لهم أو يصيبهم من هذا الخطر الهائل ، فهؤلاء هم أصحاب العقول وهؤلاء هم أولوا الألباب : (( أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (97) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (98) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ))([[784]](#footnote-784)) .

ـ مثال يوضح حجم الخطر الهائل الواقع علينا :

ـ الدنيا عبارة عن حجرة هادئة تماما وساكنة ، وداخل هذه الحجرة يوجد رجل يلهو ويلعب وسط هذا الجو الهادئ ، وخارج الحجرة توجد نار هائلة تقترب وتوشك أن تشتعل بالحجرة ، والرسل جاءت تدق الباب بشدة وتنادي بصوت عالي : احذروا النار احذروا النار ! ، وتنادي على من في الحجرة أن ينظر إلى الشباك ليرى النار ، وتدله على ممر للنجاة وسط النار يؤدي إلى حدائق وقصور فيها الأمان والمتع والملذات ( الجنة ) ، فسمع الرجل النداء ورأى النار من الشباك ، ولكنه تجاهل الأمر وتغافل عنه كأنه لم يسمع النداء وكأنه لم يرى النار من الشباك وكأنه لم يفهم ما قالته الرسل ، واستمر في لعبه ولهوه وسط الجو الهادئ داخل الحجرة ، ولم تتأثر مشاعره ولم يتحرك للهرب ، فكأن هذا الرجل لا سمع له ولا بصر له ولا عقل له ولا مشاعر له وكأن جوارحه لا تعمل فكأنه ميت ، فرغم أن هذا الرجل يلعب ويلهو لكنه في الحقيقة ميت ! ، فمهما أخذت تنادي فيه : احذر النار ! فكأنما تكلم ميتا لا روح فيه : (( إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ))([[785]](#footnote-785)) ، فهذا الرجل منع نفسه من أن يسمع أو يعقل بتغافله عن الأمر : (( وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أو نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ))([[786]](#footnote-786)) ، وهو كالأنعام يأكل ويشرب ويتناسل وينام ، والبهائم لا تفقه خطاب البشر مهما ناديتها : (( وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْأِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأنعام بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ))([[787]](#footnote-787)) ، فما زالت الرسل تدق الباب وتنادي وهو يستمع إليهم وهو يلعب مثلما يستمع إلى أمر تافه أو لا قيمة له : (( اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (1) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إلا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ، لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ))([[788]](#footnote-788)) .

ـ ويمكن تشبيه ذلك بأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء إلى الناس ليحذرهم من أن هناك خطر عظيم سوف يجتاحهم ، هذا الخطر هو جيش جرار جاء ليقضي عليهم ، فكان طائفة منهم لم يتأثروا ولم ينتبهوا لخطورة الأمر ولم يشعروا بالخوف والرعب ، ومن أثر ذلك أنهم لم يتحركوا من مكانهم ولم يهربوا ، وكأن شيئا لم يكن ، وكأنهم لم يسمعوا ، وكأنهم كالحائط الذي لا يحس ، وبقوا مكانهم منشغلين بحياتهم وطعامهم وشرابهم ، فهؤلاء جاء الجيش إليهم فقضى عليهم ، وطائفة أخرى تحركت مشاعرهم وشعروا بالخوف ولاذوا بالفرار فنجو من الجيش ، وهذا المثل هو ما أوضحه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ففي الحديث : (( إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء النجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق ))([[789]](#footnote-789)) ، ومعنى " أنا النذير العريان " أصله أن الرجل كان إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيدا عنهم ليخبرهم بما دهمهم ، وإنما يفعل ذلك لأنه أبين للناظر وأغرب وأشنع منظرا فهو أبلغ في استحثاثهم في التأهب للعدو ، وقيل معناه أنَا النَّذِير الَّذِي أَدْرَكَنِي جَيْشُ الْعَدُوّ ، فَأَخَذَ ثِيَابِي ، فانفلت منهم ، فَأَنَا أُنْذِركُمْ عُرْيَانًا .

ـ فالإنسان الغافل يعيش كأنه لا يوجد أي خطر يهدد الكرة الأرضية والحياة الدنيوية ولا يوجد أي خطر يهدد حياته رغم أنه يعلم بأن الموت خطر يهدد حياته فيأتيه في أي لحظة ورغم أنه يعلم أن الكرة الأرضية وحياة البشر سوف تفنى في لحظة مباغتة بظهور علامات الساعة ، ويعيش كأن حياة البشر على الأرض والمنظومة الكونية ليس لها أحد يسيطر عليها ويحكمها وكأن كل إنسان يعيش حياته كيف يشاء ، كأن البشر موجودون من تلقاء أنفسهم ولا توجد حكمة من إيجادهم ، ولكن البعض تغافل عن كل الإخطار التي حوله وعاش في الحياة هادئا مطمئنا معتقدا بأن هذه هي حياته راضيا بأن حياته إنما هي على ظهر هذه الأرض ، فهو مطمئن وراض بالحياة الدنيا رغم أن وجود الإنسان على الأرض ليس حياة يقيم فيها ويسكن ولكنها مجرد طريق وسفر واختبار وليست معدة للمعيشة ، والحياة التي يعيشها الناس ويقيمون فيها هي في الآخرة : (( إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ، أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ))([[790]](#footnote-790)) ، فالحياة التي يعيش فيها الإنسان ويأكل ويشرب ويلبس ويقيم هي الآخرة أما هذه الحياة التي نعيشها فهي حياة كاذبة مؤقتة مثل الحياة التي يعيشها عابر السبيل ليصل إلى بيته ووطنه : (( وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إلا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخرة لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ))([[791]](#footnote-791)) ، " الحيوان " أي الحياة الحقيقية وفي الآية : (( يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ))([[792]](#footnote-792)) أي لحياته في الآخرة ، لذلك من الناس من تكون قضيته كيف يعيش حياته وكيف يقوم بشئون معيشته وكيف يدبر أموره المعيشية وهو لا يدري أنها ليست بحياة وأنها مجرد سفر أوشك أن ينتهي ، أما الذي يدرك أنه على سفر فهو منشغل بسفره عن هذه الأمور المعيشية المؤقتة فهو لا يبالي بلقيمات تعينه على سفره كيفما اتفق ولا يبالي كيف تكون هذه الحياة المعيشية العابرة لأنها زائلة سريعا فتكون عنده كيفما اتفق .

ـ التعامل مع المعلومات التي يستمر خطرها :

ـ العاقل إذا رأي شيئا مؤثرا أو علم به فإنه يتأثر به همه ومشاعره وجوارحه ، ويستمر ذلك التأثر حتى يزول المؤثر ، فيستمر التفكير في الأمر طالما استمر الخطر منه أو الألم أو اللذة منه حتى ينتهي خطره ويزول ألمه أو لذته ، وطالما أن الآخرة لم تأتي بعد فيستمر التفكير في هذا الخطر حتى تأتي وتنتهي بدخول الجنة أو النار ، وكذلك يستمر التفكير في قدرة الله وصفاته لأن ذلك باقي فالله حي لا يموت سبحانه ، فيظل الإنسان في حالة قلق وخوف من الآخرة إلى أن يصل إلى الجنة أو النار ، ويظل في خوف من مهابة الله وحب وخضوع لله دائما حتى وهو في الجنة .

ـ فطالما أن المؤثر ما زال مستمرا وموجودا فلابد أن يستمر التأثر به ، فمثلا طالما أن الآخرة لا تزال لم تأتي بعد فلابد أن يستمر خوف المهابة من أهوالها وأن يستمر حب الجنة ورجاءها وكراهية النار والخوف منها وتبقى الآخرة في بؤرة شعوره ودائرة همومه وتكون أكبر أهدافه حتى تأتي الآخرة ، ويوم القيامة يكون هناك شعور أشد بخوف المهابة من أهوالها وما يحدث فيها .

ـ فما دام الطالب في انتظار نتيجة الامتحان فإنه يظل قلقا ، ويستمر القلق حتى تظهر النتيجة ، بل إنه كلما اقترب موعد النتيجة زاد القلق ، كذلك الذي يكون قلقا من الآخرة يظل هذا الشعور عنده حتى تأتي الآخرة ، بل إن القلق يزداد كلما اقترب العمر من الآخرة ، كما أن الإنسان لا يدري متى يموت فيكون خوفه أشد ، إذن فالمؤمن لابد أن يعيش حياته خائفا من الله ومن عقاب الله ، ففي الحديث القدسي : (( قال الله تعالى : وعزتي وجلالي لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين إن هو أمنني في الدنيا أخفته يوم أجمع عبادي وإن هو خافني في الدنيا أمنته يوم أجمع عبادي ))([[793]](#footnote-793)) .

ـ الآيات الكونية هي أمور خارقة للأسباب وبالتالي تستدعي انتباه العاقل وتشغل فكره ويتأثر بها همه ومشاعره وجوارحه ، فمثلا عندما يعلم الإنسان أنه يعيش على كرة معلقة تطير به في فضاء سحيق وأنه أمر حادث الآن وأنت تقرأ هذه السطور ، فهذا أمر عجيب لا يمر على العاقل مر الكرام وإنما يستمر تأثر همه به ( يستمر تصوره وتخيله لهذا الأمر ويستمر تعجبه وانبهاره به ويستمر انشغال باله بهذا الأمر العجيب ) ويستمر تأثر مشاعره به ( شعوره بالخضوع وخوف المهابة من قدرة الخالق ) .

ـ علم الإنسان بأن له خالقا يسمعه ويراه ويقدر عليه معناه أنه خاضع مثل باقي الأشياء ومعناه أنه إذا رفع رأسه إلى السماء فإنه يرى الخالق لولا وجود حجاب يمنعه من الرؤية فهذا أمر خطير لا يمر على العاقل مر الكرام وإنما يستمر تأثر همه به ( يستمر تصوره لقدرة الله وعلمه ويستمر شعوره بعظمة الخالق ويستمر انشغال باله بقدرة الله ومراقبته له ولا يغيب نظره عن السماء كأنه يرى الخالق ) ويستمر تأثر مشاعره به ( شعوره بالخضوع وخوف المهابة من قدرة الخالق ) ، وطالما أن الله موجودا دائما ولن يغيب سبحانه فيظل الشعور بحبه والخوف من مهابته مستمرا حتى في الجنة ، ويظل المؤمنون في الجنة يشعرون بأن حب الله أكبر من حب كل شهوات الجنة رغم عظمتها لأن الله أعظم كما أن لذة النظر إلى وجه الله تعالى أمتع من كل متع الجنة ، والشعور بخوف المهابة والحب والخضوع موجود أيضا عند الملائكة وعند الجمادات لأن كل شيء يسبح بحمده سبحانه .

ـ وصول كلام الخالق إلى البشر هو أخطر حدث للبشرية جمعاء ، فهذا الحدث لا يغيب عن ذهن عاقل فيستمر تصوره والشعور بخطورته وانشغال الهم به وتأثر المشاعر به ( الشعور بالوجل وخوف المهابة من كلام الله سبحانه ) .

ـ علم الإنسان بالآخرة حيث حياته ومصيره ، فهل هناك شيء أخطر من هذا ؟ ، فالعاقل يستمر تصوره وترقبه لهذه الحياة ويستمر شعوره بخطورة هذا الأمر ، ويستمر تأثر مشاعره بالآخرة .

ـ ثالثا : تفاعل المشاعر بمقدار خطورة الأمر :

ـ التصور السليم لابد أن يتبعه تفاعل المشاعر بالضرورة ، ولا تنشأ المشاعر إلا من طبيعة التصور ، فمن شروط التصور السليم :

1ـ أن تتفاعل المشاعر بالأمر بمقدار خطورته :

ـ مشاعر الإنسان تتفاعل بالأمر الخطير ولا تتأثر بالأمر التافه ، وعدم تفاعل المشاعر بأمر خطير معناه أن الإنسان لم يتصوره أو أن تصوره له خاطئ ، فلابد من حدوث خوف المهابة من خطورة الأمر ومِنَ الذي أحدث هذا الأمر وما يتبع ذلك من مشاعر متعلقة بالله والآخرة كالحب والخوف والرجاء والخضوع والخوف من الآخرة .

ـ التصور الخاطئ يؤدي إلى انحراف المشاعر والأهداف :

ـ الإنسان العاقل يخاف من الشيء المخيف ويحب الشيء المحبوب ويرجو الشيء النافع ويخضع لمن هو أقوى منه ( والله هو وحده القوى وكل ما سواه ضعيف ) ، ولكن التصور الخاطئ يؤدي إلى أن تتعطل المشاعر فيخاف الإنسان من شيء غير مخيف ويحب شيء غير محبوب ويرجو شيئا لا ينفعه ولا يضره أو يرجو شيئا يضره ويخضع لما ليس له سلطان عليه ، وهو بذلك لا يعقل .

2ـ أن يستمر تفاعل المشاعر بالأمر الخطير ما دام خطره مازال قائما :

ـ مشاعر الإنسان تظل متفاعلة بالأمر الخطير طالما أن خطره ما زال قائما وتستمر حتى ينتهى خطره ، فعدم استمرار تفاعل المشاعر بالأمر الخطير ولم ينتهي خطره معناه أن الإنسان نسي خطره وتغافل عنه ولم يتصوره أو أن تصوره له خاطئ ، فلابد من استمرار تفاعل المشاعر بالله والآخرة طالما أن قدرة الله محيطة بالإنسان دائما وطالما أن الآخرة لم تأتي بعد .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

# الفصل الثاني عشر : تصور خطورة الآيات الكونية

ـ لا يوجد شيء أخطر من أن يعرف الإنسان من الذي صنع كل هذه الأشياء والكائنات ؟ ، من هذا الصانع الذي له كل هذه القدرة الهائلة على صناعة كل هذا الكون وكل هذه الكائنات والذي عنده كل هذا العلم والإبداع والدقة في كل شيء والذي عنده السيطرة الهائلة على التحكم في كل هذا الكون والكائنات وأنت واقع تحت سيطرته ومراقبته وتحكمه وسمعه وبصره ، وأنت جزء من ممتلكاته ؟ ، هل يوجد شيء أخطر من هذا ؟ ، هل يمكن أن ينشغل الإنسان بنفسه وعمله وأموره عن هذا ؟ ، هل يمكن ألا يصاب الإنسان بالرعب والفزع والقلق والخوف وهو يعيش تحت هذه السيطرة الكاملة لا يستطيع الهروب منها ولا يستطيع أن يفعل شيئا من غير مراقبة وسماع لما يفعله من حركة أو سكنة ، هل يمكن ألا يعجب الإنسان بكل هذه القدرات الخارقة فيحب الخالق ، وهل يمكن ألا يعترف الإنسان بضعفه فيستسلم ويعلن خضوعه للخالق .

### ـ حتى يتحقق التصور لحقيقة الأشياء من حولنا لابد أن نتعامل مع الأشياء كأننا نراها لأول مرة :

ـ أي ينظر الإنسان إلى ما حوله من الأشياء كأنه يراها لأول مرة ويسأل : ما هذا ؟ وكيف وجد ؟ ومن الذي أوجده ؟ ويتصور مدى قوة وعلم من صنعها ، وفي كل مرة يرى الشيء يكون كأنه يراه لأول مرة ولو رآه ألف مرة وذلك لخطورة ما يرى ومدى غرابته .

ـ وهذا أمر طبيعي فلو أن تمثالا مصنوعا من الطين نُفِخت فيه الروح فأصبح بشرا يتحرك ، ماذا يمكن أن يقول ويفعل ؟ ، إن أول شيء يعمله هو أن يسأل نفسه من أنا ؟ ، ومن أي شيء أتيت ؟ ولماذا ؟ ، وينظر إلى نفسه فيجد نفسه بعد أن كان طينا أصبح يتحرك فيسأل نفسه ما سر هذه الروح ومن أوجدها ولماذا ؟ ، وينظر حوله فيجد أرض وجبال وسماء وأشياء فيسأل ما هذا ؟ ومن الذي أوجده ؟ ولماذا ؟ ، ويتصور الإجابة على هذه الأسئلة وليس فقط يعرفها نظريا .

ـ والأمر الخطير الذي يلفت انتباه الإنسان في النظر إلى الأشياء هو عجز الإنسان عن إيجاد ذلك الشيء وأنه لا يرى الذي أوجده ، والتعجب من مدى قدرة من أوجده .

ـ الإنسان لا يستطيع أن يصنع نفسه ولا أحدا غيره من البشر ، فيدل ذلك على وجود قدرة أكبر من قدرة الإنسان ، ويدل على أن صاحب هذه القدرة هو الذي صنع الإنسان وخلقه ، وكذلك كل هذا الكون لا يستطيع الإنسان إيجاده ، فيدل ذلك على وجود قدرة أكبر من قدرة الإنسان ، ويدل على أن صاحب هذه القدرة هو الذي صنع كل هذا الكون .

### ـ التصور السليم للكون والأشياء يكون في خمسة نواحي :

1ـ تصور القدرة :

ـ عجز الإنسان عن إيجاد ذلك الشيء يدل على أن هناك قوة خفية هي التي أوجدت ذلك الشيء :

ـ يسأل الإنسان نفسه : من الذي أوجد ذلك الشيء ؟ ، الإنسان لا يستطيع إيجاده ، وغير الإنسان من المخلوقات لا تستطيع إيجاده ، والشيء نفسه لا يمكن أن يكون هو الذي أوجد نفسه ، إذن هناك قوة خفية هي التي أوجدت ذلك الشيء .

ـ معنى كلمة ( معجزة ) أي أن ذلك الشيء لا يستطيع البشر أو غيرهم من المخلوقات القيام بذلك الأمر ، إذن فكل شيء حول الإنسان هو معجزة .

ـ والمعجزة أمر خطير جدا يلفت الانتباه ويجعل الإنسان يشعر بخوف المهابة من حدوث ذلك الأمر .

ـ وصاحب القوة الخارقة التي استطاعت إيجاد ذلك الشيء يشعر الإنسان بخوف المهابة من مدى قوته وبحب الإعجاب بمدى قوته والشعور بالضعف والخضوع تجاه هذه القوة .

ـ فمثلا هذا الكون لا يمكن أن يكون هو الذي أنشأ نفسه ، ولا يستطيع الإنسان إيجاده ، فلابد من وجود أحدا لا نراه له قدرة هائلة فوق قدرة الإنسان هو الذي أوجده ، وكذلك الحيوانات ، وكذلك الإنسان نفسه .

ـ والأشجار تعني خروج كائن حي من بذرة ميتة وتعني تحول الطين إلى خشب وثمار ومن غير أن نرى أحدا يقوم بهذه الأمور الهائلة ، وهذه الأمور فوق قدرة الإنسان وفوق قدرة الشجرة نفسها فهي إعجاز خارق للأسباب ، فلابد أن الذي يقوم بهذه الأمور لا نراه ولابد أن له من القدرة الهائلة فوق قدرة الإنسان ، فهو يقدر على أن يحي الموتى ويقدر على تحويل الطين إلى طعام مقصود به الإنسان ، وهذا معناه شعور بالتحير والذهول والانبهار من مدى قدرة الخالق ، وشعور بالضعف والعجز أمام قدرته ، أما الذي ألف النظر إلى الأشجار ولم يشعر بذلك فهو لم يفقه ويفهم ويعقل ماذا تعني كلمة شجرة ، وهكذا .

ـ إنه لا يمكن لسمكة زينة أن يكون في داخلها أنظمة هي التي تختار هذه الألوان بطلاقة وعناية ودقة فائقة ثم كيف يتشابه نفس هذه الأنظمة في جميع الأسماك من نفس النوع ؟ ، إنها ليست مسألة داخل الجسم ولكنها إرادة خارجية من قوة خارقة هي التي صممت هذا الجمال والإبداع .

2ـ تصور العلم :

ـ عجز علم الإنسان أو علم الشيء نفسه عن القيام بوظائف معقدة غاية في الدقة يدل على أن هناك علم هائل هو الذي صمم هذه الوظيفة المعقدة بمنتهى الدقة :

ـ يسأل الإنسان نفسه : من الذي أوجد هذه الوظائف المتداخلة المعقدة ؟ ، الإنسان لا يستطيع ذلك ، والشيء نفسه ليس لديه علم يستطيع به القيام بهذه الوظائف المعقدة في نفسه ، إذن هناك قوة خفية لها علم هائل هي التي صممت هذه الوظائف .

ـ معنى كلمة ( معجزة ) أي أن ذلك الشيء لا يستطيع البشر أو غيرهم من المخلوقات القيام بذلك الأمر ، وكل شيء فيه وظائف فوق قدرة الإنسان ، إذن فكل شيء حول الإنسان هو معجزة .

ـ والمعجزة أمر خطير جدا يلفت الانتباه ويجعل الإنسان يشعر بخوف المهابة من حدوث ذلك الأمر .

ـ وصاحب القوة الخارقة التي استطاعت تصميم تلك الوظائف يشعر الإنسان بخوف المهابة من مدى قوته وبحب الإعجاب بمدى هذه القوة والشعور بالضعف والخضوع تجاه هذه القوة .

ـ فمثلا الإنسان يحدث داخل جسمه وظائف معقدة جدا غاية في الدقة ، فلا يمكن أن تحدث هذه الوظائف من تلقاء نفسها ولا يمكن لعلم الإنسان أن يقوم بها ، فلابد من وجود أحدا لا نراه له علم هائل فوق علم الإنسان هو الذي صمم هذه الوظائف المعقدة .

ـ الكائنات الحية تعمل أشياء أكبر من مستوى قدراتها وإمكانياتها وعلمها مما يدل على أن هناك قوة خارجية هي التي تعمل ذلك ، فمثلا الجنين فور الولادة يتجه لثدي أمه ويرضع فمن علمه ذلك ؟ ، والحيوانات تقوم بأعمال تحميها من العدو ، وبعض النباتات تتحور بشكل يحافظ عليها ، فتقوم الكائنات بأعمال فطرية هي لا تعقلها رغم أنها أعمال في منتهى العقل والحكمة فلابد أن هناك من علمها ذلك وأن هناك قوة خارجية هي التي تحركها وتعلمها ، والأمثلة على ذلك لا حصر لها ، وذلك مصداقا لقوله تعالى : (( قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ))([[794]](#footnote-794)) ، والكرة الأرضية متناسبة في البعد عن الشمس بحيث لا تكون جليدا ولا تكون منصهرة من الحرارة حتى تكون متناسبة لمعيشة الإنسان وهكذا ، فكل ذلك يدل على أن كل هذه الأمور موضوعة بحكمة وبقصد وأن هناك من رتب لها ذلك ، فكل شيء محسوب بحسابات في منتهى الدقة بحيث لو زادت أو قلت ذرة واحدة لاختل الأمر سواء في جسم الإنسان أو في الأجرام السماوية أو في أي شيء ، فهذا يدل على وجود صانع عليم حكيم خبير .

ـ تركيب الأجهزة التناسلية في الرجل والمرأة والتكامل بينهما لم يصنعها الإنسان ، وجسم الرجل لا يعرف تركيب الجهاز التناسلي للمرأة حتى يصنع نفسه بصورة تتكامل مع الجهاز التناسلي للمرأة ، وطريقة حصول الإنسان على اللذة لم يصنعها الإنسان فهي تتم بأمور دقيقة جدا أكبر من قدرة الإنسان ، فلابد من وجود صانع له قدرة هائلة ، لكن الإنسان يعيش في شهواته من غير أن يتصور من أوجد هذه الشهوات وأوجد أجهزتها : (( وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ))([[795]](#footnote-795)) .

3ـ تصور قصد النفع للإنسان :

ـ عندما اكتشف الإنسان المزروعات ورآى وجود الحيوانات لم يكن يعلم ما هذا وما فائدته ؟ ، فمثلا وجد ثمرة البرتقال وجرب أكلها فوجدها حلوة ومفيدة وهكذا ، فكل شيء من معادن ومواد مسخرة للإنسان والإنسان فقط يكتشفها ، فالذي صنع هذه الأشياء جعلها مصممة خصيصا للإنسان .

ـ الشيء نفسه ليس لديه معرفة بالإنسان ومعرفة بما يفيده ، فيدل ذلك على أن هناك من يقصد تسخير ذلك الشيء لإفادة الإنسان تحديدا .

ـ فمثلا أشجار الفاكهة لمن تخرج هذه الفاكهة ؟ ، إنه أمر مقصود ليتناوله الإنسان ، وهل تدري هذه الأشجار بالإنسان ، ولماذا تقصد وتعد له هذه الفاكهة المناسبة لتكون طعاما له ؟ ، وكيف تستطيع أصلا أن تصنع هذه الفاكهة وهي من مادة مختلفة تماما عن مادة البذرة ومادة الأرض التي نبتت منها ؟ ، إن هذه الأشجار لا يمكن أن يكون لها هذا العقل الهائل وهذه القدرة الهائلة ، إذن لابد من وجود قوة خارجية قاصدة مريدة هي التي أرادت لهذه الشجرة أن تُكَوِّن هذه الفاكهة وتصنعها للإنسان ، فإن الله أراد ذلك فقال تعالى : (( وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (34) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ))([[796]](#footnote-796)) .

ـ وأيضا البقرة لمن تخرج هذه الكمية من اللبن الزائدة عن حاجة أولادها ، هل البقرة تعي الإنسان وتريد له ذلك ؟ طبعا لا ، وهل أصلا تستطيع البقرة وتفهم هذه المصانع المعقدة في جسمها والتي تقوم بتصنيع ذلك اللبن ؟ طبعا لا ، إذن لابد من وجود قوة خارجية قاصدة مريدة هي التي أرادت ذلك فقال تعالى : (( نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ ))([[797]](#footnote-797)) فقال ( نسقيكم ) أي هو سبحانه الذي قصد ذلك للإنسان وصنع ذلك له ، فذلك يعني حب من صنع لك هذا الغذاء وقصَده لك والخضوع والمهابة من عظيم قدرته على فعل ذلك ومدى هذا العلم .

4ـ تصور قصد الابتلاء للإنسان لبيان ضعفه وعدم قدرته على رد البلاء ولبيان مدى قدرة الله تعالى :

ـ عجز الإنسان عن دفع الضرر والابتلاءات عن نفسه يدل على أن هناك قوة أعلى منه تتحكم فيه وتدل على أنه ضعيف لا يستطيع أن يدفع عن نفسه البلاء :

ـ فمثلا الله قدر على الإنسان الشيخوخة والموت وهو لا يستطيع أن يمنع ذلك عن نفسه ، كما أن الله قد يصيبه بالأمراض ويبتليه بالابتلاءات وهو لا يستطيع أن يمنع عن نفسه ذلك ، كما أن الله جعل للإنسان قدرة محدودة على الطعام والشراب والجماع لا يستطيع أن يزيد عنها .

ـ الحكمة من وجود الزلازل والبراكين وخسوف الشمس وإهلاك الأمم كعاد وثمود ومعجزات الرسل وغير ذلك من عجائب قدرة الله هو أن الله يظهر للناس بعضا يسيرا من قدرته حتى يشعروا بمدى قدرة الله فيخافوا من مهابة قدرة الله سبحانه ، ففي الحديث : (( خسفت الشمس فقام النبي صلى الله عليه وسلم فزعا يخشى أن تكون الساعة فقام حتى أتى المسجد فقام يصلي بأطول قيام وركوع وسجود ما رأيته يفعله في صلاته قط ثم قال إن هذه الآيات التي يرسل الله لا تكون لموت أحد ولا لحياته ولكن الله يرسلها يخوف بها عباده فإذا رأيتم منها شيئا فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره ))([[798]](#footnote-798)) ، ولذلك يقول تعالى : (( وَمَا نُرْسِلُ بِالْآياتِ إلا تَخْوِيفاً ))([[799]](#footnote-799)) ، فالله يريد أن يخاف الناس من مهابته بهذه الآيات التي تظهر قدرته ولكن هناك من لا يخاف من مهابته : (( وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إلا طُغْيَاناً كَبِيراً ))([[800]](#footnote-800)) .

ـ الإنسان ينام رغما عنه ويموت رغما عنه ويُسْلب عندئذ السمع والبصر والحركة فمن الذي أجبره على ذلك ، إذن هناك من هو أقوى منه ، وفي استطاعته سلب صفاته وقدراته ، ولا يستطيع أحد من البشر عمل ذلك ، إذن هناك أحدا لا نراه هو أقوى من الإنسان وله قدرات أكبر : (( اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِل الْأُخْرَى إلى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ))([[801]](#footnote-801)) ، (( وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ))([[802]](#footnote-802)) .

ـ لكن الإنسان ينام ويتغافل عن قضية النوم ويتغافل عن ما يحدث له ومن يفعل به ذلك وكأنه لا شيء رغم أنه أمر خارق للأسباب .

ـ فالإنسان المغرور بسمعه وبصره وإرادته يحسب أن هذه الأمور ملكا له ، أين هذه الأمور وهو نائم ومن الذي سلبها منه ، فالنوم صفة ضعف لا تكون عند الخالق ( لا تأخذه سنة ولا نوم ) ، والنوم مثل الموت شيء سيء رغم أن الناس يحسبونه راحة وشيء جميل ، والتعب نفسه صفة نقص ، فالمؤمن في الجنة لا يتعب ولا يحتاج إلى راحة ونوم ففي الحديث : (( النوم أخو الموت ولا ينام أهل الجنة ))([[803]](#footnote-803)) .

ـ المرض عبارة عن صورة من صور تذكير الإنسان بأنه ضعيف وبأن الله له أن يفعل ما يشاء في خلقه وليس لهم إلا أن يرضوا ولا يسألوا لماذا ولا كيف ؟ .

ـ الابتلاءات تدل على وجود قوة أعلى من الإنسان استطاعت أن تقهره وتغلبه وتسلب منه نعمة من النعم ، وهو لم يستطع أن يمنع ذلك ولا يستطيع أن يدافع عن نفسه أو أن ينتقم لنفسه ، فيشعر بأنه ضعيف وليس بقوي وأن عليه أن يستسلم لصاحب القوة الذي قدر عليه ، ويشعر بالمهابة من عظمة قوة من فعل ذلك ، ويزول الغرور عن نفسه .

ـ لذلك فبعض الناس اهتدوا بسبب أنهم رأوا أحدا مات مثلا فتأثرت مشاعرهم وأيقنوا بالموت وبأنهم سيموتون وأنهم لا يستطيعون مقاومة الموت ولا الدفاع عن أنفسهم ، والذي يستطيع أن يميتهم يستطيع أن يفعل بهم أي شيء لأن الموت هو أشد الضرر فيخضعوا لمن يستطيع أن يتوفاهم : (( قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ))([[804]](#footnote-804)) ، وكذلك بعض الناس اهتدوا بسبب أنهم تعرضوا لمحنة فاكتشفوا فيها ضعف أنفسهم واحتياجهم إلى الله وقدرة الله عليهم ، فمنهم من استمر شعوره بهذه المحنة التي هي آية تدل على الله فاستمرت هدايته ، ومنهم من نسي هذه الآية فترك الهداية بمجرد أن مرت المحنة .

ـ فالنفس بطبيعتها متكبرة والابتلاءات تجعل النفس تنكسر وتعترف بأنها ضعيفة فتخضع .

5ـ تصور الحكمة :

ـ فمثلا خروج النبات من البذرة هو خروج حي من ميت ليكون درسا عمليا للإنسان على البعث ، وكذلك نوم الإنسان ويقظته كل يوم تذكير له بالموت والبعث كل يوم ، والنار التي تطهي الطعام تذكير له بنار الآخرة وهكذا .

ـ الأشياء عبارة عن معجزات تدل على الخالق والمطلوب من الإنسان تصور هذه المعجزات وليس مجرد العلم بها :

ـ كل الأشياء هي في حقيقتها عبارة عن معجزات من حيث عدم مقدرة الإنسان على صناعتها وعجز عقله عن القيام بالتفاصيل الدقيقة جدا التي تجعلها تقوم بوظيفتها ، وهي معجزات أيضا لأن ذات الشيء لا يستطيع صناعة نفسه وليس لديه عقل يستطيع القيام بالتفاصيل الدقيقة جدا التي تجعله يقوم بوظائفه .

ـ وبالتالي فالأشياء تدل على وجود قوة قاهرة لديها علم هائل وراء الأشياء ، هي قوة الله وعلمه الهائل .

ـ التعامل مع هذه المعجزات لا يكون عن طريق المعرفة ولكن عن طريق التصور ( راجع الفرق بين العلم والتصور بالفصل الثاني ) .

ـ إذن فكل شيء هو خارق للأسباب ، والإنسان العاقل ينشغل ذهنه بالأمور الخارقة للأسباب ، ولا يمكن لإنسان أن يتعود النظر على أمر خارق للأسباب من غير أن يتعجب من عظمته وعظمة صانعه ، ولكن الإنسان هو الذي يتغافل عن عظمة ما يراه فينظر إلى الشمس كأنها موجودة من تلقاء نفسها وكأنه لا أحد أوجدها وكأن تصميمها بهذا الشكل وبقاءها ملايين السنين متوهجة أمر عادي وكأن فوائدها للإنسان والمصممة بدقة متناهية لا أحد صممه أو موجود هكذا ، وهكذا في كل شيء من الماء والهواء والتراب والزروع والنجوم وكل شيء .

ـ الشعور بالفارق بين قدرة الإنسان وقدرة الخالق :

ـ لو كانت قدرة الخالق أكبر من قدرة الإنسان مرتين أو ثلاثة مثلا ، فربما ذلك لا يثير الانتباه كثيرا ، وإذا كانت قدرة الخالق أكبر من قدرة الإنسان ألف مرة ، فذلك يجعل العاقل يتصور في ذهنه مدى هذه القدرة الهائلة ويشعر بالتعجب والانبهار والدهشة من هذه القدرة العجيبة ، ويستمر انشغال ذهنه بهذا الأمر العجيب .

ـ ولكن قدرة الخالق أكبر من قدرة الإنسان إلى ما لا نهاية ، فإذا لم يشعر الإنسان بالتحير والتعجب من مدى هذه القدرة وإذا لم ينشغل باله بهذا الأمر العجيب ويستمر هذا الشعور بالتعظيم والتحير من مدى هذه القدرة فهذا معناه أن الإنسان لا يعقل ، وهذا تجاهل وتناسي وإعراض عن آيات الله ونسيان للخالق ، لأنه لا يوجد حدث أخطر من هذا في حياة الإنسان ، فكيف ينشغل الإنسان بأي شيء في أمور حياته من طعام وشراب وشهوات وأعمال ولا ينشغل بأن كل هذه الحياة موضوعة على ظهر الكرة الأرضية المعلقة في الفضاء والتي هي مجرد نقطة تافهة وسط الأجرام الهائلة والكون الهائل ! .

### ـ التعامل الخاطئ مع الأشياء :

ـ كل الأشياء هي أدلة على الخالق فهي آيات الله الكونية ، والإنسان يعرف ذلك نظريا فقط فلا يتعامل مع الأشياء تعاملا صحيا فيعقل حقيقتها ، فلا يتعامل مع الأشياء على أنها آيات الله الدالة عليه ، فهو يعرض عن آيات الله ويتناساها رغم علمه النظري بها .

ـ الآيات الكونية هي الواقع الذي نعيش فيه ، والهروب منها هروب من الواقع ، وكذلك أحوال الناس وهلاك الأمم والابتلاءات ونهاية الظالمين وحصاد الوهم لمن يبحثون عن الدنيا هو واقع نعيش فيه ، والهروب منه هو هروب من الواقع .

ـ كل الناس يعرفون الأدلة على الخالق ، فكل شيء حولهم هو دليل على الخالق ، ولكن بعضهم يتعاملون مع هذه الأدلة بصورة خاطئة ، فيتعاملون مع هذه الأشياء لا باعتبارها دليلا على الخالق ولكن باعتبارها أشياء موجودة ويستفيدون منها ، فالشمس تضيء للإنسان ولا يفكر لماذا تضيء ومن الذي جعلها تضيء ؟ ، والزرع يخرج من الأرض ليفيد الإنسان ولا يفكر لماذا يخرج ومن الذي جعله يفيد الإنسان ؟ ، والبترول في باطن الأرض يفيد الإنسان ولا يسأل من الذي وضعه في باطن الأرض ولماذا ؟ ، والإنسان موجود على الأرض يسعى ويتحرك ولا يفكر من الذي أوجده ولماذا ؟ ، وهكذا ، وإذا فكر في الأمر فيفكر في ظاهر الأمر وليس في حقيقته .

ـ أما إذا عقل الإنسان حقيقة الأمر فإن صورة قدرة الخالق الهائلة وعلمه الهائل لا تكاد تفارق ذهنه .

ـ التعود على مشاهدة المعجزات :

ـ لو جاءك ساحر فسحر لك أشياء مذهلة ، هذا معناه أن الساحر له قدرة أعلى من قدرتك ، ولكنك لا تريد أن تشعر بضعف قوتك أمام قوته ، فتتجاهل ما قام به من السحر كأنه لم يسحر شيئا وكأنها أمور عادية ، وكل يوم يأتيك الساحر فيسحر لك أشياء مذهلة وأنت لا تبالي فقد تعودت على رؤية ما يأتي به ، فتجاهلك لهذا السحر لن يغير من حقيقة الأمر شيء فقوتك ضعيفة .

ـ هذا الأمر إذا كان سحرا فما بالك لو كان حقيقة وليس سحرا ، فأنت حولك أمور هي معجزات وهي أعجب من السحر ، فخروج النبات بألوانه وثماره من تراب أسود هو أعجب من السحر وهو أمر خارق للأسباب ، وكذلك كل الآيات الكونية ، ولكن الإنسان تعود النظر إلى السماء والأشياء من حوله على أنها أمور عادية .

ـ فكل ما لا تستطيعه ويكون فوق قدرتك فهو إعجاز ، فأنت لا تستطيع إيجاد ولو ذبابة ، فما بالك بكل هذا الكون الفسيح الهائل ، فوجود أشياء لا يستطيع الإنسان القيام بها ولا من حوله من المخلوقات دليل على أنه لا أحد من البشر ولا المخلوقات أوجدها ولابد أن أحدا لا نراه له قدرة هائلة فوق قدرة الإنسان هو الذي أوجدها .

ـ فإذا تصور الإنسان ذلك شعر بضعف قوته وشعر بخضوعه لقوة الخالق الذي له كل هذه القدرة ، وبالتالي فالعاقل كلما رأى شيئا تذكر ضعف نفسه وقدرة من أوجد هذا الشيء فشعر بالخضوع لله تعالى وشعر بحب الإعجاب بقوته وخاف من مهابة قوته ، وهذا هو التعامل الصحيح مع الأدلة على الخالق .

ـ الإنسان يعيش هادئا تماما وحوله المعجزات تحيط به ولا تلفت نظره ولا تتأثر بها مشاعره :

ـ لو عقل الإنسان مدى قدرة الخالق لعاش في رعب من هيبة قدرته سبحانه ، وعدم رؤية الله لا يغير من حقيقة الأمر شيء فقدرته فوقنا مهيمنة ومسيطرة ولكن الغافل لا يشعر بشيء ، إن قدرة الخالق فوق مستوى الخيال وأشد رعبا من قدرة أي شيء مرعب يمكن أن تتصوره ، لكن قدرة الله في مشاعر البعض هي شيء عادي جدا لا خطورة منه ولا مشكلة فيه ويعيش كأنه لا يوجد أي شيء يدعو للانزعاج كأنه لا خطر يتعرض له أو يمكن أن يلحق به .

ـ فنحن واقعين تحت خطر عظيم هو قدرة الله ، لكننا في غفلة تامة نعيش بحرية غير مدركين أننا نعيش حياة الخاضع الذليل .

### ـ " الإعراض عن آيات الله الكونية " في القرآن :

ـ (( وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ))([[805]](#footnote-805)) ، (( وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ))([[806]](#footnote-806)) ، وفي تفسير الرازي : (( { قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ }([[807]](#footnote-807)) فَالْمَعْنَى أَنَّهُ تَعَالَى مَعَ إِنْعَامِهِ عَلَيْهِمْ لَيْلًا وَنَهَارًا بِالْحِفْظِ وَالْحِرَاسَةِ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمُ الَّذِي هُوَ الدَّلَائِلُ الْعَقْلِيَّةُ وَالنَّقْلِيَّةُ وَلَطَائِفُ الْقُرْآنِ مُعْرِضُونَ فَلَا يَتَأَمَّلُونَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا لِيَعْرِفُوا أَنَّهُ لَا كَالِئَ لَهُمْ سِوَاهُ ))([[808]](#footnote-808)) .

### ـ الفرق بين اليقين الكاذب واليقين الحقيقي بالآيات الدالة على الخالق :

ـ الإنسان يوقن بالخالق من خلال الآيات الدالة عليه ، ومعنى أن الإنسان له خالق أي وجود من له الهيمنة والسيطرة عليه ، وبالتالي الخضوع له ، فإذا لم يشعر الإنسان بالخضوع فيقينه بالخالق هو يقينا نظريا فقط ، ويقينه بأنه خاضع لقوة الله كاذبا ، وهو لا يعقل ماذا يعني أن له خالقا ، لأن من شعر بأنه يعيش تحت قوة هائلة مسيطرة على كل حياة الإنسان فإنه يشعر بالخضوع والذل له ويعيش خائفا من مهابته خاضعا له ومحبا لمدى قوته الهائلة .

ـ لماذا يتعامل الإنسان بصورة خاطئة مع الأشياء :

ـ لأن الأشياء تدل على قدرة الله وعلمه ومدى ضعف قدرة الإنسان وعلمه وبالتالي خضوعه للخالق ، فيتجاهل ذلك حتى لا يشعر بالخضوع لله ، كما أن الخضوع لله يتطلب ترك الخضوع للشهوات وهو لا يحب ذلك .

ـ مفهوم كلمة " إله " :

ـ الذي يستطيع أن يخرق الأسباب يكون إلها ، والذي يكون محكوما بالأسباب يكون عبدا لمن وضع هذه الأسباب ، فمثلا سيدنا موسى جاء ليثبت أن الله هو الإله الحق عن طريق أن يثبت أن الله يستطيع خرق الأسباب التي يعهدها البشر فوضع العصا فإذا هي حية حقيقية ، فكل شيء لا يستطيعه الإنسان أو الكائنات الأخرى يدل على وجود قوة خارجية لها قدرة أعظم من الإنسان تستطيع عمل ذلك ، فذلك يدل على الله سبحانه ، فالإنسان لا يستطيع إيجاد التراب ولا الماء ولا نفسه ، إذن فالذي أوجد التراب والماء والبشر هو إله له قدرة خارقة للأسباب ، فقدرته فوق قدرة البشر ، وكذلك الإنسان يحدث في داخله أمور أكبر من مستوى علمه وأكبر من مستوى قدرته وتتم عن غير إرادته ، وكذلك خلق الكون أكبر من مستوى قدرة الإنسان ، والدقة المتناهية في كل شيء أكبر من مستوى علم الإنسان ، فيشعر بأن هناك قوة خارجية مهيمنة هي التي تسيطر على كل شيء وهي التي تفعل كل هذه الأمور .

ـ مسألة خرق الأسباب أشد من السحر لأن السحر خيال وليس خرق للأسباب ، فإذا كان الإنسان عندما يرى السحر أمام عينه فإنه يشعر بالتحير والانزعاج والدهشة والتعجب والاستغراب والانبهار والذهول والدهشة من روعة ما يرى ، فإن ذلك يكون أشد إذا كان هذا السحر حقيقة .

ـ فالإله هو الذي تشعر له بهذه المشاعر ، أي أن التأله معناه التحير والانزعاج والدهشة والتعجب والانبهار والذهول والاستغراب والدهشة من روعة ما يرى ، وهذه المشاعر هي الحالة النفسية المميزة للشعور بخرق الأسباب فإذا لم تكن هذه المشاعر موجودة فهذا يعني عدم وجود الشعور بوجود الخالق ، فالإنسان إذا رأى أمرا خارقا للأسباب ولم يتحير ويتعجب دل ذلك على أنه لا عقل له وكأنه ليس بإنسان وكأنه ميت لأنه يخالف صفات البشر ، وكل شيء حول الإنسان هو أمر خارق للأسباب لأن وجوده فوق قدرة البشر ، بل إن وجود الإنسان نفسه لا يستطيعه البشر فهو أمر خارق للأسباب ، ومع ذلك يعيش كأنه لا شيء : (( أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ))([[809]](#footnote-809)) .

ـ فمعنى كلمة ( إله ) في اللغة أي الذي تتحير وتندهش وتتعجب وتعجب وتنبهر من مدى عظمة صفاته والتي تتمثل في خرق الأسباب فتحبه إعجابا بمدى قدرته الهائلة وتخاف من هيبته ، ففي النهاية في غريب الأثر : (( ألِهَ يألَهُ إذا تَحَيَّر ، يُريد إذا وقع العبد في عظمة اللّه تعالى وجلاله وغير ذلك من صفات الربوبية وصرف وهمه إليها أبْغَض الناس حتى لا يميل قلبه إلى أحد ))([[810]](#footnote-810)) ، وفي غريب الحديث لابن قتيبة : (( أَلِهَ يَأْلَه إذا تحيِّر كأَنَّ القُلوب تأْلَهُ عند التفكّر في عَظَمة اللّه ... إذا وَقَع العَبْد في هذه الدَّرجَة لم يُعْجِبهُ أَحد ولم يُحبّ إلا الله عز وجلَّ َّ ))([[811]](#footnote-811)) .

ـ أثر تصور الآيات الكونية على المشاعر وعلى حياة الإنسان :

ـ الإنسان يكفيه أن يشعر بالإعجاز في آية واحدة من آيات الله المنظورة وعندئذ تتغير مشاعره وهمومه وتفكيره وتتغير حياته كلها ولن يحتاج أكثر من آية واحدة سواء في السماء أو في الأرض أو في نفسه أو في أحوال الدنيا ومصائر السابقين أو أي شيء .

ـ تصور حقيقة الأشياء يؤدي إلى :

1ـ خوف المهابة من عظمة الأشياء لأن الإنسان لا يستطيع إيجادها .

2ـ خوف المهابة من قدرة من أوجد هذه الأشياء .

3ـ حب الإعجاب بقدرة الخالق والشعور بالخضوع له .

### ـ التعامل الصحيح مع الآيات الكونية :

ـ لابد أن نتصور الآيات الكونية من أربعة نواحي هي :

1ـ لابد أن تشعر بالمقارنة بين البشر وبين الكون ، أو بين البشر وبين الكرة الأرضية ، أو بين البشر وبين الشمس مثلا ، وهذه المقارنة من حيث الحجم ومن حيث القدرة ، فمن حيث الحجم يتبين مدى ضآلة حجم الإنسان بالنسبة إلى حجم الكرة الأرضية أو الشمس أو الكون ، ومن حيث القدرة فالشمس تستطيع أن تبتلع الكرة الأرضية بمن عليها من البشر ومثلها مليون مرة ، والزلازل والبراكين والعواصف والفيضانات وغيرها تستطيع أن تنسف آلاف البشر في لحظة واحدة ، والبشر يعيشون في خطر دائم ومن الممكن أن ينسفوا في لحظة ، والبشر جميعا محمولون على كرة تطير بهم في الفضاء وكأن الكرة الأرضية تفعل بهم ما تشاء فهي أعظم في حركتها وسرعتها من قدرة البشر .

ـ فالإنسان ضعيف أمام عظمة الكون : (( لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أكبر مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ))([[812]](#footnote-812)) ، فالإنسان لا قيمة له أمام هذا الكون الهائل .

2ـ ثم تشعر بالمقارنة بين عظمة الكون وعظمة الخالق ، فإذا كان الكون عظيما إلى هذه الدرجة فما بالك بعظمة الخالق ، فالكون ما هو إلا مخلوق لا حول له ولا قوة ، ففي الحديث : (( يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض ))([[813]](#footnote-813)) ، وفي حديث آخر : (( ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة بأرض فلاة ))([[814]](#footnote-814)) .

3ـ ثم تشعر بالمقارنة بين ضآلة البشر وعظمة الله ، فإذا كانت قيمة البشر ضئيلة أمام عظمة الكون ، فما بالك بقيمة البشر أمام عظمة الله وقدرته وهيمنته عليه .

4ـ فينشأ عن ذلك الشعور بالخضوع والخوف من مهابة الخالق والحب إعجابا بقوته والخوف من عقابه ورجاءه .

ـ إذن من لم يعرف عظمة الكون بالمقارنة مع قدرات الإنسان وإمكانياته لم يعرف عظمة الخالق وضعف الإنسان .

ـ إن نظرة واحدة متأملة في الكون وحقائق الأشياء قد تضع في النفس من الإيمان ما يغير حياة الإنسان كلها ، مثلا كأن ينظر إلى الكرة الأرضية وهي هباءة بين الأجرام فهنا يعرف الإنسان معرفة حقيقية بضآلة حجمه ، في حين لو تعلم الإنسان كل علوم الدين والدنيا طوال عمره فقد لا يتكون في نفسه شيء من مشاعر الإيمان ( خوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب والخضوع ) .

### ـ أمثلة تبين التصور للآيات الكونية :

ـ مثال (1) : لو أن رجل يقوم ببناء بيت له وقد أتم بناء الحوائط والسقف ولكن ليس في البيت كهرباء ولا ماء ولا مفروشات ، ودخل بيته ذات مره فوجد البيت فيه كهرباء وماء ورأى منضدة كبيرة في الصالة موضوع عليها طعام وشراب ووجد سرير موضوع في حجرة النوم ووجد كرة موضوعة في البيت ، فإذا به يأكل من الطعام ويلعب الكرة وينام على السرير دون أن يسأل من أحضر كل هذه الأشياء ومن أدخل الكهرباء والماء إلى المنزل ولم يشعر بأي تعجب أو ذهول أو غرابة وكأن كل شيء عادى ، وكل شيء موجود لأنه موجود كما هو ، وظل على ذلك سنوات عمره كل يوم إذا دخل بيته يجد الطعام موضوع فيأكل ويلعب وينام ، فهذا حال الإنسان الذي لا يعقل .

ـ وإذا كان هذا الرجل عاقلا ورأى ذلك فإنه يفاجئ ويندهش ويشعر بالرهبة من غرابة الأمر ويشعر بالحب لمن أحضر هذا .

ـ إن الله ينبت الزروع من الأرض ليأكل الإنسان كأنها منضدة أعدت ليوضع عليها الطعام للإنسان ، والأنهار تحمل المياه العذبة له ، والشمس والقمر والنجوم تضيء له نهارا وليلا ، والإنسان خرج من بطن أمه وكبر وعاش سنوات عمره كأن كل هذه الأشياء أمور عادية هو الذي وضعها لنفسه ، كأنه هو الذي جعل الأرض تنبت وصمم نظام السحاب بحيث يتجمع الماء العذب في الأنهار وجعل نظام إضاءة فصنع الشمس والقمر حتى لا يعيش في الظلام ! ، أو كأن الزرع يخرج من تلقاء نفسه ليفيد الإنسان ، وكأن الماء والهواء هو الذي أوجد نفسه ويفيد الإنسان من تلقاء نفسه ، ففي تفسير روح المعاني : (( { أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ } [الطور : 35 ، 36] ، { بَلْ لَا يُوقِنُونَ } أي إذا سئلوا من خلقكم وخلق السماوات والأرض قالوا : الله وهم غير موقنين بما قالوا إذ لو كانوا موقنين لما أعرضوا عن عبادته تعالى فإن من عرف خالقه وأيقن به امتثل أمره وانقاد له ))([[815]](#footnote-815)) .

ـ إذا لم يفكر الإنسان في حقيقة ما حوله وفي حقيقة ما يعمله وفي حقيقة ما يجنيه مما يعمله في حياته وفي حقيقة ما بلغ البشر من دعوة الرسل ، ولم يسأل نفسه من أنا ؟ ، ومن أي شيء أتيت ؟ ولماذا ؟ ، وما سر هذه الروح التي تدب فيه ومن أوجدها ولماذا ؟ ، فهو يتناسى كل شيء كالسكران وهو لا عقل له وإن كان من العباقرة في أمور الدنيا ، ورغم أنه يعرف الإجابة على جميع هذه الأسئلة لكنها معرفة كاذبة ، أما أذا أعمل الإنسان عقله فتصور الأمر فعندئذ يتحقق عنده الإيمان القلبي : (( إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ))([[816]](#footnote-816)) .

ـ مثال (2) : ( تصور الصلة بين الإنسان والكون ! ) :

ـ هل تصدق أننا نعيش وسط النجوم ؟! ، كان الناس يظنون أن هذه النجوم الكثيرة وهذا الفضاء الواسع هو فوقنا فقط ، لكن اكتشف العلماء أن هذه النجوم وهذا الفضاء حول الأرض من كل اتجاه وليس فوقنا فقط ، فنحن نعيش على أرض معلقة في الفضاء ، وهناك نجوم أسفل الأرض ونجوم أعلاها .

ـ وإذا عرّفنا كلمة ( السماء ) على أنها الفضاء وما فيه من النجوم فهذا معناه أننا نعيش في السماء ! ، ولا تتعجب من أن هذه حقيقة تحتاج إلى تصور ذهني وتخيل لمكان الكرة الأرضية بالنسبة للنجوم :

ـ فالكون عبارة عن فضاء تسبح فيه نجوم هائلة العدد ، وكل نجم تدور حوله بعض الكواكب ، ومن بين هذه النجوم والكواكب الهائلة العدد في الكون يوجد نجم اسمه الشمس وكوكب اسمه الأرض ، فكوكب الأرض هو كرة معلقة في الفضاء يحيط بها النجوم من كل اتجاه ، فالنجوم ليست فقط فوق الأرض ولكنها تحيط بالكرة الأرضية من كل اتجاه .

ـ إذن نحن نعيش في الفضاء على ظهر كرة تسبح بنا في الفضاء وحولنا النجوم من كل اتجاه ! .

ـ تخيل لو أن الكرة الأرضية لم تعد معلقة في الفضاء وسقطت فأين تذهب ؟ ، إن تحت الكرة الأرضية فضاء ونجوم ! .



ـ عندما صعدت سفن الفضاء في الفضاء البعيد التقطت صورة للأرض وحولها الشمس والنجوم ، فكانت الأرض عبارة عن نقطة زرقاء باهتة وسط النجوم ( والصورة التوضيحية تبين ذلك ) .

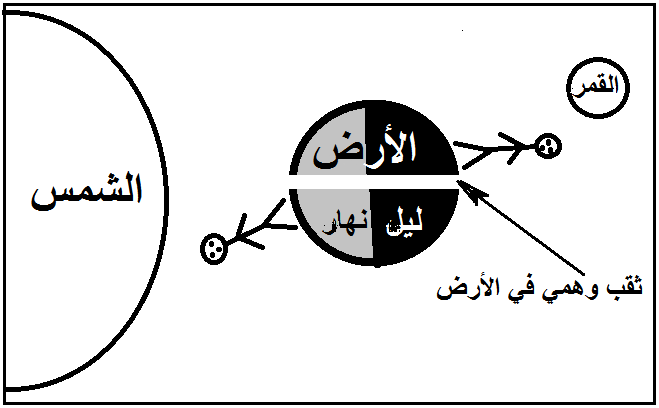
ـ إن هذه الدنيا التي نعيشها بكل ما فيها ليست إلا حياة ضئيلة جدا موضوعة على نقطة زرقاء باهتة وسط الفضاء والنجوم ، فالأرض ومن عليها من البشر مجرد جزء صغير جدا من منظومة كبيرة جدا هي الكون ، فيتكون شعور بضعف البشر وعجزهم وشعور بمدى عظمة هذا الكون واتساعه فلا يقدر البشر على إيجاد شيئا منه ولا التحكم فيه وبالتالي الشعور بمدى قدرة وعظمة خالق الكون .

ـ أي القضيتين تشغل الذهن أكثر ؟ ، قضية تجمع البشر جميعا في مكان واحد هو الكرة الأرضية فلا يزيد حجم كل هذه البشرية عن نقطة تافهة في فضاء سحيق ! ، أم القضايا والمسائل والمشاغل التي بين البشر بعضهم البعض وهموم الحياة وأعمالها ؟ ، فما قيمة ما يحدث بين البشر وما يتشاغلون به من أعمال وهم جميعا عبارة عن كتلة ضئيلة جدا من النمل تتحرك في نقطة لا تكاد تراها في مشهد الفضاء والنجوم ، طبعا العاقل يشغله القضية الأولى عن أي شيء آخر من مشاغل الحياة وهمومها وشهواتها ومن العلوم والمعارف المختلفة ، ولكن البعض يغفل عن هذا الأمر ويعطل عقله عن النظر فيه ولا يشغل عقله بغير ما يحدث من مشاغل الحياة وهمومها وشهواتها وأعمالها ، وهؤلاء هم غافلون عن هذه الآية من آيات الله ومشغولون بما سوى ذلك .

ـ مثال (3) : ( الشمس والكواكب جيران لنا في الفضاء ! ) :

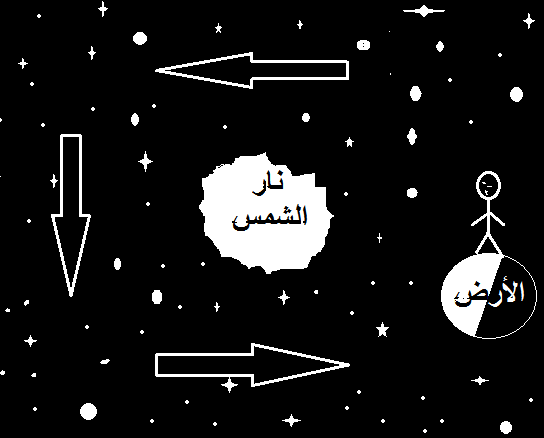
ـ تصور وضعك مع حركة الأرض حول نفسها ، وحدوث الليل والنهار ، فهذا يؤدي إلى الشعور بأن هناك قوة أعلي من الإنسان تفعل به ما تشاء ، وتؤدي إلى الشعور بضآلة الإنسان ، وبالتالي الشعور بالاستسلام والخضوع للخالق .

ـ تخيل لو أنك كنت بالليل وقمت بعمل ثقب في الكرة الأرضية فسيصل إليك نور الشمس ! .



ـ مثال (4) : ( نحن ندور حول نار هائلة معلقة في الفضاء ! ) :

ـ هل تصدق أن هناك نارا هائلة جدا معلقة في الفضاء وأننا ندور حولها مثلما يدور الفراش حول النار المشتعلة ؟! ، إن الشمس عبارة عن كتلة من النار هائلة مشتعلة في الفضاء ونحن الآن ندور حولها على ظهر مركبة فضائية تطير بنا في الفضاء المظلم هي الأرض في رحلة تستغرق عام كامل ، ففي اللحظة التي تقرأون أنتم فيها هذه السطور تدور الأرض في مدارها حول الشمس في رحلة طولها 950 مليون كم نقطعها في سفر سنة ثم تبدأ من جديد دون توقف ، وحر الصيف وبرد الشتاء يحدث بسبب اقترابنا أو بعدنا عن نار الشمس أثناء هذه الرحلة .

.

ـ فنحن نسير الآن بسرعة 108 ألف كيلو متر في الساعة ( 30 كم في الثانية ) ، ويمكنكم أن تعرفوا ضخامة هذه السرعة على النحو التالي : إن أقصى سرعة يمكنكم أن تصلوا إليها عند قيادة سيارة عادية هي 200 كيلو متر، يعني أن الأرض تدور حول الشمس بسرعة تبلغ 540 مرة بحجم سرعة السيارة ، ويمكن أن نفهم الأمر بشكل أوضح من خلال هذا المثال أيضا : فسرعة الرصاصة تبلغ 1800 كيلو متر في الساعة ، وسرعة الأرض في دورانها حول الشمس تبلغ 60 مرة حجم سرعة الرصاصة ، فبسرعة الأرض الهائلة هذه تكون قوة جاذبية الشمس غاية في الأهمية ، فلو أنه حصل نقص في قوة جاذبية الشمس فإن الأرض تضيع في الفضاء بسرعة غير عادية ، وذلك يمثل نهايتها ، والعكس أيضا صحيح ، بمعنى أنه لو حدثت زيادة في قوة جاذبية الشمس فإن الأرض تتجه نحو الشمس بسرعة هائلة وتذوب وتتبخر ، وبالتأكيد فنحن أيضا سوف نتبخر معها ، ولو كانت جاذبية الأرض أقل مما هي عليه الآن لطاشَ كلّ شيء ولطشنا نحن أيضا في الفضاء .

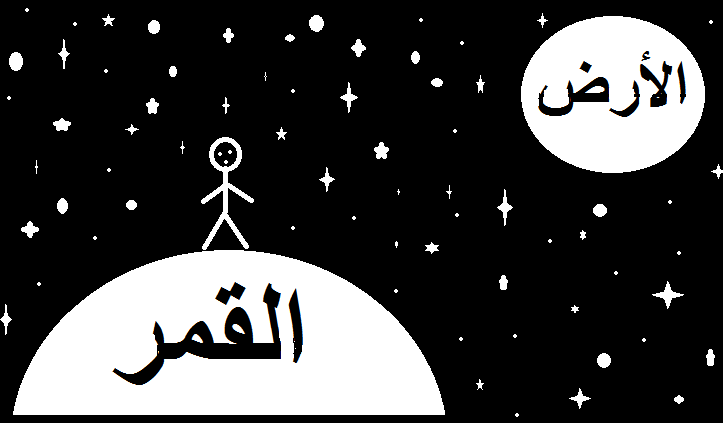
ـ فنحن الآن نطير في الفضاء حول هذه النار في دورة كل عام ، وفي هذا شعور بالرهبة والخوف ، والشعور بأن هناك قوة أعلي من الإنسان تفعل به ما تشاء ، والشعور بقدر مدى ضآلة الإنسان ، وبالتالي الشعور بالاستسلام والخضوع للخالق .

ـ هناك حدثان يحدثان في آن واحد هما أنك تتحرك الآن على كرة تطير بك في الفضاء ، والحدث الثاني هو أحداث الحياة وصراعاتها ومشاغلها وهمومها وعلومها وشهواتها وما يدور من حولك من أمور في دنيا الناس والذهاب والإياب والحوارات والمشاغل ، فأي الحدثين يشغل بالك أكثر ؟ ، وهل يمكن أن تنسى هذا الحدث الأكبر أنك تسير الآن في الفضاء ؟ ، طبعا العاقل يشغله الأمر الأول عن الثاني ، ولكن البعض يغفل عن هذا الأمر ويعطل عقله عن النظر فيه ولا يشغل عقله بغير ما يحدث من مشاغل الحياة وهمومها وشهواتها وأعمالها ، وهؤلاء هم غافلون عن هذه الآية من آيات الله ومشغولون بما سوى ذلك .

ـ لا يمكن لإنسان عاقل أبدا أن ينسى أنه يسير الآن على متن مركبة في فضاء سحيق ، ومن يعقل ذلك فإنه يركع ويسجد على متن هذه المركبة لمن يحركه على هذه المركبة في فضاء الكون الهائل .

ـ مثال (5) : ( الأرض كرة معلقة في الفضاء ! ) :

ـ عندما صعد العلماء إلى القمر رأوا الأرض صغيرة وكأنها القمر بالنسبة لهم ، تخيل نفسك هناك علي سطح القمر وتشير إلى الأرض من بعيد : هناك بيتي وأولادي وأهلي في انتظاري حتى أعود ، إن الآخرة مثل ذلك ، وانظر كيف أن الأرض كرة معلقة في الفضاء ! .



ـ مثال (6) : ( اتساع الكون اللانهائي ) :

ـ الضوء يقطع المسافة بيننا وبين أقرب نجم إلينا في مدة أربع سنوات وربع ، ومن النجوم ما يبعد عنا مسافة يقطعها الضوء في مائة سنة ، ومنها ما يسافر منها الضوء إلينا في ألف سنة ، ومنها ما يبقى الضوء مسافراً منها إلينا في مدة مليون سنة ، ومنها ما يبقى الضوء مسافراً منها إلينا في (340) مليون سنة ، ومنها ما يبقى الضوء مسافراً منها إلينا في مدة ملايين السنين !! [ سرعة الضوء (300) ألف كيلومتر في الثانية ] : (( فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ))([[817]](#footnote-817)) .

ـ لا يكفي أن يشعر الإنسان باتساع الأرض واتساع الكون وحجم الأرض وحجم الكواكب والنجوم ، وإنما لابد أن يشعر بعظمة هذه المسافات والأحجام التي تجعل الإنسان العاقل يجن ويخر ساجدا ، فإن أرقام المسافات والأحجام لا نهائية ومبهرة جدا ولا يمكن تصورها أو تخيلها : (( لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ))([[818]](#footnote-818)) .

ـ وأيضا تأمل أن الفضاء كله ظلام ، والنور موجود فقط في قشرة طفيفة على الأرض ، وتدبر أن الكون لا نهاية له .

### ـ الفرق بين اليقين الكاذب واليقين الحقيقي بالحقائق العلمية :

ـ إذا علم الإنسان حقائق علمية مثل اكتشاف أن الأرض كرة معلقة في الفضاء أو دوران الأرض حول نفسها أو دورانها حول الشمس ، وكل هذه أمور عجيبة ومذهلة وأعجب من السحر ولكن لا يشعر بخطورتها إلا من كان له شعور بقيمة هذه الحقائق العلمية .

ـ فإذا لم يشعر الإنسان بالتعجب والتحير ويشعر بضآلة الإنسان أمام عظمة هذا الكون وأنه أشد ضآلة أمام خالق الكون فيشعر بالخضوع والاستسلام لله فإنه بذلك يكذب بمشاعره أن الأرض كرة في الفضاء أو أنها تدور حول الشمس ، وذلك رغم التصديق التام بكل الحقائق العلمية ، لكنه ليس بتصديق على وجه الحقيقة ، فهو يتغافل عن خطورة هذه الأمور ويتجاهلها .

ـ إذن فالذي يتعامل مع هذه الحقائق العلمية كمعرفة نظرية فقط هو في الحقيقة يُكَذِّبْ بهذه الحقائق غير موقنا بها يقينا حقيقيا ، فهو يتغافل ويتجاهل هذه الآيات من آيات الله الدالة عليه ، فإذا كان تعامله كذلك مع كل ما يعرفه ويراه من آيات الله من أرض وسماء وزرع وجبال وكائنات وكذلك مع إعجاز القرآن والسنة فهو قد نسي الله تعالى .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

# الفصل الثالث عشر : تصور صفات الذي في السماء

ـ لا يمكن تصور حقيقة الخالق وخطورة وجوده إلا إذا تعامل الإنسان مع الله كأنه يسمع عنه لأول مرة ، فالتعود على سماع وقول العبارات التي فيها كلمة ( الله ) وتوارثها بين الأجيال من غير تصور لحقيقتها جعل هذه الكلمة مفرغة من المعنى .

ـ فتصور أنك تسمع لأول مرة عن الآتي :

1ـ هناك أحدا في السماء يراك الآن ويسمعك ، فله القدرة على أن يراك ويسمعك رغم أنه في السماء ، فهو يراك ويسمعك بوضوح تام كأنه معك : (( وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ))([[819]](#footnote-819)) ، فهو السميع العليم الرقيب .

2ـ هناك أحدا في السماء له القدرة على أن يفعل بك ما يشاء رغم أنه في السماء كأنه معك .

3ـ هناك أحدا في السماء هو الذي سخر لك كل شيء ليكون نعما لك ، فهو الكريم المنعم الوهاب .

4ـ هناك أحدا في السماء سوف يميتك ويبعثك ، فهو المحي المميت .

5ـ أنت تعيش في مكان لا تملكه ولا تدفع عليه إيجارا ، وصاحب المكان هو الذي في السماء ، فأنت تعيش في ملكه وتأكل من رزقه فهو المالك .

6ـ أنت واحدا من العبيد وسيدك هو الذي في السماء فهو الملك والمهيمن والمسيطر .

ـ يؤدي ذلك إلى أن يتعلق بصرك بالسماء وينشغل همك بالخالق الذي في السماء ، فلا يوجد في حياة الإنسان العاقل شيء أهم وأعظم من معرفة خالقه ، فهذا أعظم ما ينشغل به باله .ويؤدي ذلك إلى خوف المهابة من الذي في السماء وحب الإعجاب بمدى قدرته والشعور بالخضوع له ورجاء ثوابه والخوف من عقابه .

ـ في هذا الفصل نبين التصور الذهني لصفات الخالق ما عدا صفات الذات للخالق : (( لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ))([[820]](#footnote-820)) ، فنحن لا نستطيع أن نتصور صفات الذات لكن نستطيع أن نتصور الصفات المعنوية ، كالقدرة على السمع والبصر والعلم والقوة والكرم ...الخ .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

### ـ تصور مدى قدرة الله تعالى

ـ تصور أنك تسمع لأول مرة أن هناك أحدا في السماء له قدرات لا حد لها ويستطيع أن يفعل كل ما يخطر ببالك وكل ما لا يخطر ببالك بمجرد أن يقول للشيء كن فيكون !! ،

ـ تصور أن الذي في السماء له قدرة تامة على من في الأرض وعليك تحديدا كأنه معك ، أي أن قدرته نافذة فيك أينما كنت وفي أي وقت وفي أقل من لحظة كأنها موجودة حولك وتحيط بك ، فلا تستطيع أن تهرب من نفاذ قدرة الله عليك ، فالإنسان يستطيع أن يهرب من العقاب بالقانون أو من أحد من الناس يترصده ، فيمكن أن يسافر لبلد آخر أو يختبئ في مكان ما لا يعرفه أحد ، فلا يمكن أن تطوله قدرة الناس وهو في مكان بعيد ، لكن قدرة الله الذي في السماء تصل إليه ولو كان في أي مكان في العالم ، ففي أيسر التفاسير : (( { وهو معكم أينما كنتم } أي بعلمه بكم وقدرته عليكم أينما كنتم ))([[821]](#footnote-821)) .

ـ كيف يعيش الإنسان وفوقه قدرة هائلة ورقابة محكمة في كل لحظة ؟ ، فهو واقع تحت سلطان الله وهو خاضع لله ولن يستطيع أن يهرب من هيمنته ليعيش حرا ، فقدرة الله عليه وعلمه به يسيران معه في كل مكان ، إذا عقل الإنسان ذلك فإنه يعيش في رعب من هيبة قدرة الله ومراقبته ، وعدم رؤية الله لا يغير من حقيقة الأمر شيء فقدرة الله فوقنا مهيمنة ومسيطرة ولكن الغافل لا يشعر بشيء .

ـ إن قدرة الله فوق مستوى الخيال وأشد رعبا من قدرة أي شيء مرعب يمكن أن تتصوره ، لكن قدرة الله في مشاعر البعض هي شيء عادي جدا لا خطورة منه ولا مشكلة فيه ، فمثلا الإنسان إذا علم أن المخابرات الأمريكية تهتم بأمره وترسل له قوة مسلحة تتخفى وترصده في كل مكان فإنه قد لا ينام عدة أيام أو قد لا ينام مطلقا ، فما بالك بقدرة الله عليك التي ترصدك في كل مكان وتعد عليك أنفاسك ، فالعاقل يكون في حياته قلقا متوترا خائفا منزعجا وصورة قدرة الله لا تفارق عينه ولا يستطيع أن ينساها ، فقدرة الله أشد في خطورتها من قدرة أي شيء مخيف يمكن أن تتصوره .

ـ من الناس مَنْ ليس عنده أي هم بقدرة الله رغم أنها تحيط به لدرجة أنك قد تجد المرء يستغرب ولماذا الهم بمدى قدرة الله ومراقبته ؟! ، وكأنه لا يوجد أي شيء يدعو للانزعاج ! ، فنسيان الله ليس معناه نسيان وجوده ولكن معناه نسيان قدرته وعظمته : (( نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ))([[822]](#footnote-822)) ، والعاقل هو الذي لا ينخدع بعدم رؤية الخالق وهدوء الدنيا كأنه لا خطر يتعرض له أو يوشك أن يلحق به .

ـ الساحر يستطيع أن يصنع أي شيء ولكن في الخيال وليس في الحقيقة ، فهو يسحر أعين الناس ، أما الخالق فيستطيع أن يصنع أي شيء في الحقيقة وليس في الخيال ، فقدرة الله أعظم من السحر ، فيصنع أي شيء بدون أسباب أو يحول شيء إلى شيء آخر مختلف تماما بدون أي أسباب وبمجرد قوله كن فيكون ، فهذه قدرة هائلة لا يستطيعها أي بشر .

ـ فالساحر يستطيع أن يخرج لك ناقة من الحائط ولكن غير حقيقية ، والله أخرج ناقة صالح من الحائط وهي حقيقية حتى أنهم كانوا يشربون لبنها وذبحوها بأيديهم وأكلوها

ـ وسحرة فرعون صنعوا ثعابين من الحبال ولكنها خيالية والله صنع ثعبان من الحبل ولكنه حقيقي .

ـ فإذا كان السحر أمرا عجيبا ويورث في النفس الدهشة والانبهار والإعجاب فالقدرة الحقيقية أعجب من السحر فلماذا لا يحدث في النفس الدهشة والإعجاب بقدرة الله تعالى ، ذلك لأن اليقين بقدرة الله هي مسألة نظرية فقط .

ـ وجود الله معناه وجود من هو أقوى من الإنسان ومن هو يسيطر عليه ، وهذا معناه أن الإنسان ضعيف والله هو القوي ، والعلاقة بين الضعيف والقوي هي علاقة خضوع وذل وتبعية ، فالضعف صفة نقص والضعيف في احتياج إلى القوي والضعيف يخاف من مهابة القوي ومن بطشه ويرجو منه العون ويحبه إعجابا بقوته .

ـ الغفلة التامة عن الخطر العظيم ( قدرة الله ) !! :

ـ إذا أخبرت إنسانا أنه يعيش وحوله خطر هائل لكنه لا يراه ولم يشعر بالخطر فهذا معناه أنه لا يوقن بما أخبرته ، رغم أنك أتيت له بالأدلة على صدق كلامك فهو يوقن بصدق كلامك نظريا فقط من حيث صحة الأدلة .

ـ مجرد العلم بأن لنا إلها فهذه ليست معلومة سهلة لأن معناها أننا نعيش حياتنا خاضعين خائفين من مهابته وخائفين من عقابه ، ولكن لا يزال البعض يعيش في غيبوبة أو في حالة سكر لم يفق بعد إلى حجم الخطر الذي يتمثل في قدرة الله التي تحيط به ومراقبة الله الذي يعلم ما بداخلك وما تفكر فيه : (( وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ))([[823]](#footnote-823)) ، (( يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ))([[824]](#footnote-824)) .

ـ فنحن واقعين تحت خطر عظيم هو قدرة الله ومراقبته ، لكننا في غفلة تامة نعيش بحرية غير مدركين أننا نعيش حياة الخاضع ، فلابد أن تشعر بمدى الفرق الهائل بين قدرة الإنسان وقدرة الله المهيمنة عليه ، فعندئذ تشعر بمدى خطورة الأمر .

ـ الإنسان لا ينكر وجود الخالق ، لكنه قد يتجاهل خطورة قدرته التي تحيط به فتصبح قدرة الخالق كأنها لا قيمة لها ، فهي عندئذ غير موجودة في شعوره ، وهو بذلك قد أفرغ كلمة "الخالق" من محتواها .

ـ كل الناس يعلمون أن قوتهم لا شيء أمام قوة الله ، ولكن ذلك اليقين كاذب عند البعض ، فلو شعر الإنسان بمدى قوة الله فقد يخر مغشيا عليه ويعيش حياته خائفا مرعوبا ، فقوة الله هي التي صنعت الجبال الهائلة ، والكرة الأرضية وما عليها ، والشمس التي يمكن أن تبتلع مليون من الكواكب أمثال الكرة الأرضية ، وما بالك بالمجموعة الشمسية ككل ، وما بالك بالكون الهائل ، وما بالك بالكرسي والعرش ، ففي الحديث : (( ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ))([[825]](#footnote-825)) فالكرسي يسع الكون كله : (( وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ))([[826]](#footnote-826)) ، والعرش أعظم بكثير ، فهذا يدل على مدى قوة الخالق وقدرته على إيجاد كل هذا الكون .

ـ والإنسان له أن يتصور مدى قدرة الله بحيث يمكن وضع البشر جميعا على أصبع واحد من أصابع الرحمن ، ففي الحديث : (( جاء حبر من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد إن الله يمسك السماوات يوم القيامة على أصبع ، والأرضين على أصبع ، والجبال والشجر على أصبع ، والماء والثرى على أصبع ، وسائر الخلق على أصبع ، ثم يهزهن فيقول أنا الملك أنا الله ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال الحبر تصديقا له ، ثم قرأ ( وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ) ))([[827]](#footnote-827)) ، وفي حديث آخر : (( يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوي الأرضين ثم يأخذهن بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ))([[828]](#footnote-828)) .

ـ تحدث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن عظمة الله فكان من شدة تأثره أنه كان يتمايل فيتحرك المنبر حتى كاد يسقط ففي الحديث عن عبد الله بن عمر قال : (( سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول : يأخذ الجبار سماواته وأرضيه بيده ، وقبض يده فجعل يقبضها ويبسطها ، ثم يقول : أنا الجبار أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ، قال ويتمايل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمينه وعن شماله حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى إني لأقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم ))([[829]](#footnote-829)) ، إن عظمة الله يقشعر منها جلود المؤمنين : (( اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إلى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ))([[830]](#footnote-830)) .

ـ قد يسأل سائل : هل وجود الخالق هو أمر مخيف ومذهل وخطير ومحير أم أنه أمر عادي ؟ ، أي هل مسألة وجود الخالق تدعو للخوف والإعجاب وانشغال البال والتحير ؟ ، والجواب : وهل هناك شيء بعد الله يدعو للخوف والإعجاب وانشغال الهم والتحير ؟ ، إن وجود الخالق معناه وجود قدرة هائلة إلى حد مرعب ومخيف فهي قدرة أوجدت كل هذا الكون الهائل وهي قدرة تسيطر على الإنسان ، فالإنسان يتحير من مدى هذه القدرة ويخاف من مهابتها ، فهو كلما سار يمينا وشمالا لا يستطيع الخروج من قدرة الملك فهي قدرة تحكمه وتصله في أي مكان ولا يستطيع التخفي أو الهروب منها ، فقدرة الله يمكن أن تناله في أي وقت وفي أي مكان فهو يعيش في حالة رعب تحت السيطرة الكاملة ، فقدرة الله ورقابته مصاحبة للإنسان في كل لحظة .

ـ فاليقين الحقيقي بوجود الخالق معناه الشعور بوجود من له القوة والهيمنة والسيطرة على الإنسان والكون ، وبالتالي يعيش في إطار أنه خاضع يعيش تحت سيطرة صاحب هذا الكون راضيا بأن عليه أن يعيش عيشة الذل والخضوع والاستسلام للجبار المتكبر ، ولكن الإنسان يتصنع الهروب من سيطرة الملك .

ـ كذلك علم الله هائل جدا ، فهو يسمعك ويراك ويعلم بكل شيء في كل مكان ، بل إنه سبحانه يعلم ما سيكون في المستقبل فذلك يدعو إلى التحير والذهول والخوف والإعجاب بمدى هذه القدرة الهائلة ، فالإنسان يعيش تحت المراقبة والسيطرة الكاملة .

ـ ففي أيسر التفاسير : (( { وهو معكم أينما كنتم } أي بعلمه بكم وقدرته عليكم أينما كنتم ))([[831]](#footnote-831)) ، وفي أيسر التفاسير أيضا : (( { ونحن أقرب إليه من حبل الوريد } أي نحن بقدرتنا على الأخذ منه والعطاء والعلم بما يسر ويظهر أقرب إليه من حبل الوريد الذي هو في حلقه ))([[832]](#footnote-832)) ، وفي تفسير مراح لبيد : (( { وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ } أي ونحن أقرب إلى الإنسان من العرق الذي يجري فيه الدم ، ويصل إلى كل جزء من أجزاء البدن بعلمنا بحاله ، وبنفوذ قدرتنا فيه يجري فيه أمرنا كما يجري الدم في عروقه ))([[833]](#footnote-833)) ، وفي تفسير القرطبي : (( { وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ } أَيْ بِالْقُدْرَةِ وَالْعِلْمِ وَالرُّؤْيَةِ ، قَالَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ الْقَيْسِ : مَا نَظَرتَ إلى شيء إِلَّا رَأَيْتُ اللَّهَ تَعَالَى أَقْرَبَ إِلَيَّ مِنْهُ ))([[834]](#footnote-834)) .

ـ إن الإنسان عندما يشعر بقدرة الله المحيطة به فإن حساباته في الحياة سوف تختلف تماما ، وإنه سوف يسقط أمور الدنيا والناس من حساباته ، لأنه يشعر أن الدنيا ضئيلة .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

### ـ تصور مدى علم الله تعالى

ـ لو ان أحدا يراقبك ليلا ونهارا ويعد عليك أنفاسك ويحاسبك على كل كلمة وكل حركة تتحركها هل يمكن أن تنساه فلا ينشغل بالك به ؟ ، لا يمكن أبدا ، الله يراك من فوق سبع سماوات مهما كان مكانك على الأرض ، ذلك أمر مرعب وخطير فلا يكاد يفارق ذلك الأمر ذهنه أبدا ، فقدرة الله عليك وعلمه بك يسيران معك في كل مكان ، فعدم انشغال الهم بذلك معناه نسيان الله .

ـ الإنسان لا يستطيع أن يرى أحد داخل حجرة وهو خارج الحجرة ، ولا يستطيع أن يرى أحدا على مسافة بعيدة ، ولا يستطيع أن يرى في الظلام ، ولكن الله من فوق سبع سماوات يستطيع أن يراك ولو كنت داخل الحجرات وفي الظلام .

ـ هل يستطيع العلم الحديث أن يرصد تحركات أحد الناس من خلال كاميرا تسير معه في ليله ونهاره طوال أيام عمره كلها ؟ ، وهل يستطيع عمل ذلك مع كل البشرية منذ خلق آدم وإلى قيام الساعة ؟ ، وهل يستطيع أن يصنع ذاكرة بحيث يستطيع أن يحدد في اللحظة المعينة منذ ستين عاما ماذا عمل فلان وأين سقطت ورقة الشجرة التي كانت في مكان ؟ ، الله يستطيع ما هو أعظم من ذلك ، فالله يعلم ما يفكر فيه الانسان في هذه اللحظة وما يدور في أذهان البشرية منذ خلق آدم وإلى قيام الساعة ، والله يستطيع أن يعلم ماذا سيحدث في المستقبل ولا تسأل كيف ؟ فهي قدرة الله سبحانه .

ـ وكذلك فالإنسان لا يستطيع أن يسمع أحدا على مسافة بعيدة ، ولكن الله من فوق سبع سماوات يستطيع أن يسمعك ويراك بوضوح تام مهما كان مكانك على الأرض كأنه معك ، فلا تستطيع أن تهرب من علمه بك : (( وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ))([[835]](#footnote-835)) ، والله يستطيع أن يسمع ويرى ويعلم كل ما يحدث وكل ما يعمله ملايين الخلائق والأشياء في آن واحد ، ويعلم دَبِيب النملة السَّوْدَاء على الصَّخْرَة الصماء فِي اللَّيْلَة الظلماء ، فهذه قدرة هائلة جدا : (( وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ))([[836]](#footnote-836)) .

ـ والأكثر من ذلك أن الله يسجل كل ما حدث وسيحدث وبمنتهى الدقة : { هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ))([[837]](#footnote-837)) .

ـ بالمقارنة بعلم الله فالإنسان لا يعلم لأن قدرة الإنسان على العلم ضئيلة جدا بالمقارنة بقدرة الله على العلم ، والإنسان لا يعلم لأن الله هو الذي أعطاه الحواس والعقل التي يعلم بها فبغير ذلك لا يستطيع أن يعلم : (( وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ))([[838]](#footnote-838)) ، (( وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شيئا ))([[839]](#footnote-839)) ، (( وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إلا قَلِيلاً ))([[840]](#footnote-840)) .

ـ اليقين بأن الله سميع عليم رقيب بغير تصور لخطورة أنه يسمعك الآن ويراك هو يقين هزلي كاذب ، فتخيل أن هناك كاميرات سرية موضوعة لك في كل مكان وأنت يتم رصدك وتسجيل كل تصرفاتك وحركاتك وسكناتك بل وما تفكر فيه ، ألا تشعر بالخوف والقلق ، فإن الله يسمعك ويراك ويراقبك ، إذن لابد أن تشعر أن أحدا ما يراقبك ليلا ونهارا ويري كل ما تفعله وهذا معناه أن تظل هذه المراقبة علي بالك وفي همك دائما ، فإذا لم تشعر بأنك مراقب فهذا يعني أن شعورك بأن الله سميع وبصير غير موجود ، وإن كنت علي اقتناع نظري تام بأن الله سميع وبصير .

ـ كل الناس مسلمين وكافرين يوقنون بأن الله عليم بكل شيء : (( وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ))([[841]](#footnote-841)) ، ولكن هذا اليقين عند البعض هو يقين كاذب فهم غافلون غير منتبهين لخطورة أن الله العظيم يعلم ما يفعلونه ، فحقيقة اليقين عند هؤلاء هو أن الله لا يعلم ما يعملون ، ففي تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية : (( { ولكن ظَنَنتُمْ أَنَّ الله لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ } أي : ولكن حسبتم أيها العاصون حين ركبتم المعاصي في الدنيا أن الله لا يعلم أعمالكم فلذلك فعلتموها ، قال ابن مسعود : كنت مستتراً بأستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر: ثقفيان وقرشي أو قرشيان وثقفي، كثير شحوم أبدانهم، قليل فقه قلوبهم، فتكلموا بكلام لم أفهمه ، فقال أحدهم، أترون أن الله يسمع ما نقول ، فقال الرجلان: إذا رفعنا أصواتنا سمع، وإذا لم نرفع أصواتنا لم يسمع. فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك، فنزلت هذه الآية : { وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (22) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ }([[842]](#footnote-842)) ))([[843]](#footnote-843)) ، وفي التفسير القرآني للقرآن : (( { كَلَّا } هو ردّ على هذا السؤال في قوله تعالى : { أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرى } وكلا إنه لا يعلم بأن الله مطلع على كل شيء ، ولو كان يعلم هذا علما مستيقنا لخاف ربه وخشي بأسه، ولكن ضلاله أعمى قلبه، وأظلم بصيرته ، فلم يرى جلال الله، ولم يشهد عظمته، ولم يخش بأسه ! ))([[844]](#footnote-844)) .

ـ تصور لو أن إنسانا يسير وراءك في كل لحظة لا يفارقك ويمسك بمسدس يصوبه نحوك ومعه كاميرا تسجل عليك كل شيء بالصوت والصورة ، فكيف تعيش حياتك إذا ؟ ، قدرة الله وعلمه يسيران معك في كل لحظة ، فأنت تعيش تحت سيطرة كاملة ومراقبة تامة .

ـ والإنسان إما أن يعلن استسلامه لهذه السيطرة فهو مسلم ، وإما أنه يريد أن يهرب من هذه السيطرة ولكنه لن يستطيع ، فيتناسى أنه مراقب وأنه تحت سيطرة الله ، وهذا من الغباء ، ففي تفسير أبي السعود : (( { والله مُحِيطٌ بالكافرين } أي لا يفوتونه كما لا يفوت المحاطُ به المحيطَ ، شبه شمولَ قدرته تعالى لهم وانطواءَ ملكوتِه عليهم بإحاطة المحيط بما أحاط به في استحالة الفوْت ))([[845]](#footnote-845)) .

ـ والشعور بالمراقبة يقوى ويضعف حسب الشعور بقوة الرقيب ، فلو افترضنا أن الإنسان يراقبه طفل من الأطفال ، فلن يعبأ بأوامره وبكلامه ولن يوقره ويحترمه لأنه طفل قوته ضعيفة ، رغم أنه يعلم أن الطفل يسير معه ويرقب كل ما يفعله ، أما إذا افترضنا أن الإنسان يسير معه قوة مسلحة من الجيش بالدبابات من حوله والطائرات الحربية من فوقه والألغام والمتفجرات موضوعه في كل مكان يذهب فيه ، فلا يمكن أن ينشغل ذهنه عن هذه الرقابة الهائلة ، فقوة الله سبحانه أعظم من كل الجيوش في العالم مجتمعة وهي معك في كل لحظة .

ـ فمثلا لو سمعت أن رجلا خارقا يستطيع أن ينقل الجبال أو يستطيع أن يبيد الناس في لحظة أو .....الخ ، بماذا تشعر ؟ ، إنك تشعر بالهيبة والخشية والرهبة ، فان الله يستطيع ما هو أعظم من ذلك : (( وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً ))([[846]](#footnote-846)) ، ويستطيع أن يبيد كل البشرية في أقل من لحظة ، فلماذا لا تشعر بنفس الشعور السابق وقدرة الله معك في كل لحظة تحيط بك ؟ ، إن الشعور بمدى قدرة الله يعني الشعور بالخوف من مهابته ، والشعور بالخوف من عقابه ، والشعور بالخضوع لله تعالى والتسليم بقدرته .

ـ فإذا لم يتحقق الشعور بمدى قدرة الله ، فلن يشعر الإنسان بقيمة رؤية الله له ، لأن مدى قدرة الله عندئذ تكون عنده مثل قدرة أحد من الناس فجعل رؤية الله له مثل رؤية أحد من الناس له .

ـ فقد يتصور الإنسان أنه يعيش بعيد عن الله ، وأنه يعيش في شأنه منعزل عن الله ولا تصله قدرة الله ، وحيث أن الله لم يجعل الدنيا دارا للحساب والثواب والعقاب وجعلها دارا للعمل فالإنسان حر في أن يعصي أو يفعل ما يشاء ، فيحسب الإنسان أن الله ليس له سلطان عليه وأنه تركه يفعل ما يشاء .

ـ فلابد أن يشعر الإنسان أنه يعيش في ملك الله وتحت سلطانه وفي أي مكان يسير فيه تكون معه قدرة الله ومراقبته وهذا أمر مرعب لمن يفقه ، فعندئذ فقط يتحقق الشعور بالخضوع ويعيش الإنسان حياته خاضعا خائفا مترقبا لقاء الله والآخرة .

ـ ولو وصل الإنسان إلى درجة الكمال في المراقبة لم يقع في ذنب أبدا ، وإنما يقع في الذنب إما لغياب المراقبة أو لضعف المراقبة .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

### ـ تصور معنى ( المالك )

ـ مفهوم أن الله هو المالك :

ـ إن هذا الكون الهائل لابد له من خالق ، والذي يخلق شيئا فإنه يملكه ، إذن فهو المالك لكل شيء .

ـ ليس للمخلوق الحق في أن يتملك شيء لأن الملكية صفة قوة ، ووجود ملكية للعبد يعتبر صفة نقص في صفات الخالق الذي يجب أن يكون له ملكية كل شيء ، وما يعطيه الخالق للإنسان ليس ليمتلكه وإنما هو أمانة فقط يستردها صاحبها وقتما شاء ، كما أن الخالق يأمر المخلوق باستخدام النعم في حدود معينة دلالة على ذلة المخلوق وعدم تملكه للنعمة .

ـ فإذا كان الإنسان يتعامل مع الأشياء من حوله على أنه هو الذي يملكها وهو الذي صنعها فهو يعظم نفسه ويرى نفسه قويا ، وإذا كان يتعامل مع الأشياء من حوله على أن الله هو الذي يملكها وهو الذي صنعها فهو يعظم الله ويراه قويا ويرى نفسه ضعيفا ، فيعيش الإنسان كأنه ليس له بيت يأويه وإنما يسكن في ملك الله ويأكل مما عنده من طعام .

ـ أنت تعيش في ملك الله وتأكل من رزقه وتسكن في أرضه وأنت نفسك جزءا من ملكه فيجب عليك أن تعيش معيشة العبيد فلست حرا تفعل ما تريده لنفسك ولكنك عبد تعيش من أجل سيدك .

ـ كل هذه المساكن والمدن التي يعيش فيها الناس لها مالك واحد فقط هو الخالق سبحانه ، والناس يعلمون ذلك لكنهم قد ألفوا المعيشة في هذه المساكن وعاشوا فيها زمانا يحسبون أن المساكن التي يسكنون فيها هي بيوتهم ، ويحسبون أن ما وجدوه في هذه الأرض من خيرات هو ملكا لهم ، ويحسبون أنهم أحرارا يفعلون ما يشاءون ، لذلك فهم يتناسون الأمر كأنهم لا يعلمون .

ـ كل شيء ملك لله ، وهذا معناه أن عقود التمليك التي عندنا في الدنيا مجازية للتعامل بيننا في الدنيا فقط وليست عقود حقيقية ، لأنه في الحقيقة لا أحد يملك شيئا فالله هو المالك لكل شيء وإنما هي أمانة وعارية ملك لله ويستردها الله منا وقتما يشاء ، لذلك فمَنْ اعتقد أنه يملك شيئا ملكا حقيقيا فقد أشرك : (( لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ))([[847]](#footnote-847)) ، (( وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ))([[848]](#footnote-848)) ، (( ألا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ))([[849]](#footnote-849)) ، (( وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ))([[850]](#footnote-850)) ، (( قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأمر فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ))([[851]](#footnote-851)) .

ـ إن كل ما عندك وكل ما معك من مال ومسكن وزوجة وأولاد ومنصب وجاه وكل النعم وكل شيء ملكا لله تعالى بل أنت نفسك ملكا لله ، لأن الذي خلق شيئا فهو يملكه ، وكذلك كل ما يكتسبه الإنسان من تكريم ومن أفضلية ومن سمع ومن بصر وإرادة وعقل وقدرات ، ولكن الإنسان يظن أن ما به من يد وعين وأنف ....إلخ ملكا له ، فإن الله هو المالك لأنه الخالق ، ويتضح ذلك كالتالي :

ـ المال ملك لله : (( وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ))([[852]](#footnote-852)) ، (( وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ))([[853]](#footnote-853)) ، (( وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ))([[854]](#footnote-854)) ، والمال تشتري به طعام وشراب ...الخ ، وأي شيء تشتريه مصدره النبات أو الحيوان أو مادة الأرض وذلك ملك لله تعالى ، كما أن المال رزق الله وليس من كدك وتعبك ، فلا يجوز للإنسان أن يتصرف في المال كيفما يشاء لأنه ليس ملكا له وإنما هو ملك لله ، فيتصرف فيه كيفما يريده الله منه لأنه مالك هذا المال .

ـ كل ما يصنعه الإنسان هو من مادة الأرض أو من النبات أو من الحيوان ، وكل ذلك ملك لله تعالى وليس لك فضل في تصنيعه فالله هو الذي صنعه ، ففي تفسير الطبري : (( عن قتادة : { والله خلقكم وما تعملون }([[855]](#footnote-855)) بأيديكم ))([[856]](#footnote-856)) ، وقابلية تحويل المواد من مادة إلى مادة أخرى هي من خواص أودعها الله فيها فقد سخرها الله للإنسان لتقبل التحويل إلى مادة أخرى : (( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ ))([[857]](#footnote-857)) ، (( وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ))([[858]](#footnote-858)) ، والمخترعات تنشأ من تطويع مواد الأرض وهي ملك لله ، والله الذي سخرها وعلم الإنسان كيف يستفيد من تسخيرها ، والطاقة التي تدير الموتور هي من صنع الله سبحانه فلا يغتر الإنسان بذلك .

ـ فما يعمله الإنسان ليس جلب للرزق فهو فقط يسقي الأرض فيخرج الزرع ، ويحفر الأرض ليستخرج المعادن والبترول ويقوم بالصناعة ، فهو لم يصنع الماء والتراب والبذور التي تنبت الزرع ، ولم يصنع المعادن والبترول الذي في باطن الأرض ، فالزراعة والصناعة هي من الرزق : (( أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (63) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (64) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (65) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (66) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (67) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (68) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (69) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (70) أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (71) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ))([[859]](#footnote-859)) ، فأعمال الإنسان الدنيوية ليست إلا تحصيل رزق موجود وليس إيجاده ، فحقيقة الأعمال الدنيوية مهما كانت تبدو ضخمة ومعقدة هي مجرد لعب ولهو : (( اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ))([[860]](#footnote-860)) .

ـ ولو كان الرزق موجود في شكل جبل عند مكان ما ، لذهب الناس ليأخذوه كله ويبعثروه ويضروا أنفسهم بكثرة الطعام والشراب وغير ذلك ، ولكن الرزق موجود بشكل معين بحيث كلما احتاج الإنسان أخذ نصيبه الذي يحتاجه .

ـ القوة في الجسم رزق أيضا وليس معني أنك تأخذ بأسباب القوة أنك صاحب ومالك هذه القوة أو أنك جلبتها لنفسك ، فالعمليات التي تتم داخل الجسم لتحويل الطعام إلى عضلات هي من أمر الله ، وكذلك كل ما يكتسبه الإنسان من تكريم ومن أفضلية ومن سمع ومن بصر وإرادة وعقل وقدرات .

ـ أعضاء الإنسان من أنف وعين وكلية .. الخ هي ملك لله وليست ملكا لصاحبها ، لذلك أفتى بعض العلماء بعدم جواز بيعها ، ففي كتاب بحوث لبعض النوازل الفقهية المعاصرة : (( القول الثاني : لا يجوز بيع الأعضاء وهو ما أفتى به المجمع الفقهي ، الأدلة على التحريم أن أعضاء الإنسان ليست ملكاً له ، ولم يؤذن له ببيعها شرعاً فيكون بيعها داخلاً في بيع الإنسان ما لا يملك ))([[861]](#footnote-861)) ، والإنسان ليس حرا في جسده يفعل به ما يشاء لأن جسده ليس ملكا له لذلك فالتدخين حرام لأن فيه ضرر لشيء أنت لا تملكه ففيه إفساد لما خلقه الله : (( وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إلى التَّهْلُكَةِ ))([[862]](#footnote-862)) ، (( وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ))([[863]](#footnote-863)) .

ـ الإنسان لا يملك سمعه ولا بصره : (( قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأمر فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ))([[864]](#footnote-864)) .

ـ عقل الإنسان ليس ملكا له ، فالله هو الذي صمم له العقل وصمم له الطريقة التي يفكر بها العقل ويقوم بوظيفته ، وهو الذي وضع للإنسان قانون الأسباب .

ـ والعقل له إمكانيات هائلة ولذلك فالإنسان مغرور به ويظن أنه يفعل به المخترعات والأعاجيب بفضل عقله وينسى أن الله هو الذي صنع له هذا العقل ، وبالتالي ما يصنعه الإنسان من مخترعات كالسيارة هو من صنع الله تعالى ، ففي تفسير الطبري : (( { وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ } وفي قوله { وَمَا تَعْمَلُونَ } وجهان: أحدهما: أن يكون قوله "ما" بمعنى المصدر، فيكون معنى الكلام حينئذ: والله خلقكم وعملكم ، والآخر أن يكون بمعنى "الذي"، فيكون معنى الكلام عند ذلك: والله خلقكم والذي تعملونه: أي والذي تعملون منه الأصنام، وهو الخشب والنحاس والأشياء التي كانوا ينحتون منها أصنامهم ، وهذا المعنى الثاني قصد إن شاء الله قتادةُ بقوله: الذي حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: { وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ } : بِأَيْدِكُمْ ))([[865]](#footnote-865)) ، والأشياء مسخرة لتستجيب للإنسان وتنفعه وليس هو الذي يسخرها في الأغراض التي يريدها ، كما أنه لا يصنع الشيء من العدم بل يستفيد مما في الأشياء من مزايا التسخير ، فعقل الإنسان ليس ملكا له كما آن عقله ناقص وعاجز أمام علم الله ، وهذا معناه مطلق الخضوع والاستسلام لله تعالى .

ـ والطعام الذي تأكله ليس ملكا لك ولم تحضره من كدك وتعبك إنما هو ملك لله وهو الذي أنعم به عليك ، وكذلك الملابس التي تلبسها هي ملكا لله وليست ملكا لك وقد أنعم الله بها عليك ، لذلك ففي الحديث : (( من أكل طعاما ثم قال الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن لبس ثوبا فقال الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ))([[866]](#footnote-866)) ، فإذا قال هذا الدعاء وهو يشعر أن هذا الطعام فعلا أطعمه الله به وما يلبسه إنما كساه الله به من غير كده وتعبه ومن غير حول منه ولا قوة فإن الله يغفر له ذنوبه ، وهو عندئذ يوقن يقينا حقيقيا بأن الله هو المالك وبأن له صفات الإنعام فيخضع له ويحبه ويطيعه ، فالأصل أن كل الناس جائعين والله يطعمهم ، عراه والله يكسيهم ، ضالين والله يهديهم ، ففي الحديث القدسي : (( يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم ))([[867]](#footnote-867)) .

ـ المنصب والجاه رزق مثلما المال رزق وليس من أخذك بالأسباب وكدك وتعبك أو الحصول علي شهادة ( وكذلك المكانة العلمية رزق من الله تعالى ) : (( وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ))([[868]](#footnote-868)) ، (( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ))([[869]](#footnote-869)) ، (( قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ ))([[870]](#footnote-870)) .

ـ والعلم يملكه الله : (( وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ))([[871]](#footnote-871)) ، (( وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شيئا ))([[872]](#footnote-872)) ، فالعلم والحكمة نعم يؤتيها الله للإنسان : (( وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إلا قَلِيلاً ))([[873]](#footnote-873)) ، (( يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إلا أُولُو الْأَلْبَابِ ))([[874]](#footnote-874)) ، فمن الناس من يعبد عقله فهو يظن أنه يصنع الكثير من وسائل التقدم العلمي والتكنولوجيا بعلمه فيظن أن لا أحد أعطاه هذا العلم وأنه اكتسبه من نفسه وأنه هو الذي سخر هذه الأشياء لصالحه وليس أنها مسخرة ومجهزة لخدمة الإنسان .

ـ الإنسان نفسه ملك لله تعالى لأن الله خالقه ، وخالق الشيء فهو يملكه .

ـ فما عند بعض الناس من مال أو جاه أو جمال ... الخ هو في الحقيقة نعم من الله عليهم وليس شيئا من عند أنفسهم ، لذلك لا تجب محبتهم لما عندهم ، وبالتالي من الولاء والبراء ألا تحب الناس لما عندهم من الدنيا ولكن لما عندهم من الدين ، فيكون قدر محبتك للإنسان بقدر ما عنده من الدين وقدر بغضك له بقدر بعده عن الدين .

ـ السعادة مخلوقة وهي ملك لله تعالى ، فالشعور باللذة والمتعة والسعادة أو بالألم والضيق والعذاب هو عبارة عن إشارات عصبية يتم ترجمتها في المخ فيحس الإنسان بالألم مثلا ، فإن الله هو الذي صنع هذه الطريقة وهذه الأجهزة كما أنه يستطيع أن يجعلك تشعر بالسعادة بغير هذه الطريقة وبدون سبب إذا أراد ، إن الناس يسعون إلى الشهوات لما يجدون فيها من الشعور باللذة والمتعة والسعادة ، فإن الله هو الذي خلق لك هذه الترجمة في المخ لتشعر باللذة ، كما أن الله سبحانه هو الذي جعل الطعام والشراب والجماع فيه لذة ولو شاء لسلب هذه اللذة وعندئذ فالناس سوف تبتعد عن الطعام وعن الزواج فتضيع الذرية ويهلك الناس ، فمثلا الله سبحانه سلب خاصية الإحراق من النار فلما وضعوا سيدنا إبراهيم فيها لم يضره شيء ، وكذلك فالله هو الذي جعل الألم يحدث عندما يمرض الإنسان حتى يلجأ إلى الله ثم يسعى للأخذ بأسباب الشفاء ولولا ذلك لبقي المريض حتى يموت لأنه لا يشعر بالألم ، فاللذة في الطعام والشراب والجماع هي نعم أعطاها الله سبحانه للبشر فأقبلوا على هذه النعم ونسوا من أنعم بها عليهم ، فبدلا من أن تكون سببا لمعرفة الله أصبحت سببا لنسيان الله تعالى فانشغلوا بالنعمة عن المنعم ، إذن الألم واللذة هي خواص مخلوقة موضوعة في الأشياء ، وإحساسك بالسعادة هو أمر موضوع بداخلك ، وهذا يعني الشعور بالاستسلام والخضوع لله ، ويعني التوكل على الله ، فهو وحده الذي بيده سعادتك ، فإن الله هو الذي يملك السعادة فيعطيها فقط للمؤمن لأن السعادة الحقيقية هي السعادة النفسية وهي فقط للمؤمن ، فما بال ملوك الأرض ؟ والأرض كلها والأموال بين أيديهم و المعيشة الضنك لهم ! ، لذلك قال أحد العارفين بالله : لو يعلم الملوك ما نحن عليه لقاتلونا عليها بالسيوف : (( الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ))([[875]](#footnote-875)) ، (( مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أو أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ))([[876]](#footnote-876)) ، أما غيرهم فمحرومون من السعادة النفسية : (( وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أعمى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أعمى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ))([[877]](#footnote-877)) .

ـ الشعور بعدم الملكية ( الشعور بالخضوع ) :

ـ إن معني أن الله هو المالك وأن الإنسان لا يملك شيئا هو أن يتنازل الإنسان عن كل شيء يملكه ( يتنازل عن نفسه وممتلكاته وأهله وكل شيء ) وينسبه إلى الله ، وهذا هو أصعب شيء علي الإنسان ، فالنعم فيها متع للإنسان ، كما أن التنازل عن كل شيء معناه الاستسلام والشعور بالخضوع والذل لمَنْ يملك روحك ، وأن تقبل الذل في أن ما عندك إنما هو محض تكرم وإنعام ومنة من الله عليك .

ـ تخيل أنك تعيش في مسكن أحد الناس وتأكل من طعامه وينفق عليك من ماله فبماذا تشعر وكيف يكون حالك ؟ ، وكذلك الحال فالمسكن الذي تسكن فيه ليس ملكا لك ، إنما هو ملك لله ، وكذلك المال الذي معك إنما أعطاك إياه الله وهو مال الله ، ولذلك إذا أردت أن تعصي الله فاخرج من تحت سماءه ومن فوق أرضه واخرج من ملكه إن استطعت !! .

ـ فالنفس تأبي أن تنكسر وتريد أن تكون هي المالكة ولا تريد أن يمن أحد عليها بعطاء أو يتكرم عليها بفضل ، وأصعب شعور علي النفس هو الذل فلا تريد أن تركع وتسجد ، فالركوع والسجود معناه الإقرار بالذل والاعتراف بالنقص ، لذلك قد يركع الإنسان ويسجد بجسده لكن النفس تأبى أن تركع وتسجد أي تأبى أن تقر بالذل وتعترف بالنقص ، وركوع الجسد عندئذ وسجوده لا قيمة له ، والإنسان يظن أنه هو الذي جلب هذه النعم لنفسه لذلك فهو يخضع لنفسه وهواه : (( أَرَأيتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأنت تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ))([[878]](#footnote-878)) .

ـ الإنسان ليس صاحب النعمة ولا الذي أنعم بها علي نفسه ، فالإنسان قد يظن أنه هو الذي جلب النعمة لنفسه من عقله وكده وتعبه كما قال قارون : (( إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ))([[879]](#footnote-879)) كالمال والمسكن والعمل والجاه والسلطان فيظن أنها ملكا له وأنه مستحق لها ، لذلك عند الموت لا يريد أن يترك النعم كالمال والمسكن والزوجة والأولاد والجاه والسلطان أو نعم كالعين والأنف والصحة ...الخ ، ولأنه يظن أنها ملكا له ولا يحق لأحد أن يأخذها منه وإلا كان ظالما فعند الموت تخرج روحه بصعوبة لتعلقها بهذه النعم ، ويكره مَنْ يقبض روحه لأنه لا يشعر بأنها أمانة أو عارية يستردها صاحبها ( وهو الله سبحانه ) ، ولا يشعر أنه هو نفسه ملك لله تعالى ، ولذلك علمنا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نقول إذا توفي أحد : (( لله ما أخذ وما أعطى وكل شيء عنده إلى أجل ))([[880]](#footnote-880)) .

ـ فيجب أن يشعر الإنسان بقيمة شربة الماء التي يشربها فهي محض نعمة عظيمة من الله على العبد ولكننا لا نشعر بعظمة النعم واحتياجنا إليها وأنها محض تكرم من الله وأنها ليست ملكا لنا ولا حقا لنا ، ففي الحديث : (( لما نزلت { ثم لتسألن يومئذ عن النعيم } قال الزبير وأي نعيم نسأل عنه وإنما هو الأسودان التمر والماء قال أما إنه سيكون ))([[881]](#footnote-881)) أي سيكون من النعيم أن تسأل عن هذا التمر والماء ، وفي الحديث : (( يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقال له : ألم أجعل لك سمعا وبصرا ومالا وولدا وسخرت لك الأنعام والحرث وتركتك ترأس وتربع فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا ؟ ، فيقول : لا ، فيقول له : اليوم أنساك كما نسيتني ))([[882]](#footnote-882)) ، وفي حديث آخر : (( ... فيقول : أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع ؟ ، فيقول : بلى أي رب ، فيقول : أفظننت أنك ملاقي ؟ ، فيقول : لا ، فيقول : إني أنساك كما نسيتني ... ))([[883]](#footnote-883)) .

ـ والإنسان يظن أن ما به من روح هو أمر عادي وأن هذه الروح ملكا له وبها حياته الخاصة .

ـ المالك يعني أن الله له ملكية كل شيء ، فإذا ما تنازل الإنسان عن كل ما يملك وعن نفسه لينسب ذلك إلى الله المالك الحقيقي فيشعر أن ذلك محض تكرم وإنعام من الله فيحبه ويذل لعطاءه مدين له بالولاء مرهونا وأسيرا لفضله منكسر النفس غير حر لأنه عنده النقص والعوز معترفا بذلك غير قادر على أن يقيت نفسه ( فالله هو المقيت أي الذي يعطيه القوت ) والله يمده باللقمة التي يأكلها وهو أسير وعبد لإحسانه منكسر المشاعر يشعر بالعجز أمامه ويشعر بأنه ما له حول ولا قوة ، ومن هنا يحدث كمال الحب والخضوع لله ، كما أن المالك يفعل فيما يملك ما يشاء فله حق الأمر والنهي ، وقد جاء فيتفسير معنى ( إنا لله ) في الآية : (( الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إليه رَاجِعُونَ ))([[884]](#footnote-884)) أي : (( { الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ } أَيْ تَسَلَّوْا بِقَوْلِهِمْ هَذَا عَمَّا أَصَابَهُمْ وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ مِلْكٌ لِلَّهِ يَتَصَرَّفُ فِي عَبِيدِهِ بِمَا يَشَاءُ ))([[885]](#footnote-885)) وبالتالي الخضوع لأمر الله ونهيه .

ـ صعوبة الشعور بأن الله هو المالك ( صعوبة الشعور بالخضوع ) :

ـ الشعور بأن الله هو المالك معناه ترك الخضوع للنفس وشهواتها ( التجرد من ملكية أي شيء ) والخضوع لله المالك لكل شيء .

ـ ما يملكه الإنسان من ممتلكات يمثل حياة الإنسان وراحته ويجد فيها متعه وشهواته ، وبالتالي أصعب شيء على الإنسان هو أن يتجرد من كل ما يملك لينسبه إلى مالكه الحقيقي وهو الله سبحانه ( أي الشعور بأن الله هو المالك ) كما يتجرد من كل الصفات التي يعتز بها كالقوة والإرادة والسمع والبصر لينسب كل الأشياء إلى مالكها الحقيقي وهو الله سبحانه ، أي ينسب الإنسان لنفسه كل صفات النقص والعوز والعجز والحاجة والضعف ، وينسب كل صفات الكمال لله ، وهذا معناه النقص والضعف والاحتياج إلى الله ، والنفس لا تريد أن تكون تابعة لغيرها ، تريد أن تكون مستقلة متحررة ذاتية معتمدة علي نفسها لا معتمدة علي غيرها ( الله سبحانه ) فلا تريد أن يكون فيها نقص أو عوز ، كما تريد أن تكون مالكة تدير نفسها وترزق نفسها ، والإنسان يظن أنه غير محتاج لغيره ، والله هو الصمد أي الذي يحتاجه الناس ، والنفس لا تريد أن تخضع وتركع لمن يمن عليها ولمن له قدرة عليها كما ترفض أن تعترف بعجزها أمام من هو أقوى ، فالنفس تريد أن تتصرف كما لو كانت هي التي أوجدت نفسها أو أنه لا أحد أوجدها ، رغم أنه في الاقتناع الكاذب تعلم بأن لها خالق : (( أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ))([[886]](#footnote-886)) ، فالنفس تريد أن ينصرف الذهن والقلب لها لا لغيرها ، والإنسان يظن أنه هو الذي يملك ويظن أنه هو العليم الحكيم الذي يستطيع أن يدير نفسه بنفسه ، ولا يحتاج لعلم غيره وهو بذلك لا يشعر بأن الله هو الصمد ( الصمد أي الذي يحتاج إليه الناس في كل شيء ) .

ـ الله هو المالك سواء في الدنيا أو في الآخرة فهو المالك دائما وأبدا (( مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ))([[887]](#footnote-887)) ، (( فَلِلَّهِ الآخرة وَالْأُولَى ))([[888]](#footnote-888)) ففي الآخرة أيضا لا أحد يملك شيئا فالجنة والنار ملك لله تعالى ، وما يعطيه الله لأهل الجنة هو عطاء من عنده وليس ملكا لهم ولا يأخذونه كحق لهم ليملكوه نظير عملهم ، والله يفعل بملكه ما يشاء ، فانظر إلى الآيات : (( أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ))([[889]](#footnote-889)) فالجنة رزق ومحض إنعام وتكرم ، وفي الحديث : (( لن يدخل أحدا عمله الجنة ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل رحمته ))([[890]](#footnote-890)) ، ولن يأتي أحد في الجنة ويقول هذا القصر إنما أوتيته علي علم وهو ملك لي ، فإنما هو نعمة من الله وملك لله ، وبالتالي فأصحاب الجنة يظل عندهم الخضوع والحب والذل لله مثل الملائكة وكل شيء ، أما أهل النار فلم يكن عندهم الحب والخضوع لله تعالي فهذا جزاؤهم .

ـ من أهم المشاعر الناشئة عن اليقين الحقيقي بأن الله هو المالك هو عدم الخوف من أي ابتلاء ولو فقد كل شيء دفعة واحدة لأن الإنسان إذا فقد شيئا لا يخصه ولا يملكه لم يبكي عليه ، فما عنده من أمانة يأخذها صاحبها وليست تضيع منك ، لأنها تكون تحت تصرف صاحبها سواء بقيت معك أو أخذها منك .

ـ اليقين الحقيقي بأن الله هو المالك يؤدي إلى طاعة الله لأنه المالك ولو لم يكن هناك جنة ولا نار ، لأن مالك الشيء له الحق أن يفعل بما يملك ما يشاء .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

### ـ تصور معنى صفات الإنعام

ـ تصور عظمة النعم يؤدي الى تصور عظمة من صنعها ، فالنعم عظيمة وتدل على عظمة الخالق ، ولكن كميتها محددة حتى لا يفسد الإنسان .

ـ مفهوم النعم :

ـ أنت لا تستطيع ان تصنع البروتين أو الزروع أو البترول وما تدفعه من ثمن لهذه الأشياء كان عليك أن تدفعه لمن صنع لك هذه الأشياء ، ولكنه صنع ذلك لك مجانا فلا يمنعك من أخذ هذه الأشياء ، وما تدفعه إنما هو لمن أعد لك هذه الأشياء ونقلها لك .

ـ فالمال الذي تدفعه عندما تشتري فاكهة مثلا ليس هو ثمن الفاكهة ، فلا يستطيع أحد أن يدفع ثمن الفاكهة ، إنما هذا المال سبب وهذه الفاكهة هي مجانية لمن يريد الله إعطاءها له ، فالبائع ليس صاحبها ولا الزارع وإنما صاحبها الذي صنعها هو الله سبحانه وتعالى ، فلا يستطيع أحد أن يدفع ثمن نعمة العين أو الأنف أو الماء أو غيرها .

ـ وثمن البيضة يأخذها من صنعها وليس من أعدها أو جمعها ، ومن صنعها ليست الدجاجة فهي ليس لها عقل يستطيع صناعتها وانما صنعها الله تعالى ، وهكذا ، وإنما أنت أحضرت القمح والحبوب للدجاجة ، ونفس الشيء أنت لم تصنع الحبوب ولا تعرف كيفية صناعتها ولا ما بداخلها فأنت فقط تضع الماء ، فالنعم مجانية ومقصودة للإنسان .

ـ كل الأشياء مسخرة ومفيدة للإنسان ، فكل شيء نعم للإنسان ، فالإرادة نعمة والعقل نعمة والروح التي يحيا بها نعمة ، والعين نعمة واللسان نعمة والماء نعمة والهواء نعمة والمال والزوجة والأولاد نعمة والبترول في باطن الأرض نعمة وكل شيء هو نعم من الله سبحانه .

ـ المؤمن يتعامل مع النعم على أنها ملك لله وأنها رزق للإنسان مقدر لا دخل للإنسان فيه ولا يزيد أو ينقص بسعيه أو عدم سعيه ، والكافر والمنافق يتعامل مع النعم على أنه مالكها وهو الذي أتى بها بكده وسعيه ، أو أنها موجودة من تلقاء نفسها ، أو أن غيره من البشر هو الذي أوجدها وأعطاها له ، أو أن الزمان أو الدنيا أو الأسباب هي التي أوجدتها ، ويتعامل مع النعم على أنها تزيد وتنقص حسب سعي الإنسان ـ في نظره ـ رغم وجود اليقين الكاذب بأن النعم ملك لله وأن الله هو الذي يعطي النعم ويسلبها بما يشاء ، وأنه النافع الضار وغيره لا ينفع ولا يضر ، وأن الرزق مضمون ومقدر .

ـ فالمؤمن يفرح بالنعمة ، وكذلك الكافر والمنافق يفرح بالنعمة ، ولكن المؤمن يفرح بالنعمة على أنها هدية عظيمة أهديت له فيفرح بها فرحا عظيما ويحب من أعطاها له ، والكافر والمنافق يفرح بالنعمة على أن له قدرة على إيجاد هذه النعمة ـ فهو يرى أنه هو الذي أوجدها وهي ملكه ، فهو يفرح بالنعمة ويغتر بنفسه وبالتالي لا يخضع لله تعالى .

ـ فإحساس المؤمن عندما يأكل لقمة أو يحصل على شيء هو إحساس من أهديت له هدية عظيمة ، ورغم أنه لا يرى من أعطاها له لكنها دليل عليه ، أما الكافر والمنافق فيغتر بنفسه بما عنده من النعم .

ـ التغافل عن مفهوم النعم :

ـ كل الناس يعترفون بأن كل شيء هو نعم من الله تعالى عليهم ، ولكنهم يتعاملون مع النعم على عكس ذلك تماما كأنهم هم الذين أوجدوها لأنفسهم ولم تأتهم من الله وكأنها ملكا لهم وليست ملكا لله تعالى ، والملكية قوة ، فيحسبون أنهم أقوياء فلا يخضعون لغير أنفسهم .

ـ ولأنهم يعلمون أن كل شيء هو ملك لله وليس لديهم دليل على ما يدعونه من ملكية الأشياء فيلجأون إلى تعطيل عقولهم ولا يتفكروا في حقيقة النعم ويتصوروا خطورتها ومعناها لأنهم إذا عقلوا ذلك خضعوا لله ، وهم لا يحبون الخضوع لغير أنفسهم .

ـ فليس معنى وجود النعم مع الإنسان وأنه يتمتع بها أنها ملكا له وأنه هو الذي أوجدها ، ولكن المغرور بالنعم عندما يعلم أنها ليست ملكه لا يريد أن يتركها من قلبه ليقر بمالكها الحقيقي وهو الله سبحانه فيعطل عقله حتى لا يشعر بالخضوع .

ـ وبدلا من أن تكون النعم سببا لمعرفة قدرة الله وقوته وإنعامه اغتر بها الإنسان على أنها ملك له وأنه أوجدها لنفسه واعتبرها قوة له ، لذلك لا يريد أن يستسلم .

ـ تصور معنى الشكر :

ـ الشكر دليل على عدم الملكية والإيجاد ، فأنت لا تشكر أحدا على شيئا أنت تملكه ولم يعطه لك وإنما تشكره على شيء هو الذي يملكه وأعطاه لك ، لذلك فالشكر بهذا المعنى يقابله الكفر : (( مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ))([[891]](#footnote-891)) ، (( وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ))([[892]](#footnote-892)) ، (( إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ))([[893]](#footnote-893)) ، لذلك يرضى الله عن العبد إذا استشعر هذا المعنى ، ففي الحديث : (( إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها ))([[894]](#footnote-894)) .

ـ الأخذ بالأسباب والرزق :

ـ ظاهر الأمر أن ما يكسبه الإنسان من عمله هو من عمل يده ، وحقيقة الأمر أنه رزق الله إليه ، ونوضح ذلك الأمر كالتالي :

ـ كل ما يحتاجه الإنسان من طعام وشراب ومسكن ووسائل تعينه في حياته وضعه الله للإنسان وتكفل به ، فالطعام يصنعه الله للإنسان من الأرض ، وخلق له الأنعام تنمو وتأخذ طعامها من نبات الأرض ، وما يفعله الإنسان من سقي النبات أو وضع النبات للحيوان ليأكل ليس إيجادا للنبات أو الحيوان ولكن ذلك من تسخير الأشياء للإنسان لتستجيب لما يفعله من أمر بسيط ، وكذلك الأسماك في البحار فالإنسان ليس عليه إلا أن يصطادها ، ووضع الله البترول والمعادن في باطن الأرض وسخر الله الأشياء للإنسان ، وكذلك إقامة المصانع والمباني هي من تسخير مواد الأرض للإنسان ، وإذا ترجمنا كل هذه الأمور إلى أموال فالمفترض أن يتم توزيع هذه الأموال على البشر بالتساوي ، فهذا المال موضوع للإنسان ولم يأتي به أحد من البشر وهو موضوع كرزق للبشر ، ولكن الذي يحدث أن بعض الناس يظلمون غيرهم فيأخذون حقوق غيرهم في هذا المال .

ـ إذن فالمال الذي يحصل عليه الإنسان من العمل وغيره ليس إلا نصيب من هذا المال العام الموضوع في الأرض وهو لم يُنشئ هذا المال ويصنعه بعمله ولكنه رزق من الله إليه ، لذلك قد يكون عمل الإنسان بسيط جدا أو ليس فيه أي جهد لكنه يحصل منه على مال عظيم أو العكس ، فذلك المال هو المقدار الذي قدره الله له من توزيع هذا المال العام .

ـ ولكن الإنسان مغرور بجهده الذي يبذله في العمل وهو في حقيقته ليس بشيء رغم أنه مأمور بالقيام به ، فالمال مال الله : (( وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ))([[895]](#footnote-895)) .

ـ فعندما يتصور الإنسان ذلك يشعر بأن ما يأتيه هو قادم إليه من عند الله على وجه الحقيقة وليس مجازا فيشعر من داخله بالشكر والحب لله تعالى على نعماءه ، وينشغل هم الإنسان بمدى كرم الله وإحسانه على عباده رغم أنهم لا يستحقون ورغم ظلمهم وقدرته على أن يهلكهم .

ـ أما الاقتناع الكاذب بأن كل شيء يأتيك هو من عند الله فلا قيمة له ، حيث يكون حقيقة شعور الإنسان من الداخل أنه يحصل على المال والطعام والشراب من تعبه وكده وأنه لولا تعبه وكده ما حصل على شيء ، فعندئذ لن يتحقق اليقين الحقيقي بصفات الإنعام للخالق سبحانه .

ـ كما يحسب الإنسان أن التقدم العلمي والتكنولوجي هو الذي صنع الطائرات والمباني الهائلة ووسائل المواصلات ووسائل الراحة والترفيه والحياة الحديثة وينسى أن كل ذلك مجرد اكتشاف لما وضعه الله في الأشياء من خواص ومن تسخير الأشياء لخدمة الإنسان وبالتالي فكل شيء نعم من الله على الإنسان وليس للإنسان فضل في شيء .

ـ لا يعرف النعمة إلا من فقدها :

ـ إذا لم يشعر الإنسان بفوائد وأهمية النعم له ، فهو لا يعرف شيء اسمه ( نعمة ) أصلا ، وبالتالي لن يشعر بحب الخالق والخضوع لإنعامه ، وأيضا إذا لم يشعر بمدى احتياجه إلى هذه النعم وأن حياته لا تقوم بغيرها ، فلا تهمه النعم فهو مستغني عنها ، وبالتالي لن يشعر بحب الخالق والخضوع لإنعامه .

ـ والنعم لها فوائد عظيمة جدا ولكن لا يشعر بها إلا من فقدها ، فمثلا الصحة تاج فوق رؤوس الأصحاء لا يراها إلا المرضى ، وهكذا ، فالإنسان لا يشعر بقيمة قطرة المياه إلا إذا حرم منها ، فالأصل أن الإنسان محروم من كل النعم ثم أعطاه الله هذه النعم ، وإذا حرم الإنسان من كل النعم فهو ميت أو عدم لأن كل شيء هو نعم للإنسان ، فالأصل أنك أعمى ثم أبصرت ، فانظر كيف يشعر إنسان أعمى إذا أبصر ، إنه عندئذ فقط يشعر بنعمة البصر ، ويشعر بحب عميق جدا لمن أنعم عليه بأن جعله يبصر ، وهكذا في كل النعم : (( كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ))([[896]](#footnote-896)) .

ـ فيتحقق الشعور بأن الله هو المالك وأن له صفات الإنعام بأن يشعر الإنسان بعظمة نعم الله عليه ، وبمدى احتياجه إلى هذه النعم وأنه لا تقوم حياته بغيرها وأنه غير مستحق لأي منها ، وأنه لم يحصل عليها لا من كسب ولا كد ولا تعب فهذه مجرد أسباب وإنما هذه النعم هي محض تكرم وإنعام من الله العظيم إلى العبد الفقير المعدوم الذي لا يملك حتى نفسه .

ـ أنت إذا طُلِب منك أن تبيع عينك مقابل مائة ألف جنيه فهل توافق ؟ طبعا لا ، وإذا طلب منك أن تبيع سمعك مقابل مائة ألف جنيه فهل توافق ؟ طبعا لا ، وهكذا ، إذن أنت تملك مئات الآلاف من الجنيهات ، ولا يعرف قيمة النعمة إلا من فقدها .

ـ فالذي يفقد النعمة يعرف قيمتها ويعرف أنه خاضع لله لكنه عندما تعود إليه مرة أخرى يعود فيتناسى قيمتها : (( فَإِذَا مَسَّ الإنسان ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ))([[897]](#footnote-897)) ، وكم مر على الإنسان من محن كثيرة في كل مرة كان يدعو الله أن تمر بسلام فينقذه الله ولكن الإنسان يعود فينسى ، بل إنه ينسى أصلا أنه مر في حياته محن كثيرة ومواقف صعبة كثيرة ومشاكل كثيرة منها أعباء الحياة وهمومها كان يدعو الله أن يعبر منها بسلام فلما مرت بسلام نسي أصلا أنه كان قد تعرض لمحن ومواقف صعبة وأعباء ! : (( وَإِذَا مَسَّ الإنسان ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إليه ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إليه مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ))([[898]](#footnote-898)) ، (( هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (22) فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ))([[899]](#footnote-899)) .

ـ كل النعم هي ملك لله تعالى لأن كل شيء هو ملك لله تعالى ، والنعم واسعة جدا حتى أن كل شيء هو نعم للإنسان لأن كل شيء فيه فوائد للإنسان وما فيه فوائد فهو نعم : (( أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ))([[900]](#footnote-900)) .

ـ هناك فرق بين صفات العبد وصفات الرب ، فالفرق بين كرم العبد وكرم الرب أن الله يكرم فيما يملك أما العبد فلا يملك شيئا وهكذا .

ـ لو لم يكن الله الرزاق لأتى العبد يوم القيامة وقال يا ربي انشغلت بجلب الرزق وغلاء المعيشة عن معرفتك وعبادتك فتكون له حجة ، ولكن الله هو الرزاق فلا حجة لأحد بأن يعيش حياته في جلب الرزق .

ـ إذا لم تكن تملك شيئا على الإطلاق من طعام أو شراب وأتاك أحد بشربة ماء فأنت حينئذ تكون ممتنا شاكرا ، وهذا الماء بالنسبة لك هو نعيم ونعمة كبيرة لأنه جاءك ولم تكن تستحقه وهو ذو قيمة كبيرة واحتياج كبير لك ، فلابد أن تشعر بأنك تعيش في نعيم مهما كان حالك من الفقر والمرض ، ولذلك عندما يسألك أحد : " كيف حالك ؟ " ، فتقول : " الحمد لله " ، أو تقول : " في نعمة والحمد لله " مهما كان حالك ، ولكن يجب أن تقول ذلك بلسان مشاعرك أيضا ، وهذا هو مفهوم الرضا القلبي .

ـ الشعور بعدم ملكية النعم ( الشعور بالخضوع ) :

ـ إذا سلبت النعم من الإنسان فأصبح بغير عين ولا أنف ولا مال ولا سلطان فعندئذ يشعر بالضعف والعجز والنقص والخضوع ، وإذا لم تسلب هذه النعم من الإنسان فينبغي أن يشعر بنفس هذه المشاعر ( أي بالضعف والعجز والنقص والخضوع ) لأنها ليست ملكا له ، فحقيقته أنه معدوم مسلوب النعم لا يملك شيئا ، وينبغي عليه أن يشعر بالانهزام والاستسلام والتذلل لمن يعطي هذه النعم له ، وينبغي أن يشعر أن الذي يعطيه هذه النعم قوي متكبر ومتعالي بما يمتلك من هذه النعم التي يعطيها لهذا الفقير المحتاج المسكين الذليل ، كما ينبغي أن يشعر بالحب لمن يمن عليه ويتكرم عليه ويتفضل عليه بهذا الإحسان بغير أن يكون مستحقا لهذا العطاء ، كما ينبغي أن يشعر أنه لا يستطيع هو بنفسه مهما سعى وعمل أن يحصل على هذه النعم ويجلبها لنفسه فيشعر بالتوكل والاعتماد على من يعطيها له .

ـ فإذا لم يشعر الإنسان بهذه المشاعر تجاه الخالق ، فهذا معناه أنه يشعر بأنه مالك لهذه النعم وأنه حصل عليها بكده وتعبه ، أو أنها موجودة من تلقاء نفسها أو تجاهل الشعور بقيمة ملكيتها لله تعالى ، أي أن الإنسان يقول عندئذ بمشاعره أن الله ليس هو الرزاق الكريم المنعم الوهاب ، وإنما هذه النعم ملكا للإنسان .

ـ الشعور بعظمة النعم يؤدي إلى الشعور بعظمة صفات الإنعام :

ـ الأصل أن الإنسان جائع لا يجد لقمة يأكلها وليس له حق في أن يأخذ لقمة يأكلها ولم يظلمه أحد في أن يأخذ منه لقمة ، وبالتالي إذا جاءته لقمة كان كأنه جاءه ملك عظيم ، فهذا حال من يعرف أنه لا يملك شيئا ، فإذا وجد لقمة في بيته هي عنده عطاء عظيم ، فيعلم مدى عظمة صفة الإنعام ويعلم أن عبادته لا تساوى لقمة واحدة .

ـ فالأصل أن الإنسان لا يرى ولا يسمع وليس عنده مال ولا بيت ولا زوجة ولا ماء ولا هواء وهو راض بهذا الأمر لأن هذا حقيقته لا يملك شيئا وليس له حق عند أحد ليعطيه ولو كان سيموت ، فهو يعلم حقيقته أنه ليس له حول ولا قوة ، ثم أتاه الله بشربة ماء لا يستحقها ولا يملك ثمنها فهو بذلك سعيد أشد السعادة شاكرا لله محبا له فيعبده ويخضع له شكرا له : (( وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ))([[901]](#footnote-901)) ، (( قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأمر فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ))([[902]](#footnote-902)) .

ـ ولذلك إذا ابتلي أو فقد شيئا لم يحزن لأنه لم يكن أصلا يملك شيئا وبالتالي ما ضاع منه شيء وما فقد شيء ، وكيف يحزن على شيء ليس ملكا له ، وصاحب هذا الشيء له أن يفعل بما يملكه ما يشاء يعطيه أو يمنعه .

ـ والإنسان لا يجد لذة إلا عن جوع خاصة لو لم ينتظر أو يتوقع طعاما ورضي بأنه يموت جوعا لأنه لا يملك طعاما وليس له حق في طعام ثم تأتيه لقمة يأكلها من عند الله فعندئذ يعرف لذة حب الله تعالى لأنه علم عمليا عظمة صفة الإنعام ، فإذا لم يشعر الإنسان بأنه لا يملك شيئا لن يشعر بلذة حب الله تعالى لصفات إنعامه .

ـ فالحكمة من أن الله أعطانا النعم كالسمع والبصر هو للاختبار هل نعرف بها الخالق فنخضع له ونكون شاكرين آم نشعر أنها ملكا لنا أصلا فنستكبر بها عن الخضوع : (( إِنَّا خَلَقْنَا الإنسان مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ، إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ))([[903]](#footnote-903)) .

ـ فالنعم أمانة أو عارية يستردها صاحبها وهو الله سبحانه في أي وقت شاء ، لذلك فأنت تشكر الله لما أعطاك ولا تكرهه لما سلب منك لأنه أعطاك أمانة تمتعت بها فترة من الزمن بغير استحقاق منك ، فأنت تشكره لما استفدت به من هذه النعمة خلال هذه الفترة .

ـ المسلم عنده رضا بما عنده ، بل يشعر أن ما عنده لم يكن يستحقه فهو زائد عن أهدافه ، لأن الإنسان لا يملك شيئا والمالك لكل شيء هو الله تعالى ، فإذا أعطاه الله شيئا كالماء والهواء فذلك فضل يفرح به ويزيد من شعوره بعظمة صفات الإنعام فيحب الله تعالى لصفات إنعامه .

ـ فالله ينعم عليك ويتودد إليك لتعلم صفات إنعامه فلماذا لا تشعر بحبه ؟ ، فلو أن رجلا أعطاك مالا وبيتا ومرتبا شهريا وزوجك وتكفل برعايتك وتودد إليك فلماذا لا تحبه ؟ ، فيجب عليك أولا أن تشعر بالتجرد والاحتياج إلى النعم وأنك لم تأتي بالنعم من كدك أو تعبك وأنها ليست ملكا لك وأنك في أمس الحاجة إليها ، ثم تتصور أن أحدا يعطيك هذه اللقمة التي تأكلها عن جوع واحتياج وبدون ثمن ولا مقابل فتحبه ، وكذلك تصور أن أحدا يعطيك ما تلبس وما تملك من عنده وبلا مقابل ، إنك عندئذ تشعر بالحب له ، أما إذا كنت تتصور أن ما عندك إنما هو من كدك وتعبك وأنه ملك لك أو أن أحدا أعطاك حقا لك وواجبا عليه وهو ملك لك فلن تشعر بالحب لله .

ـ وتصور أنك تقابلت مع شخص هو الذي كان قد أنفق عليك ورعاك طوال سنوات عمرك منذ أن كنت رضيعا وأعطاك السكن الذي تسكن فيه وكل شيء فبماذا تشعر ؟ ، ولماذا لا تجد مثل هذا الشعور والله هو المالك لكل شيء المنعم عليك وأنت بين يديه ولا تغيب عنه طول وقتك ، وتصور لو أنك ذهبت إلى مكان ما وقيل لك أن مصاريف الإقامة والطعام والشراب والملبس علي حساب فلان ، تصور فعلا أن إقامتك في هذه الدنيا مدفوعة الحساب ( فأنت لا تملك أن تدفع حساب شربة ماء واحدة ) إذا لماذا لا تحب الله ؟ ولماذا تتوكل علي غير الله كأن تعتمد علي نفسك ؟ ، ولماذا يكون كل همك في إحضار الرزق ؟ .

ـ إذا شعرت فعلا بأن النعم من الله فإنك إذا أكلت أكلة أو شربت شربة فإنك تستشعر أن هذه الأكلة أو هذه الشربة هي ملك لله ليس لك فيها حق ، ولم تستطع أن تأكل اللقمة أو تشرب الشربة إلا بعد أن أذن الله لك بذلك ، وكذلك تستشعر أن السكن الذي تسكن فيه ليس خاص بك وملكا لك وإنما هو ملك لله ومحض تكرم من الله عليك ، بل إن يدك وجسمك ليس ملكا لك وإنما هو ملك لله تعالى وكونه معك فهو محض تكرم من الله عليك ( راجع الشعور بأن الله هو المالك ) .

ـ ومن نعم الله رعاية الله لك ورحمته بك ، وأنه يسترك وأنت تعصيه رغم أنه يستطيع أن ينتقم منك وينسفك نسفا إذا عصيته ، فإذا به يغفر لك ذنبك إذا تبت واستغفرت ، ويتودد إليك ويرشدك إلى طريق السعادة ، وييسر لك : (( يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ))([[904]](#footnote-904)) ، (( وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً ))([[905]](#footnote-905)) ، ومن نعم الله أن القرآن مليء بضرب الأمثال والإيضاحات التي تذلل لك العقبات وتوضح لك الطريق ، بل إن الله أخبرك بما يكون في المستقبل من أمر الآخرة حتى تكون على بصيرة ، كما أرسل رسولا من البشر ليكون نموذج إرشادي تطبيقي عملي يواجه نفس ما يواجهه البشر ، كما أن الله يعطي للبشر حقا عليه أن يدخلهم جنات بها نعيم بلا حدود إذا لم يشركوا به ويعطيهم لذة الإيمان في الدنيا التي هي أعظم من كل لذات الدنيا ، رغم أنه ليس لبشر حق على الخالق إلا أنه حق أخذه الله على نفسه ، كما يبارك لهم في أرزاقهم ويجيب دعاءهم ، كما أنه يجيب دعوة المضطرين ويفرج الكربات ، ويعطي الناس من كل ما سألوه : (( وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإنسان لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ))([[906]](#footnote-906)) ، فكل هذا رحمة من الله تعالى ويجعلك تحب الله تعالى .

ـ أهم المشاعر التي تنشأ عن الشعور بصفات الإنعام هي الشعور بحب الله تعالى ، فإذا لم يشعر الإنسان بحب الله تعالى فهذا يعني عدم شعوره بأن له ربا ( فإن كلمة رب تعني صفات الإنعام والخالق والمالك والعزيز ... أي الربوبية ) ، ومن هنا نعرف الفرق بين اقتناع المرء الكاذب بأن له ربا وشعوره بأن له ربا ، كما ينشأ عن الشعور بقدر صفات الإنعام الشعور بالخضوع والتوكل على الله لأنه الرزاق والكريم والوهاب ولا أحد غيره يرزق أو ينفع أو يضر .

ـ وإذا شعر الإنسان بعظمة النعم ولكن باعتبارها ملكا له وليست نعم من الله فهذا يؤدي إلى الغرور بالنفس وعبادة الهوى .

ـ اليقين الحقيقي بصفات الإنعام يؤدي إلى الشعور بالحياء من الله :

ـ عندما يشعر الإنسان بكرم الله وفضله عليه فإنه يستحي أن يعصيه أو يفعل ما يغضبه ، فيعبد الله حياءا منه ، وفي الحديث : (( استحيوا من الله حق الحياء ، قال : قلنا يا رسول الله إنا نستحيي والحمد لله قال ليس ذاك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوي ولتذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء ))([[907]](#footnote-907)) ، فالإنسان يترك الذنب خشية أنه عندما يقف أمام الله فماذا يقول له ؟ فهو يستحي أن يضع نفسه في هذا الموقف المخجل حيث يأكل من رزق الله ويعيش على أرضه وينعم بنعمه ثم يقف أمامه وقد عصاه فما يقول له ؟! .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

### ـ تصور معنى ( الملك )

ـ كل إنسان له قدر وقيمة فمثلا المدير في العمل له قدر أكبر من الزميل في العمل من حيث شعورك بالهيبة والتعظيم له ، ووكيل الوزارة له قدر أكبر وهيبة أكبر ، ورئيس الوزارة له هيبة أكبر ، ورئيس الدولة له قدر أكبر ، وأنت تشعر عنده بالهيبة لمكانته ، وتشعر بالخوف منه لأن له قدرة على أن يؤذيك ، وتريد أن يرضى عنك لأن له قدرة على أن يعطيك فترجوا ما عنده ، فتحدث هذه المشاعر من الهيبة والخوف والرجاء خاصة إذا كنت عند ذلك الشخص وهو أمامك وينظر إليك ، أنت في هذه الدنيا عند الله تقف على أرضه وتحت سماءه في ملكه وهو أمامك ينظر إليك ، وهو يرأس كل هؤلاء الوزراء والملوك وذوي السلطات والسلطان ، وهم جميعا تحت أمره وسلطانه ، فهل تشعر بنفس هذا الشعور من الهيبة والخوف والرجاء مع هؤلاء ، أي هل تجد نفس هذه الحالة النفسية التي تشعر بها مع هؤلاء ؟ .

ـ وكذلك الأشياء لها قيمة ، فالألف جنيه له قيمة ، والمليون له قيمة أكبر ، وكذلك السيارات والشركات والمصانع والفيلات ...الخ ، كل شيء له قيمة ، وبالتالي له قدر من الحب والرجاء في الحصول عليه والخوف من ضياعه ، وكل هذه الأشياء هي جزء ضئيل من ممتلكات الله ، فالله له قدر أكبر من قيمة وقدر كل هذه الأموال والأشياء لأنه مالكها ، فما أخذته من شيء لم تأخذه إلا عندما أذن لك صاحبه ، فلا تستطيع أن تتنفس نفسا إلا إذا أذن لك الله بذلك ، فإذا كانت هذه الأشياء لها قيمة وقدر من الحب والخوف والرجاء فهل تشعر بالحب والخوف والرجاء من صاحبها ؟ .

ـ المحافظ يقوم بإدارة شئون محافظته ، ورئيس الدولة يقوم بإدارة شئون الدولة ، ولكن هل هناك من يقوم بإدارة شئون الكرة الأرضية جميعها ؟ ، الله وحده هو الذي يقوم بإدارة شئون جميع الناس على الأرض وإدارة شئون جميع الحيوانات والنباتات ، ويتكفل بتوزيع الأرزاق عليهم وإمدادهم بما يحتاجونه ، وكل الناس يعملون عند الله ، وهذا العمل يشمل كل شيء وليس فقط العمل لكسب المال ، فالإنسان يعيش حياته كلها كموظف وظيفته أنه عبد لله ، ورؤساء الدول والمحافظين ومديري الشركات والمؤسسات وكل إنسان مسئول هو في حقيقته موظف عند الله وظيفته المطلوبة منه هو أنه عبد لله ، فلا يجب أن يكون للإنسان هدف آخر غير أنه عبد لله : (( وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ))([[908]](#footnote-908)) ، فالعمل لكسب الرزق ليس هدفه وإنما هو عبادة مطلوب منه القيام بها ، فليس يعمل حبا في المال ولجلب المال ولكن تنفيذ لأمر من أوامر الله .

ـ ولكن هناك من يعي ذلك وهناك من ينسى ذلك ويظن أنه يعمل تحت سلطة البشر الذين يديرون الشركات والهيئات والبلاد ، فوجود قيادات من البشر هو وجود مجازي فقط ، فكما أن الله هو المالك وحده فهو وحده المدبر المتصرف في الأمور الذي يدير أمور الكون كله ، وليس أحد بيده شيء والأمر كله بيد الله تعالى هو الذي يعطي ويمنع ، إذن فالعاقل يعيش وهو يعلم أنه يعيش في أرض الله تحت سلطة الله وليس لأحد سلطة فوقه غير الله سبحانه ، لذلك عندما يحتاج الإنسان أمرا يطلبه من المدبر الحقيقي لأمر كل الشركات والبلاد ، وهذا لا يمنع من الأخذ بالأسباب .

ـ فالقيادة لها صور مختلفة فقد يكون الإنسان رئيسا أو زعيما أو ملكا من ملوك الدنيا أو مديرا لشركة مثلا أو حتى مسئولا عن أسرته وأولاده ، وفي الحقيقة فإن كل صور القيادة بين الناس هي مجازية فقط ، وجميع صور القيادة على وجه الحقيقة هي لله ، فالله وحده الذي يعطي هذا ويمنع هذا ، وهو وحده الذي يتكفل بأمر كل شيء ، وهو وحده الذي يأمر وينهى ( وإنما طاعة الرسول وأولى الأمر تابعة لطاعة الله ) ، وكما أن القيادة يكون لصاحبها شرف وعزة ومكانة ، فلا أحد له شرف أو عزة أو مكانة أو كبرياء ، فالعزة كلها والكبرياء كله لله ، وجميع الناس أذلاء فقراء مقهورين ضعفاء .

ـ فإذا تصورنا أن الكرة الأرضية عبارة عن دولة واحدة لها ملك واحد ، وهذا الملك له كل الصلاحيات وكل السلطات وجميع المناصب وهو الذي يدير كل شيء ويدبر كل شيء في مملكته ، فهذا التصور يليق بالبشر فقط أما الله فليس ملكا على الأرض فحسب ولكن على الكون كله وبيده الأمر كله ، وهو أيضا المالك الحقيقي لكل شيء في الأرض من مال أو مساكن أو متاجر أو شركات أو جبال !! .

ـ كل صور القيادة والسيطرة والسلطة والقوة والملكية هي مجازية فقط للتعامل فيما بيننا ، لكن على وجه الحقيقة فالله وحده هو الذي له ملكية كل شيء وهو وحده القوي وهو وحده المسيطر المتحكم في كل شيء المهيمن المتصرف في كل الأمور بما يشاء وكيف يشاء وجميع الناس ضعفاء لا يملكون شيئا ومقهورون تماما تحت سلطانه ، فالإنسان الذي له سلطة على غيره من الناس هي نعمة من الله يؤتيها له على سبيل الأمانة ثم يستردها منه وقتما يشاء وسلطته ومشيئته خاضعة لسلطان الله ومشيئته : (( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ))([[909]](#footnote-909)) ، وفي الحديث : (( يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض ))([[910]](#footnote-910)).

ـ ومن هنا تفهم أيضا أن " لا إله إلا الله " تعني سلب كل صفة حميدة من الإنسان وإثبات كل الصفات الحميدة والكمال فيها لله ، وما عند الإنسان من صفات حميدة إنما هو مما أعطاه الله له ، فالإنسان لا قدرة له ولا علم له ولا إرادة له ولا شيء له إلا مما أعطاه الله إياه ، وما أعطاه الله للإنسان لا يساوى قطرة من محيط مما عند الله ، كما أنه لا يتحرك متحرك ولا يسكن ساكن إلا بأمر الله تعالى ، فلا يستطيع أحد أو شيء أن يعتمد على نفسه في حركته أو سكونه فيحتاج إلى الله ليتحرك ويحتاج إلى الله ليسكن ، والنفس الذي تتنفسه هو من عند الله والماء الذي تشربه هو من عند الله تعالى .

ـ فالذي يوقن يقينا حقيقيا بأن الله هو الملك لكل العالم ولكل شيء فإنه يشعر بالخضوع له والخضوع لأمره والتوكل عليه ويشعر بالخوف من مهابته والخوف من عقابه والرجاء في عطاءه والحب لما أعطاه وحب الانتساب إليه والعزة به.

ـ فمعنى أنك توقن أن لك ملكا له السيادة الكاملة عليك ، فهذا معناه أن له وحده حق الأمر والنهي ، وهذا معناه أنك تعيش خاضعا لأمره تبعا لما يريده هو ، ولست تعيش تبعا لما تريده أنت وترغبه ، وليس تبعا لما يريده أي أحد آخر ويرغبه ، وحيث أنه يرعاك ويحميك ويعطيك وأوامره فيها النفع لك في الدنيا والآخرة وهو سبحانه لا يستفيد لنفسه شيء من هذه الأوامر فهو الغني عن الناس وكل شيء فأنت تحبه وتحب أوامره ، فغياب الشعور بأن الله هو الملك المسيطر المهيمن تؤدي إلى عدم المبالاة بأوامر الدين وعدم أخذها بجدية والتفريط فيها .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

### ـ تصور معنى عظمة الله تعالى

ـ لا يكفي أن يتصور الإنسان صفات الله ، وإنما لابد أن يتصور مدى مقدار وعظمة هذه الصفات ( مدي عظمة عزته ومدي عظمة ملكه ومدي عظمة كبرياءه .. ) ، فأن الله كرمه مبهرا وقدراته وصفاته مبهرة عظيمة ، فالله هو الخالق ولكنه لم يخلق واحدا من البشر أو شيئا واحدا ولكن قدرته على الخلق هائلة فهو خلق كل هذه البشرية التي لا تعد ولا تحصى ، وكل هذا الكون الهائل جدا ، والله هو العليم ولكن علمه ليس لما يحدث مع إنسان واحد أو اثنان ولكن علمه مع كل البشرية وكل الذرات والجزيئات وكل ساكن وكل متحرك وفي نفس الوقت ، والله يرى كل شيء والحواجز لا تمنعه من رؤية أي شيء حتى ما يكون في الظلام ويرى ما يحدث داخل الذرة ، وكذلك يسمع كل من يتكلم وكل ما يصدر عنه صوتا حتى ولو كان دبيب نملة على الأرض وكل ذلك في آن واحد ، والله هو القادر ولكن قدرته هائلة جدا فوق كل التصورات والله يستطيع أن يلغي الزمان والمكان ويلغي قوانين الأسباب ويفعل كل ما يريد في أقل من لحظة ، وهكذا .

ـ فالصفات لها درجات ، فالقوة لها درجات والعلم له درجات وهكذا ، وصفات الله تصل إلى درجة الكمال ، فقوة الله هائلة جدا لا توصف وكذلك علمه وكل صفاته ، فصفات الله سبحانه ليست مجرد صفات موجودة ولكنها تصل إلى حد الكمال من العظمة بحيث تجعلك تتحير وتندهش وتتعجب وتعجب وتنبهر وتذهل من مدى عظمة الخالق وقدرته سبحانه ، وهذا هو معنى كلمة ( إله ) في اللغة ، ففي تاج العروس : (( ألِهَ يَأْلَهُ إذا تَحَيَّرَ ، يُريدُ إذا وَقَعَ العَبْدُ في عَظَمَةِ اللَّهِ وجَلالِهِ وغيرِ ذلِكَ مِن صفَاتِ الرُّبُوبيَّةِ وصَرَفَ توهّمُه إليها ، أَبْغَضَ الناسَ حتى ما يميلَ قلْبُه إلى أَحَدٍ ))([[911]](#footnote-911)) .

ـ وهذا يجعل مشاعرك تتعلق به حبا وخضوعا وخوفا ورجاءا لدرجة أنك لا تستطيع أن تقطع مشاعرك وهمومك وأهدافك عنه ، لأنك لو قطعت مشاعرك وهمومك وأهدافك عنه تهلك ، فهذا هو الوله ( مأخوذ من كلمة " إله " ) مثل قولك ( العاشق الولهان ) أي الذي لا يستطيع أن يقطع حبه ومشاعره وأهدافه عن محبوبه فلا يستطيع أن يعيش إذا ابتعد عن محبوبه ، " الوله " يدل على الحب والفرح بالمحبوب لدرجة أنه إذا ابتعد عنك تتحير ويذهب عقلك وتحزن حزنا شديدا ، وهذا التحير والحزن هو الوله : (( الوَلَهُ : ذهابُ العَقل والفُؤاد من فُقْدانِ حبيب ، يقال : وَلِهَت تَوْلَهُ وَتَلِهُ، وهي والهةٌ ووَالِه. وكل أنثى فارقت وَلَدَهَا فهي والِهٌ ))([[912]](#footnote-912)) ، (( ( وله ) الوَلَهُ الحزن وقيل هو ذهاب العقل والتحير من شدّة الوجد أو الحزن أو الخوف والوَلَهُ ذهاب العقل لفِقْدانِ الحبيب ))([[913]](#footnote-913)) .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

# الفصل الرابع عشر : تصور وجود الملائكة والجن حولنا

ـ الملائكة والجن كائنات هائلة مرعبة لو رآها الإنسان قد يموت من الرعب ، والأشد رعبا أنها موجودة حولنا وتسير معنا ولا نراها .

ـ الملائكة لها قدرات هائلة جدا وهي تستطيع أن تدمر البشرية جميعا في لحظة لكنها ممنوعة من القيام بأي شيء إلا بإذن الله ، فإذا لم يشعر الإنسان بقدرة الملائكة على الإنسان وضعف الإنسان أمامها لم يشعر بقدرة الله التي هي أعظم والتي تحيط به في كل مكان .

ـ قوة الملائكة مرعبة فما بالك بقوة الخالق :

ـ هناك عالم آخر هائل من الملائكة التي تعيش معنا على الأرض ، وهم يروننا ونحن لا نراهم ، والناس يعيشون هادئين تماما لأنهم معزولون عن رؤية الملائكة ، والملائكة ممنوعة من أن تتعرض للناس فتفتك بهم وتهلكهم إلا إذا أمر الله ، ولو رأى الناس الملائكة وهي حولهم وتعيش معهم لصعقوا جميعا من هول المنظر وضخامة أجسامهم وقوتهم الهائلة ، فالذي يعيش هادئا وحوله كل هذا الخطر هو لا يعقل ، أما العاقل فيشعر بخوف المهابة من عظمة الملائكة ، ويشعر بخوف أشد وأعظم من مهابة الذي له القدرة والقوة على إيجاد هذه المخلوقات الهائلة .

ـ ربما تسمع أساطير عن إنسان رأى عفاريت وأشباح أو أن مكانا معينا مسكونا بالعفاريت ، هذه أمور مرعبة ، فالملائكة من حولنا الآن أشد رعبا من هذه العفاريت فضلا عن أنها حقيقة ، فأي عاقل يوقن يقينا حقيقيا بأنه يعيش وحوله كائنات أكثر رعبا من العفاريت ثم لا يشعر بالقلق والخوف من مهابتها ، وأي عاقل يوقن يقينا حقيقيا بأنه سوف يرى هذه الملائكة ويرى الأهوال يوم القيامة ثم لا يشعر بالقلق والخوف من مهابة الأمر .

‌ـ قوة الملائكة هائلة جدا وأعظم من قوة البشر أجمعين ، وأعظم من قوة الجن بكثير ، ولهذا لما قال عفريت من الجن لسليمان : { أَنَا آتِيكَ بِهِ } [النمل:39] أي: بعرش بلقيس { قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (39) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ } ، بعد ذلك رآه مستقراً عنده، قال العلماء: لأن هذا الرجل دعا الله فحَمَلَتْه الملائكة، فجاءت به إلى سليمان في الشام من اليمن ، وهذا أمر لا يمكن أن يتصوره إنسان .

ـ وفي الحديث : (( إنما ذلك جبريل ما رأيته في الصورة التي خلق فيها غير هاتين المرتين رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء والأرض ))([[914]](#footnote-914)) .‌

ـ اليقين الحقيقي بالملائكة يعني الشعور بمدى قوتها وبالتالي الشعور بمدى قوة الخالق التي هي أعظم ، وبالتالي الخضوع للخالق ، والإنسان يتناسى حقيقة اليقين بالملائكة حتى يهرب من الخضوع .

### ـ الفرق بين اليقين الكاذب واليقين الحقيقي بوجود الملائكة والجن معنا :

ـ إذا نظر الإنسان حوله فإنه يتصور وجود ملكين ملازمان له في كل وقت ويتصور وجود الشياطين والملائكة من حوله ، وإذا نظر إلى أعلى أيضا يتصور وجود ملائكة تصعد وتهبط من السماء ووجود ملائكة تملأ السماء فما من موضع أربع أصابع إلا وعليه ملك ، فلو رأى الناس الملائكة عيانا لتكدرت حياتهم ولتركوا متع النساء ولخرجوا إلى الصعدات يجأرون إلى الله ففي الحديث : (( إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع قدم إلا ملك واضع جبهته ساجدا لله ، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله ، والله لوددت أني شجرة تعضد ))([[915]](#footnote-915)) وذلك لأنه منظر مخيف جدا ومرعب أن ترى ملائكة حولك وفوقك تملأ السماء ، فلابد أن تشعر بخوف المهابة من وجود الملائكة والجن حولك .

ـ فلابد أن يشعر الإنسان بأن وجود الجن والملائكة حقيقة واقعة حوله الآن في هذه اللحظة وفي كل وقت ، ولا يمكن لإنسان عاقل أن تغيب صورة هذه الملائكة والشياطين وهي تعيش معه وتلازمه عن ذهنه أبدا .

ـ إن كل إنسان على اقتناع نظري تام بأن هناك رقيب وعتيد يسيران معه في كل لحظة لا يفارقانه ، فهل عنده شعور بأنه مراقب وأن ما قاله وفعله منذ قليل تم تسجيله ، وهل يشعر بما سيكتبوه في صحيفته الآن وبعد قليل ، فإذا لم يشعر بشيء من ذلك في حياته فهذا يعني أن الرقيب والعتيد غير موجودان في مشاعره ، فالإنسان عندما يتصور أنه مراقب في كل لحظة وأن هناك من يعدون عليه كلماته وكل حركاته يأخذه خوف المهابة ، كما أنه عندما يتصور أن اثنين يسيران معه ليسوا من البشر بل أقوى بكثير وفوق ذلك أنهما لهما القدرة على إخفاء نفسهما بحيث لا يراهما أحد ، ولهما قدرة هائلة أعظم من كل قدرات البشر ، فهذا يؤدي إلى خوف المهابة من الملكين الرقيب والعتيد بسبب مدى قدرتهما وبسبب خطورة أمر تسجيلهما لكل شيء .

ـ تصور لو أن هناك كاميرات مراقبة موضوعة لك في كل مكان في بيتك وفي الشارع تسجل كل شيء عنك ، فهذا يؤدي إلى الخوف الشديد من مهابة الأمر وخطورته ، فوجود الملكين الرقيب والعتيد أخطر من ذلك .

ـ وكيف تكون حياة الناس لو أن الله جعل الناس يرون الرقيب والعتيد وهما يسيران مع كل واحد في كل لحظة ؟! ، وهل رؤية الناس لهم تغير من حقيقة وجودهم معنا شيء ؟ ، ولكن المشاعر تكذب بوجود شيء اسمه الملائكة رغم وجود الاقتناع النظري التام بوجودها ، وماذا أيضا لو أن الله كشف الحجب فرأي الناس الله وهم في الدنيا ، وهل هذا يغير من حقيقة وجود الله معنا بقدرته وعلمه في كل لحظة ويري ما يخطر في بالنا شيء ؟ ولكن المشاعر تكذب بوجود الله رغم وجود الاقتناع النظري التام بوجوده .

ـ تصور لو أن الناس ترى الملائكة حولها وفي الطرقات لصعق الناس جميعا وماتوا من هول ما يشاهدونه ، ففي تفسير الخازن : (( { ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً } يعني ولو أرسلنا إليهم ملكاً لجعلناه في صورة رجل وذلك أن البشر لا يستطيعون أن ينظروا إلى الملائكة في صورهم التي خلقوا عليها ، ولو نظر إلى الملك ناظر لصعق عند رؤيته ، ولذلك كانت الملائكة تأتي الأنبياء في صورة الأنس كما جاء جبريل إلى النبي ( صلى الله عليه وسلم ) في صورة دحية الكلبي وكما جاء الملكان إلى داود عليه السلام في صورة رجلين ، وكذلك أتى الملائكة إلى إبراهيم ولوط عليهما السلام ، ولما رأى النبي ( صلى الله عليه وسلم ) جبريل في صورته التي خلق عليها صعق لذلك وغشي عليه ))([[916]](#footnote-916)) ، وفي تفسير القرطبي : (( { ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر } قال ابن عباس : لو رأوا الملك على صورته لماتوا إذ لا يطيقون رؤيته ))([[917]](#footnote-917)) ، وفي تفسير الثعالبي : (( لماتوا من هول رؤية الملك في صورته ))([[918]](#footnote-918)) ، وفي تفسير روح المعاني : (( { ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر } أي أمر هلاكهم لعدم قدرتهم على تحمل مشاهدته ))([[919]](#footnote-919)) ، أي يموت الإنسان من شدة الرعب والفزع من رؤية هذه المخلوقات المرعبة جدا الهائلة في ضخامة خلقتها .

ـ لو قيل لرجل إن الشقة التي يسكنها هي شقة مسكونة ، تسكنها الأشباح والأرواح ، بماذا يشعر ؟ ، إنه يشعر بالخوف والرعب ، وإذا كان مضطرا للبقاء في هذه الشقة فكيف يعيش حياته وهو مقتنع ومصدق بأن هذه الأشباح والأرواح تعيش معه في شقته ؟ ، إن وجود الملائكة أعظم وأعجب وأغرب من ذلك وهي تعيش معك الآن ، فإذا كنت تدعي أنك تشعر بوجود الملائكة فلماذا لا تشعر بنفس هذا الشعور لهذا الرجل ؟ ، إن البشر ليسوا هم فقط سكان هذه الأرض ، ولكن تعيش معهم كائنات هائلة لا نراها هي الملائكة .

ـ يدور في خيال بعض الناس أن هناك كائنات فضائية علي كوكب آخر وصلت لتكنولوجيا هائلة وتأتينا إلى الأرض ، ماذا لو كان هذا حقيقة ؟ ، وماذا لو تصورنا أن هناك كائنات فضائية غير مرئية نزلت على الأرض وهي تسير بيننا ومعنا ونحن لا نراها ؟ ، ألا نشعر أن هناك كائنات حقيقية أعظم وأعجب من هذا وهي حولك الآن من الملائكة والجن فلماذا لا تشعر بالخوف من مهابتها ؟ ، إنك أنت الآن يتم تسجيل ما تقرأه في هذا الكتاب ، ألا يدعو ذلك لحدوث مشاعر ، لو أن إنسان يسير ومعه اثنان ملازمان له في كل لحظة من حياته مهمتهما مراقبته وتسجيل كل شيء عنه وهما في حالة اختفاء فلا تراهما ، فهل يمكن أن ينساهما أو لا يؤثر ذلك في مشاعره شيئا ؟ ، إن معك رقيب وعتيد ليسوا من البشر ولكن من خلق آخر هائل الخلقة لا تراهما ، ألا يدعوا ذلك إلى أي شيء من الإحساس أو الشعور بالقلق ، ولو أراد الله أن تزول الموانع من رؤية الملائكة لرأي الناس كلهم الملائكة وهي تسير حولنا ومعنا في الطرقات الآن ، وعلي المرء أن يتصور ويشعر بأن هذه الموانع غير موجودة فيشعر كأنه يري الملائكة .

ـ أيهما أصعب الشعور بوجود الملائكة وهي حولك ، أم الشعور بوجود الله ؟ ، طبعا الشعور بوجود الله أصعب ، فإننا لو رأينا الملائكة لصعقنا من خوف المهابة ، ولو رأينا الله لصعقنا من خوف المهابة ، ولكن خوف المهابة من الله أعظم بكثير لأنه هو الذي خلق الملائكة ، فإذا لم تكن تشعر بوجود الملائكة وهي حولك ، فهذا يعني أنك لا تشعر بوجود الله ، كما أن الشعور بمراقبة الملكين لك أسهل من الشعور بمراقبة الله لك ، فإذا لم تكن تشعر بمراقبة الملكين لك ، فهذا يعني أنك لا تشعر بمراقبة الله لك .

ـ إنك مهما حاولت التغافل والهروب عن هذه الحقيقة فأنت مراقب شعرت بذلك أم لم تشعر ، فيجب عليك أن توقن بذلك يقينا حقيقيا ، فالقضية خطيرة ولكننا في غفلة .

ـلماذا تخاف الملائكة من الله ؟ ، إنها تخاف من هيبة الله تعالى : (( وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ))([[920]](#footnote-920)) ، وهذا الخوف يؤدي بهم إلى عمل دائم هو أنهم يسبحون الله تعالي ، وفي الحديث : ((مررت ليلة أسري بي بالملأ الأعلى وجبريل كالحلس([[921]](#footnote-921)) البالي من خشية الله ))([[922]](#footnote-922)) ، إن الملائكة عرفت عظمة الله وعظمة قدره وعظمة قدرته معرفة حقيقية أدت إلى خوف المهابة والحب لله ، وأنت أيضا إذا كنت تعرف قدرة الله معرفة حقيقية فلابد أن ينشأ عن ذلك خوف المهابة والحب لله تعالى .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

# الفصل الـخامس عشر : تصور خطورة الاختبار

### ـ أولا : تصور صعوبة الاختبار :

ـ من دواعي الاختبار أن يكون صعبا جدا ، لأنه لو كان سهلا لكان الفارق بين أهل الجنة وأهل النار بسيطا وهذا ظلم ، وفي الحديث : (( حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ))([[923]](#footnote-923)) .

ـ وصعوبة الاختبار تتضح كالتالي :

1 ـ الله جعل في النفس ميل كبير للشهوات وفي نفس الوقت طلب منك الابتعاد عنها وذلك للاختبار ، فمن نجح في الاختبار فأثبت خضوعه لله فله الجنة ومن رسب في الاختبار فله النار :

ـ وليست القضية في ذات الشهوات ولا في مشاغل الدنيا وهمومها ، ولكن القضية في الخضوع لمرادات النفس ، ومرادات النفس الشهوات وتجنب آلام الدنيا .

ـ فالله يريد من الإنسان أن يأكل ليس لأن نفسه تشتهي الطعام ولكن لأن الله يريد منه ذلك ، ويأكل في إطار ما يسمح له أن يأكل ، فهو تمتع الذليل عندما يعطي له سيده لقمة ليأكلها ، فالنفس تشتهي كل المتع والملذات ، والله يأذن له بمتع معينة وبمقدار معين وينهاه عن متع أخرى ، فلا يعيش وفقا لمرادات نفسه وإنما وفقا لمرادات الله .

ـ الخضوع لشهوات الدنيا معناه خضوع الإنسان لنفسه وما يهواه وما يريده لنفسه وعدم خضوعه لمراد الله ، وبالتالي فالخضوع لشهوات الدنيا يؤدي إلى الحرمان من شهوات الجنة ويؤدي إلى الخلود في النار ، وبالتالي فالعاقل هو الذي ينجح في هذا الاختبار فيستطيع أن يمنع نفسه من شهوات ضئيلة رغم أنها واقعة الآن لينال شهوات الجنة والخلود فيها والنجاة من النار .

ـ جعل الله الشهوات ذات متعة كبيرة في حد ذاتها ، وذلك لاختبار الإنسان هل أمر الله أعظم عنده أم أمر الشهوات ، فلا ينجو في هذا الاختبار إلا من تصور الفارق بين متعة الشهوات أمام خطورة مراقبة الله وخطورة العقاب على الشهوات في الآخرة وقيمة شهوات الجنة ، فوضع هذه الصور الأربعة أمام عينه معا ، والذي يرسب في الاختبار هو الذي يتصور فقط قيمة متعة الشهوات العاجلة ويتناسى الله والآخرة .

ـ هذه الشهوات يراها الإنسان كبيرة فيغتر بها ويتصور أنه قوي بها فتجعله يتغافل عن الله والآخرة ودعوة الرسل .

ـ حقيقة هذه الشهوات أنها ضئيلة جدا بالمقارنة بعظمة أمر الله وبالمقارنة بشهوات الجنة وبالمقارنة بالعقاب الهائل عليها .

ـ هم الإنسان ومشاعره وعمله كلما ارتبط بالشهوات كلما ابتعد عن الله والآخرة ، والعكس صحيح ، فإذا كان كل همه ومشاعره وعمله للشهوات فلا وجود لله والآخرة في يقينه الحقيقي ، والإنسان عليه الاختيار إما أن يختار الشهوات وإما أن يختار الله والآخرة وإما أن يخلط بينهما وعندئذ تكون حقيقة الإنسان مع أيهما أعلى في همه ومشاعره وعمله .

ـ اليقين بعظمة الله وخطورة الآخرة يقابله اليقين بضعف الإنسان وضآلة الدنيا ، فاذا كان الإنسان يرى نفسه ويرى الدنيا والاموال والشهوات ذات قيمة عظيمة في عينيه فهو لا يرى لله والآخرة قدر ولا قيمة في عينيه ، واذا كان الإنسان يرى مشاكل الدنيا ذات قيمة خطيرة في عينيه فهو لا يرى أن في الآخرة والحساب مشكلة .

ـ ومن دواعي الاختبار أن الله قد يجعل الشهوات والمعاصي ميسرة ومتاحة وبلا عقاب من أحد .

ـ ومن دواعي الاختبار تزيين الشهوات وحب النفس لها ووسوسة الشيطان ليقبل الإنسان على الفواحش ، كل هذا موضوع ليكون اختبارا للإنسان ليميز الله الخبيث من الطيب ، فالله جعل النفس تحب الشهوات وطلب من الإنسان أن ينهى نفسه عن الهوى ليختبره : (( فَأَمَّا مَنْ طَغَى ، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، فإن الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ، وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ، فإن الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ))([[924]](#footnote-924)) ، والله جعل الدنيا حلوة خضرة وجعل ما عليها زينة ليختبر الإنسان هل يغتر بهذه الزينة فتلهيه عن ذكر الله أم لا ؟ : (( إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ))([[925]](#footnote-925)) ، وفي الحديث : (( إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِى إِسْرَائِيلَ كَانَتْ في النِّسَاءِ ))([[926]](#footnote-926)) ، وفي تفسير السراج المنير : (( { وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ } { لنفتنهم فيه } أي : لنفعل بهم فعل المختبر ، ... وقال أبو الدرداء : الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له ، وعن الحسن : لولا حمق الناس لخربت الدنيا ، وعن عيسى ابن مريم عليه السلام : لا تتخذوا الدنيا داراً ، فتتخذكم لها عبيداً ))([[927]](#footnote-927)) .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

2 ـ وجود النعم عند الإنسان والتعود على التمتع بهذه النعم كأنها ملكه يغريه ويجعله يدعى امتلاكها لأن الإنسان يحب امتلاك صفات القوة مع حب النفس لها ومع وساوس الشيطان فيحسب الإنسان أنه ليس بضعيف ، والخروج من هذا المأزق صعب جدا ، ولذلك يحدث سلب النعم ليفيق الإنسان .

ـ فبدلا من أن تكون النعم سببا لمعرفة الله يجعلها الإنسان سببا للغرور بنفسه كما ينشغل بالنعمة عن المنعم .

ـ حقيقة الإنسان أنه مخلوق ضعيف من الطين لا حول له ولا قوة ، ولكن ما يبدو من الإنسان عكس ذلك تماما فله قوة تتمثل في أن له إرادة وعقل ويمتلك مالا وجاها وشهوات وكل شيء في الأرض مسخر له يسير طوع أمره ، فينخدع الإنسان ويظن أن هذه المظاهر من القوة تنبع من ذاته فيغتر بنفسه ويستكبر ويقول : " أنا " ولكنها مجرد عطاء من الخالق وأمانة يستردها صاحبها ـ وهو الخالق سبحانه ـ وقتما شاء .

ـ وأصعب شيء على النفس هو التنازل عن كل الممتلكات والأهل والمال والشهوات وعن النفس والاعتراف بملكية هذه الأمور لصاحبها وهو الله فتصبح هذه الأمور بلا قيمة لأنها ليست ملكا للإنسان ، فلا يتحقق الإيمان حتى يزول تعظيم قيمة النفس والمال والممتلكات من عقل وقلب الإنسان .

ـ الشيطان يزين للإنسان أن له إمكانيات وقدرات وسيطرة وعلم كبير ، فيغتر بما عنده من عقل ذو قدرات هائلة ، وأنه هو الذي صنع التقدم العلمي الهائل والتكنولوجيا المبهرة ، وأنه يستطيع أن يصنع الأعاجيب ، وأن ما عنده من مال أو صحة أو ممتلكات أو جمال أو نعم فهي من صنع يده ونتيجة لكده وعلمه وخبرته ، وأنه حر وله الحقوق والسيطرة وقدرات كبيرة ، وأنه ليس بضعيف أو ناقص أو يحتاج لغيره فهو يعتمد على نفسه ولا يذل لأحد وليس لأحد عليه سلطان أو حق ، ولا يدري أنه بذلك يتعالى على الله ويستكبر أن يخضع له : (( إنهم كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ))([[928]](#footnote-928)) ، فإنه ينسي أو يتغافل عن قدر عظمة الله ، وينسي أو يتغافل عن قدر ضآلة نفسه ومدى ضعفه : (( أَوَلَمْ يَرَ الإنسان أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ))([[929]](#footnote-929)) ، فيشعر الإنسان بأنه ذو قدر عظيم ، وتتوجه مشاعره تجاه نفسه فيعبد ذاته .

ـ وكذلك فالنفس فيها الكبر عن أن أحدا غيرها هو الذي يقوم علي أمرها ورعايتها كأنها قاصرة أو عاجزة ، فالنفس تريد أن يكون لها سلطة وزعامة وأن تكون هي التي تدير نفسها .

ـ فالإنسان له إرادة تجعله يفعل ما يشاء ، فهو يختار لنفسه أن يسير كيفما يشاء ويعمل ما يشاء ، فهو سيدا لنفسه لأنه يتحكم في نفسه كيفما يشاء كلما أحب شيئا قام به ، وهو لا يقبل أن يكون عبدا وتسلب منه حريته ، والعبد ليس له هدف غير إرضاء سيده وقبول كل ما يفعل به سيده ، لذلك فهو يرفض أن يكون عبدا .

ـ فأصعب شيء على النفس هو التنازل عن كل الممتلكات والأهل والمال والشهوات وعن النفس والاعتراف بملكية هذه الأمور لصاحبها وهو الله فتصبح هذه الأمور بلا قيمة لأنها ليست ملكا للإنسان ، فلا يتحقق الإيمان حتى يزول تعظيم قيمة النفس والمال والممتلكات من عقل وقلب الإنسان .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

3 ـ الأدلة على وجود الله وعلى قدرته وعلى وجود الملائكة وعلى وجود الآخرة التي من شأنها أن تجعل الناس جميعا يؤمنوا ( مثل رؤية الله تعالى ) منعها الله عنا ، وطلب منا أن نؤمن به وبقدرته وبالملائكة والآخرة بغير هذه الأدلة وأرسل الرسل بأدلة أخرى على صدق ما يقولونه ، ونوضح ذلك كالتالي :

ـ لو رأى الناس الخالق لماتوا من خوف المهابة ، ولو مكن الله الناس من رؤية الخالق لآمن الناس جميعا وأصبح لا معنى للاختبار الذي خلقوا من أجله ، لذلك أراد الله أن لا نراه أو نرى آية بحيث تجعل الناس يؤمنوا جميعا مثل رؤية الملائكة أو غير ذلك ، ففي تفسير الخازن : (( { إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَها خاضِعِينَ } أي لو شاء الله لأنزل عليهم آية يذلون منها فلا يلوي أحد منهم عنقه إلى معصية الله سبحانه وتعالى ، وقيل : معناه لو شاء الله لأراهم أمرا من أمره لا يعمل أحد منهم بعده معصية ))([[930]](#footnote-930))  .

ـ ومن دواعي الاختبار أيضا تأجيل الثواب والعقاب لأنه لو نزل العقاب فور كل معصية يعصيها الإنسان لما عصى الناس أبدا ، ومن دواعي الاختبار أن يكون الإنسان حرا في فترة الاختبار يفعل ما يشاء دون أن يمنعه أحد ، ومن دواعي الاختبار أن تكون مراقبته في خفاء حتى لا تخيفه لأنه لو رأى مراقبة له في كل عمله لخاف وما عصى وأصبح لا معنى للاختبار .

ـ ومن دواعي الاختبار عدم رؤية الجنة والنار رغم أنهما موجودتان الآن ولكننا لا نراهما لأننا لو رأيناهما لآمن الناس جميعا وأصبح لا معنى للاختبار .

ـ والله ترك للإنسان الحرية في أن يفعل ما يشاء من معصية أو طاعة أو أي شيء ، وجعل الأمور تسير بقانون الأسباب ( إلا إذا أراد غير ذلك في أي موضع يشاءه سبحانه ) ، لأنه لو منعه من المعصية ومن فعل ما يريده الإنسان فلا معنى للاختبار ، فرغم قدرة الله عليك فإنه يتركك تفعل ما تشاء من معاصي أو طاعات لأن الحساب مؤجل ليوم القيامة ، ولأن الله لو أظهر قدرته القاهرة للناس لآمن الناس جميعا وأصبح لا معنى لاختبارهم ، ولكن ذلك جعل الجاهل يعيش كأن الخالق غير موجود أو كأن الله خلقه ثم تركه يفعل ما يشاء ، فيحسب الجاهل أن لا أحد يقدر عليه أو يراه : (( أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ))([[931]](#footnote-931)) .

ـ فنحن نعيش في عزلة تامة في حياة هادئة تماما مناقضة تماما للحياة الحقيقية ، ونحن معزولون تماما عن رؤية الخالق ورؤية الملائكة والجن ورؤية الآيات التي تجعل الناس يؤمنوا جميعا ، ومعزولون تماما عن رؤية ما يحدث في القبر ورؤية أهوال الحساب ورؤية الجنة والنار ، وعلى العكس تماما نعيش في حياة خادعة تماما في ظاهرها ، فتبدو كأنها حياة الإقامة والخلود وكأنه لا حياة بعدها ، وهي حياة هادئة تماما ليس فيها أي شيء من أثر الموت وما في القبر وما في الآخرة ، وهي حياة تفعل فيها ما تشاء دون أن يحاسبك أحد لأن الله أراد أن يحاسبك في الآخرة ، وهذه الحياة كاذبة يحسب الإنسان أن فيها معيشته وليست بحياة إنما هي خدعة كبرى ، والعاقل يعلم أن رؤية الله أو عدم رؤيته لن تغير من حقيقة الأمر شيء فهو يعيش وحوله قدرة الله ومراقبته فيعيش في رعب وقلق من قدرة الله التي تحيط به .

ـ الأدلة الكبرى على الخالق والدين التي تجعل الناس جميعا يؤمنوا منعها الله عنا ما عدا علامات الساعة مثل طلوع الشمس من المغرب ، فعندما يحدث ذلك يؤمن الناس جميعا ولكن لا يقبل منهم الإيمان عندئذ .

ـ ومن دواعي الاختبار الأمر بالأخذ بالأسباب وتزيين الأسباب فتبدو كأنها تجلب الرزق أو النفع رغم أنها لا تنفع ولا تضر ، فظاهر الأمر أن الأسباب تنفع أو تضر ، وذلك خدعة كبيرة لمن لا يعقل ، فعمل الإنسان لا يجلب له رزقا ولا نفعا ولا ضرا ، كما أن الله غني عن عمله ، ولكن الله أمره بالعمل ليختبره ، فالعمل دليل على الخضوع لأمر الله ، وهو دليل على شعوره بالخضوع لله .

ـ فالمتغافل عن هذه الحقائق عندما يجد نفسه يفعل ما يشاء دون أن يدرك مراقبة له يراها من أحد ودون أن يرى عقابا أو ثوابا عاجلا ودون أن يرى الخالق والملائكة ودون أن يتصور ما يحدث له من خير أو شر على أنه اختبار يجد في ذلك مبررا لتغافله عن الخالق والآخرة فتزداد غفلته .

ـ فظاهر الأمور في الدنيا على عكس حقيقتها ، وهذه خدعة كبيرة جدا لا يفطن إليها إلا الذي يتأمل ويتدبر الحقيقة دون أن ينخدع بالظاهر ، ولقد بين الله للإنسان أن الدنيا خدعة كبيرة وأن هذا الأمر مقصود للاختبار ، وحذره من الوقوع في هذه الخدعة الكبرى :

ـ (( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ))([[932]](#footnote-932)) ، (( وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ))([[933]](#footnote-933)) ، (( يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ))([[934]](#footnote-934)) ، (( وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (50) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ))([[935]](#footnote-935)) ، (( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ))([[936]](#footnote-936)) ، (( وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (34) ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ))([[937]](#footnote-937)) .

ـ وفي تفسير القرطبي : (( { وَمَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلَّا مَتاعُ الْغُرُورِ } أَيْ تَغُرُّ الْمُؤْمِنَ وَتَخْدَعُهُ فَيَظُنُّ طُولَ الْبَقَاءِ وَهِيَ فَانِيَةٌ. وَالْمَتَاعُ مَا يُتَمَتَّعُ بِهِ وَيُنْتَفَعُ، كَالْفَأْسِ وَالْقِدْرِ وَالْقَصْعَةِ ثُمَّ يَزُولُ وَلَا يَبْقَى مِلْكُهُ، قَالَهُ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ. قَالَ الْحَسَنُ: كَخَضُرَةِ النَّبَاتِ، وَلَعِبِ الْبَنَاتِ لَا حَاصِلَ لَهُ ))([[938]](#footnote-938)) ، وفي تفسير ابن كثير : (( { وَمَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلَّا مَتاعُ الْغُرُورِ } أَيْ هِيَ مَتَاعٌ فَانٍ غَارٌّ لِمَنْ رَكَنَ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ يَغْتَرُّ بِهَا وَتُعْجِبُهُ حَتَّى يَعْتَقِدَ أَنَّهُ لَا دَارَ سِوَاهَا وَلَا مَعَادَ وَرَاءَهَا، وَهِيَ حقيرة قليلة بالنسبة إلى دار الآخرة. ...قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن موضع سوط في الجنة لخير من الدنيا وما فيها اقرؤوا إن شئتم { فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور }([[939]](#footnote-939)) ))([[940]](#footnote-940)) .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

4 ـ جعل الله لشهوتي الطعام والشراب طرق كثيرة وحرم جميع الطرق إلا طريقا واحدا ، وجعل ظاهر الأمر أن جميع الطرق الأخرة أكثر متعة ، ونوضح ذلك كالتالي :

ـ تنقسم الشهوات إلى :

ـ أولا : شهوة المال : وهي أعظم الشهوات التي وقع فيها الكثير من الناس لأنها تستغرق كل أوقاتهم وأعمارهم ومشاعرهم وأهدافهم فأهلكتهم ، لذلك ففي الحديث : (( إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أمتي الْمَالُ ))([[941]](#footnote-941)) ، وفي حديث آخر : (( نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد ويهلك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل ))([[942]](#footnote-942)) ، ومعنى الحديث السابق : (( وقال الطيبي : أراد باليقين تيقن أن الله هو الرزاق المتكفل للأرزاق { وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها } فمن تيقن هذه في الدنيا لم يبخل لأن البخيل إنما يمسك المال لطول الأمل وعدم التيقن ))([[943]](#footnote-943)) .

ـ ثانيا : شهوة النساء : وتشمل :

1ـ شهوة مقدمات الجماع : وتشمل :

أ ـ النظر إلى العورات وتصور الجماع والكلام حول الجماع والكلام مع النساء ... الخ .

ب ـ حاجة الإنسان للجماع : وهي رغبة وقتية ، مثل حاجة الإنسان للطعام ، فلكما جاع أكل فشبع ثم بعد فترة يجوع مرة أخرى ثم يأكل وهكذا .

ـ فالإنسان لا يستطيع الاستغناء عن الطعام والشراب وشهوة النساء ، فهي أمور يحتاجها الإنسان لتقوم بها حياته ، وهي أمور يحتاجها الإنسان على فترات متكررة فكلما جاع أكل فشبع ثم بعد فترة يجوع ثم يأكل وهكذا ، ففي الوقت الذي يكون فيه الإنسان في حاجة إلى الطعام أو الشراب أو شهوة النساء تبدو هذه الشهوات في عينه كبيرة جدا وبعد الحصول على هذه الشهوات يكتشف حقيقة ضآلتها ، وكما يقولون : تمخض الجبل فولد فأرا ! ، والعجيب أنه بعد فترة يعود فيجوع فيشعر بالحاجة إلى الطعام ويعود فيشعر بالحاجة إلى الجماع ويعود فينخدع بصور الطعام والشراب والجماع حتى إذا قضى شهوته اكتشف ضآلة هذه المتع ، وبعد الحصول على الشهوات يكتشف حقيقة ضآلتها ، وهكذا .

ـ العاقل هو الذي يتذكر ضآلة هذه الشهوات في الوقت الذي يكون في حاجة إليها فلا ينخدع بظاهرها ، والجاهل يراها عظيمة في وقت حاجته ويتوهم أنه في حاجة دائما إليها فيعيش طوال حياته في وهم ثم يفيق يوم موته ! .

2ـ شهوة الجماع : وهي شهوة كبيرة لكنها محدودة في ثلاثة نواحي :

أ ـ المتعة لها مقدار محدود فلا يستطيع الإنسان الاستزادة ، فلا يستطيع الإنسان أن يأكل فوق الطاقة ، ولا يستطيع إطالة الجماع فوق الطاقة .

ب ـ المتعة لها وقت محدود فلا يستطيع الإنسان تكرار الطعام أو الجماع إلا بعد مرور وقت معين .

ج ـ المتعة واحدة رغم اختلاف الكيفية ، فلو أكل الجائع ألوان الطعام مثلما يأكل قطعة خبز هي النهاية تسد جوعته ، وكذلك كل طرق إخراج المني واحدة في مقدار المتعة .

ـ ثالثا : شهوة الطعام والشراب : وتشمل :

أ ـ شهوة مقدمات الطعام والشراب : مثل رؤية ألوان الطعام الشهية وإعدادها والحديث عنها .

ب ـ شهوة ملئ المعدة .

ـ رابعا : شهوة المظاهر والمناصب والألقاب .

ـ خامسا : شهوة التمتع بصفات الحياة : كالقوة الجسدية والعقل والإرادة والمشيئة والقدرة على الكلام والسمع والبصر والحركة ... الخ .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

ـ طرق شهوة الجماع واحدة :

ـ شهوة الجماع هي في حقيقتها شهوة إخراج المني ، فجميع الطرق التي تؤدي إلى إخراج المني واحدة ، وإخراج المني يتم عن طريق الاحتكاك ، فكل الطرق التي تؤدي إلى الاحتكاك واحدة ، ولكن هناك طرق بالحلال وأخرى حرام .

ـ وحيلة الشيطان أنه يزين للإنسان أن طرق الشهوة ليست واحدة ، وهي خدعة يقع فيها الكثير : (( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ))([[944]](#footnote-944))

ـ فالنساء كلهن سواء في شهوة الجماع وكذلك الرجال مع تفاوت ضئيل جدا ، رغم أن الظاهر يوحي بعكس ذلك تماما ، والإنسان البصير هو الذي يعلم ذلك ، ومدخل الشيطان أنه يبين للإنسان أن غير زوجته أفضل منها وأن الشيء الحرام أفضل في المتعة والشيطان لا دليل له على ذلك ، وليس الأمر إلا أنه ظل يوسوس للإنسان حتى صدقه وأطاعه : (( وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأمر إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إلا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ))([[945]](#footnote-945)) ، كما أن الإنسان يتوهم في ذلك لذة الخروج عن الخضوع لله بتعمد الحرام .

ـ شهوة النساء متاع قليل وقبل الجماع غرور بمتاع كبير وأثناءه متعة محدودة بوقت قليل وبعده كأن لم يكن شيء ، فشهوات الدنيا ضئيلة ، فالإنسان له قدرة محدودة علي الطعام والشراب والجماع ، بل إنه كلما زاد كلما قلت متعته وربما تعب ، لكن يزين له الشيطان أنها متعة هائلة وأنه يمكن أن يستزيد منها إلى حجم هائل ويزين له أن هذه المتعة تتفاوت بصورة هائلة بين النساء حتى يظل يعيش في مرحلة الغرور بمتاع كبير ، في حين أن هذه المتعة شبه متقاربة بين النساء ، ويقول تعالى : (( وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ))([[946]](#footnote-946)) فالشيطان زين له أن هذه الشجرة فيها السعادة والخلود : (( فَوَسْوَسَ إليه الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى ))([[947]](#footnote-947)) رغم أن أشجار التفاح كلها واحدة متشابهة في طعمها ولكن الشيطان زين لآدم أن هذه الشجرة أفضل ، وكذلك فإن متعة النساء كلها متشابهة ولكن الشيطان يظهر عورات النساء لكي يظن الإنسان أن غير زوجته أكثر متاعا ، فيقول له أن هذه المرأة هي شجرة الخلد وملك لا يبلى !! ، فإن أي امرأة إذا أظهرت مفاتنها وعوراتها فيبدو كأن فيها متعة أكثر ، فالمظهر خادع سواء بإظهار العورات أو بجمال الخلقة لأن حقيقة المتعة واحدة بين النساء لذلك يقولون : ( إذا انطفأ النور تساوت كل النساء ) ، فحتى لو كانت المرأة قبيحة لكنها كلما تظهر عوراتها وترتدي ألوان الزينة فتبدوا أنها ذات جمال كبير على عكس حقيقة ما فيها ، فالمرأة القبيحة إذا ارتدت ثيابا تكشف العورات وتضع ما يثير الشهوات فإنها تبدو جميلة وأن فيها متعة كبيرة ، وكما يقولون في المثل الشعبي : ( لَبِّس البوصة تبقى عروسة ) ، فمن ينتبه إلى حقيقة الجماع يكتشف أنها قضية ضئيلة تافهة ولذة مؤقتة تزول سريعا ونصيب الإنسان من هذه اللذة طوال عمره شبه ثابت بين الناس لا يزيد ، فلا تستحق أن تشغل الناس كل هذا الانشغال ، ولكن المظهر ووسائل الإغراء توحي بمتعة كبيرة وفي الحقيقة هي متعة ضئيلة وقتية ، وهذه حيلة الشيطان : (( يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ))([[948]](#footnote-948)) ، فحجم الإغراء كبير لكن حقيقة المتع ضئيلة ، ولذلك يسمى متاع الدنيا بمتاع الغرور لأنه متاع إغراء وليس بمتاع حقيقي : (( وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إلا مَتَاعُ الْغُرُورِ ))([[949]](#footnote-949)) ، (( فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ))([[950]](#footnote-950)) ، ومن أثر ذلك أن الإنسان رغم اقتناعه بعدم النظر إلى عورات النساء قد ينظر وذلك لأن حقيقة ما عنده في الاقتناع الكاذب يختلف عن حقيقة ما عنده في المشاعر .

ـ والأدلة على أن المتعة بين النساء متشابهة ما جاء في الحديث : (( عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال إن المرأة إذا أقبلت أقبلت في صورة شيطان فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن معها مثل الذي معها ))([[951]](#footnote-951)) ، وفي حديث آخر : (( إذا رأى أحدكم المرأة التي تعجبه فليرجع إلى أهله حتى يقع بهم فإن ذلك معهم ))([[952]](#footnote-952)) ، وفي حديث آخر : (( إن المرأة إذا أقبلت أقبلت في صورة شيطان فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن الذي معها مثل الذي معها ))([[953]](#footnote-953)) ، إذن فمحل الوطء والإصابة متساوي بين النساء كلِّهن لذلك فالعاقل لا ينخدع بظاهر المرأة .

ـ إن حجم التزيين يكبر في الإنسان حتى إذا أتى شهوته انطفأ ذلك التزيين واكتشف ضآلة المتعة وأنها متشابهة بين النساء ، ولذلك في الحديث : (( إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان فإذا رأى أحدكم امرأة أعجبته فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه ))([[954]](#footnote-954)) .

ـ فإذا لم يأتي أهله و إذا لم يوقن أن الذي معها من المتعة مثل الذي عند زوجته من المتعة زين له الشيطان الشهوات ووقع في شهوات النساء ثم يشغل ذلك مشاعره حتى يصير عبدا للشهوات ، ولأن المشاعر هي التي تحرك الإنسان للعمل ، فقد يكون عمل الإنسان ومعاصيه تحت تأثير الشهوة أو متأثرا بشهواته ، وذلك إلى أن يقضي شهوته ، فإذا قضي شهوته أفاق واستحقر تصرفاته وعمله ، ولذلك يحث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزوجة والزوج على سرعة قضاء الشهوة ، ففي الحديث : (( إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور ))([[955]](#footnote-955)) ، والتنور أي " البوتاجاز " ، وفي حديث آخر : (( والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها ))([[956]](#footnote-956)) ، وفي حديث آخر : (( لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ولا تجد امرأة حلاوة الإيمان حتى تؤدي حق زوجها ولو سألها نفسها وهي على ظهر قتب ))([[957]](#footnote-957)) ، أي " وهي تسير على ظهر بعير" أو " ولو حال ولادتها " ، كما يحث الإسلام على الزواج وتيسيره .

ـ فالعاقل لا تغره أشكال النساء ومظاهرهن الخارجية لأن كلهن متشابهات في شهوة الجماع والحديث يوضح ذلك جليا : (( ... فإن الذي معها مثل الذي معها ))([[958]](#footnote-958)) ، والجماع ما هو إلا لذة خروج المني ، والإنسان له قدرة محدودة على مسألة خروج المني ، فعدد مرات خروج المني متشابهة بين الأشخاص من نفس الأعمار ، وإذا حاول الإنسان الاستزادة من عدد مرات الجماع قلت متعته ، فهذه حقائق يعلمها الناس ولكن بطريق المعرفة النظرية ولكن الشيطان يسول لكل إنسان أنه يمكن أن يستزيد من هذه المتعة إلى مالا نهاية ، كما أن المرأة القبيحة إذا تزينت وأظهرت مفاتنها فإنها تبدو كأجمل النساء فينخدع بها الجاهلين ، بل إن جمال المرأة لا يزيد عن كونه تهيئة أو تقدمة لشهوة الجماع في حين أن شهوة الجماع شبه واحدة كما ذكرنا .

ـ فلابد من العلم بطبيعة تركيب الشهوة في الإنسان حيث أنها مثل البالون تظل تكبر وتنتفخ ثم تنفجر وتنطفئ وتنتهي في لحظة كأن لم تكن ، فيتعامل معها الإنسان مثل الكلب الذي يظل يجري وراءه فيشغله ويضايقه من كثرة النباح ، فيلقي له بلقمة حتى يسد فمه ويبعد عنه .

ـ كما أن اللذة التي تنشأ من شهوة النساء تنشأ من أمرين هما الجماع نفسه ـ وهذا هو الأساس في حصول اللذة ـ مع وجود قدر ضئيل من العاطفة كتهيئة لهذا الجماع ، ولكن الناس يضخمون هذا القدر الضئيل من العاطفة ، ويعيشون حياتهم في تضخيم هذه العاطفة تحت إسم ( الحب ) يقصدون به تضخيم شهوة النساء ، فالله جعل هذه العاطفة من الحب تجاه المرأة مطلوبة ولكننا نضخم من قدر هذه العاطفة ، وهذا كنوع من الاختبار ليرى الله هل يضخم الناس أهمية هذا القدر من العاطفة حتى يكون أكبر مشاعرهم وهمومهم وأهدافهم ـ رغم أن اللذة محدودة وتنشأ أساسا من الجماع نفسه وبقدر ضئيل من هذه العاطفة ـ أم لا ؟ ، ومن تضخيم هذه العاطفة النظر إلى العورات والحديث حول الجماع ومقدماته وسماع الأغاني التي تضخم محبة المرأة حتى يجعلها المحبوب حياته وأنه لا يستطيع أن يعيش من غيرها وما يدور حول هذا المعنى فيتوهمون في ذلك شهوة كبيرة رغم أنها شهوة ضئيلة ، وهذا التوهم نوع من الهروب لما يعرفونه في قرارة أنفسهم من أن شهوة الجماع وقدرة الإنسان عليها محدودة ولا يستطيع الإنسان أن يستزيد منها فوق ما وضعه الله من قدرة الإنسان على الجماع ، وبدلا من أن يشعر الإنسان أنه لا يستطيع أن يعيش أو يتنفس بغير الخالق فهو الذي يرزقه ويمده بما يحتاجه فيحب الله تعالى ، فهم يستبدلون هذا الحب بحب غير الله من النساء والمخلوقات .

ـ والحكمة من وجود هذا القدر الضئيل من لذة الجماع ولذة الطعام والشراب هو أن الله يجعلك تذوق فقط شيئا من طعم اللذة حتى تعرف اللذة الحقيقية التي هي في الجنة ، فاللذة في الدنيا مجرد اسم فقط ، أما اللذة في الجنة هي اللذة الكبرى الحقيقية : (( وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ))([[959]](#footnote-959)) ، وبغير هذا القدر الضئيل من اللذة في الدنيا لم يكن يعرف الإنسان ماذا يعني لذة الجنة ، ومن ناحية أخرى فإن لذة شهوة النساء تؤدي إلى الذرية فبغيرها قد يزهد الناس في الجماع ، وهذه حكمة أخرى من عند الله تعالى .

ـ شهوة النساء ليست إلا خروج المني عن طريق الاحتكاك ، وجميع الطرق التي يحدث بها الاحتكاك واحدة سواء للرجل أو للمرأة فليست إلا وسيلة للإخراج المني ، ومقدمات الجماع ( كالرؤية والتفكير في الشهوة ) التي تثير الشهوة ضعيفة في إخراج المني ولا تصل لدرجة إخراج المني ، وطرق الاحتكاك فيها طرق حلال وطرق حرام ، الطرق الحرام كالاستمناء واللواط والشذوذ الجنسي والطريقة الحلال هي التي تؤدي إلى إنجاب الذرية عن طريق الزواج ، وكذلك الطرق المعنوية فيها طرق حلال وأخرى حرام ، فنظر الإنسان إلى زينة زوجته حلال والنظر إلى غير زوجته حرام ، ولكن جميع الطرق واحدة ولا قيمة لها لأنها مجرد وسيلة لإخراج المني ، ولكن الشيطان يوحي للإنسان أن طريقة ما بالحرام فيها متعة أكثر أو أن تعمد المخالفة والخروج عن الخضوع فيه متعة أكبر ، والحقيقة أن جميع طرق الشهوة واحدة لمن يعقل ، والقضية ليست أكثر من خروج المني بأي طريقة .

ـ وكذلك لذة الطعام هي في الأصل ليست إلا امتلاء المعدة ، فالجائع يشعر بلذة الطعام وكلما أكل كلما قلت هذه المتعة ، وغير الجائع لا يشعر بلذة مهما كان الطعام شهيا والفروق بين الأطعمة هي فروق قليلة لمن يعقل .

ـ فالذين يعيشون من أجل شهوات النساء هم على وجه الدقة يعيشون من أجل شهوة إخراج المني ، والمشكلة أن الذي يعيش للشهوات يدور حولها من غير أن يواجه نفسه بأصل ما يريده وهو إخراج المني فهو يتكلم بالشهوات وينظر إلى العورات ، ولو واجه نفسه بأصل ما يريده لارتاح وترك الكلام والنظر والتفكير في الشهوات وترك الشذوذ لأنه عندئذ يعلم بأن الأمر تافه وبسيط وليس إلا مجرد احتكاك ! .

ـ تصور حقيقة مقدمات الجماع :

ـ قد لا يقع الإنسان في الزنا أو الشذوذ ولكن يعيش حياته وكل همه في مقدمات الجماع كالنظر إلى العورات والتفكير في الشهوة والكلام عنها والكلام مع النساء ويعيش حياته في تمني الشهوات والرغبة فيها وترتبط مشاعره بها .

ـ ومقدمات الجماع توحي للإنسان بمتعة هائلة في حين أن المسألة ما هي إلا إخراج المني ، والشرع أباح للإنسان ألا يتزوج من امرأة لا يجد في نفسه محبتها ولكن الناس شغلوا أنفسهم بالشهوات تحت اسم الحب وما هو إلا حب الشهوات .

ـ والإسلام يعالج مشكلة الطرق المعنوية بأن الإنسان إذا رأى امرأة أعجبته فيرجع فيأتي أهله فينتهي الأمر ، أما الذي يترك نفسه لذه الطرق فسيظل يستزيد منها دون أن يحقق اللذة وقد يقع في الزنا والعياذ بالله .

ـ التناقض بين مقدمات الجماع والطعام والشراب وبين حقيقة الشهوة :

ـ شهوات الدنيا عبارة عن قطعة من الطين موضوعة داخل غلاف ذهبي ، وهذا على عكس الأمر الطبيعي ، فالطبيعي أن قطعة الطين توضع داخل ورقة متسخة ، وقطعة الذهب توضع داخل علبة أو غلاف ذهبي .

ـ فالإنسان كلما نظر إلى الغلاف الذهبي قد يذهب عقله ، لكن العاقل لا يجعل هذا الغلاف يذهب عقله فلا ينظر إليه وإنما ينظر إلى ما بداخل الغلاف فلا يقع في هذه الخدعة الكبرى ، فالشهوات لها بريق خادع جدا يصعب على أي إنسان أن يقاومها إلا من أعمل عقله فنظر في حقيقتها ومآلها في الآخرة فانتصر في هذا الاختبار ، فالانتصار على الشهوات هو الجهاد الحقيقي الذي هو أصعب من الجهاد في ميدان القتال .

ـ والعكس صحيح فالغيبيات هي الواقع والخطر الهائل مثل قطعة من الذهب لكنها محجوبة عنا بحاجز يجعلنا لا نرى شيئا ، فوجود الجنة والنار ووجود الملائكة والجن حولنا هو الواقع الذي نعيشه بينما الدنيا حياة مؤقتة ليست أكثر من لحظات .

ـ يحتاج الإنسان لشهوتي الطعام والجماع على فترات متكررة فكلما جاع أكل فشبع ثم بعد فترة يجوع ثم يأكل وهكذا ، ففي الأوقات التي يكون فيها الإنسان في حاجة إلى شهوة النساء تبدو هذه الشهوات في عينه كبيرة جدا ، وهذه الأوقات عبارة عن هجمات تدفع الإنسان إلى قضاء شهوته ويحدث فيها هيجان للشهوة ويصعب التخلص منها إلا لمن يذكر بنفسه بحقيقتها .

ـ مقدمات الجماع هي أخطر من الوقوع في الشهوات ذاتها ، وإذا لم يستخدم الإنسان عقله عند هيجان الشهوة ليتذكر حقيقة ضآلتها فإنه سوف يقع في الشهوات ، وإذا استخدم عقله فسوف ينطفئ هذا الهيجان .

ـ يسبق الطعام الجوع ، وكذلك يسبق الجماع هيجان النفس وهو الدافع إلى الجماع ، الجوع والدافع إلى الجماع كلاهما كاذبان تماما ، وكلاهما يوحيان بقيمة كبيرة جدا لمتعة الطعام ولمتعة الجماع ، والعاقل هو الذي يفطن لذلك في فترة الجوع وفترة الدافع للجماع ، فمجرد أن يأكل الإنسان لقيمات تسد جوفه بغض النظر عن نوع هذه اللقيمات وكميتها تنطفئ شهوة الطعام ، وكذلك شهوة الجماع فهي مجرد خروج السائل المنوي .

ـ فالجوع يأتي للإنسان كل فترة ثم ينطفئ بالطعام ، وكذلك الدافع للجماع يأتي للإنسان كل فترة ثم ينطفئ بالجماع ، فرغبة الإنسان للطعام والجماع تذهب وتنطفئ ثم تعود ، فالجائع إذا أكل شبع ولا يحتاج لطعام فترة ، ثم بعد فترة طويلة يعود فيجوع فإذا أكل شبع ، وكذلك الجماع ، وهذا يدل على أن قدرة الإنسان محدودة ، أما في الجنة فقدرة الإنسان لا حد لها ، ومن العوامل المساعدة التي تهيج في النفس الجوع والدافع للجماع هو رؤية الوان الطعام والنظر إلى العورات .

ـ فنظرة الجائع إلى الطعام تختلف عن نظرة الشبعان إلى الطعام ، فالجائع الجاهل يخيل إليه أنه يستطيع أن يتلذذ بألوان الطعام ، فإذا أكل لا يجد لذة بعد شبعه ، وهذه اللذة للجائع تتم ولو بالخبز ، وكذلك الذي يريد شهوة الجماع ، فشهوة الطعام ليست إلا ملئ البطن ولو بالخبز وشهوة الجماع ليست إلا إخراج المني ، فالجائع يحسب أن ألوان الطعام الكثيرة وكمية الطعام الكبيرة تعطيه متعة هائلة ، لكن الشبعان يعلم ان المسألة ليست إلا ملئ المعدة بالطعام وأنه كلما استزاد من ألوان وكمية الطعام تقل متعته كما أن له قدر معين من الطعام لا يستطيع الزيادة عنه ، وطبعا الحقيقة هي نظرة الشبعان إلى الطعام ، فالعاقل لا ينخدع وتكون نظرته إلى الطعام وهو جائع مثل نظرته للطعام وهو شبعان ، أما الجاهل فيتناسى نظرته إلى الطعام وهو شبعان ويعيش طول حياته ينظر إلى الطعام مثل نظرة الجائع الخادعة ، فكذلك الدنيا وشهواتها ينظر إليها المؤمن على أنها مجرد متاع قليل يحتاجه المسافر أثناء سفره ليسد جوعته ويسد شهوته وينتهي الأمر على ذلك ، أما الكافر والمنافق فينظر إلى الدنيا كالجائع المخدوع الذي لن ينال منها غير ما يسد جوعته وما يسد شهوته .

ـ فالذين يعيشون حياتهم من أجل شهوات النساء فيشغلون أذهانهم وألسنتهم وأعمالهم بهذه الشهوات هم أغبياء لأنهم ينظرون إلى شهوات النساء مثل نظرة الجائع المخدوع ولا يجنون منها إلا ما يسد شهوتهم ، فشهوة الجماع ليست إلا مجرد احتكاك لإخراج المني وشهوة الطعام ليست الا ملئ البطن ، والإنسان له قدر محدود وقدرة محدودة على الانتفاع بالشهوة لا يستطيع أن يزيد عنها فإذا زاد في قضاء شهوته قلت متعته في ذات المرة وفي المرة التي تليها وإذا نقص في قضاء شهوته زادت متعته في المرة التي تليها ، الشيطان يقوم بمحاولة إقناع الإنسان الجائع أو الذي في حاجة إلى تصريف شهوة الجماع أن الأمر ليس كذلك فيوهمه بأن شهوة الجماع بغير الطريق الشرعي فيه متعة كبيرة ، ويوهمه أنه يمكنه الاستزادة من المتعة إذا خالف الشرع ، ويوهمه أن سبب التحريم هو تقييد الإنسان وتقليل متعته .

ـ فمشكلة إخراج المني التي شغلت عقول الناس وأهلكتهم العاقل يعلم أنها ليست إلا إخراج للمني عن طريق الاحتكاك لا أكثر بأي طريقة كانت ، وجميع طرق الاحتكاك واحدة وتؤدي إلى نتيجة واحدة ( فجميع النساء في لذة الجماع شيء واحد رغم تعدد صورهن ) فيختار الطريقة التي أباحها الشرع ، والإثارة أيضا المطلوبة قبل الجماع هي أيضا عملية مادية بالاحتكاك أو النظر ، أما غير العاقل فيظل يتوهم وينخدع حتى يموت .

ـ فشهوتي إدخال الطعام والشراب وإخراج المني كلاهما عبارة عن متعة مادية محضة تحدث بمجرد إدخال الطعام وإخراج المني ، ولا يهم نوع الطعام أو كيفيته ولا يهم الطريقة التي يخرج بها المني ( الإسلام حدد طريقة واحدة لإخراج المني وهي الزواج وأن يكون إتيان الزوجة في موضع الجماع وأن يكون في غير وقت الحيض والنفاث وحرم الطرق الأخرى ) .

ـ فالشهوات عبارة عن قصر هائل جدا ، تنظر إليه فتراه فخما وهائلا ، ولكن إذا دخلته تكتشف أنه من الخارج فقط فخما لكنه من الداخل عبارة عن مزبلة ، فالشهوات عبارة عن مزبلة أحاطوها بأسوار عالية مثل أسوار القصر الهائل ، والجاهل كلما نظر إلى القصر انخدع به ، فالجائع الذي ينظر إلى ألوان الطعام مخدوع وصورة الطعام عنده كبيرة جدا لكن حقيقة الأمر أن الإنسان إذا أكل ما يسد جوفه ولو كان خبزا لأدرك حقيقة الطعام ، والذي ينظر إلى العورات مخدوع بصورة الجماع فتبدو في نظره هائلة جدا في حين حقيقة اللذة في الجماع ضئيلة وواحدة تقريبا بين جميع النساء ، وما لذة الجماع إلا مسألة خروج المني ، والفقير الذي ينظر إلى أصحاب الأموال مخدوع بصورة المال التي تبدو في نظره هائلة ، وما حقق المال سعادة لأحد ، فالسعادة النفسية قلما تجدها عند الأغنياء ، والإنسان الذي ليس معه مكانة اجتماعية أو شهادة علمية أو منصب أو جاه ينظر إلى أصحاب المناصب والجاه والمكانة على أنهم هم السعداء وما هم بسعداء .

ـ والإنسان العاقل لكي لا تشغله الشهوات فإنه يسدها بالحلال وبغير إسراف ، فشهوة الجوع تنطفئ إذا أكل لقيمات وشهوة الجماع تنطفئ إذا أتى أهله ، فالشهوة مثل الكلب الذي يلاحق الإنسان فإذا ظل يقذفه بالطوب شغله ذلك ، فإذا ألقى له لقيمات انصرف عنه الكلب .

ـ حال الإنسان أثناء هيجان الشهوة أو أثناء الجوع أو أثناء الفقر والحرمان يختلف عن حاله بعد الشهوة أو في غير وقت الشهوة ويختلف عن حاله وقت الشبع أو وقت الغنى ، فقيمة الشهوة أو الطعام أو المال عند غيابها تكون كبيرة جدا في نظر الإنسان ولا يعرف قيمتها الحقيقية الضئيلة إلا بعد تحققها .

ـ فيحدث تزيين حيث يكون هناك تصور وهمي لمدى عظمة هذه الشهوات ، وإذا كان قد حقق هذه الشهوات من قبل فإنه يتناسى ذلك ، لأن الإنسان يشعر بحقيقة ضآلة الشهوات بعد تحقيقها ثم يتناسى ذلك .

ـ وهذه المرحلة فيها متعة وهمية معنوية وليست حسية هي متعة الإغراء ومتعة الإيحاء وهي المتعة التي تسبق الوقوع في شهوات الدنيا ، وهي متعة تجعل الشيء يبدو كأنه كبير في متعته ، وهي تحدث في فترة ما قبل الشهوة حيث يكون الإنسان تحت تأثير هيجان الشهوة وليس عقله ثم يفيق لحقيقة هذه الشهوة في فترة ما بعد الشهوة .

ـ شهوات الدنيا كشهوة النساء أو شهوة الطعام والشراب أو شهوة المظاهر ...الخ لها إغراء وتزيين يوحي بأنها متعة هائلة ويوحي بأن الإنسان يمكن أن يستزيد منها بصورة هائلة في حين حقيقة المتعة الفعلية المتحصلة منها قليلة ولا يمكن تكبيرها أو الاستزادة منها ، لذلك فالقضية في الأصل ليست في الوقوع في ذات الشهوة ولكن في الإغراء والتزيين بحيث تبدوا في النفس أنها ذات قدر كبير وهائل وأن الإنسان إذا حصل عليها فقد حصل على المتعة الهائلة ، هذا التزيين هو تكبير حجم قيمة المتعة الحقيقية أضعاف هائلة ، ويقوم بهذا التزيين الشيطان والأغاني والأفلام التي تعظم من حجم الشهوات وغير ذلك ، وحيلة التزيين هي التي عملها إبليس مع آدم : (( فَوَسْوَسَ إليه الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى ))([[960]](#footnote-960)) رغم أنها شجرة عادية مثل باقي الأشجار ، كما تلاحظ أن طاقة الإنسان على متعة الطعام أو الجماع محدودة ولكن الشيطان يزين له أنه يستطيع أن يحصل على أضعاف مضاعفة من المتعة ، ومهما استزاد الإنسان من حجم الإغراء بالمتعة فهذا لن يزيد من حقيقة المتعة شيء ، لذلك قد يكون الإغراء بالشهوة والنظر إلى العورات أشد خطرا من الوقع في الزنا ، لذلك فالشرع لا ينهى فقط عن الزنا ولكن ينهى أيضا عن مقدمات الزنا حتى ولو لم يقع الإنسان في الزنا : (( وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى ))([[961]](#footnote-961)) .

ـ فشهوات الدنيا ضئيلة ولكنها تبدو كبيرة في ظاهرها ، وفي ذلك خداع كبير لمن ليست له بصيرة ، كما أن الشيطان يزينها في عين الإنسان كما يفعل الساحر حيث يسحر أعين الناس فتبدو الأمور على غير حقيقتها ، إذن التزيين هو تكبير وهمي لحجم الدنيا وقدر الإنسان ، أي هو رؤية الأشياء بحجم أكبر من قدرها الحقيقي فيخدع الإنسان نفسه ، فالإنسان إذا لم ينتبه إلى حقيقة الدنيا فيكتشف حقارتها ، فإنه ينخدع بمظهرها البراق وزينتها الجميلة .

ـ شهوة الطعام والشراب ليست إلا لقمة تسد الجوف :

ـ لا يحتاج الإنسان من الطعام سوى لقيمات تسد جوفه ، ومهما توسع الإنسان في ألوان الطعام والشراب من الفواكه والأطعمة المختلفة فجميعها يتحول إلى براز يحمله الإنسان في بطنه وينزل إلى المجاري ، فلو زاد عن ذلك تعرض للأمراض ، وفي الحديث : (( إن مطعم ابن آدم قد ضرب مثلا للدنيا وإن قزحه وملحه فانظر إلى ما يصير ))([[962]](#footnote-962)) ، وفي حديث آخر : (( عن الضحاك بن سفيان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا ضحاك ما طعامك قال يا رسول الله اللحم واللبن ، قال ثم يصير إلى ماذا ؟ ، قال إلى ما قد علمت ، قال فإن الله تعالى ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا ))([[963]](#footnote-963)) ، فالمعدة عبارة عن خزان يمتلئ ليفرغ ويفرغ ليمتلئ ، وهذا ما يؤكده الحديث : (( ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه ))([[964]](#footnote-964)) ، فالمعدة مجرد وعاء يملأه الإنسان ليفرغ ويفرغ ليمتلئ ، وهو أسوأ وعاء لأنه كلما امتلأ فرغ ما به وتحول إلى براز يحمله الإنسان في بطنه طوال ليله ونهاره ويخرج منه كأقذر شيء ! .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

5 ـ أراد الله أن يكون في النفس حب كبير للمال والدنيا وحب للطمع وفي نفس الوقت جعل مقدار ما يحتاجه الإنسان من الدنيا قليل وذلك ليختبره هل يستجيب لرغبات نفسه أم لأوامر ربه ؟ ، ونوضح ذلك كالتالي :

ـ ففي الحديث : (( لا يزال قلب الكبير شابا في إثنين في حب الدنيا وطول الأمل ))([[965]](#footnote-965)) ، وفي حديث آخر: (( يهرم ابن آدم ويبقي معه اثنتان الحرص والأمل ))([[966]](#footnote-966)) ، وفي حديث آخر : (( يهرم ابن آدم ويشيب فيه اثنتان الحرص علي المال والحرص علي العمر ))([[967]](#footnote-967)) ، وفي حديث آخر : (( منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا ))([[968]](#footnote-968)) ، وفي الحديث القدسي : (( إن الله قال إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد لأحب أن يكون له ثان ولو كان له واديان لأحب أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ثم يتوب الله على من تاب ))([[969]](#footnote-969)) .

ـ وفي نفس الوقت طلب الله من الإنسان أن ينتصر على نفسه : (( وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ))([[970]](#footnote-970)) ، وفي تفسير الماتريدي : (( { وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ } أي : ذلك الإنسان لشديد الحب للمال ، فذكر بخله وشحه في المال في ترك الإنفاق والبذل ، وعلى ذلك طبع كل إنسان على ما ذكرنا ، لكن المؤمن يتكلف إخراج نفسه مما طبع بالرياضة ويجتهد في الإنفاق ))([[971]](#footnote-971)) .

ـ مقدار ما يحتاجه الإنسان من الدنيا قليل :

ـ العاقل يعلم أن الدنيا ليست إلا مسكن يأويه ويعلم أن الطعام ليس إلا لقمة يسد بها جوفه ويعلم أن قضاء شهوته ليس إلا خروج المني .

ـ فالدنيا وهم كبير خدع به الكثير واغتروا به ، وظاهر الشهوات خدعة كبيرة يقع فيها الكثير ولا ينجو منها إلا من رحم الله تعالى ، وفي أوضح التفاسير : (( { وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَآ } وما فيها من تمتع وزخرف { إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ } أي إلا متاع مزيف ؛ لا أثر له ، ورجل مغرور : مخدوع ))([[972]](#footnote-972)) .

ـ السعادة المادية في الدنيا ضئيلة وتتحقق بثلاثة أشياء هي ما جاء في الحديث : (( من أصبح منكم آمنا في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ))([[973]](#footnote-973)) ، وفي حديث آخر : (( عن مطرف عن أبيه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ ( ألهاكم التكاثر ) قال يقول ابن آدم مالي مالي ، قال وهل لك يا ابن آدم إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت ))([[974]](#footnote-974)) أي لا يحتاج من ماله إلا ما يأكله وما يلبسه وكلاهما يفنى ويترك الإنسان ماله ومسكنه وأهله بعد الموت ، وفي حديث آخر : (( إنما يكفي أحدكم ما كان في الدنيا مثل زاد الراكب ))([[975]](#footnote-975)) ، وعن لقمان بن عامر أن أبا الدرداء قال : (( أهل الأموال يأكلون ونأكل ، ويشربون ونشرب ، ويلبسون ونلبس ، ويركبون ونركب ، لهم فضول أموال ينظرون إليها([[976]](#footnote-976)) وننظر إليها معهم ، عليهم حسابها ونحن منها براء ))([[977]](#footnote-977)) .

ـ الغنى الحقيقي هو الشعور بعدم الاحتياج وعندئذ يستمتع الإنسان بما عنده ، ففي الحديث : (( يا أبا ذر أترى أن كثرة المال هو الغنى إنما الغنى غنى القلب والفقر فقر القلب ، من كان الغنى في قلبه فلا يضره ما لقي من الدنيا ، ومن كان الفقر في قلبه فلا يغنيه ما أكثر له في الدنيا وإنما يضر نفسه شحها ))([[978]](#footnote-978)) .

ـ والفقر الحقيقي هو الشعور بالاحتياج للدنيا فسيظل يسعى طول عمره للوصول إلى السعادة ولن يجد السعادة ، ففي الحديث : (( من كانت نيته الآخرة جعل الله تبارك وتعالى الغنى في قلبه وجمع له شمله ونزع الفقر من بين عينيه وأتته الدنيا وهي راغمة فلا يصبح إلا غنيا ولا يمسي إلا غنيا ، ومن كانت نيته الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه فلا يصبح إلا فقيرا ولا يمسي إلا فقيرا ))([[979]](#footnote-979)) .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

6 ـ الابتلاءات ومشاغل الحياة :

ـ الابتلاءات في ظاهرها أنها معوقات تشغل الإنسان عن الله والآخرة بأمور الدنيا ، كما أن الله كلف الإنسان بمسئوليات تجاه أسرته وأولاده ونفسه والناس وطالبه بالعمل لكسب الرزق وكل هذه الأمور تشغل الإنسان بأمور الدنيا ، وفي نفس الوقت طالبه ألا تشغله هذه الأمور عن الله والآخرة : (( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ))([[980]](#footnote-980)) .

ـ والابتلاء يكون بالخير وبالشر ، فقد يبتليك الله بمال كثير فتنشغل به ، وقد يبتليك بنقص المال فتنشغل بجلب قوت يومك ، وقد يجعل الله المعاصي ميسرة ومتاحة وبلا عقاب من أحد ليختبرك ، ليميز الله الصادق في يقينه من الكاذب : (( فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ))([[981]](#footnote-981)) ، (( وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ))([[982]](#footnote-982)) .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

### ـ ثانيا : تصور أننا نعيش تحت المراقبة و بأننا نعيش الآن في حالة امتحان وانتهاءه في أي لحظة :

ـ لقد خلق الله الإنسان وجعله في حالة اختبار ، وكذلك الجن ، أما باقي الكائنات فليست خاضعة للاختبار كالملائكة والحيوانات والنباتات والسماوات والجمادات وكل شيء .

ـ أنزل الله الإنسان وأسكنه الكرة الأرضية لتكون مكان اختباره ، أما زمن الاختبار هو فترة حياته التي يمكثها على الأرض ، والنجاح في الاختبار هو أن يعبد الإنسان الخالق .

ـ عدم وجود اليقين الحقيقي بأنك الآن داخل لجنة الامتحان وأنك في أي لحظة تنتهي من الامتحان ( بالموت ) معناه عدم وجود اليقين الحقيقي بالآخرة ومعناه أنك تحسب أن الدنيا دار إقامة رغم اليقين الكاذب بالآخرة وبأن الدنيا معبرة للآخرة .

ـ تصور حدوث الاختبار الآن وانتهاءه في أي لحظة هو شعور مخيف ومرعب ، فنحن نعيش في حالة اختبار ، وكل شيء مراقب ومحسوب عليك سواء ما في قلبك أو ما تعمله طوال حياتك ، فما نعيشه ليس حياتنا ولكنها حياة اختبار ، فالحكمة من وجود الدنيا هي أن الله جعل الأرض مكان معد لاختبار الإنسان .

ـ تصور لو أن هناك كاميرات مراقبة موضوعة لك في كل مكان في بيتك وفي الشارع تسجل كل شيء عنك ، فهذا يؤدي إلى الخوف الشديد من مهابة الأمر وخطورته ، فوجود الملكين الرقيب والعتيد أخطر من ذلك .

ـ فإذا لم نشعر بأننا نعيش الآن في حالة امتحان فهذا معناه عدم وجود اليقين الحقيقي بالآخرة ، وهذا معناه أن الإنسان يقول بمشاعره أن الله خلق البشر وتركهم يفعلون ما يشاءون فهو خلقهم عبثا ، فالذي يصنع شيئا ثم يتركه فهو قد صنعه عبثا ، فالله لم يخلقنا ثم يتركنا يعيش كل واحد كيفما يريد وكل واحد يفعل ما يريد ، ولم يخلق الله الناس ويحدث ما يحدث بينهم ويتركهم وشأنهم ، وإنما خلقهم لحكمة وغاية هي أن يعيشوا وفق ما يريده الله أي لعبادته : (( أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ))([[983]](#footnote-983)) .

ـ إن الدنيا مزرعة للآخرة ، فالدنيا كلها بمثابة امتحان ، فلم تخلق الدنيا لتكون مناسبة لنعيش ونقيم فيها ونبحث فيها عن السعادة وإنما هي دار اختبار ، فيكون هم المؤمن وشعوره طيلة حياته مثل شعور الطالب قبل الامتحان بل أعظم بكثير ، فنحن نعيش الآن في مرحلة اختبار هي أيام عمرنا في هذه الحياة ، والمطلوب تحديدا حتى نكون من أهل الجنة هو النجاح في اختبار الدنيا .

ـ فالحياة التي نعيشها في الدنيا هي حياة أوجدها الله للاختبار فقط وليست حياة يقيم فيها الإنسان ويعيش حياته ، والاختبار يشمل كل ما تفعله وتقوله وتشعر به منذ أن بلغت حتى اللحظة التي تموت فيها ، فالاختبار يشمل كل الأعمال الظاهرة والباطنة طوال الحياة الدنيا .

ـ لابد أن يشعر الإنسان أنه داخل في مسابقة لها جوائز ، ولكن وجه الاختلاف عن مسابقات الدنيا أن كل ناجح في المسابقة ينال جائزة كبيرة ، وكل خاسر عليه عقاب شديد ، وأن هذا السباق ينتهي فجأة ، فمرحلة الدنيا هي مرحلة سباق وتنافس في تحصيل الإيمان وجمع الحسنات : (( سَابِقُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ))([[984]](#footnote-984)) ، (( وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ))([[985]](#footnote-985)) .

ـ الإنسان أثناء السباق أو أثناء الامتحان لابد أن يشعر بالقلق والترقب ، ولابد أن يشعر بالتحمس والتحفز كلما قطع خطوات ، ويشعر بالضيق كلما أخطأ ، وهذا السباق خطير ومصيري لأنه يترتب عليه العذاب الأليم أو النعيم المقيم ، وبالتالي إذا لم يشعر الإنسان بالقلق وبالمشاعر التي يشعر بها أي إنسان أثناء الاختبار فهذا معناه أن اليقين بأنه يعيش حياته الآن في مرحلة اختبار غير موجود ، وبالتالي فاليقين الحقيقي بالآخرة غير موجود ، وعدم شعور الإنسان بأنه في حالة اختبار فهذا معناه أنه يقول بمشاعره أننا خلقنا عبثا رغم وجود اليقين التام بأن الدنيا دار اختبار لكنه عندئذ يقين كاذب .

ـ وسواء رضينا أم لم نرضي ، وسواء شعرنا بذلك أم لم نشعر ، فنحن دخلنا الآن في لجنة امتحان منذ سن البلوغ ، ونحن واقعين الآن وفي أثناء هذه اللحظة وفي كل اللحظات تحت رقابة تامة ومتابعة تامة لما يحدث في عقولنا من التفكير والتصور وما يحدث في مشاعرنا وما يحدث في أعمال الجوارح ، وهذه الرقابة التامة من الخالق نفسه ومن الملكين الرقيب والعتيد ، ويتم تسجيل كل شيء بمنتهى الدقة ، ومدة الامتحان هي كل فترة عمرنا في هذه الدنيا ، وينتهي الامتحان فجأة في أي لحظة ويبدأ بعدها فورا الحساب حيث احتساب الدرجات والنتيجة .

ـ إن البعض قد يرى منافسة ما في مباراة كرة أنها مصيرية وحاسمة فتحوذ على اهتمامه وتؤثر على أعصابه ومشاعره ، ألا يرى هؤلاء أننا نعيش في حالة منافسة مصيرية أشد من هذه المباراة هي الامتحان الذي نعيشه في الدنيا والذي ينتهي بالخلود في الجنة أو الخلود في النار فكيف لا يؤثر ذلك على أعصابهم ومشاعرهم ، فأي المنافستين أشد وأخطر وأهم ؟! .

ـ وقت الامتحان وجيز جدا ، لأن عمر الإنسان في الدنيا لا يساوى شيء أمام عمره في الآخرة ، كما أن الامتحان ينتهي في أي لحظة ، ولا يوجد إعادة في امتحان آخر ، فنحن في سباق ومسارعة ، وهذا الامتحان خطير جدا ومصيري لأنه يترتب عليه أن يوضع الإنسان داخل نار هائلة لمدة أكبر من ملايين السنين هي الخلود في النار ، أو أن يعيش في كل ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين في شباب دائم ومتع دائمة وشهوات لا تنقطع هي الخلود في الجنة ، كما أنه امتحان صعب لأن النفس تميل للشهوات ، وفي الحديث : (( حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ))([[986]](#footnote-986)) .

ـ وكما أن الاختبار شيء مرعب فهو أيضا فرصة ذهبية لا تعوض لنيل الجنة والنجاة من النار ، فالإنسان طالما لا يزال حي في هذه الدنيا فالفرصة لا تزال قائمة أمامه ليغير من مساره ويعمل لإنقاذ نفسه من النار ويتزود من الطاعة وللفوز بالجنة ، فالذين ذهبوا للقبور يتمنون لحظة واحدة ليعودوا ويعملوا أي شيء لعله ينقذهم من النار أو يرتقي بهم درجات أعلى في الجنة فلا يسمح لهم .

ـ فتخيل أنك قد جاءت لحظة موتك وذهبوا بك للقبور ، فطلبت من الله أن يعطيك فرصة لتعود ، وها أنت الآن قد عدت للدنيا وأمامك الفرصة فماذا أنت صانع ؟ .

ـ تصور أن الدنيا دار استعداد للموت وما بعده :

ـ هل الوقت الذي يقضيه الإنسان طوال عمره وطوال أيامه ولياليه هو استعداد للموت وما بعده ؟ ، نعم الدنيا دار استعداد للموت وما بعده ، فالموت أمام عين الإنسان العاقل دائما يفكر فيه ومنشغل بانتظاره ومستعد له ، ليس شيء يستعد له وينشغل به ويعمل له غيره بعد معرفة الله تعالى ، وجعل الله الإنسان يموت كل يوم بنومه ثم يصحو حتى يتذكر الموت كل يوم لا ينساه وحتى يكون ذلك حجة عليه .

ـ فلماذا تأكل ولماذا تشرب ولماذا تأتي وتذهب ولماذا تعمل الطاعات ؟ لكي تستعد للموت وما بعده .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

# الفصل الـسادس عشر : أثر التصور على المشاعر

ـ إذا تصور الإنسان مدى عظمة الله ومدى خطورة الآخرة ومدى ضعف الإنسان وضآلة الدنيا فذلك يؤدي إلى :

1ـ تعلق المشاعر والهموم والأهداف بالله والآخرة : مثل خوف المهابة من الله وحب الله والخوف من الآخرة .

2ـ ابتعاد المشاعر والهموم والأهداف عن النفس والدنيا : مثل الشعور بالخضوع والتوكل .

ـ لا يمكن أن يتحقق الخوف من شيء ما إلا إذا شعر الإنسان بأن ذلك الشيء خطر عليه وشعر بأنه شيء مخيف ( خاف من مهابته ) ، فلا يمكن أن يتحقق الخوف من الله إلا إذا شعر الإنسان بأن قدرة الله وعلمه ومراقبته خطر عليه وأمر مرعب ومخيف ، فإذا لم يشعر بأن قدرة الله ومراقبته شيء مخيف فلن يشعر بالخوف من الله ، وكذلك إذا لم يشعر الإنسان بأن الآخرة والسفر إليها أمر مخيف ومرعب فلن يشعر بالخوف من الآخرة .

ـ وكذلك لن يتحقق الخضوع والاستسلام لشيء إلا إذا شعرت أن له سيطرة عليك وهيمنة عليك وقدرة فوقك وخطر لا تستطيع دفعه فتستسلم له ، فكذلك لن يشعر الإنسان بأنه عبد لله ولن يشعر بالخضوع لله إلا إذا شعر بأن قدرة الله خطر عليه وأنه ضعيف لا يستطيع أن يفعل شيء أمام هذا الخطر فلا حول له ولا قوة وأنه مراقب لا يستطيع أن يهرب وأن علمه ضعيف فلا يستطيع أن يجد حيلة يفلت بها من هيمنة الله عليه .

ـ تصور الأمر الخطير يؤدي إلى تأثر المشاعر بالضرورة :

ـ تصور المعلومات المؤثرة ( ومنها العقيدة ) يؤدي بالضرورة إلى تأثر المشاعر ، وهذا أمر فطري ، فالذي يرى الأسد ويوقن تماما بأنه أسد فإنه يخاف منه ، والذي يرى شيئا جميلا فإنه يحبه ، والذي يقف عند ملك من ملوك الدنيا فإنه يخاف من مهابته ، ومن عرف الكريم أحبه ورجا عطاءه وهكذا .

### ـ انشغال الهم والمشاعر متلازمان بالضرورة :

ـ المشاعر تنشأ من انشغال الهم ، فاذا انشغل الهم تأثرت المشاعر واذا انقطع الهم انقطعت المشاعر ، ونوضح ذلك كالتالي :

ـ لا يمكن أن تتأثر المشاعر بأي شيء إلا إذا تصور الإنسان قيمة وخطورة ذلك الشيء ، وإذا استمر التصور استمرت المشاعر واذا انقطع التصور انقطعت المشاعر ، واستمرار التصور هو انشغال الهم ، فطالما أن هم الإنسان مشغول بأمر خطير تظل مشاعره كذلك متأثرة بذلك الأمر .

ـ فالذي يحب امرأة مثلا هو أولا تصور ما فيها من صفات حميدة فأحبها ، وانشغل باله بهذه الصفات فاستمر حبه لها ، واذا انقطع تصوره وانشغال باله عن هذه الصفات انقطع حبه لها .

ـ والذي لا يفكر إلا في المال وجمعه هو يحب المال ، فإذا انقطع همه عن المال تناسى قيمته لم يعد يحبه .

ـ ولاحظ أن تأثر المشاعر درجات بحسب الأهمية والخطورة لأمور الدنيا المختلفة ، فما بالك وكل مخاوف ومحاب الدنيا ليست بشيء أمام مخاوف ومحاب الآخرة .

### ـ المشاعر نوعين :

1ـ مشاعر غير مرتبطة بالثواب والعقاب : وهي الشعور بالخضوع والحب وخوف المهابة .

ـ فالحب وخوف المهابة لا يرتبط بالثواب والعقاب والعطاء والمنع ، فلو أن إنسانا أعطاك مالا عظيما بلا مقابل في حين قتل آخرين وأخذ مالهم أو عذبهم ظلما وعدوانا فأنت لا تحبه مهما أعطاك بل تكرهه وربما ترد له عطاءه ، لأن صفة الإنعام غير موجودة عنده ، ولو أن إنسانا أمسك بعصاة وقال لك إذا لم تحبني فسوف أضربك وأعذبك ، فأنت لا تستطيع أن تحبه لأنه لا يوجد فيه صفة تدعوك إلى حبه ، فالإنسان لا يستطيع أن يصطنع الحب مقابل ثواب أو عقاب .

ـ فلا يستطيع الإنسان أن يحب أو يخاف من مهابة أحد بالإجبار من خلال ثوابه أو عقابه ، فالحب وخوف المهابة مسألة تلقائية لا علاقة لها بالثواب والعقاب .

ـ ولاحظ أن صفات الثواب والعقاب هي أيضا تؤدي إلى الحب وخوف المهابة ، فالإنسان يحب الكريم لكونه يعطي المحتاج وليس فقط لكونه يعطيه هو شخصيا ، فلو سمعت أن إنسانا يغيث المنكوبين والفقراء في مجاهل أفريقيا فأنت تحبه لصفات إنعامه رغم أنه لم يعطك شيئا .

ـ الإنسان خاضع لله سواء شعر بذلك أم لم يشعر ، فإذا تصور الإنسان حقيقة أنه خاضع لله شعر بالخضوع والذل لله تعالى ( انظر الفصل الثامن عشر ) .

ـ وهذه المشاعر تنشأ من تصور عظمة الله وتؤدي إلى عمل غير مرتبط بالثواب والعقاب ، ففي تفسير الشعراوي : (( { إِنَّ الذين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات وأخبتوا إلى رَبِّهِمْ } [هود: 23] .. وكلمة { وأخبتوا } أي : خضعوا خشية لله تعالى ، فهم لا يؤدون فروض الإيمان لمجرد رغبتهم في ألاَّ يعاقبهم الله ، لا بل يؤدون فروض الإيمان والعمل الصالح خشية لله ))([[987]](#footnote-987)) ، فمثلا عندما يقرأ الإنسان القرآن فيستحضر عظمة الله فقد يبكي : (( إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (107) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (108) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ))([[988]](#footnote-988)) .

2ـ مشاعر مرتبطة بالثواب والعقاب : وهي الخوف والرجاء .

### ـ الأدلة على أن غياب المشاعر المتعلقة بالله والآخرة نفاق أكبر :

ـ أولا : غياب الشعور بالخضوع نفاق أكبر :

ـ الله خلقنا من أجل عبادته ، وأصل معنى العبادة الشعور بالخضوع ، فلا تتحقق العبادة بغير خضوع ، والرسل جاءت تنادي في الناس : (( اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ))([[989]](#footnote-989)) .

ـ غياب الشعور بالخضوع معناه الاستكبار : (( وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ))([[990]](#footnote-990)) ، (( إنهم كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ))([[991]](#footnote-991)) .

ـ ثانيا : غياب الشعور بحب الله تعالى نفاق أكبر :

ـ إذا كان حب غير الله متساوي لحب الله أو أكبر كان ذلك نفاق أكبر ، فما بالك لو لم يكن حب الله موجود أصلا فذلك نفاق أكبر ، قال تعالى : (( وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ ))([[992]](#footnote-992)) ، (( إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ))([[993]](#footnote-993)) .

ـ عدم محبة ذكر الله وما أنزل الله نفاق أكبر : (( وَإذا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخرة وَإذا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ))([[994]](#footnote-994)) ، (( ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أعمالهُمْ ))([[995]](#footnote-995)) .

ـ ثالثا : غياب الشعور بخوف المهابة من الله والخوف من عقابه والخوف من الآخرة نفاق أكبر :

1ـ قال تعالى : (( وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ))([[996]](#footnote-996)) ، (( جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ))([[997]](#footnote-997)) ، (( يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ))([[998]](#footnote-998)) ، (( قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (26) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ))([[999]](#footnote-999)) ، (( وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ))([[1000]](#footnote-1000)) .

2ـ الذي يخاف من الله هو الذي استجاب فعلا لدعوة الرسل وغيره لم يستجب ، وهو الذي اهتدى ، فيقول تعالى : (( إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ))([[1001]](#footnote-1001)) ، (( وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ ))([[1002]](#footnote-1002)) ، (( فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ))([[1003]](#footnote-1003)) ، (( إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ ))([[1004]](#footnote-1004)) ، (( مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2) إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى ))([[1005]](#footnote-1005)) ، (( سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى ))([[1006]](#footnote-1006)) ، (( إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا ))([[1007]](#footnote-1007)) ، (( وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ))([[1008]](#footnote-1008)) .

ـ وفي تفسير ابن كثير : (( وقوله { إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا } أي : إنما بعثتك لتنذر الناس وتحذرهم من بأس الله وعذابه ، فمن خشي الله وخاف مقامه ووعيده ، اتبعك فأفلح وأنجح ))([[1009]](#footnote-1009)) ، وفي تفسير زاد المسير : (( { إنما أنت منذر من يخشاها } ... إنما أنت مُخَوِّفٌ من يخافها ، والمعنى : إنما ينفع إنذارك من يخافها ))([[1010]](#footnote-1010)) .

3ـ الذي يوقن فعلا بالآخرة ويعتبر بالآيات هو الذي يخاف منها ، والذي يوقن فعلا بالله ويعتبر بالآيات هو الذي يخاف منه سبحانه : (( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخرة ))([[1011]](#footnote-1011)) ، (( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ))([[1012]](#footnote-1012)) .

4ـ القرآن يعبر عن عدم الإيمان بالآخرة بعدم وجود الخوف منها وعدم رجاءها : (( كَلَّا بَلْ لا يَخَافُونَ الآخرة ))([[1013]](#footnote-1013)) ، (( بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُوراً ))([[1014]](#footnote-1014)) ، (( أنهم كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَاباً ))([[1015]](#footnote-1015)) ، (( إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ، أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ))([[1016]](#footnote-1016)) ، (( وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ ))([[1017]](#footnote-1017)) ، وفي تفسير النسفي : (( { إِنَّ في ذَلِكَ } فيما قص الله من قصص الأمم الهالكة { لآيَةً } لعبرة { لّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخرة } أي اعتقد صحته ووجوده ))([[1018]](#footnote-1018)) ، فالقرآن يبين أن مسألة الإيمان بالآخرة هي مسألة أن الإنسان يريد الشيء أو يرغبه أو يرجوه أو أنه لا يريد الشيء أو لا يرغبه أو لا يرجوه ، فقد يقتنع الإنسان بالأمر لكنه لا يريد الشيء ولا يرغبه ولا يرجوه ولا يعجبه ولا يستسيغه .

5ـ لا تتحقق التقوى بغير الخوف ، والتقوى سبب للنجاة من النار : (( ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ))([[1019]](#footnote-1019)) .

ـ رابعا : غياب المشاعر معناه عدم وجود التصور ، لأن المشاعر تنشأ من التصور ، وعدم وجود التصور معناه الغفلة عن الله والآخرة : (( نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ))([[1020]](#footnote-1020)) .

ـ خامسا : اليقين بغير تصور هو يقين كاذب ، فاليقين لابد أن يتبعه تصور ، والتصور يؤدي تلقائيا إلى مشاعر ، إذن غياب المشاعر معناه أن اليقين كاذب ، والأدلة على ذلك كالتالي :

ـ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (( فالإيمان في القلب لا يكون إيمانا بمجرد تصديق ليس معه عمل القلب وموجبه من محبة الله ورسوله ونحو ذلك ))([[1021]](#footnote-1021)) ، ويقول أيضا : (( وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَعَ التَّصْدِيقِ شَيْءٌ مِنْ حُبِّ اللَّهِ وَخَشْيَةِ اللَّهِ وَإِلَّا فَالتَّصْدِيقُ الَّذِي لَا يَكُونُ مَعَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ لَيْسَ إيمَانًا أَلْبَتَّةَ بَلْ هُوَ كَتَصْدِيقِ فِرْعَوْنَ وَالْيَهُودِ وَإِبْلِيسَ ))([[1022]](#footnote-1022)) ، ويقول أيضا : (( ومحبة الله هي أصل الإيمان الذي هو عمل القلب وبكمالها يكمل ))([[1023]](#footnote-1023)) ، ويقول شيخ الإسلام ابن القيم : (( فمن لا محبة له لا إسلام له البتة بل هي حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله فإن الإله هو الذي يأله العباد حبا وذلا وخوفا ورجاء وتعظيما وطاعة له بمعنى مألوه وهو الذي تألهه القلوب أي تحبه وتذل له ))([[1024]](#footnote-1024)) .

ـ لا يصح الإيمان بقول القلب فقط ( قول القلب هو اليقين ) بغير عمل القلب ( عمل القلب هو المشاعر والهموم والأهداف ) فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (( الصواب قول السلف والأئمة إن الإيمان قول وعمل ، أصله قول القلب وعمل القلب ))([[1025]](#footnote-1025)) ، وبالتالي فإن عمل القلب هو من أصل الإيمان أو أصل الدين أو أصل العبادة فإذا ذهب ذهب الإيمان ، كما يقول أيضا : (( الدين والإيمان قول وعمل وأوله قول القلب وعمله فمن لم ينقد بقلبه ولم يذل لله لم يكن مؤمنا ))([[1026]](#footnote-1026)) ، كما يقول أيضا : (( فالإيمان في القلب لا يكون إيمانا بمجرد تصديق ليس معه عمل القلب وموجبه من محبة الله ورسوله ونحو ذلك كما أنه لا يكون إيمانا بمجرد ظن وهوى بل لابد في أصل الإيمان من قول القلب وعمل القلب ))([[1027]](#footnote-1027)) ، ويقول ابن القيم : (( { وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين } ، { وقال موسى لفرعون لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر } فهؤلاء حصل لهم قول القلب وهو المعرفة والعلم ولم يكونوا بذلك مؤمنين وكذلك من قال بلسانه ما ليس في قلبه لم يكن بذلك مؤمنا بل كان من المنافقين وكذلك من عرف بقلبه وأقر بلسانه لم يكن بمجرد ذلك مؤمنا حتى يأتي بعمل القلب من الحب والبغض والموالاة والمعاداة ))([[1028]](#footnote-1028)) ، ويقول أيضا : (( فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب وهو محبته وانقياده كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول بل ويقرون به سرا وجهرا ويقولون ليس بكاذب ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به ))([[1029]](#footnote-1029)) .

ـ وفي معارج القبول : (( من قال من أهل السنة في الإيمان هو التصديق على ظاهر اللغة أنهم إنما عنوا التصديق الإذعاني المستلزم للانقياد ظاهرا وباطنا بلا شك لم يعنوا مجرد التصديق فإن إبليس لم يكذب في أمر الله تعالى له بالسجود وإنما أبى عن الانقياد كفرا واستكبارا واليهود كانوا يعتقدون صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يتبعوه وفرعون كان يعتقد صدق موسى ولم ينفذ بل جحد بآيات الله ظلما وعلوا ))([[1030]](#footnote-1030)) ، فالكفار عندهم يقين بأن الله هو الخالق وليس هذا يقينا حقيقيا لأنه لم يؤدي إلى إذعان وخضوع ، وكذلك أبو طالب يوقن بأنه لا إله إلا الله لكنه يقين كاذب وليس هذا يقينا حقيقيا لأنه لم يؤدي إلى إذعان وخضوع .

ـ ويقول شيخ الإسلام ابن القيم : (( وليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنه لا خالق إلا الله وأن الله رب كل شيء ومليكه كما كان عباد الأصنام مقرين بذلك وهم مشركون بل التوحيد يتضمن من محبة الله والخضوع له والذل وكمال الانقياد لطاعته وإخلاص العبادة له وإرادة وجهة الأعلى بجميع الأقوال والأعمال والمنع والعطاء والحب والبغض ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصي والإصرار عليها ومن عرف هذا عرف قول النبي : إن الله حرم على النار من قال : لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله ، وقوله لا يدخل النار من قال لا إله إلا الله ، وما جاء من هذا الضرب من الأحاديث التي أشكلت على كثير من الناس ... وكل قول رتب الشارع ما رتب عليه من الثواب فإنما هو القول التام كقوله : من قال في يوم : سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت عنه خطاياه أو غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وليس هذا مرتبا على مجرد قول اللسان ، نعم من قالها بلسانه غافلا عن معناها معرضا عن تدبرها ولم يواطئ قلبه لسانه ولا عرف قدرها وحقيقتها راجيا مع ذلك ثوابها حطت من خطاياه بحسب ما في قلبه فإن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب فتكون صورة العملين واحدة وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض والرجلان يكون مقامهما في الصف واحدا وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض ))([[1031]](#footnote-1031)) .

ـ فالتصديق والإيمان الحقيقي لابد أن يكون معه مشاعر : [[ الإيمان بالله ليس ـ فقط ـ معرفة نظرية واقتناعا عقليا نظريا به سبحانه ، بل لابد أن يتبع ذلك ميل قلبي وتفاعل ، واتجاه لمشاعر الحب نحوه سبحانه ، وهذا ما يؤكده قوله تعالى : { وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإيمان وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ }([[1032]](#footnote-1032)) ]]([[1033]](#footnote-1033)) .

ـ سادسا : المشاعر المتعلقة بالله كالحب والخضوع هي أصل توحيد الألوهية ، وبدونها لا يتحقق توحيد الألوهية .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

### ـ حب الله تعالى

ـ لا يتحقق الإيمان حتى يكون الله أحب إليك من الدنيا وما فيها ، فيكون حب الله أكبر من حب الأهل والزوجة والمال والجاه .

ـ النفس مجبولة على حب الشهوات ، ورغم ذلك لابد أن يكون حب الله أعظم من حب الشهوات ، والإنسان قد لا يستطيع أن يقاوم محبة الدنيا والشهوات ويقول : اطلب مني أي شيء ما عدا أن أبتعد عن محبة الدنيا والشهوات ، وفي المقابل لا يعرف أصلا ماذا يعني أن يحب الله ؟ ولا يعرف أن حب الله ألذ وأمتع من كل لذات ومتع الدنيا ، ومن عرف الله عرف أن الشهوات ليس فيها شيء يدعو إلى محبتها ! .

ـ كلما نقص حب الدنيا زاد حب الله تعالى والعكس صحيح ، وإذا لم يكن في القلب سوى حب المال والشهوات والدنيا فلا يوجد شيء اسمه حب الله مطلقا .

ـ تصور صفات الخالق يؤدي إلى حبه تعالى :

ـ لا يتحقق الحب إلا إذا تذكر الإنسان صفات المحبة ، وكلما غفل عن ذكره غاب الحب ، وصفات الخالق كلها صفات محبة أي تدعو إلى محبته سبحانه ، وصفات الخالق تنقسم إلى صفات الذات وصفات القوة والعظمة وصفات الإنعام ، وهي صفات إذا تصورها الإنسان أحب الله تعالى ، ونوضح ذلك كالتالي :

ـ أولا : حب الله لجمال ذاته :

ـ لا يمكن تصور صفات الذات : (( لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ))([[1034]](#footnote-1034)) لأن جمال الله لا يقارن بأي جمال في العالم لمدى عظمته .

ـ فالإنسان يستطيع أن ينظر إلى جمال الطبيعة كالورود والأسماك والجبال فيرى الجمال الخلاب ، لكنه لا يستطيع أن ينظر إلى جمال الخالق لأنه ليس له شبيه ولا نظير ولا يمكن قياسه على جمال الدنيا كلها لأنه جمال عالي جدا جدا ، فهو جمال أمتع من كل متع الجنة نفسها ، فجمال الله يصعق الإنسان إذا نظر إليه فلا يستطيع مخلوق أن ينظر إليه سبحانه ، وجمال الله أعلى من كل جمال الدنيا والمخلوقات لأنه هو الذي أعطى لهم هذا الجمال ، والخالق لابد أن يتصف بالكمال في كل شيء فلابد أن يصل جمال الخالق إلى الكمال سبحانه ، فمهما أحب الإنسان شيئا لجماله فهو لا شيء أمام جمال الله تعالى فيكون حبه لجمال الله تعالى أعظم من كل شيء .

ـ ثانيا : حب الله لصفات القوة والعظمة :

ـ الضعيف يحب القوي ولو لم يعطه شيئا ، لأن الإنسان يحب صفات القوة ويحب من يتصف بها ، ويكره صفات الضعف ، ويكره من يتصف بها ، ومن صفات القوة الكرم والإنعام ، فالإنسان يحب الله لأنه الكريم المنعم .

ـ ولاحظ أنه لو أن إنسانا اعتدى على غيره فأفقده قواه بغير حق أو أخذ منه ماله بغير حق فهو ليس بقوي لأنه ظلم غيره والظلم صفة ضعف وليس صفة قوة ، فالقوي لا يحتاج إلى أن يظلم غيره ، فهو ضعيف عندئذ والآخر ضعيف أيضا لأنه لم يستطع أن يدافع عن نفسه .

ـ صفات القوة عند الإنسان والتي تتمثل في قوة جسمية وجاه وسلطان ومال وممتلكات ونعم يتمتع بها ، كل هذه الصفات ليست قوة له وهو ضعيف ، لأنه لا يملك شيئا منها وما هي إلا نعم من الله عليه ، والله هو الذي يملك كل شيء ، فجميع الناس ضعفاء وليس فيهم قوى ، ولا قوي قوة حقيقية إلا الله (( أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ))([[1035]](#footnote-1035)) .

ـ ومن صفات الضعف في الإنسان أنه يتعرض للمرض والموت ويتعرض لزوال النعم التي يحسب أنه بها قوي .

ـ الله له كل الصفات المحمودة وهي صفات قوة ، والإنسان بطبعه يحب هذه الصفات ويحب من يتصف بها ، ويعجب بها .

ـ فأنت مثلا إذا رأيت ساحرا يقوم بأعمال سحر فأنت تعجب به وتنبهر بما يعمله ، فإن قدرة الله أكبر مما يعمله الساحر في أنها قدرة كبيرة على عمل أي شيء ، وفي أنها قدرة حقيقية وليست سحرا وخيالا ، فمثلا عندما خرجت ناقة صالح من الصخرة لم تكن خيالا حتى أنهم ذبحوها وأكلوها ، وقدرة الله على خلق السماوات أعجب من السحر وهي حقيقة وليست سحرا .

ـ فالإنسان يحب الصفات الحميدة ويكره صفات النقص والعجز ، فمثلا الإنسان لا يحب النظر إلى إنسان أعمى أو معوق أو أصابه حرق أو مريض ، وكذلك لا يحب أن يصاحب إنسان غبي أو ضعيف البنية أو بخيل أو ليس بجميل المنظر أو ظالم .. الخ ، وعلى العكس فالإنسان القوي الذكي الكريم حسن المنظر يحبه الناس .

ـ فالله سبحانه فيه كل الصفات الحميدة ، وهذه الصفات تصل إلى درجة الكمال ، وكل ما سوى الله فيه كل صفات النقص والعجز والضعف وما عنده من صفات حميدة إنما هي مجرد عطاء من الله وليست أصيلة فيه وبالتالي ليست مدحا له وإنما مدحا لمن أعطاها إياه .

ـ الصفات الحميدة في الإنسان مثل الشجاعة والكرم والنجدة والقوة .... الخ هي صفات محبوبة ، والصفات السيئة مثل الجشع والظلم والقسوة والطمع .... الخ هي صفات مكروهة ، الله سبحانه له كل الصفات الحميدة فهو ينعم على الناس ولا يريد شيئا منهم ويرحمهم ويغفر لهم ويحلم عليهم ويتصف بكل الصفات الحميدة الجميلة .

ـ وكل صفات الله تعالى محبوبة ، والتكبر عكسه الخضوع ، فالتكبر صفة قوة والخضوع صفة ضعف ونقص ، وهناك فرق بين تكبر الظالم على المظلوم ، وتكبر من حقيقته القوة على من حقيقته الضعف ، فالظالم ليست له قوة حقيقية ولكنه أخذها من المظلوم ، والمظلوم كانت له قوة فسلبت منه ، أما إذا كان المتكبر ليس ظالما فهو في ذاته قوى ولم يأخذ قوته من أحد ، وتكبر على من ليست له قوة أصلا فلم يسلب منه أحد قوة ، فذلك التكبر صفة مدح ، فالإنسان ليس له أن يتكبر على غيره لأن جميع البشر لا قوة لهم ، فما عندهم من قوة هو نعمة من الله عليهم وليست ملكا لهم ، والله له القوة وحده وغيره لا قوة له : (( أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ))([[1036]](#footnote-1036)) ، فالناس يخضعون لله لأن هذا حقه لأنهم ضعفاء وهو القوى ، والضعيف يخضع للقوى والقوى بحق يتكبر على الضعيف الذي لا قوة له فلم يسلب منه أحد قوته .

ـ فصفات الله مثل الجبار والمتكبر والقهار هي أيضا صفات محبوبة ، لأن صفات القوة والإرادة عند البشر هي صفات مخلوقة فيهم وليسوا هم أقوياء من ذوات أنفسهم وحقيقتهم أنهم ضعفاء وما عندهم من قوة هو محض تكرم من الله عليهم ، لذلك فالإنسان ليس له أن يتكبر لأنه ليس بقوي ، والقوي بحق هو الذي له أن يتكبر على الضعيف .

ـ وفي تفسير الرازي : (( واعلم أن المتكبر في حق الخلق اسم ذم ، لأن المتكبر هو الذي يظهر من نفسه الكبر ، وذلك نقص في حق الخلق ، لأنه ليس له كبر ولا علو ، بل ليس معه إلا الحقارة والذلة والمسكنة ، فإذا أظهر العلو كان كاذباً ، فكان ذلك مذموماً في حقه أما الحق سبحانه فله جميع أنواع العلو والكبرياء ، فإذا أظهره فقد أرشد العباد إلى تعريف جلاله وعلوه ، فكان ذلك في غاية المدح في حقه سبحانه ولهذا السبب لما ذكر هذا الاسم قال : { سبحان الله عَمَّا يُشْرِكُونَ } كأنه قيل : إن المخلوقين قد يتكبرون ويدعون مشاركة الله في هذا الوصف لكنه سبحانه منزه عن التكبر الذي هو حاصل للخلق لأنهم ناقصون بحسب ذواتهم ، فادعاؤهم الكبر يكون ضم نقصان الكذب إلى النقصان الذاتي ، أما الحق سبحانه فله العلو والعزة ، فإذا أظهره كان ذلك ضم كمال إلى كمال ، فسبحان الله عما يشركون في إثبات صفة المتكبرية للخلق ))([[1037]](#footnote-1037)) .

ـ والإنسان يحب الله لأنه الوكيل ، فهو يتكفل بما يحتاجه العبد ، فيتوكل العبد على الله وفي ذلك راحة وسعادة ، ويحب الله لأنه تواب غفور رحيم ودود فيتوب على من أذنب ويغفر له ويتودد إلى عباده ، فأنت إذا أخطأت في حق ملك من ملوك الدنيا وخالفت أمره فقد يبطش بك ولكن الله يظل يغفر لك طالما أنك تتوب مهما كثرت الذنوب ، فذلك يؤدي بالضرورة إلى محبته .

ـ والإنسان يحب الله لأنه الهادي ، فالله يعرف الإنسان بطريق الهداية ويعينه عليه ويحب له الخير وأرسل إليه الرسل ليرشده إلى ما فيه نجاته وسعادته .

ـ والإنسان يحب الله لأنه يجيب الدعاء ، فكلما احتجت إلى أي شيء دعوته في أي وقت ، فالله عنده القوة التي تحميك وعنده كل ما تريد وتطلب في الدنيا والآخرة .

ـ والإنسان يحب الله لأن الله يريد للإنسان الخير ، وما يحدث للإنسان من ابتلاءات هو خيرا له لكي يفيق من غفلته ، كما أن الابتلاءات والمصائب فيها تكفير للذنوب ، وفي الحديث : (( يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلاَءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ في الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ ))([[1038]](#footnote-1038)) .

ـ والإنسان يحب الله لأنه يعطي الحسنة بعشر أمثالها ويضاعف لمن يشاء ، والسيئة بمثلها فقط .

ـ الضعيف يمتلئ قلبه بحب القوي عندما يعلم أن صفات قوته تصل إلى درجة الكمال :

ـ الإنسان يحب الصفات الحميدة ، وحبه أكبر لمن تتميز هذه الصفات الحميدة عنده فتكون أعلى من الناس ، فيحب من يضرب به المثل في الإنفاق أو أعمال الخير ، ويحب من يحقق رقما قياسيا في بطولة رياضية مثلا ، ويحب الانتماء إليه ومودته والعزة به ، وقد يعلق صوره في بيته ويكثر من الحديث عنه وينسب نفسه إليه ويفتخر بقدرة ذلك الإنسان الذي جعله مثلا أعلى له .

ـ ولأن الله هو الأعلى في كل الصفات الحميدة ، فمن شعر بالعلو والكمال في هذه الصفات لله تعالى شعر بحب الله وحب الانتماء إليه والحديث عنه وعن فضله ، فيعتز بانتسابه إلى الإسلام ، ويستمد فخره وشرفه وقوته من انتسابه إلى الإسلام .

ـ ولأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أعلى الناس في الصفات الحميدة كما أنه أرشد الناس وعرفهم بطريق النجاة ، فمن شعر بهذه الصفات للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شعر بحب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحب الانتماء إليه والحديث عنه وعن فضله ، فيعتز بانتسابه إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويستمد فخره وشرفه وقوته من انتسابه إلى الإسلام ، ويفرح بانتسابه إلى الله ورسوله والمؤمنين : (( وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ))([[1039]](#footnote-1039)) .

ـ فالجمال والصفات المحمودة كالكرم والرحمة وغيرها هي صفات محبوبة ، والإنسان يحب هذه الصفات ويحب من يتصف بهذه الصفات ، وكلما كانت هذه الصفات موجودة بصورة أكبر كان حب الإنسان لمن يتصف بها أكبر كأن يحب فلانا الذي كرمه كبير جدا أو جماله لا يوصف مثلا ، فإذا كانت جميع الصفات المحمودة هي من صفات الخالق وتصل إلى درجة الكمال التام وما عند الإنسان من صفات محمودة هي محض تكرم من الله عليه لأن الإنسان لا يملك شيئا يعطيه لغيره ليكون كريما مثلا ، فلا كريم كرما حقيقيا إلا الله تعالى ، والذي خلق كل هذا الكم من الجمال في الخلق والمخلوقات لابد أن يكون عنده من الجمال ما هو أكبر من مجموع ما أعطى من الجمال للخلق والمخلوقات منذ خلق الكون والبشر والمخلوقات إلى يوم القيامة ، وبالتالي فلذة النظر إلى وجه الله أعظم من مجموع كل جمال الدنيا ، وبالمثل كل الصفات المحمودة من الكرم والرحمة وغيرها فالله خلقها وهي عند الله أعظم فلله الكمال في الجمال والصفات ، وبالتالي فكل صفات الله تدعو إلى حبه حبا عظيما ، فمن لم يشعر بشيء من حب الله تعالى هو لا يعرف الله ولا يوقن يقينا حقيقيا بالخالق وصفاته .

ـ ثالثا : حب الله لصفات إنعامه :

ـ النعم عبارة عن أمانة يعطيها الله للإنسان ثم يستردها منه ، فالضعيف ليس له حق التملك لأن الملكية صفة قوة ، فإذا أعطاك الله نعمة فأنت تحبه وإذا سلب منك النعمة فتحبه أيضا لأنه تركك تستفيد بهذه النعمة لوقت معين .

ـ معنى الحب :

ـ الحب هو أحلى وألذ ما يشعر به القلب ، ونحن في زمان كثر فيه الكلام عن الحب ، فلا تحتاج إلى أن أذكر لك فوائد ومزايا وجمال ولذة ومتعة الحب .

ـ حب الله عبارة عن لذة ومتعة وسعادة يحس بها الإنسان عندما يعرف ( معرفة حقيقية ) مدى جمال صفات الله ومدى جمال ذاته فيشتاق إلى لقاءه والنظر إليه ويأنس به ويحب ذكره .

ـ فالحب هو الشعور بالراحة والميل والإعجاب والسعادة والطمأنينة والسكينة بالشيء لما فيه من صفات جميلة ، فإذا كنت تشعر بهذا الشعور تجاه الله فأنت تحب الله .

ـ إن الله تعالى يقول : (( قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ))([[1040]](#footnote-1040)) ، وأنت تسمع من كلام الحب للعشاق في الغناء وفي الشعر ما معناه : إن كل أعمالي وكل حياتي وروحي ومماتي للمحبوب ، وهذا هو ملخص معظم الأغاني والأشعار ، وهذا لا يكون إلا لله ، لأن هذا الكلام يفيد أن كل مشاعري وكل ما يشغل بالي وكل أهدافي هي المحبوب ، فخطورة أغاني العشاق أن فيها تعظيم لحب غير الله ، ففي ذلك صرف عن حب الله كما أن فيها تلهي وتشاغل عن الله ، وهذا يعني أن كلام الحب للعشاق لابد أن يتحول إلى الله بشرط تعديله بحيث يليق ويتناسب مع الله سبحانه ، وبشرط إزالة الكلمات والمعاني التي تتناسب مع الطين ( الإنسان ) لأنك تتعامل مع الله سبحانه ، وإنك تجد أن أهل الغناء والشعراء كثيرا ما يبالغون مبالغة شديدة في معاني القرب من محبوبهم ، وهذه المبالغة الشديدة إنما تجب أن تكون لله تعالي ، والعكس فإن الكلمات والمعاني الدينية التي تستخدم للتقرب إلى الله فإنك تجد أهل الغناء يستخدمون معاني قريبة أو شبيهة أو حتى نفس الكلمات في التقرب إلى المحبوب وهذا يجب أن يكون لله تعالى .

### ـ الحالة النفسية للحب :

ـ الحب صورة من صور الشعور باللذة ، فإذا لم يشعر الإنسان باللذة فهو لا يحب ، فالحب عبارة عن متعة ولذة ، فمن لم يجد في محبة الله متعة ولذة فهو لا يحب الله تعالى .

ـ كثيرا من الناس يدعون حب الله فإن الذي يحب شخصا فإنه يحب أن يذهب إليه ويتحدث معه فهل تجد في نفسك الشوق إلى لقاء الله والشوق إلى النظر إلى وجه الله الكريم في جنات النعيم ، ومن أدعية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (( اللهم وأسألك لذة العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك وشوقا إلى لقاك ))([[1041]](#footnote-1041)) ، والمحب يفرح ويطمئن بذكر محبوبه والحديث عنه ، فكذلك المؤمن يفرح ويطمئن بذكر الله : (( الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ إلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ))([[1042]](#footnote-1042)) .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

### ـ المشاعر المتعلقة بالثواب والعقاب ( الخوف من العقاب والرجاء في الثواب)

ـ ما يطمح إليه الإنسان ويرجوه ويتمناه ويحلم به ويكون أمله ورغبته إما أن يكون تجارة أو مال أو شهوات أو منصب وجاه ، وإما أن يكون رضا الله والجنة ، وكلما زاد أمله في الدنيا قل أمله في الجنة ، والعكس صحيح ، فهذا معنى الرجاء .

ـ فقد يكون للإنسان هدفان متناقضان ، فهدفه الدنيا وهدفه الآخرة ، وكلما زاد هدفه ورغبته في الدنيا نقص هدفه ورغبته في الآخرة ، والعكس صحيح ، فإذا أثر الهدف الدنيوي على الهدف الأخروي فقد خسر : (( فَأَمَّا مَنْ طَغَى (37) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (38) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ))([[1043]](#footnote-1043)) ، (( الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخرة ))([[1044]](#footnote-1044)) ، (( ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخرة ))([[1045]](#footnote-1045)) .

ـ ومن الناس من عنده طول أمل بحيث كلما حقق هدفا دنيويا لم يقنع ولم يحقق له سعادة ، ويستجد له طموحات أكثر وطول أمل أكثر وهكذا يظل يريد أن يصل إلى أهدافه التي يرى فيها الراحة حتى يموت ، فكثير من الناس من يرى الراحة والسعادة حينما ينجح في دراسته ثم ينجح فلا يرتاح لأنه يرى الراحة في أن يتخرج من الجامعة ثم لا يرتاح لأنه يرى الراحة في أن يجد عملا ثم لا يرتاح لأنه يرى الراحة في أن يتزوج ثم لا يرتاح لأنه يرى الراحة في إنجاب الأطفال ثم لا يرتاح لأنه يرى الراحة في أن يزوج أبناءه ثم لا يرتاح لأنه يرى الراحة في أن يكون ذو صحة وعافية ولا يرتاح الإنسان ويرضى بما هو فيه من العمل فلا يرى في عمله الراحة ويظن أن عملا آخر أفضل ، ولا يرتاح ويرضى بما هو فيه مع زوجته ويرى أن آخرين يعيشون حياة أفضل ولا يرتاح ولا يرضى بمسكنه ويظن أن غيره أفضل ولا يرتاح ولا يرضى ويظل عنده أمل في تحقيق أشياء كلما تحققت لم يجد فيها الراحة وكان عنده آمال أخرى لا تنتهي حتى يموت وهو على ذلك لم يجد الراحة ، فلا راحة في الدنيا ، إنما الراحة في الجنة ، ومثال ذلك مثال الرجل الذي قيل له اجري في هذه الأرض فكلما قطعت مسافة من هذه الأرض فهي لك ، فكان الرجل كلما جرى مسافة يقول لنفسه : كلما أجرى أكثر آخذ مساحة أكبر من الأرض ويظل هكذا لا يتوقف حتى يقع ميتا ، ولا أحد يعجبه حاله أو يرضى بحاله ويقول الشاعر :

صغير يشتهي الكبرا وشيخ ود لو صغرا

ورب المـال في تعـب وفي تعب من افتقرا

وخالي يشتـهي عمـلا وذو عمل به ضجرا

ويشقى المرء منهزما ولا يرتـاح منتصـرا

فهل حـاروا مع الأقدار أم هل حيروا القـدرا

ـ ودائما يجعل الإنسان ما يحتاجه أكثر مما معه من مال ، ويتصور أنه لو جاء إليه قدر معين من المال لحقق ما يريد وارتاح وسعد ، ولكنه كلما زاد دخل الإنسان كلما صنع لنفسه احتياجات أكثر من دخله ، فيظل في احتياج وتطلع وشكوى مستمرة حتى يموت ، فكلما حقق طموحه استجد له طموح آخر ، ودائما يتصور أن ما يطمح إليه هو شيء مهم وضروري لأسباب واهية ، وقد يكون لا داعي له أصلا أو غير مبرر أو لا يحتاج إليه على وجه الضرورة ، ويظل يعمل طول عمره من أجل مستقبله ولن يأتيه المستقبل حتى يموت ، فهو دائما لا يرضى بحاله والوضع الذي هو فيه ويريد التغيير ولو لمجرد التغيير ، فهو غير راض عن مسكنه أو عن عمله أو عن دخله أو عن زوجته وأسرته ، فيظل دائما يبحث عن السعادة وينتظرها فلا يجدها ولا يصل إليها ، والسبب هو أن الذي يعيش للدنيا كلما حقق طموحا فلابد أن يصنع لنفسه طموحا آخر وإلا فلماذا يعيش وماذا يصنع ؟ فالإنسان لا يستطيع أن يعيش بغير طموح وهدف ، وطالب الدنيا ليس له هدف محدد لأن الدنيا ليست شيئا واحدا فهي ألوان من المظاهر والشهوات والأموال والمتاهات ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب ، أما الذي يعيش للآخرة فطموحه الجنة ، أما الدنيا فهو يعلم أنه عابر سبيل فلا يطمح فيها ، كما أنه يعلم أن رزقه لا يزيد ولا ينقص لا بطموح ولا بغير طموح وأنه لا حيلة في الرزق ، وأن رزقه لن يأخذه غيره لذلك فهو مطمئن سعيد ، ولذلك ففي الحديث : (( انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم ))([[1046]](#footnote-1046)) .

ـ وما لم يكن لقاء الله والآخرة هو الهدف يظل الإنسان يخترع لنفسه أهداف دنيوية حتى يموت .

ـ الإنسان لديه خوف وقلق بشأن وجود وظيفة ومسكن والتغلب على أعباء الحياة والتغلب على مشاكله الخاصة والحصول على النفقات التي تمكنه من الزواج وغير ذلك من أمور الدنيا ومخاوفها ، وقد يكون خوفه وقلقه بشأن النجاة من النار وأهوال القيامة ، وكلما زاد خوفه من مخاوف الدنيا قل خوفه من مخاوف الآخرة ، والعكس صحيح ، فهذا معنى خوف العقاب .

ـ كل الناس يريدون الشهوات واللذات وتحقيق السعادة وتجنب المضار والآلام ، وهم في ذلك صنفين هما :

ـ الصنف الأول يرى السعادة في شهوات الدنيا ولذاتها وتجنب مشاكل الدنيا وآلامها فيكون تفكيره في شهوات الدنيا وهمه في الحصول عليها ، وهؤلاء كفار أو منافقون ، وهؤلاء كل خوفهم ورجاؤهم في الدنيا .

ـ الصنف الثاني يرى السعادة في شهوات الجنة ولذاتها وتجنب عذاب النار وآلامها فيكون تفكيره في شهوات الجنة والحور العين وهمه في الحصول عليها ، وهؤلاء هم المؤمنون ، وهؤلاء هم العاقلين الذين يصبرون أنفسهم عن شهوات الدنيا القليلة ليتمتعوا بالنعيم الأبدي في الآخرة ، والدنيا في نظرهم ما هي إلا صبر ساعة ، وهؤلاء خوفهم ورجاؤهم في الله .

ـ الخوف من العقاب والرجاء في الثواب لابد أن يسبقه المشاعر الغير مرتبطة بالثواب والعقاب :

ـ لكي تتحقق المشاعر المرتبطة بالثواب والعقاب ( الخوف من العقاب والرجاء في الثواب ) لابد أولا أن تتحقق المشاعر الغير مرتبطة بالثواب والعقاب ( كالخضوع وخوف المهابة والحب ) ، فلكي يتحقق الخوف من دخول النار لابد أولا أن يعقل الإنسان خطورة النار وبالتالي يخاف من مهابتها ويكرهها ، ولكي يتحقق الرجاء في دخول الجنة لابد أولا أن يعقل الإنسان خطورة الجنة وبالتالي يخاف من مهابتها لما فيها من عجائب اللذات التي تفوق كل التصورات ويحب ما فيها من اللذات .

ـ فمثلا الإنسان إذا ذهب إلى قسم الحرائق بأي مستشفى ورأى ما فعلته النار بهؤلاء المرضى فإنه يتألم رغم أنه لم يصب بأي أذى من النار ، فهذا هو خوف المهابة من النار ، وينشأ عن ذلك الخوف من أن يقترب من النار أو تدركه النار فيصاب مثلهم ، وهذا هو خوف العقاب أي خوف الوصول للنار ، فإذا لم يشعر الإنسان بالتألم لهؤلاء المرضى فهذا معناه أنه لا يعرف ماذا تعني كلمة نار معرفة حقيقية ، وهو ليس حي ولا عقل له ، وبالتالي فلن يخاف من العقاب .

ـ فكذلك في هلاك الأمم السابقة لابد أن يشعر الإنسان تجاهه بخوف المهابة مما حدث لهم ، فينشأ عن ذلك خوف العقاب من أن يكون مصيره مثل مصيرهم .

ـ الإنسان إذا سمع عن رجل كريم جواد يعطي الفقراء والمحتاجين ويساعد الناس فإنه يحبه ، وينشأ عن ذلك الرجاء في الحصول على عطاء منه ، فإذا لم يحبه فلن يرجوه .

ـ الخوف من النار هو في حقيقته خوف من الله ، ورجاء الجنة هو في حقيقته رجاء الله :

ـ الخوف من النار هو في الحقيقة خوف من الله ، لأن النار ليست هي التي أوجدت نفسها وليست هي التي تريد أن تعاقب أحدا ، ولكنها عقوبة من الله ، لذلك فالخوف من النار في الحقيقة هو خوف من الله من أن يعاقبك بالنار ، وكذلك رجاء الجنة هو في الحقيقة رجاء الله في أن ينعم عليك بالجنة ، وكذلك الخوف من الآخرة هو في الحقيقة خوف من الله في أن يقيك هول ذلك اليوم ، لذلك يقول تعالى : (( إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً ))([[1047]](#footnote-1047)) .

### ـ الحالة النفسية للخوف وللرجاء :

ـ أنظر إلى طالب في الثانوية العامة ، فإنه قد يأخذ حالة طوارئ ويتهيأ نفسيا لأنه أمر مصيري يتحدد عليه مستقبله ، إنه يكون في قلق واضطراب وخوف وترقب حتى تظهر النتيجة ، إن الحالة النفسية التي عنده هي التي تسمي خوف وقلق ، فإذا كنت تدعي الخوف من الآخرة فهل عندك هذه الحالة النفسية ؟ ، وأنظر إلى حالته وهو في انتظار النتيجة ، أنظر إلى حالته المزاجية وانشغال باله بالنتيجة ، فإن الشعور الحقيقي يظهر علي الوجه ويؤثر في وجدانه وربما يأرق من النوم وتقل شهيته للطعام .

ـ أنظر إلى إنسان مطلوب منه أن يقوم بعمل معين وإلا يتعرض مثلا للفصل من العمل ، أنظر إلى حالته النفسية قبل وأثناء وبعد تأدية العمل فتجد حالة نفسية مميزة للخوف ، وأنظر إلى قوة هذه الحالة النفسية واستمراريتها والشعور بها ، وحتى بعد العمل يظل خائفا هل أداه علي ما يجب أم أنهم لن يرضوا عن هذا العمل .

ـ مثال آخر : هل خوفك من القيام بعمل يعاقب عليه القانون مثل خوفك من القيام بمعصية ، فأين خوفك من عقاب الله ، وهل ندمك وحزنك على الوقوع في معصية مثل حزنك على ضياع مائة جنيه مثلا ، وهل الحالة النفسية التي تشعر بها في هذا مثل هذا ؟! .

ـ لو كنت تدعي أن هناك أحدا من الناس يتعقبك ويريد قتلك ثم أنت لا تشعر بالخوف من ذلك فأنت كذاب ، كذلك إذا كنت تدعي بوجود الآخرة بما فيها من أهوال وعقاب ولم تخف خوف المهابة وخوف العقاب فأنت كذاب ، فالآخرة مثل الجيش الذي يهجم عليك ليقتلك ، ففي الحديث : (( مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء النجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبته طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق ))([[1048]](#footnote-1048)) ، فهل عندك الحالة النفسية للذي يهرب من الجيش المقبل عليه ليفتك به .

ـ الإنسان الذي يعيش من أجل الدنيا كلما مر عليه يوم شعر بأنه اقترب من تحقيق طموحه الدنيوي فيزداد نشاطا للدنيا ، والذي يعيش منتظرا لقاء الله كلما مر عليه يوم شعر بأنه اقترب من الموت ولقاء الله ، فالرجاء فيه شوق وحنين وفرح وحب وتطلع وانطلاق وشعور بالهدف الذي تسعى إليه ، فإذا كنت تدعي أنك ترجو الله واليوم الآخر فهل عندك مثل الحالة النفسية التي تكون عند من يرجو ويهدف إلى القيام بعمل دنيوي كمشروع تجاري أو السعي لمنصب أو جاه أو شهوة ؟! .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

ـ ادعاء وجود المشاعر المتعلقة بالله والآخرة :

ـ كل الناس يعلمون أنه يجب عليهم أن يخضعوا لله ويحبوه ويخافوه ويرجوه ولكنهم يتغافلون عن ما يعلمونه ويتناسون الأمر كأنه ليس بقضية أصلا ! .

ـ كل إنسان يدعى الخضوع ولا يسأل نفسه هل هو خاضع حقا أم لا ؟ ولا يتبين طبيعة وحقيقة الخضوع ، وكذلك يدعي أنه يخاف الله ويحبه ويرجوه ويخاف من الآخرة ؟ ولا يسأل نفسه هل هو خائف حقا من الله أم لا ؟ وهل هو يشعر بحب الله حقا أم لا ؟ ، ولا يهمه الأمر كأن المسألة غير مهمة ، ولكي يهرب من مواجهة نفسه أمام نفسه قد يدعي أن هذه الأمور موجودة بالفطرة عند كل الناس مسلمين وكافرين أو يدعي أن هذه الأمور هي عند المقربين وهي لمن يريد الدرجات العليا في الجنة وليست مسألة خلود في الجنة أو خلود في النار ، أو يدعي أن هذه المشاعر موجودة بالفعل عنده في حين لا توجد عنده الحالة النفسية المميزة لكل شعور من هذه المشاعر فهذه المشاعر غائبة تماما .

ـ كل الناس يعلمون أن الخضوع هو شعور بالذل ويعلمون أن معنى أن لهم إله هو أن يخضعوا له ، ويعلمون أنهم يجب عليهم أن يخضعوا لله ويحبونه ويخافونه ويرجونه لكنهم يتناسون هذه المشاعر ، ويهربون منها ولا يشغلوا أنفسهم وتفكيرهم بهذه المشاعر كأنها لا قيمة لها ، وقلما تجد إنسان يفكر في حقيقة الخضوع والحب والخوف ليرى هل هي موجود فعلا عنده أم لا ؟ .

ـ كل الناس يدعون أنهم خاضعين لله وهم يتناسون معنى أن يعيش الإنسان خاضعا ذليلا لغيره طول حياته ، فهم لا يقبلون أن يعيشوا معيشة الذل ويعتبرون أنفسهم أحرارا ولا يقبلون أن يستعبدهم أحد فيكونون عبيدا له .

ـ مشاعر الإيمان كحب الله والخوف منه ورجاءه والخضوع له والخوف من الآخرة تحولت عند بعض المسلمين إلى عبارات محفوظة مقدسة وليست مشاعر حقيقية يحس بها الإنسان في داخله ، وبالتالي وقعوا في النفاق الأكبر رغم أنهم يدعون وجود هذه المشاعر في أنفسهم ، وهي في الحقيقة أصبحت مفرغة من معناها .

ـ فاليقين بالله إذا لم يؤدي إلى هذه المشاعر فهو يقين كاذب وليس يقينا حقيقيا ، أما اليقين الحقيقي فهو الذي يؤدي إلى هذه المشاعر ، ولأنه بالفطرة من عرف الله ( أحس بقدره ) خاف من مهابته وأحبه وخاف عقابه ورجا ثوابه وخضع له وأطاعه .

ـ لقد أصبح بعض الناس مخدوعون في أنفسهم يظنون أنهم يحبون الله ويخافونه ويخضعون له ويخافون الآخرة رغم أنه لا يوجد عندهم ولو ذرة واحدة من ذلك ، فرغم أن هذه المعاني بسيطة ويعرفها الصغار والكبار لكن مات معناها الحقيقي ، لذلك أصبحنا نحتاج إلى توصيف وتعريف معنى شعور الإنسان بالخوف أو بالحب أو بالخضوع حتى يستطيع أن يعرف الإنسان في نفسه بدقة هل هذه المشاعر موجودة أم لا ؟ .

ـ ورغم بساطة هذه المشاعر فعدم وجودها يعني الخلود في النار ، ومع ذلك لا يهتم أحد بتوصيفها للتأكد من وجودها أم لا ، وقد يعتبر توصيف هذه المشاعر نوعا من الفلسفة ! رغم أنها مسألة خلود في الجنة أو خلود في النار .

ـ ونستطيع أن نحدد بمنتهى الدقة أن عدم وجود هذه المشاعر يرجع إلى غياب التصور لقدرة الله وخطورة الآخرة وحقيقة الدنيا ( نسيان الله والآخرة ) ، فطالما أنه لم يتحقق التصور لعظمة الله وخطورة الآخرة فهذا يعني أن مشاعر الإيمان ما زالت غير موجودة بالضرورة ، لأن من عرف الله معرفة حقيقية نشأ عن ذلك تلقائيا وبالضرورة محبته والخوف منه والخضوع له .

ـ وطبيعي أن الشيء الذي ينبني عليه الخلود في الجنة أو النار لابد أن يكون شيئا بسيطا جدا بحيث يعرفه كل الناس مهما كانت بساطتهم وعلى جميع مستوياتهم ، فكل الناس يعرفون معنى حب الشيء والخوف منه ومعنى الخضوع والاستسلام ولكنهم يتناسون ذلك .

ـ وقد أوضحنا حقيقة خوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب والخضوع ، وقمنا بتحليل كل شعور من هذه المشاعر من داخل النفس وأوضحنا الحالة النفسية المميزة لكل شعور من هذه المشاعر حتى يتبين لمن يدعى حب الله والخضوع له وأن الله غايته أنه مخدوع وأن مشاعر الإيمان غير موجودة عنده وأن اقتناعه بوجودها هو مجرد وهم وخداع يخدع الإنسان به نفسه .

### ـ كيف تعرف هل المشاعر المتعلقة بالله والآخرة موجودة عندك أم لا ؟ :

ـ كل الناس يدعون وجود المشاعر المتعلقة بالله والآخرة ، فشرط وجود المشاعر المتعلقة بالله والآخرة هو وجود الحالة النفسية المميزة لكل شعور ، وهو شرط بديهي جدا من الفطرة ، وبالتالي فهو حجة على جميع الناس مهما اختلفت ثقافاتهم ومستوى فهمهم ولا عذر فيه لأحد لأنه لا يجهله أحد ، فالذي يدعي الخوف من الله لابد أن يشعر بما يشعر به الإنسان من أمر من أمور الدنيا بل أشد ، والذي يدعي حب الله لابد أن يشعر بما يشعر به الإنسان الذي يحب أمرا ما من أمور الدنيا بل أشد ، والذي يدعي الخضوع لله لابد أن يشعر بما يشعر به الإنسان الذي يعمل خادما عند سيدا له بل أشد ، فلابد من وجود الحالة النفسية والعاطفية والوجدانية والمزاجية والحالة الانفعالية المناسبة لكل شعور وما فيها من الشعور بالضيق أو الألم أو الشعور بالفرح والسرور ، وإلا فإن هذا الشعور غير موجود وهو مجرد ادعاء ، فالخوف فيه شعور بالقلق والاضطراب الداخلي والحب فيه شعور بالشوق والفرح والارتياح النفسي والإعجاب والخضوع فيه شعور بالانكسار والذلة والمسكنة ، وهكذا .

ـ فإن حب الله والخوف منه والخضوع له ليست أشياء هلامية غير مفهومة وإنما هي من نفس جنس المشاعر التي يعرفها الإنسان ويشعر بها في الدنيا ، فإذا أردنا تعريف الحالة النفسية للخوف مثلا فنقول هو الحالة النفسية التي تحدث للشخص عندما يتعرض لخطر ما ( مثلا طالب ينتظر نتيجة امتحان ) ، وتفسير هذه الحالة النفسية من داخل النفس واضح يشعر به كل إنسان وإن صعب عليه التعبير عما يحس به ، أو مثلا الغضب تجد له انفعال عصبي داخلي يشعر به الإنسان الغاضب كما يظهر علي سلوكه وانطباعاته ، أو مثلا الطمأنينة هو حالة نفسية فيها شعور بالارتياح والسكينة ...الخ ، فلابد من توصيف الحالة النفسية المصاحبة لكل شعور من المشاعر .

ـ والحالة النفسية لكل شعور من المشاعر تكشف الإنسان أمام نفسه حتى لا يظن أنه يخاف الله وليس في قلبه ذرة من الخوف أو يحسب أنه يحبه وليس في قلبه ذرة من الحب ، وهكذا .

ـ أحد أهم الأشياء التي يتغافل عنها الإنسان وهي هل حقق الإنسان الحالة النفسية المميزة لخوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب والخضوع لله والخوف من الآخرة أم لا ؟ ، وأن يجتهد في تحقيقها ولو طول عمره .

ـ ملحوظة :

ـ المشاعر مرتبطة ببعضها وتحدث معا ، فمثلا الذي يحب الله فهو يخافه ويخاف من الآخرة ...الخ ، وكذلك كل مشاعر الإيمان مرتبطة ببعضها ، وكذلك الهموم والأهداف مرتبطة مع المشاعر فتحدث جميعا معا لأنها مستمدة من شيء واحد وهو معرفة الله والآخرة معرفة حقيقية .

ـ مهما وصفت لك الحالة النفسية لكل شعور من المشاعر فلن تكون مثل الحالة النفسية لإنسان حققها فعلا ، فمهما وصفت لك حال الطالب عند الامتحان وما ينتابه من قلق وخوف فلن يكون مثلما تعاين أنت هذا الأمر فتشعر بهذا الشعور ، ففي الحديث : (( ليس المخبر كالمعاين ))([[1049]](#footnote-1049)) .

ـ ومهما وصفت لك عن طبيعة المشاعر التي ينبغي أن يشعر بها المسلم من حب الله والخوف منه والخوف من الآخرة ، فهي أمور شعورية وليست أمور معرفية ، والإنسان الذي يشعر بألم أو بلذة قد لا يستطيع أن يصف لك ما يشعر به ، لأن الألم واللذة هو شيء له طعم يذوقه ويشعر به وقد لا يستطيع أن يعبر عنه .

ـ إذا لم تكن تشعر بشيء من الحالة النفسية للشعور بحب الخالق أو بشيء من الحالة النفسية للشعور بالخضوع له أو بشيء من الحالة النفسية للشعور بخوف المهابة منه فهذا ناشئ من نسيان الله والآخرة .

### ـ الفرق بين تحقيق مشاعر الإيمان والاقتناع بالعمل على تحقيقها :

ـ إن العبرة بتحقيق مشاعر الإيمان مثل خوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب والخضوع والخوف من الآخرة ، وليست العبرة بالاقتناع بها وتمني التحلي بها والدعوة إليها وتعليمها الناس ولا حتى السعي نحوها دون الوصول لتحقيقها ، فمن هذا حاله فلا فائدة من عمله : (( أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ))([[1050]](#footnote-1050)) ، وفي الحديث : (( مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه مثل الفتيلة تضيء للناس وتحرق نفسها ))([[1051]](#footnote-1051)) ، وحتى لو كان الإنسان عالما عاملا بكل أمور الدين والدنيا من غير أن يحقق مشاعر الإيمان فلا يغني ذلك عنه شيئا ، ومن الناس مَنْ يظل طول عمره يقول أنا مقصر في هذه المشاعر وأريد تحقيقها : (( قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدِينَ ))([[1052]](#footnote-1052)) ، فهذه المشاعر من الثوابت التي يقرها الجميع وعلى اقتناع نظري تام بأهميتها وأهمية تحقيقها ، ولكن مَنْ يحققها فعلا ؟! : (( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ))([[1053]](#footnote-1053)) ، وإنك لتجد الكثير ممَنْ يدعي أنها متحققة في نفسه : (( فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ))([[1054]](#footnote-1054)) ، (( وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ))([[1055]](#footnote-1055)) .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

ـ أثر المشاعر المتعلقة بالله والآخرة

ـ المشاعر المرتبطة بالثواب والعقاب تؤدي إلى عبادة الله من أجل الجنة والنجاة من النار ، والمشاعر غير المرتبطة بالثواب والعقاب تؤدي إلى عبادة الله من أجل رضا الله ولو لم يكن هناك جنة ولا نار ، والمؤمن يعبد الله للأمرين معا ، فيعمل لله حياءا منه وخضوعا له وتعظيما له وحبا له وخوفا من عقابه ورجاءا لجنته .

ـ الخوف من الله يؤدي إلى أن يكون سلوك الإنسان وعمله سلوك الخائف وعمل الخائف فيعيش حياته خائفا مترقبا لقاء الله تعالى ، وكذلك الخضوع لله يؤدي إلى أن يكون سلوك الإنسان وعمله سلوك الخاضع وعمل الخاضع ، وكذلك حب الله تعالى يؤدي إلى أن يكون سلوك الإنسان وعمله سلوك المحب وعمل المحب .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

# **الفصل الـسابع عشر : التصور وخوف المهابة متلازمان**

ـ تصور الخطر يؤدي إلى الشعور بالخطر ، والشعور بالخطر يسمى خوف المهابة .

ـ أي أمر فيه خطر لابد أن يؤدي إلى خوف المهابة ، إذا لم يشعر الإنسان بخوف المهابة من أمر ما خطير فهذا معناه أن يقينه بأن هذا الأمر خطير كاذب .

ـ الإنسان الذي يعيش وسط مخاطر تحيط به وتنتظره لا يمكن أن يعيش هادئ البال ، لابد أن يشعر بالقلق والرهبة والتحير من هول ما حوله وما ينتظره .

ـ مفهوم خوف المهابة :

ـ هو شعور بالانبهار والتعجب والدهشة والاستغراب والذهول والتهيب والتحير من مدى غرابة الأمر وخطورته ومن روعة ما يرى ، وهي أقرب إلى مفهوم ( اليقظة ) التي عرفها ابن القيم بأنها انزعاج القلب لروعة الانتباه من رقدة الغافلين([[1056]](#footnote-1056)) .

ـ فيكتشف أمور مذهلة ويكتشف أنه كان أعمى لا يرى شيئا وكان بلا عقل لما يرى من الحقائق المذهلة ، ويكتشف أنه كان مغفلا مخدوعا في منتهى الغفلة ، فقد كان نائما والجيش مقبل عليه ليقتله ثم أفاق والجيش يدهمه ، ففي الحديث : (( مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء النجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبته طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق ))([[1057]](#footnote-1057)) .

ـ هذا الشعور يجعل انشغال الهم مستمرا ، وينشأ عنه باقي المشاعر .

ـ من أمثلة خوف المهابة :

ـ خوف المهابة من الموت ومن قدرة الله الذي أمات ، وخوف المهابة من الآخرة ومن قدرة الله على إيجاد هذا النعيم الهائل وهذا العذاب الأليم ومن الثواب والعقاب لأنه أمر مهيب ، وخوف المهابة من نزول كلام الله ومن الله لأن نزول كلامه هو أكبر دليل عليه سبحانه ، وخوف المهابة من الآيات الكونية لأنها عجيبة وخارقة للأسباب ومن قدرة الله في القيام بها .

ـ خوف المهابة من السفر إلى الآخرة ( الشعور بالقلق )

ـ هو شعور بالترقب وانتظار الآخرة ( الاستعداد النفسي والتأهب والتطلع إلى الآخرة ) .

ـ لو قيل لك أنه قد تحدد لك موعد سفرك من أرض الدنيا إلى أرض المحشر بعد شهر من الآن ، وأن جواز سفرك قد تم التأشير عليه بالهجرة بلا عودة من الدنيا ، إن هذا الأمر عندئذ سوف يشغل تفكيرك ليلا ونهارا ، سوف ستظل تفكر في لقاء الله وتتهيب الأمر حيث تقف أمامه لتجيب عليه وهو يسألك عن أعمالك ، وسوف تتعامل مع أهلك والناس تعامل المودع لهم الراحل عنهم ، إنه تفكير دائم وشعور بالتهيب من الأمر ( خوف المهابة من فراق من اعتدت على رؤيتهم في الدنيا وخوف المهابة من الوصول إلى لقاء الله نفسه ) .

ـ إنه بالفعل قد تحدد لك موعد سفرك وهو قريب جدا ولكن لم يتم إعلامك به ، فلماذا لا يتوجه تفكيرك إلى هذا الأمر ولماذا لا تتهيب الأمر طوال وقتك ؟ ، ذلك لأنك تبعد تفكيرك عن هذا الأمر وتتناساه وتتجاهله وتتغافل عنه كأنك لن تسافر وترحل ولن تقابل الله نفسه سبحانه ، فأصبح يقينك بالموت والآخرة والسفر للقاء الله هو يقين كاذب وليس يقينا حقيقيا ، فأصبح ذلك السفر وأصبحت الآخرة لا قيمة لها في نظرك .

ـ كل إنسان يترقب اليوم الذي يحقق فيه هدفه أو اليوم الذي يحدث فيه أمر خطير فيظل همه منشغلا بهذا اليوم ، فالطالب يترقب يوم الامتحان والسجين يترقب يوم الإفراج ، والعاقل الذي يشعر بخطورة الآخرة فإنه يعيش حياته مترقبا يوم لقاء الله والآخرة ومترقبا يوم موته حيث يلقى الآخرة فيظل ذهنه منشغلا بالتطلع إلى يوم اللقاء المهيب حيث تكون الدنيا لا قيمة لها .

ـ الشعور بالترقب مثل شعور الإنسان الذي يقف ينتظر أحدا على موعد ، والشعور بالترقب معناه الاستعداد النفسي بانشغال الهم بالأمر فلا يكون مفاجئا عندما يأتي ، وعدم وجود الشعور بالترقب معناه أنه يتناسى ذلك الأمر ولا يشغل باله به رغم يقينه النظري به فيكون الأمر مفاجئا له عندما يأتيه ، فالمؤمن يعيش حياته يعد نفسه للآخرة منتظرا مجيئها ليجد الثواب ، فهمه مشغول باليوم الذي يلقى فيه الله تعالى والآخرة ، فذلك هدفه .

ـ الإنسان إما أن يشعر بالترقب والقلق انتظارا للآخرة ، وإما أن يشعر بالرضا والاطمئنان بالدنيا ، وعدم انتظار الآخرة والرضا والاطمئنان بالدنيا معناه غياب اليقين الحقيقي بالآخرة ولقاء الله ، ففي تفسير السعدي : (( يقول تعالى { إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا } أي: لا يطمعون بلقاء الله الذي هو أكبر ما طمع فيه الطامعون وأعلى ما أمله المؤملون ، بل أعرضوا عن ذلك ، وربما كذبوا به { وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا } بدلا عن الآخرة ، { وَاطْمَأَنُّوا بِهَا } أي: ركنوا إليها، وجعلوها غاية مرامهم ونهاية قصدهم، فسعوا لها وأكبوا على لذاتها وشهواتها، بأي طريق حصلت حصلوها، ومن أي وجه لاحت ابتدروها ، قد صرفوا إرادتهم ونياتهم وأفكارهم وأعمالهم إليها ، فكأنهم خلقوا للبقاء فيها، وكأنها ليست دار ممر، يتزود منها المسافرون إلى الدار الباقية التي إليها يرحل الأولون والآخرون ، وإلى نعيمها ولذاتها شمر الموفقون ، { وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ } فلا ينتفعون بالآيات القرآنية، ولا بالآيات الأفقية والنفسية ، والإعراض عن الدليل مستلزم للإعراض والغفلة عن المدلول المقصود ، { أُولَئِكَ } الذين هذا وصفهم { مَأْوَاهُمُ النَّارُ } أي: مقرهم ومسكنهم التي لا يرحلون عنها ))([[1058]](#footnote-1058)) .

ـ والشعور بترقب لقاء الله والآخرة ورد في القرآن بمعنى الرجاء للقاء الله والآخرة ويقصد به القلق والخوف ، ففي التفسير المنير : (( { مَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ اللَّهِ } أي يأمل ويطمع في لقائه وثوابه وجزائه في الجنة ))([[1059]](#footnote-1059)) ، وفي تفسير أبي السعود : (( { وارجوا اليوم الاخر } أي توقَّعوه وما سيقعُ فيه من فُنون الأهوالِ ))([[1060]](#footnote-1060)) ، وفي الحديث : (( كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ ، فكأن ذلك ثقل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا ))([[1061]](#footnote-1061)) .

ـ وعدم الشعور بترقب لقاء الله والآخرة يعبر عنه بعدم الرجاء : (( بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ))([[1062]](#footnote-1062)) ، (( وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا ))([[1063]](#footnote-1063)) .

ـ الناس صنفين هما :

1ـ الصنف الأول : هم الذين يتطلعون ويترقبون وينتظرون ويتوقعون ويرجون الموت والآخرة ولقاء الله تعالى :

ـ فهؤلاء يعيشون في الدنيا معيشة من يقف في مكان ما ينتظر أحدا على موعد لمقابلته وهو قلق ينظر في الساعة دائما ويتلفت يمينا وشمالا لعل من ينتظره قادم الآن ، فلحظات الانتظار هذه هي فترة عمره يبقى طوال حياته الدنيوية في حالة ترقب وانتظار وتوقع مجيء الموت والآخرة ولقاء الله في أي لحظة وإعلان النتيجة لما يصنعه في الدنيا ، فطالما تحقق اليقين الحقيقي بأن الآخرة دار استقرار فلابد من وجود الشعور بقلق الانتظار .

ـ وهؤلاء يعيشون سنوات عمرهم في حالة تأهب وترقب واستعداد نفسي متطلعين إلى اليوم المحتوم الذي يعيشون من أجله منتظرين مجيء اليوم الذي يصلون فيه إلى بيتهم بعد سفر طويل ! ، وهؤلاء يعيشون حياتهم معيشة المسافر عابر السبيل الذي ينظر إلى الحياة الدنيوية على أنها مؤقتة فانية وأنه راحل إلى حياة الخلود حيث داره وأهله ومعيشته ، وهؤلاء عندهم شعور بالترقب والانتظار والتطلع والطموح إلى الآخرة ولقاء الله ، فذلك هدفهم وغايتهم التي يعيشون من أجلها ، وهؤلاء يعيشون معيشة المتوقع المنتظر مجيء الموت والآخرة ولقاء الله ، وهؤلاء يعيشون في حالة قلق وإشفاق وخوف من الآخرة ، ويستمر ذلك طوال حياتهم وأثناء أداءهم للأعمال .

ـ وهؤلاء عندهم صبر طويل ، فهم يصبرون على الدنيا منتظرين الآخرة ، والصبر على الدنيا معناه أن يصبر الإنسان مدة الستين سنة أو أكثر أو أقل حسب عمر الإنسان باعتبار أن هذه السنوات ما هي إلا لحظات منتهية ضئيلة في عمر الآخرة ، فالذي يوقن فعلا بالآخرة ويشعر بها فإنه يصبر على أيام هذه الدنيا حتى تنقضي ، لأن الإنسان منشغل عن الدنيا بانتظار الآخرة ، ولأنه يشعر بأن الدنيا عابرة وتمر سريعا : (( فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً ، إنهم يَرَوْنَهُ بَعِيداً ، وَنَرَاهُ قَرِيباً ))([[1064]](#footnote-1064)) .

ـ وعدم وجود هذا الشعور بالاستعداد والتأهب والتطلع إلى الآخرة معناه عدم وجود اليقين الحقيقي باقتراب الآخرة .

ـ وفي تفسير أبي السعود : (( وارجوا اليوم الأخر أي توقعوه وما سيقع فيه من فنون الأهوال وافعلوا اليوم من الأعمال ما تأمنون غائلته ))([[1065]](#footnote-1065)) ، (( فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ))([[1066]](#footnote-1066)) ، (( مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ))([[1067]](#footnote-1067)) .

2ـ الصنف الثاني : وهم الذين لا يتطلعون ولا يترقبون ولا ينتظرون الموت والآخرة ولقاء الله تعالى ، فيعيشون حياة التلهي بالدنيا والاندماج والاطمئنان بأمور لعبها ولهوها :

ـ من الناس من عنده طول أمل وطموحات في أمور الدنيا لكن ليس عنده أي أمل أو طموح في الآخرة فليست الآخرة من أهدافه فلا يرجوها ، ويقينه بالآخرة عندئذ كاذبا ، فهؤلاء لا يريدون أن يموتوا فيعيشون كأن الموت لن يأتيهم ، وهم مشغولون بالدنيا لا يترقبون الآخرة .

ـ وفي أيسر التفاسير : (( { إِنَّ الَّذِينَ لا يرجون لقاءنا } أي لا ينتظرون ولا يؤملون في لقاء الله تعالى يوم القيامة ، { ورضوا بالحياة الدنيا } أي بدلاً عن الآخرة فلم يفكروا في الدار الآخرة ، { واطمأنوا بها } أي سكنوا إليها وركنوا فلم يروا غيرها حياة يُعمل لها ، { والذين هم عن آياتنا غافلون } لا ينظرون إليها ولا يفكرون فيها ، { أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } ))([[1068]](#footnote-1068)) ، وفي تفسير التسهيل لعلوم التنزيل : (( إن الذين لا يرجون لقاءنا ... وقيل ( لا يرجون ) لا يتوقعون أصلا ولا يخطر ببالهم ، ( ورضوا بالحياة الدنيا ) أي قنعوا أن تكون حظهم ونصيبهم ، ( واطمأنوا بها ) أي سكنت أنفسهم عن ذكر الانتقال عنها والذين هم عن آياتنا غافلون ))([[1069]](#footnote-1069)) ، وفي تفسير البحر المديد : (( { إن الذين لا يرجون لقاءَنا } أي : لا يتوقعونه ))([[1070]](#footnote-1070)) ، (( وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أو بَدِّلْهُ ))([[1071]](#footnote-1071)) ، (( بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ))([[1072]](#footnote-1072)) ، (( أنهم كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ))([[1073]](#footnote-1073)) ، (( مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ))([[1074]](#footnote-1074)) .

ـ وعدم وجود هذا الشعور بالاستعداد والتأهب والتطلع إلى الآخرة يعني عدم وجود الشعور بقدر الآخرة ، وفي تفسير القرطبي : (( والذين كفروا عما أنذروا معرضون مولون لاهون غير مستعدين له ويجوز أن تكون ما مصدرية أي عن إنذارهم ذلك اليوم ))([[1075]](#footnote-1075)) ، وفي تفسير الطبري : (( { اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون } .... يقول وهم في الدنيا عما الله فاعل بهم من ذلك يوم القيامة وعن دنو محاسبته إياهم منهم واقترابه لهم في سهو وغفلة وقد أعرضوا عن ذلك فتركوا الفكر فيه والاستعداد له والتأهب جهلا منهم بما هم لاقوه عند ذلك من عظيم البلاء وشديد الأهوال ))([[1076]](#footnote-1076)) .

### ـ الحالة النفسية للشعور بالترقب والانتظار للقاء الله والآخرة ( الاستعداد النفسي والتأهب والتطلع إلى الآخرة ) :

ـ إن الذي ينتظر أحدا في موعد ، فأثناء فترة الانتظار يكون قلقا ، ويزيد ذلك القلق إذا كان لقاء هام جدا يترتب عليه مصير الإنسان ، كما يزيد القلق إذا لم يكن يعرف الموعد بالضبط ، ويزيد القلق إذا علم أن الموعد وشيك وقريب جدا ، ويزيد القلق إذا لم يكن يعلم هل نتيجة هذا اللقاء تؤدي إلى الشقاء والمصائب أم إلى السعادة والراحة ، وهل سيلقى الترحيب بهذا اللقاء أم الزجر والويل والثبور ، كما يزيد القلق إذا علم أن من سيقابله له مكانة كبيرة مثل ملك من الملوك أو زعيم من الزعماء ، هذا بالنسبة لأمور الدنيا فما بالك بلقاء الله ولقاء الآخرة والحساب الذي ينبني عليه الشقاء الأبدي أو السعادة الأبدية ، فلابد أن ينزعج ذهن المؤمن وينشغل باله طوال فترة حياته قلقا على ما ينتظره وما يحدث له من أهوال ومخاطر قادمة حتمية وقريبة .

ـ وكذلك الذي ينتظر لقاء محبوبته الجميلة ، فأثناء فترة الانتظار يكون قلقا ، ويزيد ذلك القلق إذا كان لا يعلم هل ستأتي أم لا ؟ ، كما يزيد القلق إذا لم يكن يعرف الموعد بالضبط ، ويزيد القلق إذا علم أن الموعد وشيك وقريب جدا ، هذا بالنسبة لأمور الدنيا فما بالك بلقاء الحور العين وملذات الجنة ، فلابد أن يعيش المؤمن حياته في انتظار الحور العين وفي انتظار النعيم المقيم ، ولابد أن ينزعج ذهن المؤمن وينشغل باله طوال فترة حياته قلقا على ما ينتظره وما يحدث له هل سيصل إلى الحور العين أم إلى الجحيم !! .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

### ـ الشعور بخوف المهابة من لقاء الله ومحاسبته للعبد

ـ لو قيل لك أن لديك موعد قريب تقابل فيه رئيس الدولة شخصيا ، فإنك تشعر بخوف المهابة من هذا اللقاء ، فما بالك برب العالمين ولماذا لا تشعر بخوف المهابة من هذا اللقاء ، فذلك لأن لقاء الله لا وجود له في مشاعرك أو أنه في مشاعرك مثل لقاءك لأي إنسان تقابله في الطريق فتلقي عليه السلام ! .

ـ وكذلك لو قيل لك إنك على موعد في محكمة من المحاكم مع قاضي من القضاة ليناقشك فيما عملته ويقول حكمه على ما فعلته بماذا تشعر ؟ ، ولماذا لا تشعر بهذا الشعور من لقاء الله ليحاسبك على ما فعلت ؟ ، وبماذا تشعر لو علمت أن هذا الموعد اقترب وينعقد في أي لحظة ؟ ، وبماذا تشعر عندما تعلم أن الأمران معا ، فأنت تقابل رب العالمين وهو سبحانه الذي يحاسبك ؟ .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

### ـ الشعور بترقب الموت ( الشعور بأن الموت متوقع في أي وقت الآن )

ـ هناك فرق بين المعرفة النظرية الكاذبة بأن الموت يأتي بغتة في أي لحظة وبين الشعور بذلك ، فالشعور بأن الموت يأتي بغتة في أي لحظة يعني شعور مستمر بالقلق والخوف وتوقع الموت في أي لحظة ، وبالتالي القلق والخوف من أنك تنتقل إلى الآخرة في أي لحظة ، فالإنسان بطبيعته يحب الحياة والموت مخيف بالنسبة له ، والآخرة مخيفة أكثر ، ويقول أبو حامد الغزالي : (( قال الحسن رحمه الله تعالى : فضح الموت الدنيا فلم يترك لذى لب فرحا .... ، وقال إبراهيم التيمي : شيئان قطعا عني لذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله عز وجل ، وقال كعب : من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها ))([[1077]](#footnote-1077)) ، وأنت تسمع كل يوم أن مات فلان ومات فلان وسوف يأتي اليوم الذي ينادى فيه باسمك !! .

ـ عندما يمرض الإنسان لا يخطر على باله أنه من الممكن أن يكون ذلك مرض الموت ، ويظل يدعو الله ويصلي من أجل أن يشفيه الله فقط وليس من أجل الآخرة ، فإذا كان ذلك مرض الموت فعندما يوشك على الموت فإنه يكره الله لأنه لم يشفيه ولأنه يرى أن الموت هو النهاية وليس انتقال للآخرة .

ـ فلابد أن يعيش المؤمن حياته من أجل الإعداد ليوم ينادى فيه على الموتى ويحمل على الأعناق ويذهب به إلى لقاء الله تعالى ، فالمؤمن يعيش حياته وفي ذهنه ترقب وانتظار وتطلع إلى لقاء الله : (( مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآَتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ))([[1078]](#footnote-1078)) .

ـ الموت مرحلة خطيرة جدا ينتقل فيها الإنسان من دار إلى دار ، فهي تستدعي خوف المهابة من ذلك ، وليس خوفا من أن الموت نهاية للحياة لأن الموت بداية للحياة الحقيقية ، وليس خوفا من ترك الأحباب لأن المؤمن يعيش غريبا في الدنيا وأحبابه وأهله في الآخرة ، وذلك بحسب قوة الإيمان وضعفه .

ـ ولا يتحقق اليقين الحقيقي بأن الموت يأتي في أي وقت بغير توقع وترقب حدوثه في أي وقت ، فيعد الإنسان نفسه من أهل القبور ، فيقول تعالى : (( إنك ميت وإنهم ميتون ))([[1079]](#footnote-1079)) ، وهذا التوقع والترقب لابد أن يكون فيه خوف المهابة ، وهو شعور بالخوف والإشفاق من هيبة الفراق ومن ترقب يوم الفراق حيث يسلب من الإنسان كل شيء ، وهذا الشعور هو المميز لوجود اليقين الحقيقي بالموت .

ـ فإذا لم يشعر بالهيبة من خطورة الأمر ، فهذا يعني أنه مطمئن بالدنيا ، وأن يقينه بأنه سيموت هو فقط يقين نظري كاذب وليس حقيقي ، فالمؤمن عنده استعداد نفسي لأن يترك أهله وزوجته وأولاده وأصحابه ووطنه وأعماله التي تعود عليها وماله وكل شيء ، وهو يشعر أن ذلك وشيك وسوف يحدث خلال أيام قليلة هي ما بقي له من أيام الدنيا القليلة .

### ـ أنواع خوف المهابة من الموت :

ـ هناك خمسة أنواع من خوف المهابة المرتبط بالموت هي : خوف المهابة من مفارقة هذه الحياة ( فهناك قدر من الحب الفطري في الإنسان بالمال والأهل والدنيا ، فمفارقة ذلك أمر خطير يستدعي خوف المهابة ) ، وخوف المهابة من ألم الموت وسكرات الموت ، وخوف المهابة من أن الموت يأتي في أي وقت ، وخوف المهابة من أن الموت انتقال إلى لقاء الله وإلى الآخرة .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

### ـ الخوف من مهابة الله تعالى

ـ معنى خوف المهابة من الله تعالى :

ـ جاء في تفسير النيسابوري : (( وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أمر اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (21) .... الخشية نوعان : خشية الجلال كالعبد إذا حضر بين يدي السلطان ومن ذلك خشية الملائكة { يخافون ربهم من فوقهم } { النحل : 50 ] وإلى هذا أشار بقوله : { ويخشون ربهم } ، وخشية أن يقع في العبادة خلل أو نقص يوجب فسادها أو نقصان ثوابها . وإليه الإشارة بقوله : { ويخافون سوء الحساب } ))([[1080]](#footnote-1080)) ، وفي تفسير الرازي : (( وقال أصحاب الحقائق : الخوف على قسمين : خوف العقاب ، وخوف العظمة والجلال ، أما خوف العقاب فهو للعصاه ، وأما خوف الجلال والعظمة فهو لا يزول عن قلب أحد من المخلوقين ، سواء كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً ، وذلك لأنه تعالى غني لذاته عن كل الموجودات ، وما سواه من الموجودات فمحتاجون إليه ، والمحتاج إذا حضر عند الملك الغني يهابه ويخافه ، وليست تلك الهيبة من العقاب ، بل مجرد علمه بكونه غنياً عنه ، وكونه محتاجاً إليه يوجب تلك المهابة ))([[1081]](#footnote-1081)) ، وفي تفسير الرازي أيضا : (( قال العارفون : الخوف خوفان خوف العقاب وخوف الجلال ، والأول نصيب أهل الظاهر ، والثاني نصيب أهل القلب ، والأول يزول ، والثاني لا يزول ))([[1082]](#footnote-1082)) ، (( وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ))([[1083]](#footnote-1083)) .

ـ وفي تفسير البغوي : (( { مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا } قال ابن عباس ومجاهد : لا ترون لله عظمة ، وقال سعيد بن جبير : ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته ، وقال الكلبي : لا تخافون الله حق عظمته ، و"الرجاء" بمعنى الخوف ، و"الوقار" العظمة اسم من التوقير وهو التعظيم ))([[1084]](#footnote-1084)) ، وفي تفسير بحر العلوم : (( { وَهُمْ مّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ } ، يعني : من هيبته خائفون ))([[1085]](#footnote-1085)) ، وفي تفسير النيسابوري : (( مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ...... قال أهل الاشتقاق : إن تركيب ( خ ش ى ) يلزمها الهيبة ومنه للسيد ولكبير السن ، وتركيب الخوف يدل على الضعف ومنه الخفاء ، وكل موضع ذكر فيه الخشية أريد بها معنى عظمة المخشي منه ، وكل موضع ذكر فيه الخوف فإنه أريد ضعف الخائف كقوله { يخافون ربهم من فوقهم } [ النحل : 50 ] أو ضعف المخوف منه كقوله { لا تخف ولا تحزن } [ العنكبوت : 33 ] يريد أنه لا عظمة لهم وقال { إنا نخاف من ربنا يوماً } [ الإنسان : 10 ] لأن عظمة اليوم بالنسبة إلى عظمة الله هينة ))([[1086]](#footnote-1086)) ، وفي تفسير ابن كثير : (( وقال الضحاك : { تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ } أي : يتشققن فَرَقًا من عظمة الله ))([[1087]](#footnote-1087)) .

ـ ومعنى خوف المهابة يتضح من الحديث : (( أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فكلمه فجعل ترعد فرائصه فقال له هون عليك فإني لست بملك إنما أنا بن امرأة تأكل القديد ))([[1088]](#footnote-1088)) .

ـ خوف المهابة هو الشعور المميز لليقين الحقيقي بالله والآخرة :

ـ الشعور المميز لليقين الحقيقي بالله بالنظر إلى الخالق هو خوف المهابة ، لأن خوف المهابة هو الشعور بالتعظيم ، ولا يكون الملك ملكا إلا بالتعظيم .

ـ الشعور المميز لليقين الحقيقي بالله بالنظر إلى المخلوق هو الخضوع ، لأن الخضوع يعني تعظيم الخالق ، ولا يكون الملك ملكا إلا بالخضوع له .

ـ فيبين القرآن أن أصل قضية الدين هي الخوف من الله ، فمن خاف فهو الذي قبل الدين ومن لم يخف لم يقبله : (( إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ))([[1089]](#footnote-1089)) ، (( وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ ))([[1090]](#footnote-1090)) ، (( فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ))([[1091]](#footnote-1091)) ، (( إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ ))([[1092]](#footnote-1092)) ، (( مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2) إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى ))([[1093]](#footnote-1093)) ، (( سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى ))([[1094]](#footnote-1094)) ، (( إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا ))([[1095]](#footnote-1095)) ، وكذلك الخوف من الآخرة : (( إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا ))([[1096]](#footnote-1096)) ، فأصل مفهوم الهداية الخوف : (( وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ))([[1097]](#footnote-1097)) .

ـ والقرآن يعبر عن عدم الإيمان بالآخرة بعدم وجود الخوف منها وعدم رجاءها ( ويقصد بعدم الرجاء عدم الخوف ) : (( كَلَّا بَلْ لا يَخَافُونَ الآخرة ))([[1098]](#footnote-1098)) ، (( بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُوراً ))([[1099]](#footnote-1099)) ، (( إنهم كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَاباً ))([[1100]](#footnote-1100)) ، (( وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ ))([[1101]](#footnote-1101)) ، وفي تفسير النسفي : (( { إِنَّ في ذَلِكَ } فيما قص الله من قصص الأمم الهالكة { لآيَةً } لعبرة { لّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخرة } أي اعتقد صحته ووجوده ))([[1102]](#footnote-1102)) .

ـ وفي شعب الإيمان للبيهقي : (( { ما لكم لا ترجون لله وقارا } فقيل في التفسير ما لكم لا تخافون عظمة الله ، وذمهم في آية أخرى فقال : ( وقال الذين لا يرجون لقاءنا ) فقيل أراد به : لا يخافون ، فدل جميع ما وصفناه على أن الخوف من الله تعالى من تمام الاعتراف بملكه وسلطانه ونفاذ مشيئته في خلقه ، وأن إغفال ذلك إغفال العبودية ))([[1103]](#footnote-1103)) .

ـ لماذا يخاف الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والعشرة المبشرون بالجنة من الله رغم علمهم من خلال الوحي أنهم من أهل الجنة ؟ :

ـ هذا الخوف هو خوف مهابة وإجلال ، وذلك مثلما كانت الملائكة تخاف الله رغم أنهم معصومون ففي تفسير الرازي : (( ( يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ) ..... ذلك الخوف خوف الإجلال هكذا نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما ، والدليل على صحته قوله تعالى : { إِنَّمَا يَخْشَى الله مِنْ عِبَادِهِ العلماء } [ فاطر : 28 ] وهذا يدل على أنه كلما كانت معرفة الله تعالى أتم ، كان الخوف منه أعظم ، وهذا الخوف لا يكون إلا خوف الإجلال والكبرياء ))([[1104]](#footnote-1104)) .

ـ إن الضعيف يخاف من القوى ويخضع له ، وحتى لو لم يفعل شيئا يغضبه فهو يخاف لمجرد أنه ضعيف والآخر قوي ، ويشعر باستكانة وأنه مغلوب على أمره ( شعور بالخضوع ) ، فكذلك الحال مع الله تعالى ، الخوف من عظمته ، فالله غالب على أمره ولا يأمن مكره إلا القوم الكافرون لغفلتهم عن قوة الله وضعفهم .

ـ وفي الحديث : (( شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت ))([[1105]](#footnote-1105)) .

ـ اليقين الحقيقي بقدرة الله وضعف الإنسان يؤدي إلى الخوف والرهبة :

ـ لو سمعت أن رجلا خارقا يستطيع أن ينقل الجبال أو يستطيع أن يبيد الناس في لحظة أو .....الخ ، بماذا تشعر ؟ ، إنك تشعر بالهيبة والخشية والرهبة ، فان الله يستطيع ما هو أعظم من ذلك (( وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً ))([[1106]](#footnote-1106)) ، ويستطيع أن يبيد كل البشرية في أقل من لحظة ، فلماذا لا تشعر بنفس الشعور السابق ؟ ، وإذا كنت تدعي أنك تشعر بالهيبة والرهبة من الله ففي الحالة الأولى كانت هناك حالة نفسية وانفعالات داخلية مميزة للشعور بالرهبة والهيبة ، فهل عندك هذه الحالة النفسية ؟ ، أم أنه مجرد ادعاء بأن عندك الهيبة والرهبة والتعظيم لله ؟! .

ـ أنت إذا قابلت ملكا من ملوك الدنيا فإنك تشعر بالخوف والرهبة والمهابة ، فإذا لم تشعر بأي شيء من هذا فأنت لا تعرف أن من قابلته هو ملك من الملوك ، فهو بالنسبة لك مثل أي رجل عادي يمر بك في الطريق ، هذا هو الحال مع الله الملك فأنت لا تشعر بماذا يعني أن الله هو الملك ، إن الملك هو الذي بيده كل شيء وكل ما يملكه ملوك الدنيا هو أقل من ذرة من ملكه وهو الجبار المهيمن وأنت بين يديه دائما يراك ولا تغيب عنه فأين هذه المشاعر ؟ ، إذن فصفات الله وأسماءه موجودة في اقتناعك الكاذب وغائبة ولا وجود لها في مشاعرك .

### ـ الحالة النفسية للخوف والقلق والتوتر والاضطراب :

ـ أنت إذا رأيت ساحرا ، فإنه يحدث لك خوف مهابة مما يصنع وحب إعجاب بما يصنع : (( قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ ))([[1107]](#footnote-1107)) .

ـ أنظر إلى حال رجل يذهب لمقابلة ملك من ملوك الدنيا ، فإنه يستعد ويتهيأ نفسيا لأنه أمر رهيب ، إنه يكون في قلق واضطراب ، وعندما يقف عند الملك قد يتلعثم من هيبة الموقف ، إن الحالة النفسية التي عنده هي التي تسمي خوف المهابة ، فإذا كنت تدعي خوف المهابة من الله فهل عندك هذه الحالة النفسية ؟! .

### ـ الخوف الدائم والمخاوف المؤقتة :

ـ الخوف الدائم هو خوف مسيطر على الإنسان لا ينساه طوال عمره .

ـ الإنسان الذي يسافر إلى مكان مجهول لا يعرفه ، وهناك يتم عرضه على محكمة تحكم عليه إما بالخلود في العذاب أو النعيم ، فهو خائف من هول الأمر الذي هو مقبل عليه لأنه يتوقف عليه مصيره وحياته كلها ، ولكن هناك مخاوف أخرى مؤقتة بسيطة أثناء سفره إلى هذه المحكمة وهي هل يجد استراحات قريبة يستريح فيها أم لا ؟ ، وهل ينفد ما عنده من ماء وهل يجد مكان قريب فيه ماء ؟ ، وهل يوجد شيء يعرضه للأذى أثناء سفره ؟ ، كل هذه مخاوف يحمل لها هما ولكنها ليست بشيء أمام الخوف الأكبر الذي يسيطر عليه وهو ماذا يجد وماذا يكون مصيره عندما يصل إلى ذلك المكان الرهيب ؟! .

ـ فكذلك الدنيا هناك بعض الأمور التي يخاف منها الإنسان والتي قد تعرضه للأذى لكنها مخاوف مؤقتة عابرة وخوفه الأكبر من يوم القيامة والحساب ومن لقاء الله تعالى وهو خوف دائم لا يفارقه .

### ـ أنواع الخوف من هيبة الله تعالى :

1ـ خوف المهابة من القرآن وذكر الله تعالى :

ـ اليقين الحقيقي بأن القرآن هو كلام الملك والمسيطر والمهيمن والقهار والجبار والمتكبر يؤدي إلى الخوف من جلال الله ، أي الخوف من مهابة الله والخشية والوجل وليس خوفا من عقابه ، أي يحدث الخوف لمجرد أن ذلك كلام الله القهار المهيمن : (( اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إلى ذِكْرِ اللَّهِ ))([[1108]](#footnote-1108)) ، وفي تفسير البحر المديد : (( { الذين إذا ذُكر الله وَجَلتْ قلوبُهم } ؛ خافت واقشعرت لذكره استعظاماً له وهيبة من جلاله ))([[1109]](#footnote-1109)) .

ـ وفي تفسير ابن كثير تفسير ابن كثير : (( ثم قال تعالى منكرا على المشركين في استماعهم القرآن وإعراضهم عنه وتلهيهم : { تَعْجَبُونَ } من أن يكون صحيحا ، { وَتَضْحَكُونَ } منه استهزاء وسخرية ، { وَلا تَبْكُونَ } أي : كما يفعل الموقنون به ، كما أخبر عنهم : { وَيَخِرُّونَ لِلأذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا } [ الإسراء : 109] ))([[1110]](#footnote-1110)) ، فالموقنون بالقرآن يبكون من مهابته ، وفي تفسير القرطبي : (( لما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم ( أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون ) لم ير ضاحكا إلا مبتسما حتى مات صلى الله عليه وسلم ))([[1111]](#footnote-1111)) .

2ـ خوف المهابة من الله تعالى :

ـ لقد كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والعشرة المبشرون بالجنة يخافون من الله رغم علمهم بالوحي أنهم من أهل الجنة ، لأنهم يخافون من مهابة الله .

ـ جاء في أيسر التفاسير : (( { مالكم لا ترجون لله وقارا } : أي لا تخافون لله عظمته وكبرياءه وهو القاهر فوق عباده ))([[1112]](#footnote-1112)) ، (( وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أنهم إلى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ))([[1113]](#footnote-1113)) ، (( وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ))([[1114]](#footnote-1114)) .

ـ والملائكة تخاف من مهابة الله تعالى ، ففي تفسير الرازي : (( ( يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ) ... ذلك الخوف خوف الإجلال هكذا نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما ، والدليل على صحته قوله تعالى : { إِنَّمَا يَخْشَى الله مِنْ عِبَادِهِ العلماء } [ فاطر : 28 ] وهذا يدل على أنه كلما كانت معرفة الله تعالى أتم ، كان الخوف منه أعظم ، وهذا الخوف لا يكون إلا خوف الإجلال والكبرياء ))([[1115]](#footnote-1115)) ، وفي تفسير بحر العلوم : (( { يخافون رَبَّهُمْ مّن فَوْقِهِمْ } » أي : يخافون خوفاً ، معظمين ، مبجلين ))([[1116]](#footnote-1116)) ، وفي تفسير البحر المديد : (( { يخافون ربهم من فوقهم } ... أي : يخافون عظمة ربهم من فوقهم ؛ إذ هم محاطون بأفلاك أسرار الجبروت ، مقهورون تحت القدرة والمشيئة ))([[1117]](#footnote-1117)) ، وفي تفسير الألوسي : (( { يخافون ربهم من فوقهم } لأنه القاهر المؤثر فيهم { ويفعلون ما يؤمرون } [ النحل : 50 ] طوعاً وانقياداً ))([[1118]](#footnote-1118)) ، (( وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ))([[1119]](#footnote-1119)) ، وفي الحديث : (( مررت بجبريل ليلة أسري بي بالملإ الأعلى وهو كالحلس([[1120]](#footnote-1120)) البالي من خشية الله عز وجل ))([[1121]](#footnote-1121)) .

ـ وفي تفسير الوسيط : (( { تَكَادُ السماوات يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ } .. { يَتَفَطَّرْنَ } أي : يتشققن ، والضمير في قوله تعالى { مِن فَوْقِهِنَّ } يعود إلى السماوات ، باعتبار أن كل سماء تنفطر فوق التي تليها ، وهذا التفطر سببه الخشية من الله تعالى ، الخوف من جلاله وعظمته فيكون المعنى : تكاد السماوات يتشققن مع عظمهن { مِن فَوْقِهِنَّ } أي : من أعلاهن ، خشية ورهبة من عظمته عز وجل ، كما قال تعالى : { وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السماوات وَمَا فِي الأرض مِن دَآبَّةٍ والملائكة وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } ))([[1122]](#footnote-1122)) ، ويقول تعالى : (( لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ))([[1123]](#footnote-1123)) .

3ـ خوف المهابة من سماع كلام الله وأوامره :

ـ جاء في فتح القدير : (( { وهم من خشيته مشفقون } فإذا أذن لهم في الشفاعة فزعوا لما يقترن بتلك الحالة من الأمر الهائل .... وقيل هذا الفزع يكون للملائكة في كل أمر يأمر به الرب ))([[1124]](#footnote-1124)) ، وفي تفسير القرطبي : (( " وهم من خشيته مشفقون " [ الأنبياء : 28 ] والمعنى : أنه إذا أذن لهم في الشفاعة وورد عليهم كلام الله فزعوا ، لما يقترن بتلك الحال من الأمر الهائل والخوف أن يقع في تنفيذ ما أذن لهم فيه تقصير ))([[1125]](#footnote-1125)) ، وفي تفسير الطبري : (( ينزل الأمر من عند رب العزة إلى السماء الدنيا ؛ فيفزَع أهل السماء الدنيا ، حتى يستبين لهم الأمر الذي نزل فيه ، فيقول بعضهم لبعض : ماذا قال ربكم ؟ فيقولون : قال الحق وهو العلي الكبير ، فذلك قوله ( حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ...) الآية ))([[1126]](#footnote-1126)) .

4ـ خوف المهابة من رؤية الله تعالى :

ـ الطبيعي أن الإنسان عندما يعلم أن له خالقا أنه يريد أن يراه ويسمع كلامه ويسجد أمام عرشه ، ولكن لو حدث ذلك لمات الناس من خوف المهابة والعظمة ، فلو كشف الله تعالى الحجاب الذي يمنع الناس من رؤيته وتجلى لما وراءه من حقائق الصفات وعظمة الذات لم يبقى مخلوق إلا احترق ولاحترق العالم كله ، ففي الحديث : (( حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ))([[1127]](#footnote-1127)) ، وسيدنا موسى أراد أن يرى الله فلم يستطع : (( قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ))([[1128]](#footnote-1128)) ، يعني أول المصدقين أنه لا يراك أحد في الدنيا إلا مات .

ـ ولكن في الجنة فإن الله يجعل أهل الجنة قادرين على رؤيته سبحانه .

ـ ولما أراد سيدنا موسى أن يرى الله سبحانه لم يستطع : (( فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ))([[1129]](#footnote-1129)) .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

### ـ خوف المهابة من هول الآخرة

ـ الإنسان في حياته قد يواجهه مشاكل حياتية كثيرة ، عند كل مشكلة قد يغضب ويثور ويتضايق وينفعل ، أما الآخرة عنده فليست بمشكلة رغم أنها الخطر المرتقب والامتحان العصيب والحياة الأبدية ورغم أن الدنيا أيام قليلة تفنى بمشاكلها ، أما الذي يوقن يقينا حقيقيا بحجم الخطر في مشكلة الآخرة أمام ضآلة مشاكل الدنيا فتهون عليه مشاكل الدنيا وتنفعل مشاعره ويقلق ويغضب ويضطرب أمام مشكلة الآخرة .

ـ إن الطالب إذا دخل الامتحان فمن هول الموقف قد يتلعثم ولا يستطيع الإجابة ، وبعض الناس إذا تعرض لصدمة شديدة فإنه قد يفقد الذاكرة ، فنحن في الدنيا في حالة امتحان عصيب عليه رقيب وعتيد لكننا غافلون عنه .

ـ جاء في تفسير المحرر الوجيز : (( { يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا } [ المائدة : 109 ] واختلف الناس في معنى قولهم عليهم السلام { لا علم لنا } فقال الطبري ذهلوا عن الجواب لهول المطلع ، وذكر عن الحسن أنه قال : لا علم لنا من هول ذلك اليوم ، وعن السدي أنه قال : نزلوا منزلاً ذهلت فيه العقول فقالوا لا علم لنا ، ثم نزلوا منزلاً آخر شهدوا على قومهم ، وعن مجاهد أنه قال : يفزعون فيقولون لا علم لنا ))([[1130]](#footnote-1130)) .

ـ وفي تفسير النيسابوري : (( { وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (65) فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ } [ القصص: 65، 66 ] ومعنى ( عميت عليهم الأنباء ) أن أخبار المرسلين والمرسل إليهم صارت كالعمى عليهم جميعاً لا يهتدون إليهم فهم لا يتساءلون كما يسأل بعض الناس بعضاً في المشكلات لأنهم متساوية الأقدام في العجز عن الجواب ، وإذا كانت الأنبياء لهول ذلك اليوم يتلعثمون في الجواب عن مثل هذا السؤال كما قال سبحانه { يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا } فما ظنك بضلال أممهم ؟! ))([[1131]](#footnote-1131)) .

ـ وفي الحديث : (( إنكم تحشرون حفاة عراة ، قلت : الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض قال إن الأمر أشد من أن يهمهم ذلك ))([[1132]](#footnote-1132)) ، وذلك من شدة الخوف من هول الموقف .

ـ إن الذي يقف أمام القاضي ينتظر حكم المحكمة هل يحكم عليه بالسجن أم بالبراءة فهو قلق جدا لدرجة أنه قد لا يستطيع الوقوف على رجليه فيجلس على ركبتيه من هول الترقب والانتظار وليس من التعب ، ففي أيسر التفاسير : (( { وترى كل أمة جاثية } : أي كل أمة ذات دين جاثية على ركبها تنتظر حكم الله فيها ))([[1133]](#footnote-1133)) ، وفي تفسير الخازن : (( { وترى كل أمة جاثية } أي باركة على الركب وهي جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء ، قال سلمان الفارسي : إن في القيامة ساعة هي عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على الركب حتى إبراهيم ينادي ربه لا أسألك إلا نفسي ))([[1134]](#footnote-1134)) ، وفي تفسير الخازن أيضا : (( { وترى كل أمة جاثية } قلت وصفوا بالجثو على العادة المعهودة في مواقف المقالات والمناقلات ، وذلك لما فيه من القلق مما يدهمهم من شدة الأمور التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيجثون على ركبهم جثواً ))([[1135]](#footnote-1135)) .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

# الفصل الثامن عشر : التغافل وابتعاد المشاعر والهموم والأهداف عن النفس والدنيا

ـ كما أن التغافل عن الأمر الهام أمر خاطئ ، فكذلك شغل الهم بأمر تافه أيضا خاطئ ، فيجب على العاقل أن يتغافل عن الشيء التافه .

ـ لكن ما هو الشيء التاقه ؟ : كل ما سوى الله هو أمر تافه لا قيمة له في ذاته ، ويكون ذو قيمة في الله أي فيما يتصل به بالله ، فالنفس والناس والدنيا لا قيمة لها إلا في الله أي فيما تتصل بالله ، ونوضح ذلك كالتالي :

ـ حب الله لذاته وبغض جميع المخلوقات لذاتها :

ـ جميع المخلوقات هي في ذاتها فيها كل الصفات المذمومة وما عند المخلوقات من صفات حميدة هي عطاء من الخالق وليست أمور في ذاتها ، فالمخلوقات في ذاتها لا تمتلك شيئا وليس لها حول أو قوة أو علم ، كما أن الذي لديه صفات حميدة معرضة لأن تسلب منه فهذه صفات ذم ، وجميع الصفات الحميدة هي للخالق وحده ، فهي صفات ذاتية في ذات الخالق سبحانه لم يكتسبها من أحد ولم يعطيها أحد له ولا يستطيع أحد أن يسلبها منه سبحانه ، إذن فلا يحب لذاته إلا الله ، وجميع المخلوقات يبغضها الإنسان لذاتها لضعفها ونقصها ، وما يحبه الإنسان في المخلوقات هو من حب الله أي هو حب في الله وليس حب لذات المخلوق لأن المخلوق في ذاته لا يملك ولا يعلم شيئا وما عنده من إرادة هي عطاء من الله ومعرضة لأن يسلبها الله منه في أي وقت ، فحب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو حب في الله أي هو من حب الله تعالى وكذلك حب المؤمنين .

ـ ففي النهاية في غريب الأثر : (( ألِهَ يألَهُ إذا تَحَيَّر ، يُريد إذا وقع العبد في عظمة اللّه تعالى وجلاله وغير ذلك من صفات الربوبية وصرف وهمه إليها أبْغَض الناس حتى لا يميل قلبه إلى أحد ))([[1136]](#footnote-1136)) ، وفي غريب الحديث لابن قتيبة : (( أَلِهَ يَأْلَه إذا تحيِّر كأَنَّ القُلوب تأْلَهُ عند التفكّر في عَظَمة اللّه ... إذا وَقَع العَبْد في هذه الدَّرجَة لم يُعْجِبهُ أَحد ولم يُحبّ إلا الله عز وجلَّ َّ ))([[1137]](#footnote-1137)) ، وفي تاج العروس : (( وفي حدِيثِ وهب بنِ الوَرْدِ : ( إذا وَقَعَ العَبْدُ في أُلْهانِيَّةِ الرَّبِّ ، ومُهَيْمِنِيَّة الصِّدِّيقِيْن ورَهْبَانِيَّةِ الأبْرارِ لم يَجِدْ أَحَداً يَأْخُذ بقَلْبِه ) ، أَي لم يَجِدْ أَحَداً يَعجبُه ولم يُحِبَّ إلا اللَّهَ سبحانه ، قالَ ابنُ الأثيرِ : هو فُعْلانِيَّة مِن ألِهَ يَأْلَهُ إذا تَحَيَّرَ ، يُريدُ إذا وَقَعَ العَبْدُ في عَظَمَةِ اللَّهِ وجَلالِهِ وغيرِ ذلِكَ مِن صفَاتِ الرُّبُوبيَّةِ وصَرَفَ توهّمُه إليها ، أَبْغَضَ الناسَ حتى ما يميلَ قلْبُه إلى أَحَدٍ ))([[1138]](#footnote-1138)) ، وفي النهاية في غريب الأثر : (( { أله } في حديث وُهَيْب بن الوَرْد [ إذا وقع العبد في أُلْهَانِيَّة الربّ لم يجد أحدأ يأخذ بقلْبه ] هو مأخوذ من إلاهٍ ... وأصله من ألِهَ يألَهُ إذا تَحَيَّر . يُريد إذا وقع العبد في عظمة اللّه تعالى وجلاله وغير ذلك من صفات الربوبية وصرف وهمه إليها أبْغَض الناس حتى لا يميل قلبه إلى أحد ))([[1139]](#footnote-1139)) .

ـ تصور معنى ( النافع الضار ) :

ـ الشيء الذي لا ينفع ولا يضر هو شيء ليس له قيمة فهو أمر تافه سواء كان شيئا معنويا أو شيئا ماديا ، فلا يهتم به أحد ولا ينشغل به ولا يتأثر به أحد .

ـ إذن كل شيء سوى الله لا قيمة له فيجب أن لا تتعلق به مشاعر الإنسان ، ولكن ذلك ينطبق على ذات الشيء وليس على ما يستمده من الله ، فمثلا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو عظيم القدر لارتباطه بالله ولأن الله أرسله ولإيمانه وتقواه ، فلا يحب لذاته إلا الله تعالى ، فحب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو حب في الله ، وكذلك العزة بالله ، فالمؤمن يستمد عزته من اتصاله بالله والدين ، فالمؤمن لا يحب شيء ولا يكره شيء ولا يخاف من شيء إلا في الله ( يستثنى المشاعر الفطرية التي لا دخل للإنسان فيها ) .

ـ إذن المؤمن ينظر إلى صاحب الصولجان والجاه والسلطان في الدنيا على أنه تافه لا قيمة له ما لم يكن متصلا بالله فيحب ما فيه من صلة بالله وليس يحب ذاته .

ـ إذن فالمؤمن لا يحب إلا الله ولا يخاف إلا من الله ولا يخضع إلا لله ولا يرجو إلا الله ولا يتوكل إلا على الله ، وهذا من كمال الإيمان ، فإذا أحب شيئا غير الله ( ولكن كان حبه لله أكبر ) فذلك من ضعف الإيمان وضعف اليقين الحقيقي بأن الله هو النافع الضار .

. فاليقين الحقيقي بأن الله وحده هو النافع الضار يؤدي إلى الشعور بالتسليم والخضوع حيث يعلم الإنسان أنه ضعيف لا يملك لنفسه حول ولا قوة ولا يملك لنفسه نفع ولا ضرر .

ـ كما يؤدي إلى التوكل على الله والشعور بالاحتياج إليه والاعتماد عليه لأن الإنسان لا يستطيع أن يجلب لنفسه النفع ويبعد عن نفسه الضر ويحتاج إلى من يجلب له النفع ويبعد عنه الضرر .

ـ كما يؤدي أيضا إلى عدم وجود مشاعر أو هموم أو أهداف متعلقة بالدنيا أو أي شيء غير الله ، لأن الشيء الذي لا ينفع ولا يضر لا قيمة له ولا يهتم به أحد ، فلا يخاف من بطش أحد ويعيش هادئا سعيدا .

ـ تصور حقيقة ضآلة الدنيا :

ـ الدنيا وما يتعلق بها من أعمال وأموال وشهوات هي لعب ولهو ولا قيمة لها لقوله : (( اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ))([[1140]](#footnote-1140)) .

ـ حقيقة الدنيا أنها لا تساوي جناح بعوضة ، ففي الحديث : (( كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي الحليفة فإذا هو بشاة ميتة شائلة برجلها فقال أترون هذه هينة على صاحبها فوالذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه على صاحبها ، ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها قطرة أبدا ))([[1141]](#footnote-1141)) .

ـ فلا يتحقق الإيمان حتى يزول تعظيم قيمة الدنيا والمال والشهوات من القلب .

ـ تصور حقيقة ضعف الإنسان :

ـ الإنسان أوله نطفة مذرة ( أي نطفة لا قيمة لها ولا حياة فيها ) وآخره جيفة قذرة ، وهو بين ذلك يحمل العذرة ( أي يحمل في أمعاءه البراز النتن أثناء حياته ) ، (( كما ورد أن بعض الأمراء لقي بعض البله في طريق فلم يفسح له ، فغضب وقال : كأنك ما تعرفني ؟ فقال بلى والله ! إني لأعرفك ، أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة ، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة ))([[1142]](#footnote-1142)) ، (( فتفكر فيما قال ابن السماك للرشيد وقد دعا بحضرته بقدح فيه ماء ليشربه ، فقال له : يا أمير المؤمنين فلو منعت هذه الشربة بكم كنت ترضى أن تبتاعها ؟ ، فقال له الرشيد : بملكي كله ، قال : يا أمير المؤمنين فلو منعت خروجها منك بكم كنت ترضى أن تفتدي من ذلك ؟ ، قال : بملكي كله ، قال ؟ يا أمير المؤمنين أتغتبط بملك لا يساوي بولة ولا شربة ماء ! ))([[1143]](#footnote-1143)) ، ويقول الشاعر : نسي الطين يوما أنه طينا ...... فصال تيها وعربدا .

ـ فالإنسان ضعيف : (( أَوَلَمْ يَرَ الإنسان أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ))([[1144]](#footnote-1144)) ، (( هَلْ أَتَى عَلَى الإنسان حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شيئا مَذْكُوراً ))([[1145]](#footnote-1145)) ، ومما يدل على ضعف الإنسان أنه ينام ويمرض ويتعرض للشيخوخة والموت فذلك من صفات النقص .

ـ ومن عرف ضآلة نفسه وضآلة الدنيا فقد عرف عظمة الله وعرف خطورة الآخرة ، وفي نظم الدرر للبقاعي : (( رأس الفسق الجهل بالله ، ورأس العلم ومفتاح الحكمة معرفة النفس ، فأعرف الناس بنفسه أعرفهم بربه « من عرف نفسه فقد عرف ربه » ))([[1146]](#footnote-1146)) .

### ـ انتقال الهم والمشاعر :

ـ هم الإنسان ومشاعره وكلامه وعمله إما أن يتجه للدنيا أو يتجه إلى الله والآخرة ، وإذا كان كثيرا في جانب كان قليلا في الجانب الآخر ، فكلما زاد ارتباط الإنسان بالدنيا وأمورها كلما نقص ارتباطه بالله والآخرة .

ـ فكلما زاد هم الإنسان ومشاعره بأمر ما كلما قل همه ومشاعره بالنقيض لهذا الأمر ، فكلما كانت نظرة الإنسان للدنيا نظرة تعظيم كلما كانت نظرته لقدر الله والآخرة أقل ، فاذا كان كل همه الدنيا فلا وجود لله والآخرة في همه ، وكذلك كلما أحب الإنسان الدنيا نقص من قلبه حبه لله ، فاذا كان كل حبه للدنيا فلا وجود لحب الله في قلبه ، وهكذا فكلما ارتبطت المشاعر بالدنيا ابتعدت عن الآخرة وكلما ارتبطت بالآخرة ابتعدت عن الدنيا بنفس القدر .

ـ لذلك إذا أراد الإنسان أن يحقق في نفسه حب الله فلابد أن يبتعد عن حب الدنيا ، وبقدر ما يبتعد عن حب الدنيا بقدر ما يرتبط بحب الله تعالى ، فلكي يتحقق حب الله لابد أن يخرج حب الدنيا من القلب ، وكذلك إذا أراد الإنسان أن يحقق في نفسه الخوف من الله فلابد أن يبتعد عن الخوف من آلام الدنيا ومشاكلها وهمومها ، وبقدر ما يبتعد عن ذلك بقدر ما يرتبط بالخوف من الله تعالى .

ـ إذن لكي تتحقق المشاعر المتعلقة بالله والآخرة لابد أن تتفرغ المشاعر المتعلقة بغير الله وما يتصل به مبتعدة عن التعلق بالدنيا .

ـ فالإنسان لابد له أن يحب ، فإذا لم يحب الله أحب الشهوات ، وكلما زاد حبه للشهوات نقص حبه لله ، والعكس صحيح ، وكذلك باقي المشاعر ، فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (( كُلَّمَا قَوِيَتْ مَحَبَّةُ الْعَبْدِ لِمَوْلَاهُ صَغُرَتْ عِنْدَهُ الْمَحْبُوبَاتُ وَقَلَّتْ ، وَكُلَّمَا ضَعُفَتْ كَثُرَتْ مَحْبُوبَاتُهُ وَانْتَشَرَتْ ، وَكَذَا الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ فَإِنْ كَمُلَ خَوْفُ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ لَمْ يَخَفْ شيئا سِوَاهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى { الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إلا اللَّهَ } وَإِذَا نَقَصَ خَوْفُهُ خَافَ مِنْ الْمَخْلُوقِ وَعَلَى قَدْرِ نَقْصِ الْخَوْفِ وَزِيَادَتِهِ يَكُونُ الْخَوْفُ كَمَا ذَكَرْنَا فِي الْمَحَبَّةِ وَكَذَا الرَّجَاءُ وَغَيْرُهُ ))([[1147]](#footnote-1147)) .

ـ فلابد من خروج المشاعر والهموم والأهداف المتعلقة بالدنيا لكي تدخل المشاعر والهموم والأهداف المتعلقة بالله والآخرة : فيقول شيخ الإسلام ابن القيم : (( اعلم أن القلب إذا خلى من الاهتمام بالدنيا والتعلق بما فيها من مال أو رياسة أو صورة وتعلق بالآخرة والاهتمام بها من تحصيل العدة والتأهب للقدوم على الله عز و جل فذلك أول فتوحه وتباشير فجره ))([[1148]](#footnote-1148)) .

ـ ابتعاد المشاعر عن ما سوى الله وما يتصل به :

ـ الإنسان إما أنه يشعر بأنه قوي بما عنده من النعم والدنيا ويتغافل عن قوة الله وعندئذ تتعلق مشاعره بنفسه وبالدنيا ولا تتعلق بالله وما يتصل به ، وإما أنه يشعر بأنه ضعيف وبأن الله هو القوي وعندئذ تتعلق مشاعره بالله وما يتصل به ولا تتعلق بنفسه وبالدنيا ، فعندما يشعر الإنسان بضعف نفسه وضآلة الدنيا ويشعر بقوة الله وخطورة الآخرة ، تبتعد مشاعره عن الدنيا وتتعلق بالله والآخرة ، فتتفرغ المشاعر المتعلقة بغير الله وما يتصل به .

ـ فمشاعر الإنسان وهمومه وأهدافه وعمله تسير في اتجاه ما يوقن به ، فإذا كان الإنسان يوقن يقينا حقيقيا بعظمة قدر الله وخطورة الآخرة وضآلة الدنيا فإن مشاعره وهمومه وأهدافه وعمله تسير في اتجاه التعلق بالله والآخرة مبتعدة عن الدنيا ، وإذا كان حقيقة اليقين عند الإنسان هو أن الدنيا وما بها من شهوات ومال وجاه هي الحياة ولا شيء غيرها فإن مشاعره وهمومه وأهدافه وعمله تسير في اتجاه التعلق بالدنيا مبتعدة عن الله والآخرة ، رغم اليقين الكاذب بأن الدنيا إلى زوال وأنها ضئيلة .

### ـ الحالة النفسية المميزة لابتعاد المشاعر عن ما سوى الله وما يتصل به ( الشعور بالراحة والسعادة النفسية ـ حلاوة الإيمان ) :

ـ اليقين الحقيقي بضآلة الدنيا يؤدي إلى عدم الخوف من آلام الدنيا أو الحزن الشديد عليها ، ويؤدي كذلك إلى عدم الرجاء وطول الأمل في نعيمها أو الفرح الشديد بها ، وهذا يجعل الإنسان في راحة واطمئنان لا يهمه شيء ولا يخيفه شيء .

ـ وكذلك اليقين الحقيقي بالقضاء والقدر وبأن الخالق له أن يفعل ما يشاء فيما خلق يجعل الإنسان راضيا متقبلا ما يحدث له لأنه قضاء الله والله ليس بظالم ، فهذا يجعل الإنسان يعيش في سعادة وراحة .

ـ عندما يشعر الإنسان بأن كل ما هو غير الله ضعيف ولا ينفع ولا يضر فإنه عندئذ لا يخاف من أي شيء سوى الله ولا يحب أي شيء غير الله ولا يرجو أي شيء غير الله ولا يخضع لأي شيء غير الله ولا يستعين ويتوكل على أي شيء غير الله ولا يحزن أو يفرح بأي شيء لأن كل شيء لا قيمة له والقدر كله والعظمة لله وحده ، فهو عندئذ تنقطع مشاعره وهمومه وأهدافه عن الدنيا وعن أي شيء سوى الله ، وهذا يؤدي إلى الشعور بالراحة النفسية والسعادة النفسية وراحة البال تجاه أمور الدنيا ( حلاوة الإيمان ) ، وهذا معناه تحقيق معنى لا إله إلا الله في شعور الإنسان فلا يخاف إلا الله ولا يرجو إلا الله ولا يحب إلا الله ولا يخضع إلا لله ولا يتوكل إلا على الله .

ـ ولاحظ أن وجود مشاعر متعلقة بغير الله في الله هي من تعلق المشاعر بالله تعالى كحب النبي وحب المؤمنين ، ووجود مشاعر متعلقة بغير الله ليست في الله ( أي من أجل الدنيا ) هي من ضعف الإيمان ، وإذا كان حب غير الله أكبر من حب الله فذلك نفاق أكبر .

ـ ولاحظ أيضا أنه يستثنى من ذلك المشاعر الجبلية التي فطر الإنسان عليها وهي خارجة عن إرادة الإنسان كخوف الإنسان من الأسد إذا هجم عليه .

ـ فشعور الإنسان بالغضب والضيق والحزن والخوف على أمور الدنيا هو من ضعف الإيمان ، وكذلك فرحه بها وحبه لها .

ـ مشاعر الابتعاد عن النفس والدنيا :

ـ هي عبارة عن مشاعر سلبية تنشأ من التغافل عن النفس والدنيا ، وتشمل الشعور بالخضوع والرضا بأفعال الله والتوكل على الله والشعور بالغربة والشعور بالفردانية ، ونوضح هذه المشاعر كالتالي :

### ـ أولا : الشعور بالخضوع ( ما يشعر به العبد عند سيده ـ الشعور بالضعف ـ إلغاء الإرادة )

ـ الخضوع ورد في القرآن بعبارات أخرى مثل الإخبات والاستكانة والخشوع : (( وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ))([[1149]](#footnote-1149)) ، والاستكانة أي استكنَ من السكون لأن الخاضعَ يسكُن لمن يخضع له ليفعلَ به ما يريدُه .

ـ الخضوع معناه أن الإنسان لا يعيش لنفسه ولكن يعيش لغيره ، فليست له حياة خاصة به ، مثل العبد الذي تم بيعه في سوق العبيد ليعمل عند سيده ـ كما كان يحدث قديما ، فهذا العبد ما هي أهدافه وما هي طموحاته وما هي رغباته ؟ ، ليس من حقه أصلا أن يكون له أهداف أو طموحات أو رغبات خاصة به ، ما الذي يستفيده هذا العبد من العمل عند سيده خاضعا له وخادما له ؟ ، لا يوجد أي مقابل لهذا العمل ، فلماذا يقبل بهذا العمل ؟ ، لأنه مقتنع أن طبيعته أنه من فئة العبيد وليس له أن يكون من فئة الأسياد وليس له أن يخرج عن الخضوع لسيده ، ويرى أن ما يعطيه سيده له من طعام ومكان ينام فيه هو محض فضل من سيده وليست واجبة عليه ، ويرى أن سيده له أن يفعل به ما يشاء ، فهو ألغى إرادته وجعل نفسه يتحرك وفقا لإرادة سيده .

ـ الخضوع لله معناه أن الإنسان ألغى حياته وعاش حياة العبودية لله ، وما يعطيه الله لمن يخضع له بالفوز بالجنة هو محض فضل منه وهو حق أخذه الله على نفسه وليس حقا فرضه الإنسان على الله ، فالأصل أن الإنسان يخضع لله لأن هذا حقه ولو لم يكن هناك جنة ولا نار ، ويزيد على هذا هدف إضافي هو لنيل الجنة والنجاة من النار .

ـ أي ملك من ملوك الدنيا لا يريد من الناس أن يطعموه أو يرزقونه مالا أو يعينوه من قوة فعنده الطعام والشراب والمال والقوة وإنما هو يريد منهم أن يعظموه ويعترفوا له بالقوة فينظروا إليه نظرة تعظيم فينشغل همهم بتذكر عظمته ، فالقوي لا يحتاج من الضعيف شيئا ولا يريد منه إلا أن يعترف بضعفه وبقوة القوي فيشعر بالخضوع للقوي ويعظمه .

ـ ومن الناس من يعظم الله ويخضع له ويهابه ويخافه ويطيعه فهو بذلك يجعله ملكا عليه ، ومن الناس من يرفض الخضوع لأن فيه ألم وذل ويرفض أن يطيعه لأن ذلك يقيده ويخالف هواه رغم علمه ويقينه النظري التام بأن الله هو الملك عليه وأنه يجب عليه أن يخضع له ويخافه ويطيعه ولكنه يستكبر .

ـ مفهوم الخضوع :

ـ الخضوع لله يتطلب أولا ترك الخضوع للشهوات ، أي ترك الشهوات والنعم من القلب والاعتراف بأن الإنسان لا يملك شيئا ثم الاعتراف بأن الله هو المالك لكل شيء ، أي نفي ملكية النعم عن النفس ثم إثبات النعم لله سبحانه .

ـ الشعور بالخضوع معناه الشعور بأننا واقعون تحت سيطرة قوة قاهرة أكبر من قوى العالم ، وهذا يعني أننا لسنا أحرارا ولكننا مملوكين عبيدا تابعين ، والشعور بأننا ضعفاء لا نملك شيئا ولا حتى أنفسنا ، ولا نستطيع أن نجلب أي نفع لأنفسنا ، وأن ما عندنا من صفات كالقوة والإرادة والسمع والبصر ...إلخ هي أمور مخلوقة فينا ، فنحن وكل ما عندنا عبارة عن جزء من ممتلكاته وكل أمرنا بيده .

ـ فالخضوع هو الشعور بعدم الملكية ، والملكية قوة وعدم الملكية ضعف ، فالذي لا يملك مالا ولا متاعا ولا شهوات ويشعر بملكية كل شيء لله يشعر بافتقاره وضعفه أمام الله تعالى ، فإذا خرجت الدنيا من القلب دخل الخضوع ، ولن يخضع الإنسان طالما أنه يشعر بأنه يمتلك .

ـ الإنسان أمامه خياران هو إما أن يبيع نفسه كما كان يحدث قديما في سوق العبيد فيعيش تابعا منقادا لسيده وليس له أي شيء خاص به ، فما عنده من مال هو ملك لسيده وما عنده من ملابس وطعام هو ملك لسيده ، وسيده له أن يفعل به ما يشاء ، أو يتحرر من هذه العبودية ويكون له رأيه وشخصيته الخاصة به .

ـ الخضوع والذل هو الاستسلام أي إسلام النفس وكل ما تملك إلى مالكها الحقيقي هو الله سبحانه ، أي التجرد من كل ما تملك لتنسبه إلى مالكه الحقيقي وهو الله سبحانه ، لذلك هو أصعب شعور علي النفس ، فأنت مستسلم مغلوب علي أمرك من الله والله غالب علي أمره ، والخضوع والذل معناه أن تعيش مرهونا بعطائه فمن غيره تموت ، ذليلا لعطائه محتاجا لعطائه ، فبغير عطاءه ونعمه لا تستطيع أن تتنفس ، فالنفس والهواء نعمة ، فأنت عبد إحسانه خاضع لما يجود به عليك ، وكما يقولون فالإنسان أسير الإحسان ، والخضوع والذل معناه اليقين الحقيقي بأن الله لا يسأل عما يفعل : (( لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ))([[1150]](#footnote-1150)) ، فالله أراد أن يخلق الكون والناس والآخرة بما أراد وكيف أراد ، ولا يسأل لماذا ؟ ، فلا يحاسبه أحد ، فالشعور بالتسليم بدون السؤال : ( لماذا ؟ ) يعني الشعور بالخضوع ، كما أن الشعور بالخضوع معناه الشعور بأن كل الأمور وكل شيء يخضع لهيمنة الله وسيطرته خضوعا كاملا وسيطرة كاملة ، فأنت وكل شيء خاضع لهيمنة الله وسيطرته الكاملة ، كما أن الشعور بالخضوع معناه الشعور بالرضا بما أراد الله وقدر لكل واحد من رزق وأجل ، والله لا يسأل عما يفعل ولا يحاسبه أحد ، لماذا هذا ولماذا هذا ؟ ، كما أن الله هو الذي خلق عقولنا وأفهامنا التي نفهم بها وخلق الأسباب التي نفهم بها ، والله فوق الأسباب والناس مقهورون تحت سلطانه ، ولا يفهمون إلا ما أفهمهم الله ، ولا يعلمون إلا ما علمهم الله ، فمَنْ لم يشعر بكمال الخضوع والاستسلام لله ، فهو لا يشعر بالرضا بسلطان الله علي كل شيء وتحكمه في كل شيء وهيمنته علي كل شيء وأي شيء .

ـ إن الشعور بهيمنة الله تعالى على كل شيء يؤدي إلى أن يخضع العقل والقلب لله ، فمقياس الصواب والخطأ ليس العقل وإنما الله من خلال شرعه وأمره ، ومقياس ما يجعل الإنسان يفرح أو يحزن هو ما وافق أو خالف أمر الله ، أما مَنْ لا يشعر بالخضوع لهيمنة الله تعالي فمقياس الصواب والخطأ عنده هو عقله ورأيه فهو يعبد عقله ، ومقياس ما يجعله يفرح أو يحزن هو شهواته ودنياه فهو يعبد هواه : (( أَرَأيتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأنت تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ))([[1151]](#footnote-1151)) .

ـ والشعور بالخضوع هو شعور بالعجز والضعف وأنه لا يستطيع أن يقوم بأمر نفسه ولا يستطيع أن يتنفس إلا بأمر الله ، ويقول الدكتور مجدي الهلالي : (( إن السبب الرئيسي لعدم إيمان الكثير من الناس بالله ـ عز وجل ـ وعدم قيامهم بحقوق عبوديتهم له ، هو عدم استشعارهم حاجتهم إليه : يقول تعالى : { كَلَّا إِنَّ الإنسان لَيَطْغَى ، أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى }([[1152]](#footnote-1152)) ، ففي ظنهم أنهم يمتلكون من أسباب القوة ما يجعلهم في غنى عنه ـ سبحانه ـ وعندما يستبدل حالهم من اليسر إلى العسر ، ومن السعة إلى الضيق ، ومن الأمن إلى الخوف والكرب ، فإنهم يتجهون بكليتهم إلى الله ـ عز وجل ـ بعد أن زالت عنهم عوارض القوة ، وعاشوا في حقيقة فقرهم وضعفهم ، واستشعروا حاجتهم الماسة إليه سبحانه ، فتراهم يعودون إليه متضرعين منكسرين مخلصين له الدين : { وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (53) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (54) لِيَكْفُرُواْ بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ }([[1153]](#footnote-1153)) ، { هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أنهم أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ }([[1154]](#footnote-1154)) ، ولقد كان الرسل يركزون في دعوتهم للناس على إشعارهم بحاجتهم إلى الله ، فيذكرونهم بحجم النعم التي أنعم الله بها عليهم سبحانه ))([[1155]](#footnote-1155)) .

ـ الخضوع هو إلغاء الإرادة :

ـ الإنسان يصل إلى كمال الخضوع إذا ألغى إرادته ومشيئته فأصبح كأنه مسير مثل الملائكة والجمادات ، وشعر بأنه منقاد لا اختيار له ، لأنه يشعر أن إرادة الله ومشيئته فوق إرادته ، فمن استشعر حقيقة أنه واقع تحت سلطان الله وأن الإرادة والقوة التي عنده ليست ملكا له ، وإنما نعمة من الله عليه وملك لله تعالى ، كما أن إرادته وقوته ليست بشيء أمام إرادة الله وقوة الله تعالى ، إذا استشعر ذلك أسلم إرادته وقوته لله وخضع له .

ـ فالإرادة والمشيئة عكس الخضوع ، فكلما استعمل الإنسان إرادته كلما ابتعد عن الخضوع ، وكلما عطل إرادته كلما كان خضوعه أكثر ، والإنسان أمامه الاختيار ، إما أن يلغي إرادته فيكون عبدا ، أي يكون خاضعا ، أو يرفض أن يلغي إرادته ويعيش حياته وفقا لما يريده هو لنفسه وتبعا لإرادته فيرفض أن يكون عبدا ، فالخضوع معناه أن يعيش حياته لغيره ، أي تبعا لما يريده منه سيده ، فيتنازل عن إرادته ، لأنه ضعيف مقهور ، فالخضوع معناه أن يشعر الإنسان كأنه مسيرا وليس مخيرا ، والخضوع معناه خضوع العقل ، بمعنى أن الإنسان لا يعيش وفقا لما يختاره عقله ولكن وفقا لما يختاره ربه وإن خالف عقله ، ومعنى أن الإنسان يعيش وفقا لما يختاره له عقله أي يعيش تبعا لهواه ورأيه ومزاجه ، فالإنسان إما أن يتبع هواه ورأيه أو يتبع الشرع .

ـ يصعب على الإنسان أن يلغي إرادته ويعيش كأنه مسير ، لأنه مغرور بنعمة الاختيار كأنها ناشئة من ذاته كأنه هو الذي صنعها وهو الذي يملكها .

ـ الخضوع معناه الرضا بالقضاء والقدر وبالرزق وبكل ما يفعله الله تعالى :

ـ الخاضع ليس له أن يعترض أو يبدي رأيه أو يسأل لماذا ؟ وليس له أي حقوق ، وسيده له الحق في أن يفعل به ما يشاء وهو في منتهى الرضا والاستسلام ، وفي الحديث : (( لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ))([[1156]](#footnote-1156)) ، فعدم الرضا والتسليم بأنه خاضع معناه أنه لا يزال يشعر بأنه ليس بضعيف وأن القوة التي يحسب أنه يمتلكها سلبها منه غيره بغير حق ( الابتلاء ) لذلك فهو غير راض ، لذلك فلا يتحقق الإيمان حتى يتحقق الاعتراف والرضا .

ـ الخضوع معناه غياب الهدف الدنيوي فلا يعيش من أجل الدنيا :

ـ الخاضع ليس له أهداف وطموحات خاصة به فهو يعيش تبعا لما يريده منه سيده وليس تبعا لما يريده هو لنفسه .

ـ فالأصل أن الخضوع معناه غياب الهدف ومعناه غياب الحقوق فليس للخاضع حق على سيده ، ومعناه التوكل على سيده ، ولكن الله أخذ على نفسه أن يدخله الجنة إن هو اعترف بخضوعه وأطاعه ، فأصبح للخاضع حقا على الله وأصبح له هدفا هو دخول الجنة ، ولكن ليس للخاضع هدف دنيوي يعيش حياته من أجله فهو يعيش من أجل تحقيق ما يريده منه سيده وإن لم يكن هناك جنة ونار .

ـ الإنسان يتمتع بما عنده من قدرات ، مثل قدرته على التفكير والإبداع والكلام والسماع والحركة والإرادة وما لديه من نعم ، ولكن عندما يقارن هذه القدرات بقدرات الخالق يعلم أنها قدرات ضئيلة جدا ، بل إنها ذاتها مجرد عطاء من الله للإنسان ، فعندئذ لا يتمتع بهذه القدرات لأنها ضئيلة وليست ملكه ، ويشعر بالضعف مثل شعور الإنسان الذي تخسر تجارته ويفقد وظيفته ويتركه أهله ويعيش عالة على الناس فهو لا يستطيع أن يتمتع ولا يكون لديه طموح حيث لا يملك قدرات ، ويكون سلوكه سلوك الذي لا يستطيع أن يفعل شيء وهو معتمد على الله في كل شيء فكلما أراد أن يفعل شيئا أو يصل لشيء قال : يا رب ، وهذا لا ينفي أخذه بالأسباب ، فالخضوع هو الشعور بالضعف والانكسار والتبعية وعدم الحرية وان مشيئتك لا تستطيع أن تخرج بها عن مشيئة الله .

ـ الخضوع معناه غياب الحرية وغياب الشهوات :

ـ الحرية هي أن يتخذ الإنسان لنفسه ما يريده من أهداف ، أي وفقا لما ترغبه نفسه ، والنفس ترغب في الشهوات ، فالحرية معناها أن يكون هدف الإنسان الدنيا والشهوات ، والخضوع معناه أن لا يعيش الإنسان وفقا لرغبات نفسه وأهدافه التي يتمناها ، وإنما يعيش وفقا لما يريده غيره منه ، فالخضوع معناه مخالفة رغبات النفس وأهدافها ، أي لا تكون الدنيا وشهواتها هدفه ، فيعيش بلا هدف دنيوي يعيش له ، ويعيش أسيرا وتابعا ومنفذا لتحقيق هدف سيده وليس هدف نفسه ، أي يعيش خاضعا لما يريده الله منه .

ـ فالإنسان أمامه اختياران لا ثالث لهما هما : إما الخضوع وإما الشهوات ، وكلاهما ضد الآخر ، وبتعبير آخر فالخضوع هو مخالفة النفس والهوى .

ـ الأصل أن الخاضع ليس له هدف لا في الدنيا ولا في الآخرة ، لأن الإنسان ليس له حق في شيء ، ولكن الله أخذ على نفسه أن يدخل الجنة من خضع له ، فأصبح للخاضع هدف هو دخول الجنة رغم أنه لا يملك الثمن فليس لديه ما يعطيه مقابل الجنة ، وهو خاضع حتى ولو لم يكن هناك جنة ولا نار .

ـ يقول شيخ الإسلام ابن القيم : (( اعلم أن القلب إذا خلى من الاهتمام بالدنيا والتعلق بما فيها من مال أو رياسة أو صورة وتعلق بالآخرة والاهتمام بها من تحصيل العدة والتأهب للقدوم على الله عز وجل فذلك أول فتوحه وتباشير فجره ))([[1157]](#footnote-1157)) .

### ـ الحالة النفسية للخضوع والاستسلام :

ـ اليقين الحقيقي بأن الله هو المالك يؤدي إلى الشعور بالخضوع ، فمعني أن ينخلع الإنسان من كل ما يملك حتى من نفسه هو أن يكون كالميت بين يدي مغسله يفعل به ما يشاء ، فيكون كالميت بين يدي الله يفعل به ما يشاء ( وهذا أيضا أصل الشعور بالتوكل علي الله ) ، فإن شعورك بهذه الحالة النفسية هو الذي يسمي بالخضوع وأيضا بالتوكل ، فإذا كنت تدعي الخضوع أو التوكل علي الله فأين هذه الحالة النفسية ؟! ، فالإنسان عبارة عن مادة مصنوعة تتحرك وفق أمر الصانع ومصنوعة بالكيفية التي صنعها بها ، فلابد أن تشعر أنك مادة مصنوعة في يد غيرك يفعل بك ما يشاء .

ـ والشعور بالخضوع يعني اليقين الحقيقي بضعف قدرته وعجزه أمام قدرة الله وشعور بالانكسار والتسليم وأن الإنسان واقع تحت تصرف من له القدرة عليه وخائف منه .

ـ هل يستطيع الإنسان أن يعيش لغيره أي لا يعيش من أجل نفسه هو ولكن من أجل أحدا غيره ، إن الخضوع معناه أن تعيش لغيرك ، وتعيش تحت سلطة وسيطرة غيرك عليك وتقبل ذلك مستسلما ذليلا خاضعا ، إن المسلم يعيش لله بل ويموت أيضا لله : (( قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَأي وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ))([[1158]](#footnote-1158)) .

ـ أنظر إلى خادم يعمل في بيت من بيوت السادة ، إن الحالة النفسية التي يشعر بها هذا الخادم هي التي تسمي خضوع ، فإذا كنت تدعي الخضوع لله فهل عندك هذه الحالة النفسية ؟! .

ـ أنظر إلى الرجل الفقير المعدوم الذي يسأل الناس ليعطوه ، بماذا يشعر ؟ ، إنه يشعر بالخضوع والذل والحاجة إلى إنعام الناس عليه ، إن الحالة النفسية التي عند هذا الرجل هي التي تسمي خضوع ، فإذا كنت تدعي الخضوع لله فهل عندك هذه الحالة النفسية ؟! ، كما أنك تجد هذا الرجل يظل يدعوا لمَنْ يعطيه محبة له ، وإذا كان هذا الرجل فقير إلى إنعام الناس من أموال ، ومحب لما يعطونه ، فكيف بك وقد أنفق عليك الله فأعطاك عينا وأعطاك الهواء الذي تتنفسه ونعما لا تحصي ( والمشكلة أننا لا نشعر بنعم الله ) .

ـ مثال آخر : تصور أنه تم بيعك في سوق العبيد مثلما كان يحدث في الماضي فأصبحت عبدا وخادما لسيدك ، هل تقبل هذه الحال الآن وأنت في عصر الحرية ؟! ، هل تقبل أن تضع نفسك تحت تصرف غيرك ؟! ، وهل تقبل أن يتحكم فيك غيرك ؟! وهل تتحمل هذه الحالة النفسية من الخضوع وطوال عمرك ؟ ، إنك مطالب بما هو أصعب من ذلك أن تكون عبدا لسيدك ومولاك رب العالمين ، فلماذا لا تشعر أنك واقع تحت سيطرة مَنْ يتحكم فيك وأنت عليك أن تقبل الخضوع والذل ؟ ، فأنت تخضع له خضوع مَنْ شعر بأنه القهار المهيمن ، وخضوع المحتاج إلى نعماءه ، وتحب الذل إليه ليعطيك ، كما يفعل الشحاذ حين يسأل الناس فإنه يخفض رأسه ويمد يده للناس ليعطوه ، فهل تخفض رأسك وتمد يدك لله ليعطيك ؟ ، إذن أين هذه الحالة النفسية المميزة للخضوع ؟ .

ـ تصور أن أحدا ما رفع في وجهك سلاحا وطلب منك أن تستسلم ، ماذا يكون شعورك عندئذ ؟ هذا الشعور هو شعور بالهزيمة والاستسلام والانقياد ، إن الحالة النفسية التي تشعر بها عندئذ هي التي تسمي خضوع واستسلام ، فإذا كنت تدعي الخضوع لله ، فهل عندك هذه الحالة النفسية ؟ والله هو الجبار المنتقم ذو البطش المتكبر شديد العقاب سريع الحساب .

ـ تصور أن هناك أحدا ما أو شيئا ما ذو قوة قاهرة يمكن أن يقضي عليك ويزهق روحك فبماذا تشعر عندما تتعامل معه أو يأمرك بشيء ؟ ، إن الله هو القهار الجبار الذي سوف يزهق روحك ولن تفلت منه ( فهو المميت ) وهو يراك الآن ولن تستطيع أن تفلت منه أو تهرب عن نظره ، فلماذا لا تجد مثل هذا الشعور ؟ ، بل إن الله هو الذي يميتك كل يوم ويحييك فأين قدرتك وقوتك وإرادتك وأنت نائم ؟! ، فلماذا لا تشعر بالاستسلام لمَنْ يقهرك ويقدر عليك كل يوم وكل لحظة ؟ ، ولماذا لا تشعر أنك مقبل علي حياة أبدية ؟ ، فالذي يحييك كل يوم سوف يحييك يوم الدين والذي يميتك كل يوم سوف يميتك ويسلب منك كل شيء ، فلماذا لا تستسلم وتخضع وترضخ لله ؟ : (( اللَّهُ يَتَوَفَّى الآنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إلى أَجَلٍ مُسَمّىً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ))([[1159]](#footnote-1159)) ، فالروح تخرج من الإنسان فإن عادت في الدنيا فذلك النوم وإن عادت في الآخرة فذلك الموت .

ـ ومن الخضوع أنك تشعر بأنك لست تخضع لأمر نفسك وما يمليه عليك عقلك وإرادتك وإنما وفقا لما يريده منك سيدك الذي أنت خادما عنده بل الذي أنت عبدا عنده .

ـ إذا لم تشعر بالخضوع فهذا معناه أن شعورك بأن لك ربا وإلها عظيما وشعورك بأنه المالك والعزيز والقهار والمهيمن كل هذا لا يكون متحققا في المشاعر وإن كان متحققا في الاقتناع الكاذب ، لأن تحقيق ذلك في المشاعر يعني الشعور بالخضوع .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

### ـ ثانيا : الرضا بأفعال الله ( الرضا بالقضاء والقدر )

ـ لا يستطيع الإنسان أن يمنع أفعال الله فيه ، وليس له الحق أن يعترض عليها ، وليس له أن ينظر إلى أي فعل من أفعال الله نظرة اعتراض ، وعدم الرضا بها معناها أنه يرى أن الله ليس حكيما أو يسيء العمل وهذا شرك قلبي .

ـ الرضا بالقضاء والقدر معناه أن يسلم أمره لله ويقول لله : افعل بي ما تشاء ، فهو راضي بأي شيء سواء كان عطاءا أو منعا .

ـ الإنسان الذي في يده قطعة من الطين الصلصال له أن يفعل بها ما يشاء ويشكلها كيفما يشاء لأنه قوي يقدر على أن يشكلها كيفما شاء وهو مالكها وهي لا حول لها ولا قوة ، فالقوي بحق له أن يفعل ما يشاء بما صنعه وامتلكه ، والعبد الضعيف ليس له أن يفعل إلا ما يأمره به سيده ، فهذه هي العلاقة بين القوي والضعيف .

ـ الإنسان لا يملك شيئا ولا يستحق شيئا ، وبالتالي إذا لم يجد غير لقمة صغيرة لا تسد جوفه فإنه يكون سعيدا مسرورا بها لأن الأصل أنه لا يمتلك شيء ، فما عنده من عين وأنف وما عنده من مال وزوجة وأولاد وكل شيء هو ملك لله وهو عطاء من الله للإنسان ، وبالتالي يشعر الإنسان بالسعادة والراحة ولو كان في أشد الأزمات والمحن لأنه أصلا لم يكن مالكا لأي شيء افتقده ، فالرضا بالقضاء والقدر هو شعور نفسي بالراحة والطمأنينة .

ـ كما أن الذي يشعر بأنه مفارق للناس ومفارق لما كان يعمله في الدنيا ومفارق للأموال والدنيا وما فيها ومن فيها فإنه يعيش سعيدا مسرورا لأنه لا يبالي بشيء ، فإذا افتقد شيئا من أمور الدنيا فلا يبالي لأنه سوف يترك ذلك الشيء وكل شيء حتما حينما يموت .

ـ كما أن الذي يشعر بضآلة متع الدنيا وضآلة آلامها فإنه لا يبالي هل أقبلت الدنيا أم أدبرت .

ـ والله سبحانه لا يسأل عما يفعل ، ولا يحاسبه أحد ، لماذا هذا ولماذا هذا ؟ : (( لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ))([[1160]](#footnote-1160)) ، وفي الحديث : (( إن الله تبارك وتعالى يبتلي عبده بما أعطاه فمن رضي بما قسم الله عز وجل له بارك الله له فيه ووسعه ومن لم يرض لم يبارك له فيه ))([[1161]](#footnote-1161)) .

### ـ الفرق بين الاقتناع الكاذب والرضا بالقضاء والقدر :

ـ الاقتناع الحقيقي بالقضاء والقدر هو الرضا به ، لكن الاقتناع مع تسخط القلب هو اقتناع كاذب .

ـ كل الناس علي اقتناع نظري تام بالقضاء والقدر ، أما في لغة المشاعر فلا تجد الشعور بالاستسلام والانقياد والخضوع لله والشعور بالرضا والصبر ، وقد يحدث للإنسان مصيبة فيقول الحمد لله ولكن قلبه ساخط غير راضي وإن قال : أنا راضي ، وتجده يقول ( الحمد لله ) لكنه من باب الروتين والتعود في الكلام ، وفي الحقيقة قلبه ساخط ، ونحن قد ندعي الصبر ، فما ورد في القرآن هو الصبر الجميل وهو حبس القلب عن التسخط وحبس اللسان عن الشكوى ، وهو أن تتجرع المر وأنت مبتسم في منتهي الأريحية والانبساط ، فيتقبل الإنسان المصيبة برضا ، وهو سكون القلب تحت مدار الأحكام واطمئنان للعاقبة وانتظار للفرج واحتساب للأجر .

ـ الشعور بأن الله هو المالك يؤدي إلى الرضا بالقضاء والقدر :

ـ إن الذي يشعر بأن الله هو المالك لكل النعم فإنه يصبر علي سلب النعمة لأنها ليست ملكا له وليست حقا له ويرضى بذلك ، شرح ابن كثير معنى ( إنا لله ) في الآية : (( الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إليه رَاجِعُونَ ))([[1162]](#footnote-1162)) أي : (( { الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ } أَيْ تَسَلَّوْا بِقَوْلِهِمْ هَذَا عَمَّا أَصَابَهُمْ وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ مِلْكٌ لِلَّهِ يَتَصَرَّفُ فِي عَبِيدِهِ بِمَا يَشَاءُ ))([[1163]](#footnote-1163)) ، فمالك الشيء يفعل به ما يشاء ، فلا ضير أن يفعل الله بما يملك ما يشاء ، فلو قطعك إربا إربا فإنك ترضي لأنك نفسك ملكا له خاضعا له ، ومالك الشيء له الحق في أن يفعل بما يملك ما يشاء ، بل إن الله لو عذب جميع الخلق لعذبهم وهو غير ظالم لهم لأنه مالكهم له الحق أن يفعل بما يملك ما يشاء : (( وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ))([[1164]](#footnote-1164)) ، (( لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ))([[1165]](#footnote-1165)) ، وفي الحديث : (( لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم ، ولو كان لك مثل أحد ذهبا ـ أو مثل جبل أحد ذهبا ـ تنفقه في سبيل الله ما قبله منك حتى تؤمن بالقدر كله فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك وأنك إن مت على غير هذا دخلت النار ))([[1166]](#footnote-1166)) ، إن الذي يشعر بأن حياته وكل شيء ملك لله وإنما هي نعم وعارية يستردها مالكها فعند الموت يكون راضيا لأن الله يأخذ ما يملكه ويكون شاكرا لله لأنه أعطاه هذه النعم طوال هذه المدة تنعم بها بغير استحقاق ، فتخرج الروح سهلة ، لكن الإنسان الذي يشعر أنه هو الذي جلب النعم لنفسه من عقله وكده وتعبه ، فعند الموت لا يريد أن يترك النعم فتخرج روحه بصعوبة لتعلقها بهذه النعم ، ويكره مَنْ يقبض روحه ، فعندما يأتيه الموت يكره هذا القدر .

ـ الرضا عن الله :

ـ قد ينظر الإنسان إلى أي فعل من أفعال الله كابتلاء مثلا نظرة اعتراض ، أو يرى إنسانا لا حيلة له ورزقه عظيم فينظر إلى الله نظرة اعتراض ـ فهذا معناه أنه غير راض عن الله وغير راض بقضاء الله وقدره وهذا معناه استكبار ، فالله لا يسأل لماذا يفعل كذا أو كذا .

ـ والحسد صورة من صور الاعتراض .

ـ لقد جعل الله فلان غني وفلان فقير ، وفلان يتعب في عمله ورزقه قليل ، وفلان لا يعمل أو عمله قليل ورزقه كبير ، وفلان أجاب الله دعاءه رغم معاصيه وفلان لم يستجب له رغم تقواه ، وفلان يريد أمرا ما ليستعين به على الطاعة لكن الله لا يعطيه إياه ، وفلان يبتلى ويزيده الله ابتلاءا رغم دعاءه وعبادته ، وفلان يؤذي الناس في دنياهم ودينهم ويظلمهم ويزيده الله في الترقي في المناصب والمزيد من الدنيا فيتمكن من ظلمهم أكثر ، وفلان حرمه الله من البنين ، وفلان أعطاه الكثير ، وفلان ترك عملا لأنه كان يكسب منه مالا حراما ثم سعى للبحث عن عمل فلم يجد .

ـ طالما أن الإنسان مع الله ويطيعه فلابد أن يكون الله معه ، ولكن قد يظن الإنسان أن ذلك معناه أنه لابد أن ينقذه الله من الشدائد ويعطيه من الدنيا ويستجيب له فورا ، فقد يرى الإنسان أن لنفسه شأن كما أن لله شأن ، فيتعامل مع الله كما يتعامل مع الإنسان المكافئ له وهذا دليل على الاستكبار في نفسه ، وقد يظن الإنسان أن معاصيه أمور بسيطة وأنه لا يستحق هذا العقاب الدنيوي من الله بابتلائه .

ـ لكن الذي يشعر بأن الله هو المالك ، وأن مالك الشيء له الحق أن يفعل بما يملك ما يشاء ، فإنه يرضى بكل ما يفعله الله لأن هذا حقه وشأنه ، ويعلم أن كل ما يفعله الله هو بعلم وحكمة يعلمها سبحانه وليس تخبطا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا سبحانه ، ويرضى بما قسمه الله له وبما يفعله الله في عباده .

ـ وكل من شعر بمدى عظمة الله وضآلة نفسه تعلم الأدب مع الله وعلم أن لله أن يفعل ما يشاء وشعر بخوف المهابة من عظمته ، فعدم الرضا ينشأ من عدم خوف المهابة والتعظيم لله ، ومن خاف عظمة الله رضي بالله فرضي الله عنه : (( رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ))([[1167]](#footnote-1167)) .

ـ ومن العجيب أن البعض قد يرضى عن الدنيا والزمان على أنه هو الذي يصيب الإنسان بالبلاء وهو الذي قدر المرض والشيخوخة والموت على الإنسان ، ويظن بمشاعره أن الموت هو النهاية ولا شيء بعده ، فيرضى ويطمئن إلى الدنيا والزمان : (( إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ، أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ))([[1168]](#footnote-1168)) ، وهو بذلك يقول بمشاعره أن الزمان هو الذي أوجدنا وقدر علينا الابتلاءات وعلينا أن نخضع له ونرضى به ، ولأن الزمان هو شيء معنوي فهو يقصد بالزمان أنه لا شيء خلقه وإنما وجد هكذا من غير شيء ـ وذلك في مشاعره وليس في يقينه النظري ـ : (( أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ))([[1169]](#footnote-1169)) ، وربما تسمع في الأغاني ما يفيد أن الزمان هو الذي يفعل بنا الأفاعيل .

### ـ الحالة النفسية للشعور بالرضا :

ـ عندما يشعر الإنسان أن كل شيء بقدر الله ومشيئته ، وأن الخالق من حقه أن يفعل بمخلوقه ما يشاء ، فإنه يرضى بما يفعله الله ويسلم نفسه لله يفعل بها ما يشاء ، فيعيش في حالة من الارتياح والسعادة النفسية ، فهو لا يقلق بشأن ما حدث أو ما سيحدث فكله بقدر الله ، فيعمل وهو هادئ مطمئن قد أسلم أمره لله وتوكل عليه سبحانه .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

### ـ ثالثا : التوكل ( الاستعانة )

ـ العجز معناه عدم قدرة الإنسان على القيام بما يحتاج إليه واحتياجه لغيره ليساعده ويقضي له حاجته ، وهذا هو التوكل .

ـ العلاقة بين الضعيف والقوي ، أو العلاقة بين العاجز والقادر ، أو العلاقة بين العبد والسيد ، أو العلاقة بين الخاضع والمتكبر ، أو العلاقة بين الذليل والعزيز ، أو العلاقة بين الفقير والغني ، أو العلاقة بين المملوك والمالك ، أو العلاقة بين الذي لا ينفع ولا يضر والنافع الضار ، هي بالنظر إلى ضعف الضعيف علاقة خضوع وتوكل ورضا ، وبالنظر إلى قوة القوي هي علاقة خوف مهابة وحب وخوف العقاب ورجاء الثواب .

ـ القادر إذا أمر العاجز بأمر ما ، فإن العاجز يستعين بالقادر على أداء هذا الأمر لأنه بغير ذلك لا يستطيع القيام بالأمر ، فكذلك إذا أمر الله الإنسان بالعبادة فإنه يستعين بالله على القيام بهذه العبادة كما أراد الله تعالى ، فيقول تعالى : (( إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ))([[1170]](#footnote-1170)) .

ـ الشعور بأن الله وحده القوي والقادر والنافع والضار وغيره لا يقدر ولا ينفع ولا يضر يؤدي إلى الشعور بالتوكل عليه والخضوع له ، فمن كان عنده يقين حقيقي بذلك أسلم نفسه لله وفوض أمره إليه فهذا هو معنى التوكل .

### ـ الحالة النفسية للتوكل :

ـ الإنسان يستعين بغيره عندما يشعر بثلاثة أمور هي الشعور بالاحتياج والنقص ( الشعور بضعف الإنسان ) ، والشعور بقدرة من يعينه على إعانته ( الشعور بقدرة الله ) ، والاطمئنان والثقة في أن من يستعين به سيعينه ( الشعور بأن الله هو الوكيل والكفيل والكافي والرزاق والولي ) ، والإنسان يتوكل على الله وحده إذا شعر بأن غير الله ضعيف ولا ينفع ولا يضر .

ـ والتوكل على الله يؤدي إلى عدم انشغال الهموم بجلب الرزق وتحصيل الدنيا ، فالحالة النفسية المميزة للتوكل هي الشعور بالاطمئنان والراحة النفسية من هموم الدنيا ومن الهم بجلب الرزق وتحصيل الدنيا فلا تكون هدف الإنسان وقضيته ، كما أن الشعور بأن غير الله لا ينفع ولا يضر يؤدي إلى الارتياح النفسي لأنه لا يحمل هما لما سوى الله ، وكلما نقص إيمان العبد كلما نقص توكله وانشغل همه بالدنيا .

ـ فالإنسان قد يشعر بالاطمئنان والثقة والراحة إلى أن له مصدر دخل ثابت شهريا من عمل حكومي أو معاش مثلا يوفي له ما يريد ( وذلك ينشأ من ضعف شعوره بأن الله هو الرزاق أو من غياب ذلك الشعور ) .

ـ كذلك المتوكل على الله يشعر بالاطمئنان والثقة والراحة إلى أن هناك من يمده بما يحتاجه فهو يطمئن إلى الله الوكيل والرزاق ، فهو مطمئن إلى رزقه ومطمئن إلى أنه إن استعان بالخالق لم يخذله .

ـ فالتوكل هو شعور بضعف الإنسان واستسلامه لله وانهزامه بين يدي الله وتفويض أمره لله ليفعل الله به ما يشاء ، مثل شعور اليتيم الذي يحتاج إلى من يكفله وينفق عليه ، ومثل شعور الأعمى الذي يحتاج إلى المبصر ليحدد له اتجاه سيره ويسير به حيث يريد ، ومثل شعور الذي يجلس على كرسي بعجلات ويحتاج إلى من يقوده ، ومثل شعور السائل ( الشحاذ ) الذي يحتاج إلى الناس فيسألهم أن يعطوه ، ومثل شعور الفقير الذي ذاق طعم الفقر فهو يحتاج إلى الغني ليعطيه ، ومثل شعور الطفل الذي يحتاج إلى أبوية في طعامه وشرابه ونومه ورعايته ، ومثل شعور التائه الذي ضل الطريق فهو يحتاج إلى من يهديه ، ومثل شعور الجائع الذي ذاق طعم الجوع فهو يحتاج إلى الغني ليعطيه طعاما ، ولذلك ففي الحديث القدسي عن رب العزة سبحانه : (( يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم ))([[1171]](#footnote-1171)) ، وحقيقة الإنسان هو أنه أعمى لا يبصر لأن عينه ليست ملكه وإنما هي ملك لله تعالى أعطاها الله له ، وهو أصم وأبكم لأنه لا يملك الأذن ولا اللسان ، وهو فقير لأن المال الذي عنده هو ملك لله ، وهو مجرد من كل شيء ولا يعلم شيئا لأن عقله ملك لله ، فهو مثلما كان في بطن أمه في المراحل الأولى حيث كان لا يسمع ولا يرى : (( وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ))([[1172]](#footnote-1172)) .

ـ فالإنسان إذا شعر بأن غير الله لا ينفع ولا يضر فشعر بأنه هو نفسه لا ينفع ولا يضر وبأن الأسباب لا تنفع ولا تضر وبأن كل الناس والأشياء لا تنفع ولا تضر ، والشيء الذي لا ينفع ولا يضر هو شيء لا قيمة له فإنه عندئذ يشعر بالاستسلام والانهزام ويشعر بأنه في حاجة إلى من يكفله ويقوم بأمره ويرعاه لأنه عاجز عن أن ينفع نفسه ، فيلجأ إلى الله ليستعين به ويحتمي به ، فيكون كالطفل كلما احتاج إلى أمر لجأ إلى أبويه وهو يثق بأن أبويه لن يخذلانه ، لأن القوي لا يخذل الضعيف ، ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن القيم : (( فإن قلت فما معنى التوكل والاستعانة ، قلت هو حال للقلب ينشأ عن معرفته بالله والإيمان بتفرده بالخلق والتدبير والضر والنفع والعطاء والمنع وأنه ما شاء كان ـ وإن لم يشأ الناس ـ وما لم يشأ لم يكن ـ وإن شاءه الناس ـ فيوجب له هذا اعتمادا عليه وتفويضا إليه وطمأنينة به وثقة به ويقينا بكفايته لما توكل عليه فيه وأنه ملي به ولا يكون إلا بمشيئته شاءه الناس أم أبوه ، فتشبه حالته حالة الطفل مع أبويه فيما ينويه من رغبة ورهبة هما مليان بهما ، فانظر في تجرد قلبه عن الالتفات إلى غير أبويه وحبس همه على إنزال ما ينويه بهما ، فهذه حال المتوكل ، ومن كان هكذا مع الله فالله كافيه ولا بد قال الله تعالى : ( وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ) [الطلاق/3] أي كافيه ))([[1173]](#footnote-1173)) .

ـ (( قيل لحاتم الأصم : على ما بنيت أمرك هذا من التوكل ؟ ، قال : على أربع خلال : علمت أن رزقي لا يأكله غيري فلست أهتم له ، وعلمت أن عملي لا يعمله غيري فأنا مشغول به ، وعلمت أن الموت يأتيني بغتة فأنا أبادره ، وعلمت أني بعين الله في كل حال فأنا أستحيي منه ))([[1174]](#footnote-1174)) .

ـ قلق الإنسان من عدم وجود عمل يتكسب منه ، أو خوفا من أنه قد يترك العمل ... الخ ، فكل ذلك يدل على عدم توكله على الله ( يستثنى القلق الفطري الخارج عن إرادة الإنسان ) ، وكذلك من سرق مليما فليس بمتوكل ، لأنه استعجل رزقه الذي كان سوف يأتيه حتما ، والإنسان إذا أخذ مليما ليس من رزقه فلن يستطيع إنفاقه أو أنه يَضيع منه أو يصرفه في شيء لا قيمة له أو يمرض أو يمرض أحد من أبناؤه فيصرفه في العلاج ، أو يصاب بابتلاء بفقد شيء من ممتلكاته .... الخ .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

### ـ رابعا : الشعور بالغربة

ـ الشعور بالغربة ( عدم الرضا والاطمئنان بالدنيا ) هو شعور بالغربة في ابتعاده عن أهله ووطنه ( في الآخرة ) .

ـ معنى أن الإنسان اعتاد على أمر ما أي أنه رضي به واستقر فيه ، وعندما يترك الإنسان شيئا اعتاد عليه وألفه يشعر بالحزن والضيق ، وعكس ذلك عندما يكون الإنسان في أمر طارئ مؤقت عابر ، فإنه عندما يترك هذا الأمر لا تتأثر مشاعره ولا يحزن ولا يهتم لأنه كان أمرا طارئا ، فمثلا الإنسان يقابل آخرين في المواصلات ولكن عندما ينزل من السيارة لا يشعر بالفراق والحزن لفراقهم ، ولكن عندما يكون له صديق عاش معه سنوات طويلة ثم يفارقه فإنه يشعر بالحزن لأنه ألفه واعتاد عليه ، وكذلك الذي يعمل في شركة سنوات طويلة ثم يتركها لفصله من العمل أو لإحالته على المعاش مثلا فإنه يحزن لأنه اعتاد عليها واعتاد أن يقوم كل يوم ثم يذهب للعمل ويؤدي أعمالا معينة ثم يعود ، ولكن بعد تركه للعمل تغير حاله الذي اعتاد عليه فشعر بالكآبة ، وهكذا .

ـ فمعنى أن الإنسان رضي بالدنيا واطمئن بها أي ألفها واعتاد عليها ورضي بها وطنا له ومستقرا له ، ففيها يقيم ويسكن وفيها أهله وفيها آماله وطموحاته ورغباته ، وهو لا يشعر أن وطنه وأهله وداره في الآخرة وليس في الدنيا .

ـ فالدنيا في نظر المؤمن ليست كذلك فهي مجرد حياة مؤقتة وجيزة تمضي سريعا وكل شيء فيها مؤقت فهي مجرد ممر يسير فيه ليصل إلى الآخرة فهو لا ينظر إليها ولكن ينظر إلى ما هو ذاهب إليه فلا يبالي زادت أم نقصت .

ـ فالدنيا ليست المكان المعد والمجهز والمناسب لإقامة الإنسان فيه ، ولكن الدنيا عبارة عن سفينة أو مركبة تحمل الإنسان إلى بيته أو داره ومكان إقامته ، وداخل هذه السفينة يعيش الإنسان حياة مؤقتة عابرة فيها مكان مؤقت ينام فيه وطعام وشراب مؤقت .

ـ والإنسان الذي ألف الدنيا واعتاد عليها ورضي بها عندما يشعر باقتراب الموت أو قبل موته يحدث له اكتئاب شديد وخوف وهلع لأنه لا يريد أن يترك ما اعتاد عليه .

ـ فلابد أن يكون شعور الإنسان وعمله كأنه غريب ففي الحديث عَنْ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بمنكبي فَقَالَ : (( كُنْ في الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أو عَابِرُ سَبِيلٍ وَعُدَّ نَفْسَكَ في أَهْلِ الْقُبُورِ ، فَقَالَ لي ابْنُ عُمَرَ إِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْمَسَاءِ وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّبَاحِ وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ قَبْلَ سَقَمِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِى يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ غَدًا ))([[1175]](#footnote-1175)) ، وفي حديث آخر : (( عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثر في جنبه فقال يا رسول الله لو اتخذت فراشا أوثر من هذا فقال ما لي وللدنيا ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة ثم راح وتركها ))([[1176]](#footnote-1176)) .

ـ معني الرضا والاطمئنان بالدنيا ( يعبر عن أن حياته في الدنيا هي حياة إقامة وليست عابرة ) :

ـ قد يصنع الإنسان لنفسه تصورا وهميا ويعيش فيه ويندمج فيه ويطمئن به ، فقد يتصور أن المتع والآلام إنما هي في الدنيا ، ويتصور أنها عظيمة ، فيعيش في الدنيا ويطمئن بها ( رغم أنها ليست دار معيشة وحياة يطمئن فيها الإنسان لأن دار الإنسان وحياته الحقيقية في الآخرة ) ، فلا يحزن إلا لألم دنيوي ولا يفرح إلا للذة أو خير دنيوي ، وذهنه لا ينشغل إلا بالتعامل مع مفردات الحياة ومشاغلها ، فهذا هو الرضا والاطمئنان بالدنيا : (( إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ، أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ))([[1177]](#footnote-1177)) ، (( مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (15) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ))([[1178]](#footnote-1178)) .

ـ فيحدث اندماج وتعايش وتأقلم ورضا بقوانين العادات والتقاليد وما تعارف عليه الناس ، أي أنه يشعر بالاستقرار في الدنيا فهو بذلك جعل الدنيا دار مقر وليست دار ممر وارتحال ، فهو بذلك لا يرجو الآخرة ولا يخافها ولا يحمل هم لقاء الله ، أما المؤمن فيشعر بأنه غريب عن هذه الحياة لأنها ليست وطنه فهو غير مطمئن بها ولا يألف المعيشة فيها لأنه يعيش بين غرباء ينتظر الرحيل إلى وطنه وأهله .

### ـ الحالة النفسية للشعور بالغربة :

ـ أنظر إلى الحالة النفسية والحالة المزاجية والعاطفية لشخص مغترب يريد العودة إلى أهله وزوجته وأولاده ووطنه ، أنظر إلى شعوره بالحنين والشوق للعودة ومدي انشغال باله وتفكيره في يوم العودة ، إن هذه الحالة النفسية هي التي تسمي شعور بالغربة ، فإذا لم يكن عندك هذه الحالة النفسية فإن الآخرة والذهاب إليها لا وجود لها في مشاعرك ، إن الشخص الذي في غربة ليست قضيته أن يبحث عن الراحة والطعام والشراب ، فإنه ينتظر الراحة والطعام والشراب عند العودة إلى وطنه ، أما طعامه وشرابه ومكان نومه وعيشه في بلد الغربة فهو كيفما اتفق يرضي بأي شيء يؤدي الغرض ، فهل في شعورك أن الطعام الذي تأكله هو طعام مؤقت وأن السكن الذي تسكن فيه هو سكن مؤقت أم أنك تشعر أنه سكن دائم ؟ ، وهل تشعر بأنك مسافر بلا رجعة أي بعدم الرجوع إلى الدنيا ؟ ، هل لديك شعور بأن هذا السفر هو سفر نهائي وأنه سفر بلا عوده ، وقد سبقك إليه الكثيرون والدور في انتظارك ، والرحيل مفاجئ وفوري وبلا رجعة ؟ ، وهل تشعر بالترقب والانتظار ليوم العودة إلى وطنك وأهلك هناك في الآخرة ؟ ، وهل تشعر أنك تعيش الآن في بلد الغربة ( الدنيا ) ؟ ، إذن فالقضية حاسمة وخطيرة ولا تحتمل التراخي ، ولكننا في غفلة ، وليس للإنسان أن يجرب أو يتغافل فنحن ضيوف على وجه هذه الكوكبة الأرضية ، إذن يتضح الآن أن عالم الغيب في نظرك ليس إلا اقتناع كاذب وليس له وجود في مشاعرك ، إن الذي لا يشعر بأنه مقبل على عالم آخر فإنه يعيش كأنه لن يموت ، فالموت عنده مجرد اقتناع كاذب ، وعندما يأتيه الموت يشعر أنه هو النهاية ، ولا يريد أن يموت ، ويكره مَنْ يقبض روحه .

ـ إنها ليست موعظة ورقائق ولكنها حقائق ومشاعر حقيقية في النفس ، لذلك أنظر هل عندك فعلا شعور بالغربة والحنين ؟ ، أم أنك تدعي ذلك ؟ ، والشعور بالغربة أمر خطير لأن عدم وجود الشعور بالغربة يعني أن الذهاب إلى الآخرة لا وجود له في مشاعرك .

ـ أنظر إلى الحالة النفسية لشخص سجين ، إنه يشعر بالحنين إلى أهله ووطنه ، ويشعر بالضيق مما هو فيه ، فهذا حال المؤمن ففي الحديث : (( الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ))([[1179]](#footnote-1179)) ، فهل تشعر في نفسك بالغربة مثلما يشعر الإنسان الغريب أو عابر السبيل أو المسافر أو السجين ؟! .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

# **الفصل التاسع عشر : لماذا يمنع الإنسان نفسه من التصور السليم ؟**

ـ كل صفات القوة العظمة والكمال هي لله تعالى ، وكل ما دون الله فيه كل صفات الضعف والنقص وكل ما دون الله لا ينفع ولا يضر ، وهذا معناه تعلق المشاعر والهموم والأهداف بالله تعالى كالحب والخوف والرجاء والخضوع ، وهذا معناه أيضا ابتعاد المشاعر والهموم والأهداف عن غير الله تعالى .

ـ فإذا حدث تصور لصفات الله وصفات ما دونه يحدث الآتي :

1ـ الشعور بالخضوع ( وينشأ ذلك من تصور معنى " المالك والخالق والمهيمن " ) وفي ذلك ألم .

2ـ يعمل الإنسان لغير نفسه ( خضوعا وحبا وخوفا ورجاءا ، وذلك ينشأ من التصور السليم ) وفي ذلك ألم .

3ـ يبتعد عن الشهوات والمعاصي فيترك متعة الشهوات والمعاصي لأنه لا يعيش لنفسه لأنه خاضع .

4ـ لا يعيش معيشة المقيم ولكن يعيش معيشة المسافر وهي معيشة غير ممتعة ( وينشأ ذلك من تصور حقيقة الآخرة والسفر إليها ) .

ـ ولكي يمنع الإنسان نفسه من هذه الأمور الأربعة المؤلمة يلجأ إلى :

1ـ منع التصور السليم ، فيتغافل عن الله والآخرة ويتغافل عن حقيقة ما دون الله .

2ـ تغافل الجوارح : الهروب في كلامه وعمله من الله ، أي توجيه الكلام والعمل بعيدا عن الله وكل ما يذّكر الإنسان به أو يتعلق به كأن هذا الأمر لم يسمع عنه الإنسان أصلا ، أي إبعاد العمل عن ما يتعلق بالله أو يذكر بالله واذا عمله تغافل عن ارتباطه بالله فإذا أطاع كان كمن لا يعقل ما يعمل وإذا عصى تغافل عن كون ذلك معصية ولم يتكلم في أنها معصية رغم علمه بأن ذلك معصية ، أي تفريغ الكلام والعمل المتعلق بالله والآخرة من قيمته إذا عمله ، وتغافل عن الكلام والعمل المتعلق بالله والآخرة بعدم الكلام والعمل .

ـ ونوضح ذلك كالتالي :

ـ الإسلام وضع قيود على الشهوات وقيود على المعاصي وفرض واجبات ، والإنسان لا يريد هذه القيود فيرفض القيود متغافلا عن الدين .

ـ الشهوات والمعاصي فيها متعة عاجلة ، وخضوع القلب والجوارح فيه ألم عاجل ، والإنسان عليه الاختيار .

ـ فالإنسان أمامه متع وشهوات عاجلة ليست من حقه وإذا أخذها نال عقابا أليما مؤجلا وإذا تركها نال ثوابا عظيما مؤجلا ، والإنسان يريد هذه المتع والشهوات العاجلة فماذا يصنع ؟ ، يمنع نفسه من تصور أن هذه المتع والشهوات ليست من حقه ، ويمنع نفسه من تصور وجود ثواب أو عقاب مؤجل ، ويمنع نفسه من تصور الحكمة من وجود هذه المتع والشهوات وهي أنها للاختبار وأنه اختبار صعب ، فيكون كالنعامة التي تضع رأسها في التراب حتى لا يراها الأعداء ، وذلك هو سبب الوقوع في المعاصي والشهوات .

ـ فالإنسان إما أن يجاهد نفسه ليشتري الآخرة ، وإما أن يبيع القضية ويشتري الدنيا : (( أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ))([[1180]](#footnote-1180)) .

ـ الإنسان يريد المعاصي والشهوات وعدم الخضوع ، ولكي يقع في المعاصي والشهوات ولا يخضع يلجأ إلى أحد أمرين :

1ـ الاحتمال الأول :

ـ يتغافل عن نزول كلام لله ونزول أوامر ونواهي من الخالق ، ويتغافل عن أوامر الله ، ويتعامل مع قضية الدين كأنها هزل وليس جاد ، ويتغافل عن خطورة الذنوب ، وعدم المبالاة بأوامر الدين ، وعدم الشعور بقيمة أوامر الدين كأنها قضية غير مهمة ، والتغافل عن الفارق الهائل بين اللذة التي في المعاصي وحجم العقاب الهائل عليها ، والتغافل عن الفارق الهائل بين التعب الذي في الطاعات وحجم الثواب الهائل عليها .

ـ عظمة الأوامر وأهميتها من عظمة الآمر ، والتغافل عن الأوامر واللا مبالاة بها من التغافل عن الآمر ، فالمعصية في نظره هينة ولا مانع منها والطاعة تعب بدون قيمة .

ـ الإنسان لا يقبل على عمل لشيء يراه تافها وإنما يعمل لما يراه هاما ، فعدم إقباله على الطاعة وعدم تركه للمعصية معناه أنه يرى الطاعة وترك المعصية أمرا تافها .

ـ حقيقة امر المتغافل أنه يرى أنه لا ثواب ولا عقاب ولا أومر ولا نواهي وكل واحد حر يفعل ما يشاء ، وقد يتعمد مخالفة الدين ويتعمد المعصية ليثبت لنفسه أن المعصية شأنها شأن الطاعة فلا عقاب ولا ثواب في حقيقة تصوره ونظرته للأمور وليس في يقينه النظري .

ـ التغافل يؤدي إلى أن يفعل الإنسان ما يشاء دون اعتبار لأن ذلك الأمر معصية أو طاعة ودون اعتبار لارتباط الأمر بالدين أو عدم ارتباطه ، فالطاعة والمعصية ليست أمرا خطيرا في نظره وإنما هي أمر ضئيل جدا في نظره .

ـ الإنسان يخضع لمن يراه قويا ويطيعه ويحبه ويخافه ويرجوه ، فعدم طاعته لله دليل على أنه يتغافل عن عظمة الله وقوته ، وطاعته لنفسه وهواه دليل على أنه يرى نفسه قويا ، وكذلك طاعته للناس أو للأهل أو أي شيء دليل على أنه يرى ذلك الشيء عظيما .

2ـ الاحتمال الثاني :

ـ يكون عنده قدر من التغافل ، أي تنشأ المعاصي من ضعف الإيمان .

ـ ولكننا لا نعرف هل المعاصي عند إنسان ما نشأت بسبب ضعف الإيمان ( وجود قدر من التغافل ) أم من غياب الإيمان ( التغافل عن الله والآخرة ) والله هو الذي يعلم ذلك ، لذلك فالمسلم مهما عمل من المعاصي فلا يشك أحد في إسلامه .

ـ خضوع الجوارح :

ـ الإنسان لا يحب القيود من أي نوع ، سواء قيود العرف أو قيود القيم والمبادئ أو قيود الدين ، فيريد أن يكون حرا ، وقد يتعمد أن يعمل ما يضاد القيود المفروضة عليه ليؤكد لنفسه أنه حر .

ـ ولاحظ أن الضوابط التي فرضها الدين في ظاهرها قيود لكنها تجلب الخير للإنسان في الدنيا والآخرة لمن يعقل ، كما أنها اختبار ليميز الله من يخضع ممن لا يخضع .

ـ حقيقة الطاعة هي تنفيذ أوامر وهي صورة من صور الخضوع ، والإنسان يهرب من الطاعة باعتبارها مسألة تنفيذ أوامر فيتغافل عن أوامر المتحدث ويتناساها ويتغافل عنها ولا يبالي بها ويتلهى عنها ولا يشغل باله بها رغم العلم بالحلال والحرام وأنه يجب إتباع أوامر الشرع .

ـ من صفات العظمة الأمر والنهي ، فالقوي لابد أن يأمر وينهى ، ومن صفات الضعف أن يؤمر الإنسان وينهى ، فالقوي يأمر وينهى والضعيف عليه الخضوع للأمر والنهي ، فالإنسان يتغافل حتى لا يتقيد بالأوامر والنواهي التي يراها قيدا له ، فهو لا يحب أن يؤمر وينهى ، ويحب أن يكون حرا لا يأمره أحد بشيء ولا ينهاه عن شيء ولا يتحكم فيه أحد .

ـ الأصل أن الأمر والنهي يكون من الأعلى إلى الأدنى ، فالذي يعطي لنفسه حق الأمر والنهي يجعل نفسه أعلى على غيره ، والبشر ليس فيهم أعلى وجميعهم أدنى لأن الله وحده الأعلى ، فأوامر الله هي أوامر عليا من فوق سبع سماوات إلى العبيد من البشر ، فهي أوامر من المتكبر إلى الذليل .

ـ فالأمر والنهي صفة قوة ، وتنفيذ الأوامر صفة ضعف ، والآمر تكون له السلطة والسيادة والكبرياء ، والمأمور يكون له الضعف والذل وليس له إلا تنفيذ الأوامر حتى فيما يريده هو لنفسه ، الله وحده هو الذي له الأمر والنهي وكل ما سواه عليه التنفيذ مهما كان الأمر ، وأولي الأمر من البشر إنما هم ينفذون أمر الله على غيرهم وعلى أنفسهم .

ـ الإنسان لا يحب أن يأمره أحد بأوامر لأن الخضوع للأوامر ( عدم الحرية ) ضعف والضعف فيه ألم .

ـ والقضية ليست ما هو الأمر الذي يتم تنفيذه ولكن تنفيذ الأمر لمجرد أنه أمر ، وليس للمأمور أن يسأل أو يناقش ولكن عليه التنفيذ فقط أيا كان الأمر سواء وافق هواه أم لم يوافق : (( لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ))([[1181]](#footnote-1181)) ، بل إنه لو افترضنا جدلا أن شيئا ما أمام عينك تراه وقال لك الله أنه شيء آخر وجب عليك أن تكذب عينك وتصدق الله تعالى ، فليس المطلوب من العمل هو ذات العمل ، ولكن المطلوب هو العمل كتصديق للخضوع ، أي دليل على أنك خاضع لله تعالى بحيث إذا قال لك افعل كذا فعلت ، وإذا قال لك انتهي عن كذا انتهيت وبذلك صار عملك ليس تبعا لمرادك ولكن لمراد الله منك ، فمن كان يطيع متناسيا الهدف من الطاعة ـ على أنها تصديق على الخضوع ـ فهو لا يعمل لله وإنما يتخبط .

ـ فقضية الطاعة هي مسألة خضوع ، فمن الناس من يقبل بهذا الخضوع ومن الناس من يرفض الخضوع فيتناسى أوامر الله كأنه لم يأمر بشيء أو كأنه لا يعرفها ويتناسى أن الطاعة هي مسألة خضوع وعلاقة بين قوي وضعيف .

ـ وقد يؤدي الإنسان الطاعة لكن لا يريد أن يشعر أن أحدا يلزمها عليها إلزاما ويفرضها عليه فرضا ، كأنه يوافق على الطاعة بمزاجه كأنه يقتنع أولا بالأوامر ثم يؤديها .

ـ المعاصي تدل على أن الإنسان يرفض الخضوع لله أو أن خضوعه ضعيف ، وتدل على أنه لا يبالي ولا يهتم بالخالق وكلامه وأوامره أو أن شعوره بقدر الخالق وكلامه وأوامره ضعيف ، وذلك رغم يقينه النظري التام بالله وعظمته وعظمة كلامه وأوامره وأنه خاضع له ولكنه يتغافل عن الأمر ولا يشغل باله به ولا يقيم للأمر وزن أو قيمة أو أهمية .

ـ الطاعة ليست مطلوبة لذاتها ولكن مطلوبة كدليل على الخضوع وتعبير عن الخضوع وصورة من صور الخضوع وأثر للخضوع ، فالله لا يريد منا الطاعة لذاتها ولكن يريد منا الطاعة كتنفيذ أوامر ولو خالف العقل والهوى وما تحبه النفس ، لأن مخالفة الهوى وعدم الرجوع للعقل في الأمر دليل على الخضوع : (( لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ))([[1182]](#footnote-1182)) ، والنفس لا تحب الأمر والنهي لأن ذلك فيه خضوع ، ومجرد التفكير في أوامر الله ممنوع إلا ليعرف الحكمة ليزداد إيمانا ، وقد لا يعرف الحكمة لأن العقل قاصر ولا علم للإنسان أمام علم الله تعالى .

ـ كل الناس يعلمون أن العمل هو خضوع لله لكنهم يتناسون ذلك فيكون العمل ليس فيه شعور بالخضوع وليس ناشئا من الشعور بالخضوع ، فهذا العمل في حقيقته ليس له معنى ، لذلك فتصور البعض عن الطاعة خاطئ ويتعامل مع الطاعة بصورة خاطئة .

ـ الطاعات تعني أن الإنسان يقبل أن يعيش تبعا لأوامر الخالق وليس وفقا لما يريده هو ، فهو بذلك يقبل الخضوع ، والمعاصي تعني أنه يرفض أن يعيش تبعا لأوامر غيره وليس وفقا لما يريده هو ، فهو بذلك يرفض الخضوع أو خضوعه ضعيف ، وعلى الإنسان أن يختار إما طريق المعاصي وإما طريق الطاعات ، فالطاعات والمعاصي كلاهما متناقضان والعاقل لا يقوم بأمور متناقضة ، ولكن الإنسان يتناسى هذا التناقض ويقدم على المعاصي متغافلا عن أنه بذلك يرفض أوامر الله كأن الله يأمره بأمر فيقول له : لا لن أطيع !! ، فالمعاصي عنده سهلة والطاعات ليست بالهامة .

ـ غرور الإنسان بنفسه وبالدنيا :

ـ عندما تأتي لإنسان مغرور بنفسه ويحسب أنه قوي فتخبره بأنه ضعيف فانه لن يسمع لك ولن يشغل همه بكلامك ، وهو يفعل ذلك لأنه لا يملك دليلا يرد به عليك ، والأشد من ذلك إذا أخبرته بأنه خاضع وتحت السيطرة الكاملة فلن يسمع لك .

ـ قال تعالى : (( فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ))([[1183]](#footnote-1183)) ، وفي تفسير مفاتيح الغيب : (( فرحوا بما عندهم من العلم ... يجوز أن يكون المراد علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال تعالى : يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ عَنِ الآخرة هُمْ غافِلُونَ [ الروم : 7 ] ، ذلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ [ النجم : 30 ] فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهي معرفة اللّه تعالى ومعرفة المعاد وتطهير النفس عن الرذائل لم يلتفتوا إليها واستهزؤا بها ، واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به ))([[1184]](#footnote-1184)) ، وفي التفسير القرآني للقرآن : (( قوله تعالى : « ذلِكُمْ بِما كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِما كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ » أي ذلكم الذي أنتم فيه من بلاء وعذاب في الآخرة ، هو بسبب ما كنتم عليه في الدنيا من غرور بما ملكتم فيها ، وزهو وعجب بما بين أيديكم من زخرفها ومتاعها ، فصرفكم ذلك عن أن تنظروا إلى ما وراء يومكم الذي أنتم فيه ، فقطعتم حياتكم في فرح ومرح ، ولهو وعبث ))([[1185]](#footnote-1185)) أي فرح غرور بالدنيا كأنهم هم الذين جلبوا متع الدنيا لأنفسهم فهي ملكهم وهو أقوياء بذلك فاستكبروا عن الشعور بالخضوع لله القوي فمصيرهم النار باستكبارهم .

ـ إذن سبب الفرح هو شعور الإنسان بأنه مالك الشيء وبأنه هو الذي أوجده وعدم شعوره بأن الله هو المالك لهذا الشيء وهو الذي خلقه وأوجده ، والدليل على ذلك أن قوم قارون عندما قالوا له : ( لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ) قال لهم : ( إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ) .

ـ والخضوع معناه أن يعترف الإنسان بعدم ملكيته لمظاهر القوة التي يتمتع بها من إرادة وعين وأنف ومال وشهوات والاعتراف بأن كل مظاهر القوة هي لله وحده وما عنده من مظاهر القوة هي محض إنعام من الله عليه وعارية يستردها الخالق سبحانه ، والتجرد من مظاهر القوة فيه شعور بالألم وهو لا يريد أن يشعر بذلك ، أي لا يريد أن يترك سعادته بالتملك والإيجاد للنعم ـ في نظره ـ ففي ذلك قوة له .

ـ فالجاهل يغتر بالدنيا لأنها مزينة : (( إِنِ الْكَافِرُونَ إلا فِي غُرُورٍ ))([[1186]](#footnote-1186)) ، (( زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ))([[1187]](#footnote-1187)) ، (( أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ))([[1188]](#footnote-1188)) ، (( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ))([[1189]](#footnote-1189))

ـ رغم أن جميع الناس يوقنون بربوبية الله لكن هذا اليقين كاذب عند البعض لأنه يتصور أنه يمتلك من صفات الربوبية كالقوة والملكية والإيجاد ، فهو مغرور بهذه الصفات لذلك فهو يتغافل عن ربوبية الله وعن دعوة الرسل ( الفصل الرابع هو بيان للأدلة على ذلك ) .

### ـ العلاقة بين التصور والخضوع :

ـ تصور قدر الله وحقيقة الدين يؤدي إلى الخضوع ، وتصور معنى الخضوع أيضا يؤدي إلى الخضوع ، لذلك يمنع الإنسان نفسه من التصور حتى لا يخضع ، وهو لا يريد الخضوع لأن الخضوع فيه ذل وانكسار ولا يريد أن يترك متعة الحرية التي يتوهمها ، فيلجأ إلى هذه الحيلة ليهرب من الخضوع لله تعالى .

ـ فهو يوقن في عقله بأنه خاضع لله ، ولكنه أفسد هذا اليقين بتجاهله للأمر والتغافل عنه وتناسيه ، فأصبح اليقين موجود ولكن بلا معنى ولا قيمة .

ـ وجود الخالق والآخرة وآيات الكون ودعوة الرسل كل ذلك يدعو الإنسان إلى الخضوع للخالق ، والخضوع للخالق معناه ترك الخضوع للشهوات وألم التبعية للغير ، وهو لا يحب ترك الشهوات والانكسار لغير نفسه وهواه ، فيرفض الخضوع ويستكبر من قبل أن يتصور حقيقة الأمر ، فهو بذلك يسعى إلى الضرر لنفسه فيوردها موارد الهلاك .

ـ أصل العبادة الشعور بالخضوع ، فلا تتحقق العبادة بغير خضوع ، والرسل جاءت تنادي في الناس : (( اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ))([[1190]](#footnote-1190)) ، ولكن الناس يهربون لا يريدون الخضوع ، لأن مفهوم الحياة سوف يتغير فيعيشون حياة العبد لسيده ، ويعيشون حياة الخائف الهارب من النار ، ويعيشون حياة المسافر المستعد للرحيل ، ويعيشون حياة الطالب في لجنة الامتحان تحت مراقبة تحسب عليه كل حركاته وسكناته .

ـ وجود الخضوع معناه وجود إله ووجود عبد ووجود دين ، والهروب من الخضوع معناه الهروب من الدين ومن قضية أن يكون لك إله ، لذلك فيقينه بأنه خاضع كاذب .

ـ لا يخضع الإنسان إلا إذا تصور ضعف نفسه ، ولا يتصور ضعف نفسه إلا إذا تصور قوة الله ، فيقينه بقوة الله يذكره بأنه خاضع لله تعالى .

ـ غرور الإنسان بنفسه يعطي مؤشر على عدم يقينه بقوة الله ، فطالما أن الإنسان لا يزال يغتر بنفسه ويراها عظيمة فهذا معناه أن يقينه بالله هو يقين كاذب ، ويصعب عليه تنفيذ ما يأمره به الشرع من الخضوع لأنه مغتر بنفسه غافل عن الله .

ـ إذا لم يكن هناك خالقا فالإنسان يعتبر نفسه السيد على الأرض ، ويغتر بقدرته وما لديه من إمكانيات ويتوهم أنه يمتلك الأشياء ، لذلك يتغافل الإنسان عن حقيقة أن له خالقا لكي يعيش متوهما القوة والحرية في نفسه .

### ـ كيف يعقل الإنسان أصل قضية الدين ومعنى أن له خالقا ؟ :

ـ لا إله بغير خضوع ، فوجود الخضوع معناه وجود إله ووجود عبد ووجود دين ، وبغير الشعور بالخضوع فلا معنى لأن يقول الإنسان أنه عبد وأن له إله ، فإذا رفعنا الخضوع من كلمة " عبد " أصبحت كلمة مفرغة من المعنى ، فالعبد هو الخاضع ، والذي لا يشعر بأنه خاضع هو لا يريد أن يكون عبدا ، وهو لا يستطيع أن يخرج من سيطرة الله ولكنه يتصنع الهروب من سيطرة الله تعالى .

ـ الذي لا يشعر بالخضوع مستكبر يريد أن يخرج من سيطرة الخالق ، ففي تفسير السمعاني : (( { أم هم المسيطرون } أَي : الأرباب المسلطون ))([[1191]](#footnote-1191)) ، وفي أيسر التفاسير للجزائري : (( { أم هم المسيطرون } أي المتسلطون الغالبون فيتصرفون كيف شاءوا ))([[1192]](#footnote-1192)) .

ـ أي ملك من ملوك الدنيا يريد من الناس أن يعظموه ويخضعوا له ويطيعوه ، فهو بذلك يكون ملكا عليهم ، فإذا لم يعظموه ويخضعوا له ويهابونه ويخافونه ويطيعوه هم بذلك لم يجعلونه ملكا عليهم ، فكل الناس يعلمون ما الذي يريده الله منهم وهو أن يعظموه ويخضعوا له ويهابونه ويخافونه ويطيعوه .

ـ الإله هو الذي يمتلك صفات العظمة والقوة ، والعبد هو الذي يمتلك صفات الضعف والنقص ، فمن شعر بضعفه وقدرة الخالق عليه فقد تحقق عنده الشعور بالخضوع ، ومن لم يشعر بضعفه وقوة الخالق فقد نسي أنه عبد وأن له ربا : (( نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ))([[1193]](#footnote-1193)) ، لأنه لم يتصور حقيقة نفسه ولم يتصور معنى أن له ربا ، فلا عقل له : (( وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أو نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ))([[1194]](#footnote-1194)) ، فأصل قضية الإيمان أن هناك قوي وضعيف ، والضعيف يخضع للقوي ، أو رب وعبد ، والعبد يخضع للرب ، فاعتراف الإنسان بأنه عبد وبأن له رب وإله معناه الخضوع له ، وأصل الدين هو خضوع الضعيف للقوي ، فإذا عقل الإنسان مدى قوة الخالق ومدى ضعف نفسه فهو بذلك قد عرف الله وقد عرف حقيقة نفسه فعندئذ يخضع لله ويخاف من مهابته ومن عقابه ويرجو ثوابه ويحبه إعجابا بمدى قوته وينشأ عن ذلك طاعته .

ـ وأصل العبادة الشعور بالخضوع ، فلا تتحقق العبادة بغير خضوع ، والرسل جاءت تنادي في الناس : (( اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ))([[1195]](#footnote-1195)) ، ولكن الناس يهربون لا يريدون الخضوع ، لأن مفهوم الحياة سوف يتغير فيعيشون حياة العبد لسيده ، ويعيشون حياة الخائف الهارب من النار ، ويعيشون حياة المسافر المستعد للرحيل ، ويعيشون حياة الطالب في لجنة الامتحان تحت مراقبة تحسب عليه كل حركاته وسكناته ، كما أن الخضوع لله يتطلب ترك الخضوع للشهوات أولا ، وترك الشهوات أمر شاق على النفس ، فالشهوات هي هدفهم الذي لا يستطيعون أن يتنازلوا عنه .

ـ كل الناس عباد لله خاضعين له لأنه القوي القادر عليهم وهم الضعفاء ، والإنسان إما أن يتصور ذلك الأمر فيشعر بالخضوع وإما أن يعطل عقله ويتناسى ويتشاغل عن ذلك بأمور الدنيا حتى يأتيه الموت .

ـ فرغم أن الإنسان يعلم بأنه خاضع لله لكنه لا يريد أن يشعر بالخضوع فيتناسى أنه واقع تحت قدرة الله ومراقبته ويتناسى أنه لن يستطيع أن يفلت منه ، فكل شيء يدعوه إلى الخضوع يتناساه كأنه لا يعلمه ، فالآيات الكونية وصفات الخالق ووجود الآخرة ونزول القرآن وإرسال الرسل يدعوه للخضوع ، فهو يتناسى كل ذلك ، وهذا معنى نسيان الله والآخرة ونسيان دعوة الرسل ( نسيان آيات الله ونسيان الذكر ) .

ـ العلاقة بين الضعيف والقوي هي علاقة خوف وخضوع وتعظيم وحب إعجابا بقوته ورجاءا واستعانة به وتوكلا عليه وطاعته ، فإذا شعر الإنسان بقوة الله وضعف نفسه شعر بالخضوع والتعظيم والخوف والحب والرجاء وتوكل على الله وأطاعه ، وإذا لم يشعر الإنسان بقوة ما هو قوي وضعف ما هو ضعيف ففي عقله خلل ، هذا الخلل هو تناسي قيمة الأشياء ، وإذا تناسى الإنسان قيمة الأشياء رأى القوة والعظمة في المال أو الجاه أو الشهوات ولم يشعر بقوة الله وعظمته فكان خوفه وخضوعه وتعظيمه وحبه ورجاءه في الدنيا وتوكله عليها وعمله من أجلها فهذا هو عبادة الهوى .

ـ فإذا لم يشعر الإنسان بقوة الله وقدرته ولم يشعر بضعف نفسه فلن يشعر بالخضوع لله والخوف منه ومحبته ورجاءه ، وكذلك إذا لم يشعر الإنسان بخطورة الآخرة ولم يشعر بضآلة الدنيا وما بها من الشهوات والأموال والمظاهر فلن يخاف من الآخرة ويعيش لها .

ـ ولاحظ أن البشر ليس فيهم ضعيف وقوي ، فجميعهم ضعفاء والله وحده هو القوي : (( وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ))([[1196]](#footnote-1196)) ، وما عند الناس من صور القوة ما هي إلا عطاء من الله إليهم وليست ملكا لهم ، فالقوي بحق هو الذي يمتلك صفات القوة والقدرة .

ـ أمام الإنسان أمران هما : إما أن تكون له حياته المستقلة به فيدير أموره بنفسه ويفعل ما يريد ويرغب ، فيعيش حياته حرا يفعل ما يشاء ، وإما أن يجعل حياته لأحد غير نفسه ، فيعيش عبدا خاضعا لسيده ومولاه رب العالمين ، فيضع نفسه وما يملك ورغباته وحياته تحت تصرف سيده ، والنفس تستكبر أن تعيش معيشة العبيد فيدعى الإنسان قبوله للدين وقبوله للخضوع من غير أن يخضع ، ويمنع همه من تصور قوة الخالق لأنه لو عرف قوته لخضع له وهو لا يريد الخضوع ، فالذي يدعى قبول الدين والخضوع وهو لم يشعر بالخضوع فهو كذاب .

ـ كيف يرفض الإنسان الخضوع وهو لا يستطيع الخروج عن الخضوع كما أنه يوقن بأنه خاضع لله تعالى :

ـ الإنسان خاضع رغما عنه والمطلوب الشعور بهذا الخضوع والاعتراف به .

ـ وسواء رضي الإنسان بالخضوع أم لم يرضى ، وسواء شعر به أم لم يشعر ، وسواء اعترف به أم لم يعترف فهو خاضع رغما عن أنفه ولا يستطيع الخروج عن الخضوع لله إلا إذا استطاع أن يخرج من ملكه ومن تحت سماءه ومن فوق أرضه ، وإلا إذا استطاع أن يمنع نفسه من الموت ومن المرض ومن البعث والوقوف بين يدي الله تعالى ! .

ـ فكل الناس أذلاء مستسلمين خاضعين قهرا ، والمطلوب منهم الشعور بهذا الخضوع والاعتراف به ، ومن لم يشعر بهذا الخضوع فهو مستكبر .

ـ فالإنسان وكل شيء خاضع لله ليس فقط كونيا ولكن أيضا مشيئة الإنسان خاضعة لمشيئة الله لأن الله هو الذي أنعم عليه بنعمة المشيئة وأعطى له القدرة على أن يطيعه أو يعصيه فهو الذي أعطاه هذه الخاصية ولو شاء لمنعه ، فمثلا لو أن سيدا قال لخادمه لك الخيار في أن تفعل كذا أو كذا ، فالخادم يفعل ما يختاره لنفسه ولكن الذي أعطى له الحق في الاختيار هو سيده ، ويمكن أن يتدخل سيده فيمنعه ، والله يبتلي الإنسان ليعلم الإنسان أنه عاجز وخاضع لله تعالى .

ـ فكل الناس عباد لله وخاضعين لله ، ولا يستطيعوا الخروج عن سلطان الله لأنهم جميعا واقعين تحت سيطرته وسلطانه وقوته وهم ضعفاء أمام قدرته وهيمنته عليهم وهم لا حول لهم ولا قوة .

ـ الإنسان يرفض الخضوع بطريقة التغافل ، أي أنه يتغافل عن كونه خاضع لله ويتناسى الأمر ويتوهم أنه غير خاضع لله وبالتالي يعيش حياته كأنه غير خاضع لله تعالى ، فرفض الخضوع يتم عن طريق توجيه الهم والعمل بعيدا عن الله والآخرة وما يذكر الإنسان بالخضوع .

ـ والناس أمامهم أمرين هما :

1ـ الاعتراف بعبودية الله ، أي الاعتراف بأنهم عباد لله خاضعين له ، أي الشعور بالخضوع ، وينشأ عن ذلك محبته وطاعته ، فمن استشعر حقيقة أنه واقع تحت سلطان الله وأنه عبد مقهور واستشعر أن قدرة الله فوق قدرته فإنه يرضى بذلك ويعترف أنه عبدا لله تعالى ، فقوة الإنسان وإرادته ليست بشيء أمام قوة الله وإرادته ، وإذا أراد الله أن ينسف قوة الإنسان وإرادته لفعل ، فالإنسان العاقل يعلن استسلامه لقوة الله وإرادته .

2ـ عدم الاعتراف بعبودية الله ، أي عدم الاعتراف بأنهم عباد لله خاضعين له ، أي عدم الشعور بالخضوع ، رغم وجود اليقين الكاذب بأنهم عباد لله خاضعين له ، فهو يرفض أن يعترف بأنه يعيش عيشة الذل والخضوع ، ويتصور أنه حر لا يذل لأحد ولا يعيش كأسير أو خادم يلبي أوامر سيده ، فلا يريد أن يلغي إرادته ورغباته وشخصيته المستقلة ويعيش تابعا منهزما تحت إرادة متكبر عليه قاهر له .

ـ طريقة رفض الإنسان للخضوع :

ـ لكي يرفض الإنسان الخضوع فهناك طريقتين هما :

1ـ عدم الاقتناع : وذلك بأن يأتي بأدلة تثبت أننا لسنا خاضعين لله ، وهذا مستحيل ، وبالتالي فهو مقتنع وموقن تماما بأنه خاضع لله تعالى .

2ـ التغافل عن خضوع الإنسان لله تعالى والتغافل عن معنى الخضوع ، فيصبح اليقين بأننا خاضعين مفرغ من المعنى .

ـ التمتع بصفات القوة والحرية سبب رفض الخضوع :

ـ القدرة على الرؤية متعة لا يعلمها إلا من فقد عينه ، والقدرة على السمع متعة لا يعلمها إلا من فقد السمع ، وهكذا فالصحة متعة ، والمال متعة ، والقدرة على التفكير متعة ، والإرادة متعة ، والحرية متعة ، فالإنسان يتمتع بما عنده من عين وأذن وعقل وإرادة ومال وغير ذلك ، ولكن هذه الأشياء ليست ملكه ولا يحق له التمتع بها لأنه لا يملكها ، وهي مجرد أمانة يستردها صاحبها منه ، وصاحب الأمانة سمح له بالتمتع بها في حدود معينة وحرم عليه التمتع فوق ذلك ، والإنسان يرى أن ذلك قيد له كما يريد أن يتمتع بملكية هذه النعم ، فالذي يتمتع بشيء يملكه ليس كمن يتمتع بشيء يعطيه له غيره كأمانة ، كما أن غيره هو الذي يحدد له ما الشيء الذي يعطيه له والمقدار المسموح له بالمتعة به ويسلب منه العطاء في أي لحظة يريدها ، فالتمتع بما يملكه الغير قليل جدا بينما التمتع بما يملكه الإنسان ـ الذي يتوهم ذلك ـ هي متعة كبيرة جدا .

ـ الذي يتمتع في ملكه غير الذي يتمتع في ملك غيره ، فالجائع الذي عنده طعام يتمتع به ، والجائع الذي لا يجد طعاما ثم يلقي له غيره طعاما فيتمتع به أيضا ، ولكن هناك فرق بين تمتع الأول وتمتع الثاني فالمتعة عند الأول كبيرة .

ـ والإنسان يحسب أن ما عنده من نعم هو ملكا له وهو الذي جلبها لنفسه ، ويحسب أنه حر لا يتحكم فيه أحد يفعل ما يشاء دون أن يقيده أحد ، وفي ذلك متعة كبيرة ، لذلك عندما جاءت الرسل لتخبره أن هناك من هو أقوى منه وأنه لا يملك شيئا وأنه خاضع لله وليس حرا رفض أن يترك هذه المتع الكبيرة لمجرد أن سمع ذلك واستكبر وأصر أن يعيش يتمتع بصفات القوة والحرية التي يتوهمها .

ـ وقد يتوهم الإنسان متعة في تعمد مخالفة الدين وأوامره ليبرر لنفسه أنه لا يخضع لأحد وأن الله ليس بأقوى منه وأنه حر يستطيع أن يعصي الخالق ويستطيع أن يكفر به دون أن يقدر أحد أن يمنعه ( كما يتوهم ) .

ـ فهذه المتع ليست للعبيد سواء في الدنيا أو في الآخرة ، فلا يوجد استكبار في الجنة فالمستكبرين مكانهم النار ، فكل المتع موجودة في الجنة ما عدا هذه المتعة الوهمية .

ــ اليقين بأننا خاضعين لله موجود عند جميع الناس ، ولكن الإنسان يتوهم الحرية ويتمتع بها فلا يريد أن يعترف بالخضوع فيشعر بألم الخضوع والذل والاستسلام ويتنازل عن أهدافه الشخصية وطموحاته الشخصية لعيش من أجل أن يحقق هدف سيده .

ـ الضعف نوعين : إما أن الإنسان كان قويا ثم سلبت منه قوته ، وهذا ظلم ، أو أنه أصلا ضعيف وما عنده من قوة هي مجرد أمانة يستردها منه صاحبها ، والعلاقة بين الخالق وخلقه هي من النوع الثاني لأن الله ليس بظالم والخلق لا يملك شيئا ، فالمطلوب من الإنسان أن يعترف بذله وضعفه ونقصه ويقر بأن عليه أن يبقى في ألم الفقر وألم الضعف وألم العجز ويرضى بذلك لأنه لم يظلمه أحد .

ـ الهروب من الخضوع :

ـ كل إنسان يوقن يقينا تاما بأنه سيموت ، ولكن الإنسان لا يريد أن يموت ، فيلجأ إلى حيلة وهي أن يتجاهل قضية الموت ويتغافل عنها ولا يشغل همه بها ويعيش كأنه لن يموت وبذلك يتوهم أنه لن يموت ! ، فيقينه بأنه سيموت هو يقين كاذب ، ورغم أن الموت من أخطر القضايا في حياة الإنسان ، فهو أخطر من كل أمور الدنيا ومسئولياتها ومشاكلها وأموالها وشهواتها وبالتالي لابد أن ينشغل الهم بهذا الخطر الرهيب ، فوظيفة الهم الانشغال بالأمر الخطير ، وينشغل بالأمر الأخطر أكثر .

ـ نفس الأمر بالنسبة للخضوع ، فالإنسان خاضع لله ومشيئته خاضعة لله تعالى ، وعمله هو اعتراف أو عدم اعتراف بالخضوع ، والإنسان الذي يريد الهروب من الخضوع مثل الذي يريد الهروب من الموت يتناسى مسألة الخضوع ويعيش كأنه غير خاضع .

ـ الذي يهرب من الموت هو في الحقيقة لا يستطيع الهروب منه ، لكن المقصود من الهروب من الموت هو أنه يتغافل عنه ويتناساه كأنه لن يموت ، فكذلك الهروب من الخضوع ، فكل الناس خاضعين لله ، لكنه يتناسى خضوعه لله فهو بذلك يهرب من الخضوع ، وهذا من الغباء ، لأنه يكون كالنعامة التي تدفن رأسها في التراب حتى لا يراها الأعداء ! .

ـ الإنسان إما أن يعيش حياة الهارب من الله المتغافل عنه كأنه لم يسمع عنه ، وذلك بأن يتلهى عن الله بالدنيا ، فهو يتلهى ويتشاغل : (( مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إلا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ، لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ))([[1197]](#footnote-1197)) ، وإما أن يعيش حياة السير إلى الله .

ـ مفهوم الاستكبار :

ـ الاستكبار هو شعور الإنسان بأنه ليس بضعيف ، فكما أن الله قوي فهو يظن أنه أيضا قوي ، فالاستكبار هو شعور الإنسان بامتلاك صفات القوة كالملكية والإيجاد والحكمة والعلم والقدرة والحرية والإرادة ، أي هو شعور الإنسان بأن ما عنده من صحة ومال وممتلكات وشهوات وأهل وبنين هي ملكه وأوجدها لنفسه ولا يشعر بأنها نعم من الله عليه .

ـ الإنسان مغرور بما أعطاه الله من نعم كالعين والأنف والهواء وبما أعطاه من متع الدنيا كالمال وشهوات النساء والطعام والشراب ، فهو يظن أن كل ذلك ملكا له ويرفض التنازل عنه ، لذلك عندما تأتيه الرسل فتسلب منه حياته التي يعيشها على أنها حياة عابرة والآخرة هي الحياة ، وتسلب منه ما يتمتع به من عين وأنف ومال وممتلكات وشهوات لتنسب ذلك كله إلى الله الذي يملك كل شيء ، فتسلب منه كل شيء فيكون ضعيفا ولله كل صفات القوة ، فيرفض الإنسان ذلك لكنه لا يستطيع أن يمنع عقله من الاقتناع النظري بما جاءت به الرسل فيلجأ إلى حيلة الهروب من الخضوع ، فهو لا يقبل أن ينظر إلى الملايين من الأموال على أنها تافهة ، ولا يقبل أن ينظر على متع الشهوات على أنها تافهة ، ولا يوافق على أن كل النعم مجرد عطاء من الله عليه ، رغم أن كل ذلك هو مقتنع به ولكنه اقتناع كاذب ، فالإنسان مغرور بنفسه وبالدنيا .

ـ فالاستكبار معناه أن الإنسان لا يعترف بضعفه وعجزه وأنه لا يملك شيئا وينسب ملكية كل شيء إلى الخالق ، فهو بذلك يستكبر على الخالق ويرفض أن يسجد له بعدم اعترافه بصفات النقص للإنسان وصفات الكمال لله تعالى ، فالاستكبار هو غرور الإنسان بنفسه بما معه من الدنيا .

ـ مالك الشيء له أن يفعل بما يملك ما يشاء ، فالذي يصنع دمية يفعل بها ما يشاء ، والاستكبار معناه أن الإنسان يرفض أن يكون كالدمية يفعل بها صاحبها ما يشاء فلا يريد أن يتحكم فيه أحد فيريد أن يكون حرا وليس عبدا .

ـ فهناك أمران لا ثالث لهما هما إما تعظيم قدر الله وتصغير قدر النفس ، أو تعظيم قدر النفس والتغافل عن قدر الله تعالى كأنه ليس له قدر ، فالأول هو أصل الإيمان والثاني هو الاستكبار ، فالإيمان عكسه الاستكبار ، فالإنسان إما مؤمن وإما مستكبر ولا يوجد شيء ثالث ، وفي تفسير البغوي : (( { وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا } تكبروا عن الإيمان بها ، وإنما ذكر الاستكبار لأن كل مكذب وكافر متكبر ، قال الله تعالى " إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون" ))([[1198]](#footnote-1198)) .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

# الفصل الـعشرون : عبادة الهوى

ـ أثر التصور السليم هو تعلق الهموم والمشاعر والأهداف بالله والآخرة وابتعادها عن الدنيا والشهوات ( والفصل السادس عشر والسابع عشر هو بيان لتعلق المشاعر بالله والآخرة ) .

ـ أثر التصور الخاطئ هو تعلق الهموم والمشاعر والأهداف بالدنيا والشهوات وابتعادها عن الله والآخرة ( وهو ما يعرف بعبادة الهوى ) .

### ـ مفهوم عبادة الهوى :

ـ أي شيء تجعله أعظم وأهم وأحب إليك من الله فأنت بذلك تجعله صنم وتعبده من دون الله ، وكل الناس يوقنون بأن الله أعظم وأهم وأحب إليهم من كل شيء ، لكن البعض ينقضون هذا اليقين بغياب التصور فليس لله قدر ولا قيمة في تصوراتهم وهمومهم ، ففي تصوراتهم وهمومهم تكون الدنيا هي الأعظم والأهم والأحب والله غير موجود أساسا في تصوراتهم وهمومهم فعظمته تساوي صفر وحبه يساوي صفر ، وهم يتوهمون ويدعون حبه حيث لا يوجد عندهم الحالة النفسية المميزة للحب ( انظر الفصل السادس عشر ) .

ـ وبذلك فإن بعض الناس يجعلون من الدنيا والمال والشهوات والمظاهر أصنام يعبدونها من دون الله ويأتون يوم القيامة وهم مشركين يعبدون الأصنام .

ـ التعلق بأي شيء غير الله سبحانه وما يتصل به ، سواء كان ماديا أو معنويا سواء كان حلالا أم حراما كالتعلق بالدنيا وشهواتها ، أو الأعمال الدنيوية أو الناس أو شيء أو منهج يخترعه الإنسان بحيث يكون ذلك الشيء هدفك وغايتك ويشغل كل همومك وتتعلق به كل مشاعرك ، أو يكون أكبر همومك وأكبر مشاعرك وأكبر أهدافك ، أي تتعلق به مشاعرك أكبر من تعلقها بالله ، فأنت تعبد ذلك الشيء وذلك عبادة للهوى وذلك الشيء هو صنم يُعبد من دون الله تعالى رغم يقينك النظري التام بأنك لا تعبد إلا الله وحده ، والعاقل لا يتعلق بغير الله لأنه وحده النافع الضار وكل ما سواه لا ينفع ولا يضر فلا قيمة له .

ـ فهناك مفهوم مغلوط عن الأصنام ، فالأصنام ليست فقط تلك المصنوعة من الحجارة فقط ، فالدنيا صنم كبير يعبده الكثير من الناس ! .

ـ وعبادة الأصنام عبارة عن منهج مخترع اخترعه المشركون وعاشوا له وأعجبوا به وقدسوه وشغلوا حياتهم به ووجهوا تفكيرهم إليه ، وأصبح ذلك عادات وتقاليد مقدسة حصروا عقولهم فيها ، وكذلك كل من يخترع أمرا أو يختار أمرا غير الله والآخرة والدين فيشغل حياته وهمه وتفكيره به ، سواء كان ذلك خيرا آم شرا حلالا أم حراما لكن توجه إليه التفكير منصرفا عن الله والآخرة وتعلقت به المشاعر مبتعدة عن التعلق بالله والآخرة ، فعبادة الأصنام هي صورة من عبادة الهوى .

ـ الغفلة عن الله والآخرة وعبادة الهوى كلاهما وجهان لعملة واحدة ، فالغفلة تؤدي إلى تعلق المشاعر بالدنيا وشهواتها وابتعادها عن الله والآخرة ( وهذا هو مفهوم عبادة الهوى ) ، وعدم الغفلة ( التصور السليم ) يؤدي إلى تعلق المشاعر بالله والآخرة وابتعادها عن الدنيا وشهواتها ( وهذا هو أصل عبادة الله ) .

### ـ الأدلة على عبادة الهوى :

1ـ يقول تعالى : (( أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ))([[1199]](#footnote-1199)) ، (( أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ))([[1200]](#footnote-1200)) ، (( فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ))([[1201]](#footnote-1201)) ، (( فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ))([[1202]](#footnote-1202)) ، (( وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ))([[1203]](#footnote-1203)) .

ـ جاء في تفسير القرطبي : (( الهوى إله يعبد من دون الله ))([[1204]](#footnote-1204)) ، وفي تفسير الطبري : (( أرأيت يا محمد مَنْ اتخذ إلهه شهوته التي يهواها ))([[1205]](#footnote-1205)) ، وفي تفسير ابن كثير : (( { أرأيت مَنْ اتخذ إلهه هواه } أي بما استحسن من شيء ورآه حسنا في هوى نفسه كان دينه ومذهبه ))([[1206]](#footnote-1206)) ، وفي تفسير النسفي : (( أي مَنْ أطاع هواه فيما يأتي ويذر فهو عابد هواه وجاعله إلهه ))([[1207]](#footnote-1207)) ، وفي تفسير الطبري : (( أفرأيت يا محمد مَنْ اتخذ معبوده هواه فيعبد ما هوي من شيء دون إله الحق الذي له الألوهية من كل شيء ))([[1208]](#footnote-1208)) .

2ـ قال تعالى : (( وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ ))([[1209]](#footnote-1209)) ، (( إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ))([[1210]](#footnote-1210)) ، (( ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ))([[1211]](#footnote-1211)) ، (( الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخرة ))([[1212]](#footnote-1212)) ، (( كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ))([[1213]](#footnote-1213)) ، (( إِنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً ))([[1214]](#footnote-1214)) ، (( ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخرة ))([[1215]](#footnote-1215)) ، (( وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (2) الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخرة ))([[1216]](#footnote-1216)) ، (( فَأَمَّا مَنْ طَغَى (37) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (38) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (39) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ))([[1217]](#footnote-1217)) ، (( بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ))([[1218]](#footnote-1218)) ، أي إذا كان حب الدنيا أكبر من حب الله فهذا نفاق أكبر وعبادة للهوى .

ـ يقول ابن القيم : (( قال الله تعالى : { ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله } فأخبر أن من أحب من دون الله شيئا كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أندادا فهذا ند في المحبة لا في الخلق والربوبية فإن أحدا من أهل الأرض لم يثبت هذا الند في الربوبية بخلاف ند المحبة فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أندادا في الحب والتعظيم ))([[1219]](#footnote-1219)) .

ـ ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (( فمن آمن بالله رب كل شيء وخالقه ولم يعبد إلا الله وحده بحيث يكون الله أحب إليه من كل ما سواه وأخشى عنده من كل ما سواه وأعظم عنده من كل ما سواه وأرجى عنده من كل ما سواه بل من سوى بين الله وبين بعض المخلوقات في الحب بحيث يحبه مثل ما يحب الله ويخشاه مثل ما يخشى الله ويرجوه مثل ما يرجو الله ويدعوه مثل ما يدعوه فهو مشرك الشرك الذي لا يغفره الله ))([[1220]](#footnote-1220)) .

3ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط ))([[1221]](#footnote-1221)) ، وفي حديث آخر : (( الدنيا حلوة خضرة فمن أخذها بحقها بارك الله له فيها ورب متخوض فيما اشتهت نفسه ليس له يوم القيامة إلا النار ))([[1222]](#footnote-1222)) .

4ـ قال عيسى عليه السلام : (( لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم عبيداً ))([[1223]](#footnote-1223)) ، ويقول علي رضي الله عنه : (( إن أخوف ما أخاف اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسي الآخرة إلا وان الدنيا قد ترحلت مدبرة ألا وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل ))([[1224]](#footnote-1224)) .

5ـ الرب أو الإله لابد حتما أن يكون أكبر من البشر في صفاتهم وقدراتهم وإمكانياتهم وقدرهم وفي كل شيء لأنه الذي خلقهم بدليل الآية : (( أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ))([[1225]](#footnote-1225)) ، وبغير أن يكون الإله أكبر وأعظم من البشر فلا يكون إله ، وهذا هو أبسط معنى لكلمة الإله ويعرف ذلك كل الناس بالفطرة وبدون أن يتعلموا شيء ، وطالما أن الإله أكبر فهذا يعني بالضرورة أن تعلق المشاعر به أكبر ، وبالتالي إذا ساوى أحد في مشاعره بين الله وبين غيره ، فإنه يساوي بين الله وبين البشر في القدرات والصفات كأنه مثل أي واحد من البشر ، كذلك من تكون مشاعره تجاه الله أقل من المشاعر المتجهة للبشر أو للدنيا فهذا مشاعره تنقص من قدر الإله وتقول أن هناك من هو أجدر منه وذو قدر أكبر منه ، أو الذي تكون مشاعره للإله تساوي صفرا وجميع مشاعره متجهة إلى الدنيا فهذا مشاعره تقول : ( لا إله ) .

6ـ يقول ابن القيم : (( فصل في القلب الميت : والقلب الثاني ضد هذا وهو القلب الميت الذي لا حياة به فهو لا يعرف ربه ولا يعبده بأمره وما يحبه ويرضاه ، بل هو واقف مع شهواته ولذاته ولو كان فيها سخط ربه وغضبه ، فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته وحظه رضى ربه أم سخط ، فهو متعبد لغير الله حبا وخوفا ورجاء ورضا وسخطا وتعظيما وذلا ، إن أحب أحب لهواه ، وإن أبغض أبغض لهواه ، وإن أعطى أعطى لهواه ، وإن منع منع لهواه ، فهواه آثر عنده وأحب إليه من رضا مولاه ، فالهوى إمامه والشهوة قائده والجهل سائقه والغفلة مركبه ، فهو بالفكر في تحصيل أغراضه الدنيوية مغمور ، وبسكرة الهوى وحب العاجلة مخمور ، ينادى إلى الله وإلى الدار الآخرة من مكان بعيد ، ولا يستجيب للناصح ، ويتبع كل شيطان مريد ، الدنيا تُسخطه وتُرضيه والهوى يصمه عما سوى الباطل ويعميه ، فهو في الدنيا كما قيل في ليلى عدو لمَنْ عادت وسلم لأهلها ومَنْ قربت ليلى أحب وأقربا ، فمخالطة صاحب هذا القلب سقم ومعاشرته سم ومجالسته هلاك ))([[1226]](#footnote-1226)) .

7ـ الشيء الذي يصل حبك له إلى درجة العشق بحيث يمتلأ قلبك بحبه فلم يعد في قلبك شيئا لحب غيره ، فهذا الشيء أنت بذلك تعبده ، فإذا كنت تحب المال إلى درجة العشق بحيث يمتلأ كل قلبك بحبه فأنت تعبد المال ، وعلامة ذلك أن يتقطع قلبك على ضياع مليم ، وإذا كنت تحب المرأة أو الأولاد أو المظاهر والمناصب أو أي شيء إلى درجة العشق بحيث يمتلأ كل قلبك بحبه فأنت تعبد ذلك الشيء من دون الله ، وعلامة ذلك أن يتقطع قلبك عليه إذا ابتعد عنك .

ـ فمعنى كلمة ( إله ) أي هو الذي يجعلك تتحير وتندهش وتعجب به إعجابا شديدا بمدى صفاته ، فتحبه إلى درجة العشق بحيث يمتلأ كل قلبك بحبه ، وعلامة ذلك أن يتقطع قلبك على البعد عنه ، أي هو الذي لا تستطيع أن تقطع تفكيرك ومشاعرك وهمومك وأهدافك عنه ، أي هو الذي يتعلق تفكيرك ومشاعرك وهمومك وأهدافك به بشدة أي إلى درجة الوله ، وهذا هو معنى كلمة ( إله ) في اللغة ، ففي تاج العروس : (( وفي حدِيثِ وهب بنِ الوَرْدِ : ( إذا وَقَعَ العَبْدُ في أُلْهانِيَّةِ الرَّبِّ ، ومُهَيْمِنِيَّة الصِّدِّيقِيْن ورَهْبَانِيَّةِ الأبْرارِ لم يَجِدْ أَحَداً يَأْخُذ بقَلْبِه ) ، أَي لم يَجِدْ أَحَداً يَعجبُه ولم يُحِبَّ إلا اللَّهَ سبحانه ، قالَ ابنُ الأثيرِ : هو فُعْلانِيَّة مِن ألِهَ يَأْلَهُ إذا تَحَيَّرَ ، يُريدُ إذا وَقَعَ العَبْدُ في عَظَمَةِ اللَّهِ وجَلالِهِ وغيرِ ذلِكَ مِن صفَاتِ الرُّبُوبيَّةِ وصَرَفَ توهّمُه إليها ، أَبْغَضَ الناسَ حتى ما يميلَ قلْبُه إلى أَحَدٍ ))([[1227]](#footnote-1227)) ، " الوله " يدل على الحب والفرح بالمحبوب لدرجة أنه إذا ابتعد عنك تتحير ويذهب عقلك وتحزن حزنا شديدا ، وهذا التحير والحزن هو الوله : (( الوَلَهُ : ذهابُ العَقل والفُؤاد من فُقْدانِ حبيب ، يقال : وَلِهَت تَوْلَهُ وَتَلِهُ، وهي والهةٌ ووَالِه. وكل أنثى فارقت وَلَدَهَا فهي والِهٌ ))([[1228]](#footnote-1228)) ، (( ( وله ) الوَلَهُ الحزن وقيل هو ذهاب العقل والتحير من شدّة الوجد أو الحزن أو الخوف والوَلَهُ ذهاب العقل لفِقْدانِ الحبيب ))([[1229]](#footnote-1229)) .

ـ إذن إذا تعلق قلبك بشيء بشدة لدرجة الوله فأنت تعبد ذلك الشيء ، ومن أمثلة ذلك الخوف الشديد إلى درجة الوله على الصحة وعلى العمر وعلى المال وعلى الفقر وعلى الرزق ، والحزن والاكتئاب الشديد إلى درجة الوله من تقدم العمر والشيخوخة وفوات أي أمر من أمور الدنيا ، والحب الشديد لدرجة الوله للمال أو للشهوات أو للدنيا كحب الإنسان للمرأة لدرجة الوله .

ـ عبادة الهوى لها درجتين هما :

ـ الدرجة الأولى : نظرة الإنسان ومشاعره وهمومه وأهدافه متعلقة بالدنيا ومنقطعة عن الله والآخرة :

ـ إذا لم يشعر الإنسان بقدر الله وخطورة الآخرة فعندئذ تكون الدنيا في نظره عظيمة لأنه ليس أمامه غيرها ، وعندئذ تتعلق كل مشاعره وهمومه وأهدافه بالدنيا ولا تتعلق بالله والآخرة وهذا عبادة للهوى .

ـ فهناك مَنْ قلبه متعلق بمتع الدنيا فقط ، وهناك مَنْ قلبه متعلق بمتع الجنة والحور العين والنظر إلي وجه الله الكريم ، وأيضا هناك مَنْ هو خائف ويحمل هم متاعب الحياة وهمومها فقط ، وهناك مَنْ هو خائف ويحمل هم نار الآخرة وأهوال القيامة ، فالأول يعبد هواه والثاني يعبد الله ، وكلاهما يريد أن يتمتع ويريد أن يبتعد عن الآلام .

ـ إن الذين يطوفون بالأضرحة يقعون في الشرك بأنهم يتجهون إليها بالخضوع والحب والخشوع ، فكذلك هناك الذين يطوفون حول المال والشهوات فيركعون ويسجدون للمال والشهوات والدنيا ( تركع وتسجد قلوبهم وليس جوارحهم ) وكل خوفهم من ضياع المال وكل رجاؤهم في الحصول علي المال والشهوات والمتع ، فهؤلاء يطوفون بالأضرحة دون أن يذهبوا إليها أو يعرفوها أصلا ( يطوفون حول إله الشهوة ) ، وبالتالي فمن الناس مَنْ يعبد أصناما رغم أنهم ليس عندهم أصنام ولا يعرفونها ، إنها أصنام المال والمزاج والهوى والدنيا من دون الله ، فهم يتجهون بمشاعرهم وهمومهم وأهدافهم إلى الدنيا ، فيكون حبه للدنيا وخوفه عليها وخضوعه لها ، فمن الناس من يأتون يوم القيامة فيكتشفون أنهم كانوا يتناسون أنهم يعبدون فروجهم أو يعبدون المال أو المظاهر أو الطعام والشراب أو كل ذلك أو بعضه أو تدور حياتهم حول ذلك أو بعضه وإن لم يصلوا إليه ، ذلك لأن مشاعرهم وأهدافهم وهمومهم متوجهة لذلك ومنقطعة عن الله واليوم الآخر .

ـ من الناس من يكون فرحه وحزنه مبني على أساس الدنيا ، فالسعيد عنده هو من حصل على الدنيا والتعيس من خسر شيئا من أمور الدنيا ، والفوز عنده هو الفوز بجائزة دنيوية أو الحصول على مال أو جاه أو متع أو شهوات ... الخ ، والخسارة عنده هي ضياع مال أو جاه أو شيئا من حطام الدنيا ، أما المؤمن فأساس الفرح والحزن عنده مبني على أساس أن السعادة إنما هي في الجنة ، فكل عمل يعمله يرجو فيه ثواب الله فهذا هو الفوز لأنه يقربه من الفوز الأكبر بالجنة ، وكل عمل يعمله من أجل الدنيا فهذه هي الخسارة لأنه يقربه من الخسارة الكبرى وهي النار .

ـ الدرجة الثانية : نظرة الإنسان ومشاعره وهمومه وأهدافه متعلقة بالدنيا بدرجة أكبر من تعلقها بالله والآخرة :

ـ إذا قارن الإنسان بين ألم الدنيا وألم الآخرة ، وكان خوفه من ألم الدنيا أكبر من خوفه من ألم الآخرة فهذا معناه أن الدنيا عنده أكبر وأعظم من الآخرة ، فهو بذلك يؤثر الدنيا على الآخرة ، وكذلك إذا كانت لذة الحب والشوق لأي شيء في الدنيا أكبر من لذة الحب والشوق لله فهذا معناه أن ذلك الشيء عنده أكبر وأعظم من الله ، وكذلك إذا كانت أهداف الإنسان واهتماماته وطموحاته المتعلقة بالدنيا أكبر من أهدافه واهتماماته وطموحاته المتعلقة بالآخرة فهذا معناه أن الدنيا عنده أكبر وأعظم من الآخرة .

ـ الإنسان فطر على حب الزوجة والأبناء ووالديه وذلك حلال وليس بذنب ، وكذلك إذا أحب كسب المال من الحلال وأحب الطعام والشراب وغير ذلك ، فكل ذلك حلال وليس بذنب ، لكن إذا كان حبه لأي شيء سواء كان حلالا أم حراما أكبر من حبه لله فذلك عبادة للهوى .

### ـ من صور عبادة الهوى :

1ـ المال :

ـ أكبر وأخطر الأصنام التي يعبدها الناس هي عبادة المال والتي تعني تعلق المشاعر بالمال أكبر من تعلقها بالله والآخرة ، وقد تكون المشاعر المتعلقة بالله غير موجودة أصلا وكل المشاعر متعلقة بالمال ، فيكون كل حبه وخوفه ورجاءه وهدفه وهمه في المال وكيفية الحصول عليه .

ـ فمن الناس مَنْ يعيش حياته من أجل جلب الرزق كأن ذلك عبادته التي خلق لها : (( وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالآنسَ إلا لِيَعْبُدُونِ ، مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ))([[1230]](#footnote-1230)) ، (( وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إلا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ))([[1231]](#footnote-1231)) ، ولاحظ أن الرزق مفهومه واسع فإن تحصيل الرزق يعني تحصيل أي أمر فيه راحة أو نفع للإنسان ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : { من كان يريد حرث الآخرة } الآية قال : (( يقول الله : ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وإلا تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسد فقرك ))([[1232]](#footnote-1232)) ، وفي حديث آخر : (( يقول ربكم : يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى وأملأ يدك رزقا ، يا ابن آدم لا تباعد مني أملأ قلبك فقرا وأملأ يدك شغلا ))([[1233]](#footnote-1233)) ، وفي حديث آخر : (( لا تستبطئوا الرزق فإنه لم يكن عبد ليموت حتى يبلغه آخر رزق هو له فاتقوا الله وأجملوا في الطلب أخذ الحلال وترك الحرام ))([[1234]](#footnote-1234)) ، وفي حديث آخر : (( إن الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله ))([[1235]](#footnote-1235)) وفي حديث آخر : (( لو أن ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت ))([[1236]](#footnote-1236)) ، وفي حديث آخر : (( إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته ))([[1237]](#footnote-1237)) .

2ـ شهوات النساء :

ـ قد يكون كل هم الإنسان ومشاعره تتعلق بشهوات النساء كشهوة الجماع وشهوة النظر إلى العورات وشهوات الشذوذ الجنسي ، فهو يعيش أسيرا لشهواته هي التي تحركه ، فهذا عبادة للهوى .

3ـ المنصب والجاه :

ـ من الناس من يكون أكبر ما تتعلق به مشاعره وهمومه وأهدافه هو الترقي في المكانة الاجتماعية والحصول على الشهادات العلمية سواء لنفسه أو لأبنائه سواء كان ذلك للحصول على مال أكثر أو التمتع بالمظاهر والرياء فإذا كانت مشاعره مرتبطة بذلك أكبر من ارتباطها بالله والآخرة فذلك عبادة للمظاهر .

4ـ العقل :

ـ من الناس مَنْ حياته مبنية علي أساس ما يراه عقله ومزاجه ، فيجعل الرأي هو المحور والأساس والمقياس والمرجعية الوحيدة التي يعيش بها حياته ، فيعيش وفق ما يميل إليه رأيه ومزاجه وهواه وما يشتهي ويريد ، وربما يصنع لنفسه قضية ويعيش لها ، فهذا يعبد هواه .

ـ ومن الناس من لا يعترفون بعجز العقل البشري أمام علم الله ويحسبون أن البشر هم الأسياد والملوك على هذه الأرض لما لديهم من قدرات العقل الهائلة ، فتتعلق كل مشاعرهم بالمخترعات الحديثة والتكنولوجيا والعلم الحديث وتنقطع عن الله والآخرة فلا وجود لله والآخرة في مشاعرهم وهمومهم وأهدافهم .

5ـ الزوجة والأولاد :

ـ الناس والأهل والزوجة والأولاد لا ينفعوك ولا يضروك ولا يرزقونك وجميعهم مثلك مخلوقين ضعفاء لا حول لهم ولا قوة ، فاصل القضية بين الإنسان والخالق وليست بين الإنسان وغيره من الناس : (( لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ))([[1238]](#footnote-1238)) .

ـ فالإنسان يؤدي ما عليه من حقوق لهم لكن لا يعيش حياته من أجل زوجته وأولاده فيكون ذلك كل همه ومشاعره على حساب انصراف همه ومشاعره عن الله والآخرة : (( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ))([[1239]](#footnote-1239)) .

ـ فمن الناس من يعيش الإنسان حياته من أجل أن يمد زوجته وأولاده بكل ما يحتاجونه فيكون مورد مالي فقط فيكون ذلك أكبر مشاعره وأهدافه ويكون ذلك أكبر سعادة له ثم يكتشف في النهاية أنه كان يحصد الهواء ويموت ويترك أولاده يتنعمون بما ترك لهم وهم لا يقيمون له وزنا في أنفسهم سواء في حياته أو بعد موته .

ـ المؤمن لا يعيش من أجل نفسه ولا يعيش من أجل زوجته وأولاده ولا يعيش من أجل أحد من الناس ولا عمل من الأعمال ، وإنما هو يعيش لله فقط ، والمؤمن يرى نفسه عابر سبيل مسافر ويرى الناس كذلك ، لذلك فهو ينظر إلى ما يحصله من الدنيا لنفسه ولغيره نظرة المسافر الذي يدبر ما يعينه على سفره هو وغيره ممن هو مسئول عنهم ، كما أنه يعلم أنه لن ينفعه أحد من الناس فلا ينشغل إلا بتحقيق إيمانه وطاعة الله تعالى .

6ـ العادات والتقاليد :

ـ من الناس من يظن أن ما يقوله الناس بعقولهم وآراءهم هو الصواب ، فهو يعظم قوانين العادات والتقاليد والعرف والمصالح والقوانين التي يصنعها الناس لأنفسهم ويتعلق مشاعره بها أكبر من تعلقها بالقيم الإسلامية وقوانين الحلال والحرام وأكبر من تعلقها بالله والآخرة فذلك من عبادة الهوى والمزاج والرأي .

ـ فمن الناس من يكون عندهم كل ما ينبني عليه عتاب من الآخرين أو خسارة اجتماعية أو عقاب من القانون فهو محل اعتبار واهتمام بدرجة أن أكبر مشاعرهم مرتبطة بذلك ، وكل التصرفات والحسابات مبنية على ذلك .

ـ ومن الناس مَنْ أعماله مبنية علي أساس اعتبارات الناس ، فبدلا من أن يعيش أسيرا منقادا لله ، فهو اختار أن يعيش أسيرا منقادا لحسابات واعتبارات العادات والتقاليد وكلام الناس والوطن والجنسية والتعصب للعائلة أو الجنس أو الوضع الاجتماعي المعين أو المستوي المعيشي أو البيئة المحيطة أو التعود والألفة علي ما كان عليه الآباء والأصحاب : (( وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شيئا وَلا يَهْتَدُونَ ))([[1240]](#footnote-1240)) ، وفي الحديث : (( من أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس ومن أسخط الناس برضا الله كفاه الله مؤنة الناس ))([[1241]](#footnote-1241)) .

7ـ الأماني :

ـ (( يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (13) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ))([[1242]](#footnote-1242)) .

ـ قد لا يقع الإنسان في الشهوات ، لكنه يعيش حياته متمنيا لها قريبا منها يدور حولها وإن لم يقع فيها ، فهو ينشغل باله بالشهوات ويسمع عنها ويتكلم بها ، ويجد سعادته في الإغراء بها وتمنيها ، فإذا كان تعظيمه لهذه الأماني أكبر من تعظيمه لله ، وإذا كانت مشاعره متعلقة بهذه الأماني أكبر من تعلقها بالله فهو يعبد الأماني .

ـ إذا كان أكبر ما يتمناه الإنسان وأكبر ما يحلم به وأكبر ما يرجوه وأكبر ما يطمح إليه سواء على سبيل التمني في خيال الإنسان كأن يتمنى الإنسان أن يعثر على كنز مثلا ، أو على سبيل الأمل في الوصول لشيء من الممكن تحقيقه ، فإذا كان أكبر ما يتمناه ويطمح إليه ويرجوه ويحلم به ويفكر فيه هو المال وأن يكون غنيا أو المظاهر أو الشهوات أو أي شيء من أمور الدنيا وشهواتها فهو يعيش من أجل الدنيا وإن كان يكذب على نفسه ويظن أنه يعيش لله ، أما المؤمن فإن أكبر ما يتمناه ويطمح إليه ويرجوه ويحلم به ويفكر فيه هو الوصول إلى الجنة ، ولا يتحقق الإيمان حتى يزول تعظيم قيمة الدنيا من القلب وبالتالي حتى يكون أكبر ما يحلم به الإنسان ويتمناه هو الجنة ورضا الله وليس العثور على كنز أو الوصول إلى ألوان الثراء الدنيوي والمناصب العليا وكامل التمتع بشهوات الدنيا .

ـ وقد تتعلق مشاعر الإنسان ببعض الشهوات كشهوة المظاهر أو بالمال أو شهوة النساء ...الخ ولكنها لا تصل إلى درجة أن تكون عبادة للمظاهر أو المال أو شهوة النساء .. الخ ، أي لا تكون أكبر مشاعره متعلقة بالمظاهر أو المال أو شهوة النساء .. الخ ، وذلك لأي واحدة على حدة ، ولكن قد تتعلق مشاعر الإنسان بمجموعة من الشهوات أو الأشياء فيكون مجموع تعلق مشاعر الإنسان بمجموع هذه الشهوات أكبر من تعلق مشاعر الإنسان بالله والآخرة ، وهذا هو الخطر .

ـ فمن الناس من تتوزع أهدافه على أمور كثيرة من أمور الدنيا حتى تمتلئ أهدافه فلا يوجد حيز لهدف آخر ، فهو يريد أن يكون كذا وكذا ، ويريد أن يحقق كذا وكذا من أهداف الدنيا ، فهو لا يعيش من أجل قضية معينة واحدة وإنما لعدة قضايا فلا يشعر أن مجموع هذه القضايا يمثل قضيته في الحياة ، فمجموع هذه الأهداف هو في حقيقته هدف واحد هو الدنيا ، وكذلك في حبه ومشاعره ، فإن مجموع المحاب أكبر من حب الله ، ومجموع المخاوف أكبر من الخوف من الله ، ومجموع الهموم أكبر من انشغاله بلقاء الله والآخرة ، فمثل هذا الرجل هو يعيش من أجل الدنيا وغايته الدنيا رغم أنه قد يكون مقتنعا تماما بأنه يعيش لله وغايته الله .

8 ـ التغلب على أعباء الحياة ومشاغلها :

ـ قد يعيش الإنسان كل حياته من أجل التغلب على أعباء الحياة ومشاكلها اليومية والتغلب على ما عنده من مشاكل وصراعات دنيوية والخروج من الفقر أو نقص المال وغير ذلك ، فيكون ذلك كل هدفه وكل مشاعره وكل همه ، فهو بذلك يعبد الدنيا رغم أنه لا يملكها ! .

ـ إن كل إنسان يريد أن يحل مشاكله ليصل إلى السعادة ، ولكن الفرق أن هناك من يرى مشاكله في الدنيا من الطعام والشراب والزواج والمسكن والحرية ...الخ ، ويرى أن سعادته هي في الدنيا بحل مشكلاته وتوفير الراحة ، ويستند إلى الحل باستخدام العقل والرأي السديد ، وعلى العكس فهناك من يرى أن مشاكله في الآخرة من البعث والوقوف بين يدي الله والحساب ومصيره إلى الجنة أو النار...الخ ، ويرى أن سعادته هي في الآخرة بحل مشكلاته والوصول إلى الراحة في الجنة ، ويستند إلى الحل باستخدام الشرع من الكتاب والسنة ، فالأول تدور مشاعره حول محور الدنيا فهو يعبد الدنيا ، والثاني تدور مشاعره حول محور الآخرة فهو يعبد الله ، فإذا لم يكن أكبر المشاعر متجهة لمشاكل الآخرة فذلك عبادة للهوى .

ـ ارتباط مشاعر الإنسان بقضايا الدنيا أكبر من ارتباط مشاعره بقضايا الآخرة يدل على أن تعظيم الدنيا عنده أكبر من تعظيم الآخرة ، وهذا يعني إيثار الدنيا على الآخرة ، وهذا فضلا عن أن تكون مشاعره مرتبطة بقضايا الدنيا فقط من قضايا الزواج والأموال والتجارة و الطعام والشراب والتعليم وغير ذلك من أمور الدنيا ولا وجود للآخرة في مشاعره .

9ـ الأسباب :

ـ قد يكون الإنسان على اقتناع تام بأن الله هو النافع الضار الشافي الرازق الوكيل الكفيل وأن كل شيء بيد الله وأنه متوكل على الله تماما ، لكن حقيقة مشاعره تقول أن كل شيء بالأسباب ، وأن كل شيء يمكن صناعته بالعمل ، وكل شيء يمكن شراءه بالمال ، وأنه يحصل على المال من كده وتعبه ، وأن الأسباب هي التي تفعل كل شيء ، فشعوره بالخضوع يكون للأسباب وشعوره بالخوف متعلق بالأسباب وشعوره بالحب للأسباب ، لذلك فهو يعيش في عالم الأسباب كل شيء عنده بالحساب وبالتخطيط وبالاستقراء وبالمعادلات الرياضية ، بل إنه يرى أن المشاعر نفسها يمكن صناعتها بالأسباب ! .

ـ فمشاعره تقول عندئذ : الأسباب هي التي تنفع وتضر ، والأسباب هي التي ترزق ، فبغير الأسباب ينقطع الرزق ، وما مع الإنسان من مال هو من كد يده فحصل عليه من سعيه ، والعقل والتخطيط هو الذي يقي الإنسان من المشاكل ، وفلان هو الواسطة الذي جلب لي الوظيفة المعينة ، والأسباب هي التي تصنع كل شيء ، فمثل هذا يعبد الأسباب ، وإن كان على اقتناع تام بأنه متوكل على الله تعالى !! ، فهو اقتناع كاذب .

ـ فرجاؤه في الأسباب أكبر من رجاؤه في الله ، وخوفه من الأسباب أكبر من خوفه من الله ، وخضوعه لقانون الأسباب أكبر من خضوعه لله ، فلا يشعر أن الأسباب مخلوقة ولا تملك نفعا ولا ضرا ، وكل حزنه وفرحه وهمه وأمله في الأسباب ، وتأثر مشاعره يعتمد ويتوقف على الأسباب لا على الله .

ـ والذي يعبد الأسباب يفسر كل شيء بالأسباب ، فما حدث كان لأسباب وما سيحدث فهو بأسباب ، فهو يقوم بإيقاف تفكيره خارج حدود الأسباب ، وهو يقوم بالعمل على أساس المكسب والخسارة الدنيوية ، فالفوز عنده هو الفوز في الدنيا والخسارة هي الخسارة في الدنيا ، وليس للآخرة وجود في مشاعره وهمومه وتفكيره وأمانيه وحساباته ، فهو علماني في مشاعره وهمومه وتفكيره وأمانيه ، وفي قصة قارون خير دليل على ما نقول حيث قال : (( قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ))([[1243]](#footnote-1243)) .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

# الفصل الحادي والعشرون : العمل مع غفلة القلب فاسد

ـ مقدار التدين عند الإنسان : يقاس كالتالي :

1ـ مقدار التدين الذي في القلب : وهو مقدار الهم والمشاعر المتعلقة بالله والآخرة ، أو مقدار ابتعاد الهم والمشاعر عن الدنيا ، وهذا أمر لا يعلمه إلا الله والإنسان في نفسه .

2ـ مقدار الطاعات والمعاصي : وهذا أيضا يتوقف على النية وعدم غفلة القلب ، وهذا أمر لا يعلمه إلا الله والإنسان في نفسه .

ـ ونحن لا نعلم غير ظاهر الأعمال ، وانشغال الجوارح بأمور الدنيا ربما يدل على انشغال الهم بأمور الدنيا لكن لا يعلم مقدار ما في الهم إلا الله والإنسان في نفسه ، وقد يكون ظاهر الأعمال متناقض عن حقيقة ما في القلب ، إذن فنحن لا نستطيع أن نقيس تدين إنسان سواء سلبا أو إيجابا .

### ـ العمل ليس بديل عن إيمان القلب :

ـ تحقيق إيمان القلب أصعب بكثير من الجهاد وبذل المال في سبيل الله ، فترك الدنيا والشهوات والمحبوبات والمال والمظاهر والتعالي والكبرياء من القلب من أصعب ما يمكن على النفس وكذلك إخضاع النفس لغير رغباتها ومراداتها وقهرها على السير وفق مراد الخالق هو شعور من أصعب ما يمكن ، لذلك فالبعض قد يجعل العمل والطاعة ذاتها هي الهدف ويكون تفكيره ومشاعره مرتبطة بذات العمل منقطعة عن التعلق بالله والآخرة .

ـ ولا يزال البعض لا يشعرون بقيمة عمل القلب ( التصور والمشاعر ) وخطورته ، وينظرون إليه بغير اهتمام ، وينظرون إلى من يسعون إليه نظرة تعجب ويحسبونهم لا يفعلون شيئا لأن كل شيء عندهم يقيسونه بالتغير الذي يحدث في الظاهر ولا ينظرون إلى التغير الذي يجب أن يحدث داخل النفوس ، والخدعة الكبرى أن أي إنسان يخلو قلبه من الإيمان يتناسى ذلك ويحسب أنه أحسن الناس في الإيمان القلبي ويوقن يقينا تاما بأهمية إيمان القلب وأنه أصل الدين لكنه يقين نظري فقط وليس يقينا حقيقيا .

ـ الإيمان القلبي أولا :

ـ الطبيعي أن أي إنسان عاقل إذا أراد أن يلتزم بالدين فلابد أولا أن يتصور قضية الدين ويتصور معنى أن له ربا وحقيقة الآخرة وحقيقة القرآن والرسل وحقيقة نفسه وآيات الكون وحقيقة الموت ولقاء الله ، وتتأثر مشاعره بذلك ( وهذا هو الإيمان القلبي ) لأنه إذا لم يتصور ذلك لم يدري ما يتعلمه ولا ما يعمله ، وينشأ عن ذلك أن يكون ظاهر عمله أنه يريد الآخرة وحقيقة عمله أنه يريد الدنيا رغم الاقتناع النظري التام أنه يريد الآخرة ، فكلامه وعمله من كلام وأعمال أهل الآخرة ولا إيمان في قلبه ، وفي الحديث : (( إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ، ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوكت ، ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا وليس فيه شيء ، فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال إن في بني فلان رجلا أمينا حتى يقال للرجل ما أجلده ما أظرفه ما أعقله وما في قلبه حبة خردل من إيمان ))([[1244]](#footnote-1244)) ، والمقصود بـ ( الأمانة ) أي الإيمان ، وعن جندب بن عبد الله قال : (( كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن فتيان حزاورة فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا ))([[1245]](#footnote-1245)) .

ـ فلابد أن ينشأ العمل من التصور .

### ـ المعاصي والشهوات تعنى غفلة القلب أو وجود قدر من الغفلة في القلب :

ـ الإنسان يقع في الشهوات والمعاصي عندما تغيب عنه صورة الآخرة وصورة قدرة الله وعلمه ورؤيته له وصورة حقيقة الشهوات ولا يكون في ذهنه غير صورة ظاهر الشهوات الخادعة التي توحي بمتاع هائل وهي كاذبة .

ـ إذا أخبرت إنسان أن نارا هائلة خلفه توشك أن تلحق به ، فإنه بالضرورة سوف يجرى ويهرب ، فإذا لم يجرى ويهرب فهذا يدل على أنه لم يتصور خطورة الأمر ( يتغافل عن الأمر رغم علمه به ) أو تصوره لخطورة الأمر ضعيف ، وإذا جرى وهرب فهذا يدل على أنه يتصور خطورة الأمر ، والذي يقول بأنه جائع وأمامه طعام شهي ولا يأكل فهو كذاب أو جوعه قليل ، فإذا كان الإنسان يوقن يقينا حقيقيا بالله والآخرة وبنفع الطاعات وضرر المعاصي فإنه سوف يسارع في الطاعات ويبتعد عن المعاصي .

ـ فمثلا لو قيل لإنسان أنه إذا وقع في شهوة من الشهوات فإنه سوف يوضع في داخل الفرن الذي ينضج فيه الخبر بأحد الأفران مثلا حتى يشوى جلده ولحمه ، فإنه لن يقع في شهوة أبدا ، وكلما عرضت له شهوة تذكر " فرن الخبز " ! ، وكذلك إذا تصور الثواب الهائل للطاعات لسارع إليها ولم يضيع هذه الكنوز الهائلة .

ـ أثر تصور الآخرة والسفر إليها على العمل :

ـ يكون عمل الإنسان مثل عمل الغريب الذي يعيش وسط غرباء في بلد الغربة ، أو يكون عمله مثل عمل عابر السبيل المسافر المستعد للرحيل وهو أثناء سفره يتقابل مع غرباء مسافرين مثله ، فيعيش الإنسان معيشة الغريب أو المسافر أو عابر السبيل ، ولا يكون عمله مثل عمل المقيم في بلده ، فمثلا الشخص الذي يعيش في غربة في بلد ما ليست قضيته أن يبحث عن الراحة والطعام والشراب ، فإنه ينتظر الراحة والطعام والشراب عند العودة إلى وطنه ، أما طعامه وشرابه ومكان نومه وعيشه في بلد الغربة فهو كيفما اتفق يرضي بأي شيء يؤدي الغرض ، فإن الذي يري أن طعامه إنما هو في الآخرة فإنه لا يهتم كثيرا بطعام الدنيا فهو كيفما اتفق ، وإنما هو يأخذ زاد المسافر ، وكذلك سكن الدنيا ومتطلباتها ، ففي الحديث : (( عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثر في جنبه فقال يا رسول الله لو اتخذت فراشا أوثر من هذا فقال ما لي وللدنيا ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة ثم راح وتركها ))([[1246]](#footnote-1246)) ، وفي الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ مَرَّ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ نُعَالِجُ خُصًّا لَنَا فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ ، فَقُلْتُ خُصٌّ لَنَا وَهَى نَحْنُ نُصْلِحُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : (( مَا أُرَى الأمر إلا أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ ))([[1247]](#footnote-1247)) ، وقد كان الإمام أحمد بن حنبل يقول : (( إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وإنها أيام قلائل ))([[1248]](#footnote-1248)) .

### ـ أثر التصور على حل مشاكل المجتمع :

ـ إذا أردنا أن نحل مشاكل المجتمع فالحل هو تصحيح طريقة التفكير عندهم فينظرون إلى حقيقة المال والدنيا والشهوات وحقيقة مشاكل الدنيا بالمقارنة بمشكلة الآخرة ، وعندئذ لن تكون هناك سرقات ومشاكل ...... الخ ، بل إن مفهوم المشكلة سوف يتغير فلن تكون مشاكل الحياة هي المشاكل التي يعاني منها الناس وإنما سوف تكون مشكلة الناس الوحيدة هي النجاة من النار ودخول الجنة ، ولن تمثل مشاكل الحياة شيء لأنها في نظرهم عابرة وهم عابري سبيل ، فالمشكلة الحقيقية ليست اقتصادية ولا اجتماعية ولا سياسية ولا غير ذلك وإنما المشكلة هي في عقول وقلوب الناس وهي أن يعيش الإنسان لله بهمومه ومشاعره وأهدافه ، أما مشاكل الدنيا فهينة وزائلة بزوال الدنيا ، وما الدنيا إلا أيام قليلة نعيشها كيفما اتفق ، فلن تزول مشاكل المجتمع إلا إذا تغيرت العقول والقلوب : (( إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ))([[1249]](#footnote-1249)) ، فحب الدنيا وتعلق المشاعر والهموم بها إذا خرج من العقول والقلوب فسوف يختفي التنافس على الدنيا وبالتالي تختفي المشاكل لأن كل المشاكل تأتي من التنافس على الدنيا ، كما يكون عند الناس عندئذ الرضا والقناعة لأنهم علموا أن أقل شيء عندهم هو نعمة عظيمة من الله عليهم فيحمدوا الله تعالى ، كما أن مفهوم السعادة سوف يتغير فلا تكون السعادة عندهم في المال والدنيا وإنما تكون السعادة عندهم في رضا الله ودخول الجنة ، أما إذا لم تكن الآخرة لها وجود حقيقي في هم الإنسان ومشاعره فإنه لن يسامح أحدا لأنه لا يشعر بأن هناك جزاءا على ما يفعل ، وسيعيش حياته يحصل أكبر ما يستطيع من المتع والمال ولو من غيره من الناس ، ويكون حريصا على عمره لأن ما في حقيقة مشاعره أنه إذا مات فلن يجد شيئا وأن الحياة هنا فقط ولا حياة أخرى فيجتهد أن يحصل كل ما يستطيع قبل أن ينتهي كل شيء فتكون السرقات وكل أنواع الظلم ويعيش الناس كالوحوش في الغابة القوى يأكل الضعيف ، والناس عندئذ هم في الحقيقة يتعبون أنفسهم بأنفسهم وهم في الحقيقة يسرقون أموال بعضهم بعضا ويرتشي بعضهم من بعض ويصنعون المتاعب لأنفسهم ويستمدون السعادة من أمور يخترعونها ويصنعون تعقيدات للحياة بدون داعي وهكذا ، ويتكون مجتمع من المنافقين يتحدثون فيما بينهم بمعسول الكلام وقلوبهم حاقدة بعضهم على بعض ، والقضية أنه لن ينصلح حال المجتمع إلا إذا انصلحت ضمائر الناس فيكون الوازع الداخلي الذي يجعلهم يتركون الشر والفساد هو من خشية الله ، فإذا لم يتحقق ذلك فمهما صنعت من القوانين فلن يجدي ، ومهما وضعت من الأجهزة الرقابية فستأخذ الرشاوى وستحتاج إلى أجهزة أخرى تراقب عليها وهي بدورها ستحتاج إلى من يراقبها وهكذا ، فلابد أن يكون الأصل أن الناس تترك الشر والفساد خوفا من الله وليس خوفا من القانون وهذا هو الذي ينفعهم في الدنيا والآخرة .

ـ والإنسان إذا كان مغرورا بالدنيا فهو لا يريد أن يفرط فيها لأنها كبيرة عنده فيريد أن يأخذ ما عند الناس ويظلمهم ويأخذ حقوقهم ويكره الخير لهم ، أما عندما يعقل الإنسان حقيقة الدنيا وضآلتها فإنه لا يبالي بها فيعطي مما عنده من الدنيا والمال للفقراء لأنهم مثله ضعفاء فقراء أمام الله وما يعطيهم من مال ليس ماله وإنما يعطيهم من مال الله .

ـ فلابد أن يتغير مفهوم المشكلة ، فالسعادة ليست في حل المشاكل الدنيوية ولكن السعادة هي في الجنة ، فلو أن جميع مشاكل المجتمع الدنيوية تم حلها فلن يصل الناس إلى تحقيق السعادة لأن الدنيا ليست مؤهلة لتكون دارا للسعادة ، فمثلا الإنسان الذي عنده كل وسائل السعادة المادية هو في الحقيقة لا يشعر بالسعادة : (( لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي كَبَدٍ ))([[1250]](#footnote-1250)) ، كما أنه كلما تم حل مشاكل تستجد مشاكل أخرى وكلما حقق الإنسان طموحا يستجد طموحا آخر ويموت الإنسان وعنده طول أمل ولم يحقق السعادة !! .

ـ فعدم الشعور بالغيبيات عند أفراد المجتمع أو أكثرهم يؤدي إلى توجه المجتمع تجاه الدنيا والمادة والشهوات ، وتصبح القضايا العامة التي تهم الناس هي كيف يعيشوا حياتهم الدنيوية ويتمتعوا بها من التنافس على المال والنظر إلى عورات النساء والمظاهر والتلهي بهموم الحياة والطعام والشراب .. الخ ، وتصبح المشاكل والهموم التي تشغل الناس كلها أمور دنيوية وكأن الآخرة ليست مشكلة ولا يحمل أحد لها هم ، وكأن الموت ليس بمشكلة ، وكأنه ليس أحدا مهيبا في السماء يهيمن على كل شيء ، وكأن الغيبيات لا تمثل أي مشكلة ، وعندئذ يكون رأي الإنسان ومزاجه وهواه وما يشتهيه هو المقياس الذي تقوم عليه الحياة .

\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*

# الخاتمة

ـ من الناس من يظن أن الدين عبارة عن أعمال ، فكلما أراد الالتزام بالدين اجتهد في الأعمال والطاعات كالعبادات والأذكار والصلوات فقط وهي أمور عظيمة الثواب ، ولكن المطلوب من المسلم ليس فقط الأعمال ، فالمطلوب منه أيضا أن يجعل قلبه سليما ، وهذا الأمر أهم وأصعب من عمل الجوارح : (( يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ))([[1251]](#footnote-1251)) .

ـ المطلوب من المسلم التالي :

ـ أولا : يجعل قلبه سليما كالتالي :

1ـ اليقين بالله والآخرة ( وهو موجود عند جميع الناس ) .

2ـ تصورات صحيحة ( هم سليم ) عن الله والآخرة وحقيقة الدنيا ، فتكون نظرته إلى الله والآخرة نظرة تعظيم ونظرته إلى الدنيا على أنها لعب ولهو ، وغياب هذه التصورات معناه الغفلة والإعراض القلبي .

3ـ تحقيق المشاعر المتعلقة بالله والآخرة مثل حب الله والخضوع له والخوف منه ورجاءه والخوف من الآخرة .

ـ ثانيا : القيام بالطاعات وتجنب المعاصي .

ـ هناك أمور قد تبدو بسيطة جدا إلى أبعد ما يمكن مثل معرفة الإنسان أن له خالقا ومعرفة وجود النار والجنة ، فهي أمور تناسب سن الأطفال ليعرفوها ، لكن العجيب جدا أن يكتشف الإنسان بعد أن يبلغ من الكبر عتيا وبعد أن امتلأ عقله من بحار العلم في أمور الدنيا والدين يكتشف أنه في حاجة إلى هذه المعرفة البسيطة وأنها لم تكن عنده سوى معرفة نظرية كاذبة وأنه يحتاج ليرجع إلى الوراء عشرات السنين ليعرف أن له ربا وأن هناك آخرة بها جنة ونار ، فالمعرفة والعلم بوجود الله والآخرة وحقيقة الدنيا لا يكفي ، فلابد أن تتحول المعرفة إلى تصور ينشغل به الهم وتتأثر به المشاعر .

ـ فرغم اليقين التام بأن الآخرة هي حياتنا ومصيرنا ، لكننا لا نقبل أن نلغي هذه الحياة الدنيوية فنعيش حياة المسافر الذي يستعد للرحيل ، فنحن نهرب من هذه الحقيقة ونعيش كأن الكرة الأرضية هي دار إقامتنا وحياتنا ، فهذا اليقين مع التغافل يصبح يقينا كاذبا مفرغا من المعنى .

ـ وكذلك فالله هو الخالق المسيطر علينا ، ورغم اليقين النظري التام بذلك لكننا لا نقبل أن نعيش حياة الذل والاستسلام ولا نقبل أن نعيش معيشة العبيد فنحن نعيش لأنفسنا ولا نقبل أن نعيش حياتنا من أجل أحد غيرنا ، فنحن نهرب ونتغافل عن الله .

ـ فإذا كشفنا عما في قلوبنا وجدنا عدم القبول ( الاستكبار ) لأن نكون عبيدا أو نعيش تحت أسر الآخرة والإعداد لها ولكننا نخفي هذا الاستكبار في صورة تناسي كأننا لم نسمع عن الأمر .

ـ الذي يتكل على أن لديه يقين يدخله الجنة لابد أن ينظر هل يقينه كاذبا أم حقيقي ؟ ، فاليقين مع الغفلة هو يقين كاذب ، والغفلة هي عدم تصور خطورة الأمر وعدم شغل الهم به ، وتؤدي الغفلة إلى عدم الشعور بخطورة الأمر ( غياب خوف المهابة ) وعدم وجود الخضوع والحب والخوف والرجاء بالضرورة .

ـ الفرق بيننا وبين السلف الصالح هو أن الآخرة ولقاء الله هو الذي كان يشغل عقولهم أما نحن فما يشغل عقولنا هو الدنيا وأمورها .

ـ إما أن ينشغل هم الإنسان بالله والآخرة وإما أن ينشغل بالدنيا ، وكلما ابتعد عن أحدهما اقترب من الآخر ، وقد يتعجب إنسان متسائلا وهل على الإنسان أن يظل همه منشغلا بالله والآخرة ؟ ، والإجابة : وهل هناك شيء أخطر من ذلك لينشغل به ؟ وهل الدنيا أخطر وأهم أم الله والآخرة ! .

ـ الدنيا مثل لعبة الكراسي الموسيقية ، في المنتصف يوضع الشهوات والمناصب والأموال ، والناس يدورون حولها كأنهم يطوفون حولها ، كل واحد يريد أن يأخذ من هذه الكومة الموضوعة في المنتصف ، ولكن البصير ينظر إلى هذه الكومة فيراها كومة من الطين فلا يدور معهم .

ـ إن مجرد العلم بأن لنا خالقا فهذه ليست معلومة سهلة لأن معناها أننا نعيش حياتنا خاضعين للخالق ، وكذلك مجرد العلم بأن هناك آخرة فهذه ليست معلومة سهلة لأن معناها أننا نعيش حياتنا مترقبين ليوم المعاد ، ولكن لا يزال البعض يعيش في غيبوبة أو في غفلة وسكر لم يفق بعد إلى حجم الخطر الذي ينتظره ولا يدري بما هو صائر إليه بعد لحظات من الخطر العظيم ، إن اليقين بالله والآخرة مع نسيان الله والآخرة هو يقين نظري فقط ، واليقين بالله مع غياب الشعور بالخضوع والحب لله تعالى والخوف منه هو يقين نظري فقط .

ـ نحن نعيش في هروب وتجاهل للموت وهروب وتجاهل للآخرة وهروب وتجاهل وتغافل عن الله ، وهذا الهروب وهذا التجاهل والتغافل لن يغير من حقائق الأمور شيء فالخطر قائم ونحن مقبلون عليه رضينا أم أبينا والأمر خطير وعظيم : (( قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ، أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ))([[1252]](#footnote-1252)) ، إنك مهما حاولت التغافل والهروب عن الحقيقة والمصير القادم ، فإنها أيام قصيرة وغدا اللقاء رضيت أم لم ترضي شعرت بذلك أم لم تشعر وقد سبقك الكثير إلى هناك ، فالقضية حاسمة وخطيرة ولا تحتمل التراخي ولكننا في غفلة ، وغدا تنتهي الحياة فماذا أنت صانع ؟! : (( فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ))([[1253]](#footnote-1253)) .

ألا هل بلغت اللهم فاشهد .

1. () العنكبوت: 64 [↑](#footnote-ref-1)
2. () الطارق: 13، 14 [↑](#footnote-ref-2)
3. () الأنعام: 70 [↑](#footnote-ref-3)
4. () الحج : 46 [↑](#footnote-ref-4)
5. () الأعراف : 179 [↑](#footnote-ref-5)
6. () اللباب في علوم الكتاب ـ دار الكتب العلمية - بيروت ( ج : 18 ، ص : 46 ) [↑](#footnote-ref-6)
7. () تفسير القرطبي (11/ 268) [↑](#footnote-ref-7)
8. () الكهف: 28 [↑](#footnote-ref-8)
9. () المؤمنون : 63 [↑](#footnote-ref-9)
10. () الأنفال : 2 [↑](#footnote-ref-10)
11. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 925 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-11)
12. () حديث حسن ( صحيح الترغيب والترهيب ج : 3 ، برقم : 3170 ) [↑](#footnote-ref-12)
13. () تحقيق الألباني : حسن ( انظر حديث رقم : 6189 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-13)
14. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 635 ، برقم 2454 ) [↑](#footnote-ref-14)
15. () لقمان : 22 [↑](#footnote-ref-15)
16. () الفرقان : 43 [↑](#footnote-ref-16)
17. () حديث حسن ( صحيح الترغيب والترهيب ج : 3 ، برقم : 3170 ) [↑](#footnote-ref-17)
18. () يونس : 7 ، 8 [↑](#footnote-ref-18)
19. () السجدة : 14 [↑](#footnote-ref-19)
20. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 562 ، برقم 2324 ) [↑](#footnote-ref-20)
21. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 568 ، برقم : 2335 ) [↑](#footnote-ref-21)
22. () التخريج : صحيح ( صحيح الترغيب والترهيب ، ج : 3 ، برقم : 3578 ) [↑](#footnote-ref-22)
23. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( جامع الترمذي ، ج : 4 ، ص : 620 ، رقم : 2431 ) [↑](#footnote-ref-23)
24. () الطور: 44 [↑](#footnote-ref-24)
25. () الأعراف: 138 [↑](#footnote-ref-25)
26. () الأنفال : 23 [↑](#footnote-ref-26)
27. () الأنعام : 28 [↑](#footnote-ref-27)
28. () البحر المحيط في التفسير ـ دار الفكر - بيروت (6/ 470) [↑](#footnote-ref-28)
29. () الأنعام : 111 [↑](#footnote-ref-29)
30. () يونس: 96، 97 [↑](#footnote-ref-30)
31. () الأنبياء : 66 [↑](#footnote-ref-31)
32. () حديث حسن ( صحيح الترغيب والترهيب برقم 3662 ) [↑](#footnote-ref-32)
33. () الأنبياء : 1 [↑](#footnote-ref-33)
34. () يس : 70 [↑](#footnote-ref-34)
35. () النمل : 80 [↑](#footnote-ref-35)
36. () الأنعام : 36 [↑](#footnote-ref-36)
37. () أيسر التفاسير للجزائري ـ مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة، السعودية (5/ 259) [↑](#footnote-ref-37)
38. () مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد ـ دار الكتب العلمية - بيروت (2/ 446) [↑](#footnote-ref-38)
39. () تفسير القرطبي ـ دار الكتب المصرية - القاهرة (17/ 231) [↑](#footnote-ref-39)
40. () الأنعام : من الآية 33 [↑](#footnote-ref-40)
41. () النمل : من الآية 14 [↑](#footnote-ref-41)
42. () النمل : من الآية 14 [↑](#footnote-ref-42)
43. () الأنبياء: 64، 65 [↑](#footnote-ref-43)
44. () مصباح الظلام ـ وزارة الشؤن الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ( 1 / 214 ) [↑](#footnote-ref-44)
45. () التفسير المنير للزحيلي ـ دار الفكر المعاصر - دمشق (9 / 159) [↑](#footnote-ref-45)
46. () السمعاني ـ دار الوطن، الرياض - السعودية (1/ 347) [↑](#footnote-ref-46)
47. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 4559 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-47)
48. () الجاثية : 23 [↑](#footnote-ref-48)
49. () البحر المحيط ـ دار الفكر - بيروت (9 / 422) [↑](#footnote-ref-49)
50. () التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ـ شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت (2 / 272) [↑](#footnote-ref-50)
51. () التفسير الوسيط للقرآن الكريم لطنطاوي (13 / 161) [↑](#footnote-ref-51)
52. () السجدة : 14 [↑](#footnote-ref-52)
53. () المدثر : 53 [↑](#footnote-ref-53)
54. () الهداية إلى بلوغ النهاية ـ الناشر : مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة (12/ 8004) [↑](#footnote-ref-54)
55. () تفسير ابن كثير (1/ 195) ، تحقيق : سامي سلامة ـ دار طيبة للنشر والتوزيع [↑](#footnote-ref-55)
56. () النازعات: 37 - 39 [↑](#footnote-ref-56)
57. () إبراهيم: 3 [↑](#footnote-ref-57)
58. () النحل: 107 [↑](#footnote-ref-58)
59. () الأعراف: 157 [↑](#footnote-ref-59)
60. () الهداية الى بلوغ النهاية (1/ 502) [↑](#footnote-ref-60)
61. () الروم : 8 [↑](#footnote-ref-61)
62. () الحجر : 85 [↑](#footnote-ref-62)
63. () آل عمران : 191 [↑](#footnote-ref-63)
64. () التحرير والتنوير ـ الدار التونسية للنشر - تونس ( 25 / 310 ) [↑](#footnote-ref-64)
65. () يونس : 31 [↑](#footnote-ref-65)
66. () الواقعة : 57 [↑](#footnote-ref-66)
67. () تفسير القاسمي [ محاسن التأويل ] ـ دار الكتب العلميه - بيروت (9/ 125) [↑](#footnote-ref-67)
68. () تفسير الكشاف ـ دار الكتاب العربي - بيروت ( ج : 4 ، ص : 465 ) [↑](#footnote-ref-68)
69. () تفسير أبي السعود دار إحياء التراث العربي - بيروت ( ج : 8 ، ص : 196 ) [↑](#footnote-ref-69)
70. () تفسير أبي السعود دار إحياء التراث العربي - بيروت ( 8 / 151 ) [↑](#footnote-ref-70)
71. () تفسير البحر المحيط ـ دار الفكر - بيروت ( 8 / 115 ) [↑](#footnote-ref-71)
72. () تفسير البيضاوى [ أنوار التنزيل وأسرار التأويل ] ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ( 5 / 155 ) [↑](#footnote-ref-72)
73. () روح المعاني ـ دار الكتب العلمية - بيروت ( 27 / 38 ) [↑](#footnote-ref-73)
74. () تفسير النيسابوري [ غرائب القرآن ورغائب الفرقان ] ـ دار الكتب العلميه ـ بيروت ( 6 / 195 ) [↑](#footnote-ref-74)
75. () تفسير ابن كثير ـ دار طيبة للنشر والتوزيع ( ج : 4 ، ص : 482 ) [↑](#footnote-ref-75)
76. () تفسير البحر المديد ـ الناشر : الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة ( ج : 3 ، ص : 47 ) [↑](#footnote-ref-76)
77. () تفسير الوسيط لسيد طنطاوي ـ دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، الفجالة - القاهرة ( ج : 7 ، ص : 528 ) [↑](#footnote-ref-77)
78. () تفسير التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ـ شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت ( ج : 1 ، ص : 409 ) [↑](#footnote-ref-78)
79. () البحر المديد ـ الناشر : الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة ( 5 / 279 ) [↑](#footnote-ref-79)
80. () التحرير والتنوير ـ الدار التونسية للنشر - تونس ( 25 / 285 ) [↑](#footnote-ref-80)
81. () تفسير الآلوسى [ روح المعاني ] ـ دار الكتب العلمية - بيروت ( ج 13 ص 115) [↑](#footnote-ref-81)
82. () التفسير الوسيط للقرآن الكريم ـ دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة (13 / 118) [↑](#footnote-ref-82)
83. () أيسر التفاسير للجزائري مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة، السعودية (5 / 6) [↑](#footnote-ref-83)
84. () البحر المحيط ـ دار الفكر - بيروت (9 / 399) [↑](#footnote-ref-84)
85. () التفسير المنير للزحيلي ـ دار الفكر المعاصر - دمشق (25 / 208) [↑](#footnote-ref-85)
86. () تفسير القرطبي ـ دار الكتب المصرية - القاهرة (16 / 129) [↑](#footnote-ref-86)
87. () صفوة التفاسير ـ دار الصابوني - القاهرة ( 3 / 198 ) [↑](#footnote-ref-87)
88. () تفسير القاسمي [ محاسن التأويل ] ـ دار الكتب العلميه - بيروت (8/ 408) [↑](#footnote-ref-88)
89. () الزخرف : 64 [↑](#footnote-ref-89)
90. () مريم : من الآية 65 [↑](#footnote-ref-90)
91. () الأنبياء : من الآية 92 [↑](#footnote-ref-91)
92. () أيسر التفاسير لأسعد حومد ( 1 / 4291 ) [↑](#footnote-ref-92)
93. () التفسير الوسيط للقرآن الكريم ـ سيد طنطاوي ـ دار نهضة مصر ، الفجالة ـ القاهرة (11 / 55) [↑](#footnote-ref-93)
94. () المؤمنون : 80 [↑](#footnote-ref-94)
95. () التفسير المنير للزحيلي ـ دار الفكر المعاصر - دمشق (18 / 83) [↑](#footnote-ref-95)
96. () رسالة في العقيدة ـ للدكتور على جريشة ـ دار البشير ـ طنطا ( ص : 47 ـ 49 ) [↑](#footnote-ref-96)
97. () تفسير ابن جزي [ التسهيل لعلوم التنزيل ] ـ شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت (2/ 243) [↑](#footnote-ref-97)
98. () تفسير القاسمي [ محاسن التأويل ] ـ دار الكتب العلميه - بيروت (8/ 346) [↑](#footnote-ref-98)
99. () البحر المحيط في التفسير ـ دار الفكر - بيروت (9/ 316) [↑](#footnote-ref-99)
100. () التفسير القرآني للقرآن ـ دار الفكر العربي - القاهرة ( ج : 12 ، ص : 1269 ) [↑](#footnote-ref-100)
101. () مفاتيح الغيب ـ دار إحياء التراث العربي - بيروت ( ج : 27 ، ص : 535 ) [↑](#footnote-ref-101)
102. () فصلت : 15 [↑](#footnote-ref-102)
103. () الشعراء : 128 ، 129 [↑](#footnote-ref-103)
104. () الحاقة : 7 [↑](#footnote-ref-104)
105. () الروم : 9 [↑](#footnote-ref-105)
106. () الأنعام : 6 [↑](#footnote-ref-106)
107. () مريم : 74 [↑](#footnote-ref-107)
108. () الأحقاف : 26 [↑](#footnote-ref-108)
109. () الفجر : 6 ـ 13 [↑](#footnote-ref-109)
110. () تفسير النسفي ـ دار الكلم الطيب، بيروت ( ج : 4 ، ص : 82 ) [↑](#footnote-ref-110)
111. () الزخرف : 9 [↑](#footnote-ref-111)
112. () فصلت: 22، 23 [↑](#footnote-ref-112)
113. () الهداية إلى بلوغ النهاية (10/ 6507) [↑](#footnote-ref-113)
114. () التفسير القرآني للقرآن ـ دار الفكر العربي - القاهرة (16/ 1629) [↑](#footnote-ref-114)
115. () تحقيق الألباني : حسن ( انظر حديث رقم : 3845 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-115)
116. () التخريج : حسن ( صحيح الترغيب والترهيب ج : 3 ، برقم : 3340 ) [↑](#footnote-ref-116)
117. () فيض القدير شرح الجامع الصغير - المكتبة التجارية الكبرى - مصر (4 / 229) [↑](#footnote-ref-117)
118. () البحر المديد ـ الناشر : الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة ( 5 / 279 ) [↑](#footnote-ref-118)
119. () البحر المحيط ـ دار الفكر - بيروت (9 / 399) [↑](#footnote-ref-119)
120. () التفسير المنير للزحيلي ـ دار الفكر المعاصر - دمشق (25 / 208) [↑](#footnote-ref-120)
121. () تفسير القاسمي [ محاسن التأويل ] ـ دار الكتب العلميه - بيروت (8/ 408) [↑](#footnote-ref-121)
122. () الطارق : 13 ، 14 [↑](#footnote-ref-122)
123. () الأنبياء : من الآية 2،3 [↑](#footnote-ref-123)
124. () البقرة: 171 [↑](#footnote-ref-124)
125. () النمل: 14 [↑](#footnote-ref-125)
126. () الأنعام: 70 [↑](#footnote-ref-126)
127. () الأعراف: 51 [↑](#footnote-ref-127)
128. () الأنعام : 36 [↑](#footnote-ref-128)
129. () تفسير الخازن ـ دار الكتب العلمية - بيروت (4 / 134) [↑](#footnote-ref-129)
130. () آل عمران: 106 [↑](#footnote-ref-130)
131. () البقرة: 171 [↑](#footnote-ref-131)
132. () الطارق : 13 ، 14 [↑](#footnote-ref-132)
133. () الأنبياء : من الآية 2،3 [↑](#footnote-ref-133)
134. () الطارق : 13 ، 14 [↑](#footnote-ref-134)
135. () الأنبياء : من الآية 2،3 [↑](#footnote-ref-135)
136. () السجدة: 14 [↑](#footnote-ref-136)
137. () المؤمنون : 37 [↑](#footnote-ref-137)
138. () المؤمنون : 37 [↑](#footnote-ref-138)
139. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( سنن أبي داوود ، ج : 4 ، ص : 239 ، برقم : 4753 ) [↑](#footnote-ref-139)
140. () الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (11/ 136) [↑](#footnote-ref-140)
141. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 1968 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-141)
142. () الدخان : 9 [↑](#footnote-ref-142)
143. () الأنبياء: 2 [↑](#footnote-ref-143)
144. () الأنعام: 33 [↑](#footnote-ref-144)
145. () التوبة : 67 [↑](#footnote-ref-145)
146. () الحشر : 19 [↑](#footnote-ref-146)
147. () السجدة : 14 [↑](#footnote-ref-147)
148. () الجاثية : 34 [↑](#footnote-ref-148)
149. () تفسير ابن كثير ـ دار طيبة للنشر والتوزيع ( ج : 6 ، ص : 362 ) [↑](#footnote-ref-149)
150. () الأعراف : 51 [↑](#footnote-ref-150)
151. () ص : 26 [↑](#footnote-ref-151)
152. () تحقيق الألباني : صحيح ( صحيح الجامع : برقم 7997 ) [↑](#footnote-ref-152)
153. () تحقيق الألباني : صحيح ( صحيح الجامع : برقم 7032 ) [↑](#footnote-ref-153)
154. () تفسير الشيخ المراغي ـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر (9 / 96) [↑](#footnote-ref-154)
155. () تفسير ابن كثير / دار طيبة (3 / 256) [↑](#footnote-ref-155)
156. () تفسير أبي السعود دار إحياء التراث العربي - بيروت (3 / 59) [↑](#footnote-ref-156)
157. () طه : 126 [↑](#footnote-ref-157)
158. () أيسر التفاسير للجزائري مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة، السعودية (3 / 388) [↑](#footnote-ref-158)
159. () تفسير أبي السعود دار إحياء التراث العربي - بيروت (4 / 392) [↑](#footnote-ref-159)
160. () الفرقان : 18 [↑](#footnote-ref-160)
161. () الأعراف : 53 [↑](#footnote-ref-161)
162. () المؤمنون : 110 [↑](#footnote-ref-162)
163. () تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل (4/ 276) [↑](#footnote-ref-163)
164. () التفسير المنير للزحيلي ـ دار الفكر المعاصر - دمشق (15 / 282) [↑](#footnote-ref-164)
165. () الأنعام : 81 [↑](#footnote-ref-165)
166. () الشعراء : 105 - 108 [↑](#footnote-ref-166)
167. () يونس : 100 [↑](#footnote-ref-167)
168. () الروم : 7 [↑](#footnote-ref-168)
169. () مريم : 39 [↑](#footnote-ref-169)
170. () الأنبياء : 1 [↑](#footnote-ref-170)
171. () الأنبياء : 97 [↑](#footnote-ref-171)
172. () ق : 22 [↑](#footnote-ref-172)
173. () أيسر التفاسير لأسعد حومد (1 / 1091) [↑](#footnote-ref-173)
174. () يونس : 7 [↑](#footnote-ref-174)
175. () الكهف : 28 [↑](#footnote-ref-175)
176. () يونس : 92 [↑](#footnote-ref-176)
177. () الأعراف : 179 [↑](#footnote-ref-177)
178. () النحل : 108 [↑](#footnote-ref-178)
179. () اللباب في علوم الكتاب (18/ 64) [↑](#footnote-ref-179)
180. () تفسير القاسمي = محاسن التأويل (9/ 36) [↑](#footnote-ref-180)
181. () تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (5/ 341) [↑](#footnote-ref-181)
182. () معاني القرآن للنحاس ـ جامعة أم القرى - مكة المرمة (5 / 55) [↑](#footnote-ref-182)
183. () توفيق الرحمن في دروس القرآن ـ دار العاصمة ، السعودية (3 / 40) [↑](#footnote-ref-183)
184. () الأنعام : 36 [↑](#footnote-ref-184)
185. () الملك : 10 [↑](#footnote-ref-185)
186. () هود : 20 [↑](#footnote-ref-186)
187. () البقرة : من الآية 171 [↑](#footnote-ref-187)
188. () الأنفال : 21 [↑](#footnote-ref-188)
189. () يونس : 67 [↑](#footnote-ref-189)
190. () النمل : 80 [↑](#footnote-ref-190)
191. () يونس : 42 [↑](#footnote-ref-191)
192. () نوح : 7 [↑](#footnote-ref-192)
193. () البقرة : 7 [↑](#footnote-ref-193)
194. () الفرقان : 44 [↑](#footnote-ref-194)
195. () فصلت : 4 [↑](#footnote-ref-195)
196. () تفسير أبي السعود ـ دار إحياء التراث العربي - بيروت ( ج : 7 ، ص : 57 ) [↑](#footnote-ref-196)
197. () تفسير أبي السعود ـ دار إحياء التراث العربي - بيروت ( ج : 4 ، ص : 15 ) [↑](#footnote-ref-197)
198. () تفسير القرطبي ـ دار الكتب المصرية - القاهرة ( ج : 7 ، ص : 388 ) [↑](#footnote-ref-198)
199. () تفسير القرطبي ـ دار الكتب المصرية - القاهرة ( ج : 14 ، ص : 18 ) [↑](#footnote-ref-199)
200. () تفسير الطبري ـ مؤسسة الرسالة ( ج : 19 ، ص : 495 ) [↑](#footnote-ref-200)
201. () تفسير الوجيز للواحدي ( ج : 1 ، ص : 435 ) [↑](#footnote-ref-201)
202. () تفسير الجلالين دار الحديث - القاهرة ( ج : 1 ، ص : 755 ) [↑](#footnote-ref-202)
203. () تفسير الألوسي [ روح المعاني } ـ دار الكتب العلمية – بيروت ( ج : 1 ، ص : 439 ) [↑](#footnote-ref-203)
204. () تفسير الألوسي [ روح المعاني } ـ دار الكتب العلمية – بيروت ( ج : 5 ، ص : 15 ) [↑](#footnote-ref-204)
205. () تفسير الألوسي [ روح المعاني } ـ دار الكتب العلمية – بيروت ( ج : 11 ، ص : 33 ) [↑](#footnote-ref-205)
206. () تفسير ابن كثير ـ دار الكتب العلمية – بيروت ( ج : 7 ، ص : 382 ) [↑](#footnote-ref-206)
207. () تفسير الطبري ـ مؤسسة الرسالة ـ مؤسسة الرسالة ( ج : 12 ، ص : 458 ) [↑](#footnote-ref-207)
208. () تفسير أبي السعود دار إحياء التراث العربي - بيروت ( ج : 4 ، ص : 15 ) [↑](#footnote-ref-208)
209. () تفسير البغوي ـ دار إحياء التراث العربي - بيروت ( ج : 2 ، ص : 281 ) [↑](#footnote-ref-209)
210. () تفسير الجلالين دار الحديث - القاهرة ( ج : 1 ص : 230 ) [↑](#footnote-ref-210)
211. () تفسير البغوي ـ دار إحياء التراث العربي - بيروت (ج 4 / ص 213) [↑](#footnote-ref-211)
212. () التفسير الوسيط لطنطاوي ـ دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة (11/ 113) [↑](#footnote-ref-212)
213. () التفسير المنير للزحيلي ـ دار الفكر المعاصر - دمشق (15/ 279) [↑](#footnote-ref-213)
214. () الهداية إلى بلوغ النهاية ـ الناشر : مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة (1/ 544) [↑](#footnote-ref-214)
215. () ابن كثير ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ( ج : 3 ، ص : 464 ) [↑](#footnote-ref-215)
216. () تفسير الجلالين (ص: 636) [↑](#footnote-ref-216)
217. () الهداية إلى بلوغ النهاية (3/ 1991) [↑](#footnote-ref-217)
218. () صفوة التفاسير (3/ 427) [↑](#footnote-ref-218)
219. () التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم (ص: 484) [↑](#footnote-ref-219)
220. () الزخرف : 40 [↑](#footnote-ref-220)
221. () محمد : 23 [↑](#footnote-ref-221)
222. () الأنعام : 25 [↑](#footnote-ref-222)
223. () البقرة : من الآية 171 [↑](#footnote-ref-223)
224. () الأنعام : 104 [↑](#footnote-ref-224)
225. () الأعراف : 64 [↑](#footnote-ref-225)
226. () يونس : 43 [↑](#footnote-ref-226)
227. () الرعد : 19 [↑](#footnote-ref-227)
228. () الإسراء : 72 [↑](#footnote-ref-228)
229. () الحج : 46 [↑](#footnote-ref-229)
230. () الأعراف : 179 [↑](#footnote-ref-230)
231. () الأعراف : 198 [↑](#footnote-ref-231)
232. () يونس : 43 [↑](#footnote-ref-232)
233. () الرعد : 16 [↑](#footnote-ref-233)
234. () البقرة : 17 [↑](#footnote-ref-234)
235. () النور : 44 [↑](#footnote-ref-235)
236. () التفسير المنير للزحيلي ـ دار الفكر المعاصر - دمشق (25 / 156) [↑](#footnote-ref-236)
237. () تفسير البيضاوي ـ دار إحياء التراث العربي - بيروت (5 / 91) [↑](#footnote-ref-237)
238. () تفسير القرطبي (18/ 300) [↑](#footnote-ref-238)
239. () ق: 22 [↑](#footnote-ref-239)
240. () تفسير السمعاني (5/ 241) [↑](#footnote-ref-240)
241. () الكهف : 101 [↑](#footnote-ref-241)
242. () بيان المعاني مطبعة الترقي - دمشق (2 / 25) [↑](#footnote-ref-242)
243. () روح المعاني ـ دار الكتب العلمية - بيروت (6 / 232) [↑](#footnote-ref-243)
244. () البقرة : 7 [↑](#footnote-ref-244)
245. () الجاثية : 23 [↑](#footnote-ref-245)
246. () نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (16/ 98) [↑](#footnote-ref-246)
247. () فتح البيان في مقاصد القرآن (13/ 193) [↑](#footnote-ref-247)
248. () المؤمنون : 63 [↑](#footnote-ref-248)
249. () المؤمنون: 54 [↑](#footnote-ref-249)
250. () الأنعام: 39 [↑](#footnote-ref-250)
251. () الأنعام: 122 [↑](#footnote-ref-251)
252. () البقرة: 257 [↑](#footnote-ref-252)
253. () إبراهيم: 1 [↑](#footnote-ref-253)
254. () إبراهيم: 5 [↑](#footnote-ref-254)
255. () الحج: 46 [↑](#footnote-ref-255)
256. () البقرة: 10 [↑](#footnote-ref-256)
257. ()تفسير القرطبي (11/ 268) [↑](#footnote-ref-257)
258. ()الكهف: 28 [↑](#footnote-ref-258)
259. ()ق: 22 [↑](#footnote-ref-259)
260. () الحج : 46 [↑](#footnote-ref-260)
261. () تحقيق الألباني : حسن ( انظر حديث رقم : 245 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-261)
262. () تفسير القرطبي ـ دار الكتب المصرية - القاهرة ( ج : 10 ، ص : 192 ) [↑](#footnote-ref-262)
263. () الأعراف : 100 [↑](#footnote-ref-263)
264. () التوبة : 87 [↑](#footnote-ref-264)
265. () الروم : 59 [↑](#footnote-ref-265)
266. () تفسير القرطبي ـ دار الكتب المصرية - القاهرة ( ج : 1 ، ص : 136 ) [↑](#footnote-ref-266)
267. () تفسير الثعلبي [ الكشف والبيان عن تفسير القرآن ] دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان عن تفسير القرآن (4 / 148) [↑](#footnote-ref-267)
268. () التفسير المظهرى ـ مكتبة الرشدية - الباكستان (1 / 23) [↑](#footnote-ref-268)
269. () أيسر التفاسير للجزائري ـ مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة، السعودية (2 / 105) [↑](#footnote-ref-269)
270. () صفوة التفاسير ـ دار الصابوني - القاهرة (2 / 46) [↑](#footnote-ref-270)
271. () بيان المعاني ـ مطبعة الترقي - دمشق (1 / 413) [↑](#footnote-ref-271)
272. () الأنعام : 111 [↑](#footnote-ref-272)
273. () الأعراف : 138 [↑](#footnote-ref-273)
274. () هود : 29 [↑](#footnote-ref-274)
275. () الزمر : 64 [↑](#footnote-ref-275)
276. () الزمر: 9 [↑](#footnote-ref-276)
277. () تفسير يحيى بن سلام (2/ 786) [↑](#footnote-ref-277)
278. () الهداية إلى بلوغ النهاية ـ الناشر : مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة (8 / 5455) [↑](#footnote-ref-278)
279. () البحر المحيط في التفسير ـ دار الفكر - بيروت (9/ 372) [↑](#footnote-ref-279)
280. () الروم : 59 [↑](#footnote-ref-280)
281. () لقمان : 25 [↑](#footnote-ref-281)
282. () روح المعاني ـ دار الكتب العلمية - بيروت (6 / 117) [↑](#footnote-ref-282)
283. () محمد : 20 [↑](#footnote-ref-283)
284. () االتفسير القرآني للقرآن ـ دار الفكر العربي - القاهرة (10 / 294) [↑](#footnote-ref-284)
285. () التفسير المنير للزحيلي ـ دار الفكر المعاصر - دمشق (26 / 284) [↑](#footnote-ref-285)
286. () حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوي ـ دار صادر - بيروت (5 / 29) [↑](#footnote-ref-286)
287. () التحرير والتنوير ـ الدار التونسية للنشر - تونس (11 / 174) [↑](#footnote-ref-287)
288. () تيسير التفسير للقطان (2 / 192) [↑](#footnote-ref-288)
289. () تفسير المراغي ـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر (20 / 21) [↑](#footnote-ref-289)
290. () التفسير المظهري ـ مكتبة الرشدية - الباكستان (5 / 28) [↑](#footnote-ref-290)
291. () تفسير الرازي : مفاتيح الغيب ـ دار إحياء التراث العربي - بيروت (24 / 187) [↑](#footnote-ref-291)
292. () تفسير البيضاوي ـ دار إحياء التراث العربي - بيروت (4 / 168) [↑](#footnote-ref-292)
293. () تفسير النسفي ـ دار الكلم الطيب، بيروت ( ج : 3 ، ص : 284 ) [↑](#footnote-ref-293)
294. () تفسير القرطبي ـ دار الكتب المصرية - القاهرة ( ج : 16 ، ص : 122 ) [↑](#footnote-ref-294)
295. () تفسير السمعاني دار الوطن، الرياض - السعودية (5 / 405) [↑](#footnote-ref-295)
296. () الأنعام : 25 [↑](#footnote-ref-296)
297. () التوبة : 87 [↑](#footnote-ref-297)
298. () هود : 91 [↑](#footnote-ref-298)
299. () الأعراف : 179 [↑](#footnote-ref-299)
300. () محمد : 16 [↑](#footnote-ref-300)
301. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 5840 في صحيح الجامع )‌ [↑](#footnote-ref-301)
302. () الأنفال : 22، 23 [↑](#footnote-ref-302)
303. () جامع المسائل لابن تيمية ـ دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ( 1 / 130 ، 131 ) [↑](#footnote-ref-303)
304. () التفسير المنير للزحيلي ـ دار الفكر المعاصر - دمشق (9 / 168) [↑](#footnote-ref-304)
305. () التفسير المنير للزحيلي ـ دار الفكر المعاصر - دمشق (28 / 190) [↑](#footnote-ref-305)
306. () أضواء البيان ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان ( 2 / 189 ) [↑](#footnote-ref-306)
307. () الأنعام: 32 [↑](#footnote-ref-307)
308. () الأنعام: 70 [↑](#footnote-ref-308)
309. () الأعراف: 51 [↑](#footnote-ref-309)
310. () محاسن التأويل ـ تفسير القاسمي ـ دار الكتب العلميه - بيروت (8/ 408) [↑](#footnote-ref-310)
311. () تفسير الشيخ المراغي ـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر (25 / 121) [↑](#footnote-ref-311)
312. () تفسير السمعاني دار الوطن، الرياض (5 / 122) [↑](#footnote-ref-312)
313. () تفسير البحر المحيط ـ دار الفكر - بيروت (8 / 25) [↑](#footnote-ref-313)
314. () التفسير المنير للزحيلي ـ دار الفكر المعاصر - دمشق (25 / 208) [↑](#footnote-ref-314)
315. () تفسير السمعاني دار الوطن، الرياض (5 / 269) [↑](#footnote-ref-315)
316. () تفسير القرطبي ـ دار الكتب المصرية - القاهرة (11 / 268) [↑](#footnote-ref-316)
317. () إيجاز البيان عن معاني القرآن ـ دار الغرب الإسلامي - بيروت (1 / 332) [↑](#footnote-ref-317)
318. () تفسير الرازي : مفاتيح الغيب ـ دار إحياء التراث العربي - بيروت (14 / 77) [↑](#footnote-ref-318)
319. () تفسير السعدي ـ مؤسسة الرسالة (1 / 290) [↑](#footnote-ref-319)
320. () تفسير السمعاني دار الوطن ـ الرياض (2 / 187) [↑](#footnote-ref-320)
321. () الطارق : 13 ، 14 [↑](#footnote-ref-321)
322. () الأنبياء : 1 ـ 3 [↑](#footnote-ref-322)
323. () الطارق : 13 ، 14 [↑](#footnote-ref-323)
324. () البقرة : 93 [↑](#footnote-ref-324)
325. () الأعراف : 171 [↑](#footnote-ref-325)
326. () مريم : 12 [↑](#footnote-ref-326)
327. () الزخرف : 43 [↑](#footnote-ref-327)
328. () الأعراف : 170 [↑](#footnote-ref-328)
329. () تفسير المراغي (28/ 110) [↑](#footnote-ref-329)
330. () صفوة التفاسير (3/ 364) [↑](#footnote-ref-330)
331. () أيسر التفاسير للجزائري (3/ 201 ، 202 ) [↑](#footnote-ref-331)
332. () فتح البيان في مقاصد القرآن (7/ 404) [↑](#footnote-ref-332)
333. () البقرة : من الآية 171 [↑](#footnote-ref-333)
334. () الأنفال : 22 [↑](#footnote-ref-334)
335. () طه : 54 [↑](#footnote-ref-335)
336. () آل عمران : 190 [↑](#footnote-ref-336)
337. () الملك : 10 [↑](#footnote-ref-337)
338. () البقرة : من الآية 171 [↑](#footnote-ref-338)
339. () الأنفال : 22 [↑](#footnote-ref-339)
340. () الحج : 46 [↑](#footnote-ref-340)
341. () الفرقان : 44 [↑](#footnote-ref-341)
342. () يس : 62 [↑](#footnote-ref-342)
343. () يونس : 42 [↑](#footnote-ref-343)
344. () يونس : 100 [↑](#footnote-ref-344)
345. () العنكبوت : 63 [↑](#footnote-ref-345)
346. () الشعراء : 28 [↑](#footnote-ref-346)
347. () البقرة : 130 [↑](#footnote-ref-347)
348. () البقرة : 13 [↑](#footnote-ref-348)
349. () الطلاق : 10 [↑](#footnote-ref-349)
350. () الزمر : 18 [↑](#footnote-ref-350)
351. () الجن : 14 [↑](#footnote-ref-351)
352. () غافر : 54 [↑](#footnote-ref-352)
353. () البقرة : 269 [↑](#footnote-ref-353)
354. () اللباب في علوم الكتاب ـ دار الكتب العلمية - بيروت ( ج : 18 ، ص : 46 ) [↑](#footnote-ref-354)
355. () التحرير والتنوير ـ الدار التونسية للنشر - تونس (6 / 272) [↑](#footnote-ref-355)
356. () التفسير المنير للزحيلي ـ دار الفكر المعاصر - دمشق (7 / 324) [↑](#footnote-ref-356)
357. () البحر المحيط ـ دار الفكر - بيروت ( ج : 6 ، ص : 68 ) [↑](#footnote-ref-357)
358. () تفسير القاسمي = محاسن التأويل (4/ 487) [↑](#footnote-ref-358)
359. () أيسر التفاسير للجزائري مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ـ السعودية (3 / 423) [↑](#footnote-ref-359)
360. () التفسير المنير للزحيلي ـ دار الفكر المعاصر - دمشق (17 / 78) [↑](#footnote-ref-360)
361. () أيسر التفاسير للجزائري مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة، السعودية (4/ 349) [↑](#footnote-ref-361)
362. () الأنعام : 36 [↑](#footnote-ref-362)
363. () النمل : 80 [↑](#footnote-ref-363)
364. () يس : 70 [↑](#footnote-ref-364)
365. () الأنعام : 122 [↑](#footnote-ref-365)
366. () التفسير المنير للزحيلي ـ دار الفكر المعاصر - دمشق (7 / 192) [↑](#footnote-ref-366)
367. () الفرقان : 44 [↑](#footnote-ref-367)
368. () حديث حسن ( صحيح الترغيب والترهيب برقم 3662 ) [↑](#footnote-ref-368)
369. () البقرة : من الآية 171 [↑](#footnote-ref-369)
370. () الأعراف : 51 [↑](#footnote-ref-370)
371. () أيسر التفاسير للجزائري مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة (4 / 251) [↑](#footnote-ref-371)
372. () تفسير القاسمي [ محاسن التأويل ] ـ دار الكتب العلميه - بيروت (9/ 220) [↑](#footnote-ref-372)
373. () التوبة : 127 [↑](#footnote-ref-373)
374. () تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (7/ 603) [↑](#footnote-ref-374)
375. () تفسير البغوي - إحياء التراث (3/ 433) [↑](#footnote-ref-375)
376. () هود: 5 [↑](#footnote-ref-376)
377. () تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (30/ 544) [↑](#footnote-ref-377)
378. () المدثر : 23 [↑](#footnote-ref-378)
379. () المعارج : 17 [↑](#footnote-ref-379)
380. () النمل : 80 [↑](#footnote-ref-380)
381. () فتح القدير للشوكاني (2/ 590) [↑](#footnote-ref-381)
382. () تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (4/ 236) [↑](#footnote-ref-382)
383. () تفسير السمرقندي = بحر العلوم (2/ 168) [↑](#footnote-ref-383)
384. () تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (19/ 286) [↑](#footnote-ref-384)
385. () تفسير المراغي (4/ 157) [↑](#footnote-ref-385)
386. () السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (1/ 80) [↑](#footnote-ref-386)
387. () فتح القدير للشوكاني (1/ 139) [↑](#footnote-ref-387)
388. () تفسير المراغي (4/ 157) [↑](#footnote-ref-388)
389. () القيامة : 20، 21 [↑](#footnote-ref-389)
390. () الإنسان : 27 [↑](#footnote-ref-390)
391. () إعراب القرآن وبيانه ـ دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية (6/ 455) [↑](#footnote-ref-391)
392. () أيسر التفاسير لأسعد حومد (1 / 2819) [↑](#footnote-ref-392)
393. () فصلت : 4 [↑](#footnote-ref-393)
394. () ص : 67، 68 [↑](#footnote-ref-394)
395. () يوسف : 105 [↑](#footnote-ref-395)
396. () الأنبياء : 32 [↑](#footnote-ref-396)
397. () الأنعام : 4 [↑](#footnote-ref-397)
398. () الأنعام : 157 [↑](#footnote-ref-398)
399. () تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (4/ 325) [↑](#footnote-ref-399)
400. ()النساء: 55 [↑](#footnote-ref-400)
401. ()النساء: 61 [↑](#footnote-ref-401)
402. () لقمان : 7 [↑](#footnote-ref-402)
403. () الأنفال : 23 [↑](#footnote-ref-403)
404. () النجم : 29 [↑](#footnote-ref-404)
405. () التفسير المنير للزحيلي ـ دار الفكر المعاصر - دمشق (18 / 73) [↑](#footnote-ref-405)
406. () تفسير القرطبي (10/ 265) [↑](#footnote-ref-406)
407. () تفسير السمرقندي = بحر العلوم (2/ 314) [↑](#footnote-ref-407)
408. () فتح القدير للشوكاني (5/ 314) [↑](#footnote-ref-408)
409. () الهداية إلى بلوغ النهاية (6/ 4216) [↑](#footnote-ref-409)
410. () الزمر : 45 [↑](#footnote-ref-410)
411. () االتفسير القرآني للقرآن ـ دار الفكر العربي - القاهرة (14 / 625) [↑](#footnote-ref-411)
412. () أيسر التفاسير للجزائري (4/ 365) [↑](#footnote-ref-412)
413. () التفسير القرآني للقرآن (11/ 908) [↑](#footnote-ref-413)
414. () تفسير ابن كثير ت سلامة (5/ 173) [↑](#footnote-ref-414)
415. () زاد المسير في علم التفسير (4/ 45) [↑](#footnote-ref-415)
416. () أساس البلاغة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت - لبنان (2 / 140) [↑](#footnote-ref-416)
417. () شرح سنن أبي داود للعباد (525/ 21) [↑](#footnote-ref-417)
418. () المغرب في ترتيب المعرب ـ دار الكتاب العربي (1 / 411) [↑](#footnote-ref-418)
419. () أيسر التفاسير للجزائري ـ مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة (4/ 560) [↑](#footnote-ref-419)
420. () أيسر التفاسير للجزائري ـ مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة (3/ 199) [↑](#footnote-ref-420)
421. () التفسير المنير للزحيلي (9/ 270) [↑](#footnote-ref-421)
422. () المدثر : 49-51 [↑](#footnote-ref-422)
423. () صفوة التفاسير ـ دار الصابوني - القاهرة (3/ 456) [↑](#footnote-ref-423)
424. () الجمعة : 8 [↑](#footnote-ref-424)
425. () تفسير السمعاني (5/ 241) [↑](#footnote-ref-425)
426. () أيسر التفاسير للجزائري مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة (2 / 157) [↑](#footnote-ref-426)
427. () الأعراف: 175، 176 [↑](#footnote-ref-427)
428. () الهداية الى بلوغ النهاية (8/ 5213) [↑](#footnote-ref-428)
429. () أيسر التفاسير للجزائري (3/ 612) [↑](#footnote-ref-429)
430. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 5859 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-430)
431. () مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ( 2 / 579 ) [↑](#footnote-ref-431)
432. () البحر المحيط ـ دار الفكر - بيروت ( 4 / 489 ) [↑](#footnote-ref-432)
433. () التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ـ شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت (1 / 259) [↑](#footnote-ref-433)
434. () نوح : 7 [↑](#footnote-ref-434)
435. () الجاثـية : 35 [↑](#footnote-ref-435)
436. () الأنعام : 25 [↑](#footnote-ref-436)
437. () الحجر : 14، 15 [↑](#footnote-ref-437)
438. () الطور : 44 [↑](#footnote-ref-438)
439. () الأعراف : 132 [↑](#footnote-ref-439)
440. () محمد : 24 [↑](#footnote-ref-440)
441. () المؤمنون : 68 [↑](#footnote-ref-441)
442. () الأعراف : 69 [↑](#footnote-ref-442)
443. () الروم : 8 [↑](#footnote-ref-443)
444. () صفوة التفاسير ـ دار الصابوني - القاهرة (3 / 79) [↑](#footnote-ref-444)
445. () تفسير أبي السعود دار إحياء التراث العربي - بيروت (6 / 144) [↑](#footnote-ref-445)
446. () صفوة التفاسير ـ دار الصابوني - القاهرة (2 / 239) [↑](#footnote-ref-446)
447. () تفسير الخازن ـ دار الكتب العلمية - بيروت (4 / 134) [↑](#footnote-ref-447)
448. () تفسير الرازي : مفاتيح الغيب ـ دار إحياء التراث العربي - بيروت (28 / 25) [↑](#footnote-ref-448)
449. () تفسير البغوي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ( ج : 3 ، ص : 571 ) [↑](#footnote-ref-449)
450. () تفسير الشيخ المراغي ـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر ( ج : 27 ، ص : 56 ) [↑](#footnote-ref-450)
451. () زاد المسير ـ دار الكتاب العربي - بيروت في علم التفسير (2 / 133) [↑](#footnote-ref-451)
452. () تفسير الطبري ـ مؤسسة الرسالة ( ج : 17 ، ص : 504 ) [↑](#footnote-ref-452)
453. () أيسر التفاسير للجزائري مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة، السعودية (5/ 563) [↑](#footnote-ref-453)
454. () الطلاق : 12 [↑](#footnote-ref-454)
455. () تفسير عبد الرزاق (3/ 309) [↑](#footnote-ref-455)
456. () تفسير مجاهد (ص: 659) [↑](#footnote-ref-456)
457. () الفرقان : 44 [↑](#footnote-ref-457)
458. () الأعراف : 179 [↑](#footnote-ref-458)
459. () زاد المسير في علم التفسير (4/ 117) [↑](#footnote-ref-459)
460. () الجمعة : 5 [↑](#footnote-ref-460)
461. () الهداية إلى بلوغ النهاية ـ الناشر : مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة (4 / 2643) [↑](#footnote-ref-461)
462. () السراج المنير ـ مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة (1 / 537) [↑](#footnote-ref-462)
463. () المنتخب ـ الناشر : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر، طبع مؤسسة الأهرام (1 / 537) [↑](#footnote-ref-463)
464. () تفسير التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ـ شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت ( ج : 2 ، ص : 377 ) [↑](#footnote-ref-464)
465. () اللباب في علوم الكتاب ـ دار الكتب العلمية - بيروت ( ج : 19 ، ص 107 ) [↑](#footnote-ref-465)
466. () التفسير الحديث ـ دار إحياء الكتب العربية - القاهرة (8 / 458) [↑](#footnote-ref-466)
467. () أضواء البيان ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت (7 / 189) [↑](#footnote-ref-467)
468. () تفسير الخازن ـ دار الكتب العلمية - بيروت (4 / 144) [↑](#footnote-ref-468)
469. () تفسير الشعراوي ـ مطابع أخبار اليوم (14 / 8711) [↑](#footnote-ref-469)
470. () الأنبياء : 1 - 3 [↑](#footnote-ref-470)
471. () متفق عليه ( مشكاة المصابيح ج :1، برقم 148، وهو أيضا في صحيح الجامع برقم 5860 ) [↑](#footnote-ref-471)
472. () الطارق : 13 ، 14 [↑](#footnote-ref-472)
473. () اللباب في علوم الكتاب ـ دار الكتب العلمية - بيروت ( ج : 17 ، ص 262 ) [↑](#footnote-ref-473)
474. () تفسير التحرير والتنوير (1/ 564) [↑](#footnote-ref-474)
475. () تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (7/ 39) [↑](#footnote-ref-475)
476. () حديث حسن ( صحيح الترغيب والترهيب ج : 3 ، برقم : 3170 ) [↑](#footnote-ref-476)
477. () تحقيق الألباني : حسن ( انظر حديث رقم : 6189 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-477)
478. () تفسير القرطبي (11/ 268) [↑](#footnote-ref-478)
479. () المنافقون: 9 [↑](#footnote-ref-479)
480. () تفسير البغوي ـ دار إحياء التراث العربي - بيروت ( ج : 3 ، ص : 571 ) [↑](#footnote-ref-480)
481. () تفسير البيضاوي ـ دار إحياء التراث العربي - بيروت ( ج : 4 ، ص : 120 ) [↑](#footnote-ref-481)
482. () تفسير فتح القدير ـ دار ابن كثير- دمشق ( ج : 4 ، ص : 78 ) [↑](#footnote-ref-482)
483. () تفسير زاد المسير ـ دار الكتاب العربي - بيروت ( ج : 4 ، ص : 400 ) [↑](#footnote-ref-483)
484. () تفسير البحر المحيط ـ دار الفكر - بيروت ( ج : 10 ، ص : 434 ) [↑](#footnote-ref-484)
485. () تفسير فتح القدير ـ دار ابن كثير- دمشق ( ج : 5 ، ص : 596 ) [↑](#footnote-ref-485)
486. () التخريج : صحيح ( مشكاة المصابيح ج : 3 ، برقم : 5169 ) [↑](#footnote-ref-486)
487. () أضواء البيان دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان ( 1 / 41 ) [↑](#footnote-ref-487)
488. () تفسير ابن كثير ـ دار طيبة للنشر والتوزيع ( ج : 5 ، ص : 161 ) [↑](#footnote-ref-488)
489. () تفسير البيضاوي ـ دار إحياء التراث العربي - بيروت ( ج : 5 ، ص : 163 ) [↑](#footnote-ref-489)
490. () تفسير القرطبي ـ دار الكتب المصرية - القاهرة ( ج : 11 ، ص : 268 ) [↑](#footnote-ref-490)
491. () تفسير القرطبي ـ دار الكتب المصرية - القاهرة ( ج : 11 ، ص : 237 ) [↑](#footnote-ref-491)
492. () تفسير النسفي ـ دار الكلم الطيب، بيروت ( ج : 2 ، ص : 183 ) [↑](#footnote-ref-492)
493. () أيسر التفاسير للجزائري مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة، السعودية ( ج : 5 ، ص : 56 ) [↑](#footnote-ref-493)
494. () تفسير الثعلبي [ الكشف والبيان عن تفسير القرآن ] ـ دار إحياء التراث العربي، بيروت ( ج : 9 ، ص : 31 ) [↑](#footnote-ref-494)
495. () بحر العلوم للسمرقندي ( ج : 2 ، ص : 299 ) [↑](#footnote-ref-495)
496. () تفسير الجلالين دار الحديث - القاهرة ( ج : 10 ، ص : 68 ) [↑](#footnote-ref-496)
497. () بحر العلوم للسمرقندي ( ج : 2 ، ص : 251 ) [↑](#footnote-ref-497)
498. () تفسير البغوي ـ دار إحياء التراث العربي - بيروت ( ج : 7 ، ص : 281 ) [↑](#footnote-ref-498)
499. () تفسير الجلالين دار الحديث - القاهرة ( ج : 1 ، ص : 674 ) [↑](#footnote-ref-499)
500. () البحر المديد ـ الناشر : الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة ( ج : 2 ، ص : 146 ) [↑](#footnote-ref-500)
501. () تفسير الطبري ـ مؤسسة الرسالة ( ج : 21 ، ص : 218 ) [↑](#footnote-ref-501)
502. () بحر العلوم للسمرقندي ( ج 3 ، ص : 170 ) [↑](#footnote-ref-502)
503. () االتفسير القرآني للقرآن ـ دار الفكر العربي - القاهرة ( ج : 14 ، ص : 606 ) [↑](#footnote-ref-503)
504. () التفسير المنير للزحيلي ـ دار الفكر المعاصر - دمشق ( ج : 27 ، ص : 115 ) [↑](#footnote-ref-504)
505. () تفسير الشيخ المراغي ـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر ( ج : 27 ، ص : 56 ) [↑](#footnote-ref-505)
506. () االتفسير القرآني للقرآن ـ دار الفكر العربي - القاهرة ( ج : 7 ، ص : 215 ) [↑](#footnote-ref-506)
507. () تفسير أبي السعود ـ دار إحياء التراث العربي - بيروت (3 / 22) [↑](#footnote-ref-507)
508. () التفسير المنير للزحيلي ـ دار الفكر المعاصر - دمشق (23 / 27) [↑](#footnote-ref-508)
509. () تفسير السعدي ـ مؤسسة الرسالة (1 / 696) [↑](#footnote-ref-509)
510. ()الأنعام: 33 [↑](#footnote-ref-510)
511. () الأعراف : 53 [↑](#footnote-ref-511)
512. () المؤمنون : 110 [↑](#footnote-ref-512)
513. () طه : 126 [↑](#footnote-ref-513)
514. () الفرقان : 18 [↑](#footnote-ref-514)
515. () المجادلة: 19 [↑](#footnote-ref-515)
516. () الغمرة أي الغفلة [↑](#footnote-ref-516)
517. () يونس : 92 [↑](#footnote-ref-517)
518. () الأعراف : 146 [↑](#footnote-ref-518)
519. () الكهف : 28 [↑](#footnote-ref-519)
520. () المؤمنون : 63 [↑](#footnote-ref-520)
521. () الرعد : 19 [↑](#footnote-ref-521)
522. () الزخرف : 36 [↑](#footnote-ref-522)
523. () الصدف معناه الإعراض [↑](#footnote-ref-523)
524. () الجن : 17 [↑](#footnote-ref-524)
525. () الشعراء : 5 [↑](#footnote-ref-525)
526. () طه : 124 [↑](#footnote-ref-526)
527. () الأنبياء : 42 [↑](#footnote-ref-527)
528. () طه : 99 ، 100 [↑](#footnote-ref-528)
529. () الأنعام : 157 [↑](#footnote-ref-529)
530. () النجم : 29 [↑](#footnote-ref-530)
531. () لقمان : 7 [↑](#footnote-ref-531)
532. () الزمر: 22 [↑](#footnote-ref-532)
533. () محمد : 24 [↑](#footnote-ref-533)
534. () المؤمنون : 68 [↑](#footnote-ref-534)
535. () الأنعام : 25 [↑](#footnote-ref-535)
536. () محمد: 16 [↑](#footnote-ref-536)
537. () الكهف : 101 [↑](#footnote-ref-537)
538. () هود : 91 [↑](#footnote-ref-538)
539. () الجمعة : 5 [↑](#footnote-ref-539)
540. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 5840 في صحيح الجامع )‌ [↑](#footnote-ref-540)
541. () الأنفال : 22، 23 [↑](#footnote-ref-541)
542. () جامع المسائل لابن تيمية - دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ( 1 / 130 ، 131 ) [↑](#footnote-ref-542)
543. () تفسير ابن كثير ـ دار طيبة ( 5 / 324 ) [↑](#footnote-ref-543)
544. () أيسر التفاسير لأسعد حومد (1 / 2819) [↑](#footnote-ref-544)
545. () الأنعام : 91 [↑](#footnote-ref-545)
546. ()البقرة: 10 [↑](#footnote-ref-546)
547. () البقرة : 101 [↑](#footnote-ref-547)
548. () البقرة : 118 [↑](#footnote-ref-548)
549. () التفسير المنير للزحيلي ـ دار الفكر المعاصر - دمشق (19/ 43) [↑](#footnote-ref-549)
550. () بحر المحيط في التفسير ـ دار الفكر - بيروت (10/ 340) [↑](#footnote-ref-550)
551. () البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ـ الناشر : الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة ( 2/ 99 ) [↑](#footnote-ref-551)
552. () الحشر : من الآية 21 [↑](#footnote-ref-552)
553. () تفسير ابن كثير ـ دار طيبة للنشر والتوزيع ( ج : 8 ، ص : 117 ) [↑](#footnote-ref-553)
554. () الجن : 1 [↑](#footnote-ref-554)
555. () الزمر : من الآية 23 [↑](#footnote-ref-555)
556. () الأنفال : من الآية 2 [↑](#footnote-ref-556)
557. () الرعد : 28 [↑](#footnote-ref-557)
558. ()الحشر: 21 [↑](#footnote-ref-558)
559. () الأنعام: 33 [↑](#footnote-ref-559)
560. () المؤمنون : 24 [↑](#footnote-ref-560)
561. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( سنن النسائي ج : 8 ، ص : 115 ، برقم : 5014 ) [↑](#footnote-ref-561)
562. () المائدة : من الآية 15 [↑](#footnote-ref-562)
563. () النساء : 174 [↑](#footnote-ref-563)
564. () الذاريات : 50 [↑](#footnote-ref-564)
565. () تفسير البغوي [ معالم التنزيل في تفسير القرآن ] ـ دار إحياء التراث العربي - بيروت (5/ 281) [↑](#footnote-ref-565)
566. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 567 ، برقم : 2333 ) [↑](#footnote-ref-566)
567. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 4579 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-567)
568. () المرسلات: 46 [↑](#footnote-ref-568)
569. () الواقعة: 45 [↑](#footnote-ref-569)
570. () الحجر: 3 [↑](#footnote-ref-570)
571. () محمد: 12 [↑](#footnote-ref-571)
572. () الشعراء: 205، 206، 207 [↑](#footnote-ref-572)
573. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 5292 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-573)
574. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( سنن ابن ماجة ج : 2 ، ص : 1376 ، برقم : 4108 ) [↑](#footnote-ref-574)
575. () تحقيق الألباني : حسن ( صحيح الجامع برقم 2195 ) [↑](#footnote-ref-575)
576. () صيد الخاطر ـ دار القلم - دمشق (1 / 447) [↑](#footnote-ref-576)
577. () الذاريات : 50 [↑](#footnote-ref-577)
578. () صفة الصفوة ـ دار الحديث، القاهرة ( ج : 2 ، ص : 168 ) [↑](#footnote-ref-578)
579. () البحر المديد ـ الناشر : الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة ( ج : 3 ، ص : 163 ) [↑](#footnote-ref-579)
580. () اللباب في علوم الكتاب ـ دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان ( ج : 18 ، ص : 103 ) [↑](#footnote-ref-580)
581. () الشعراء : 205 ـ 207 [↑](#footnote-ref-581)
582. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 3115 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-582)
583. () أضواء البيان ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت - لبنان ( ج : 8 ، ص : 504 ) [↑](#footnote-ref-583)
584. () طـه : 120 [↑](#footnote-ref-584)
585. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 562 ، برقم 2324 ) [↑](#footnote-ref-585)
586. () الزهد ـ ابن أبي الدنيا ـ دار ابن كثير، دمشق ( ج : 1 ، ص : 29 ) [↑](#footnote-ref-586)
587. () العنكبوت : 64 [↑](#footnote-ref-587)
588. () الفجر : 24 [↑](#footnote-ref-588)
589. () البقرة :96 [↑](#footnote-ref-589)
590. () يونس : 7 ، 8 [↑](#footnote-ref-590)
591. () الفرقان : من الآية 40 [↑](#footnote-ref-591)
592. () النبأ : 27 [↑](#footnote-ref-592)
593. () آل عمران : من الآية 191 [↑](#footnote-ref-593)
594. () يونس : 24 [↑](#footnote-ref-594)
595. () الكهف : 45 [↑](#footnote-ref-595)
596. () العنكبوت : 64 [↑](#footnote-ref-596)
597. () الأنعام : من الآية 32 [↑](#footnote-ref-597)
598. () محمد : من الآية 36 [↑](#footnote-ref-598)
599. () الحديد : من الآية 20 [↑](#footnote-ref-599)
600. () تحقيق الألباني : حسن ( صحيح الجامع برقم 2195 ) [↑](#footnote-ref-600)
601. () حديث صحيح ( صحيح الترغيب والترهيب ، ج : 2 ، برقم 2151 ) [↑](#footnote-ref-601)
602. () حديث صحيح بشواهده ( رياض الصالحين ، ص : 230 ، برقم : 490 ) [↑](#footnote-ref-602)
603. () الزهد لابن أبي الدنيا ـ دار ابن كثير، دمشق ( ج : 1 ، ص : 31 ، 32 ) [↑](#footnote-ref-603)
604. () إحياء علوم الدين ـ دار المعرفة - بيروت (4 / 455) [↑](#footnote-ref-604)
605. () تفسير الرازي [ مفاتيح الغيب ـ التفسير الكبير ] ـ دار إحياء التراث العربي - بيروت ( ج : 24 ، ص : 523 ) [↑](#footnote-ref-605)
606. () حديث صحيح ( صحيح الترغيب والترهيب برقم 3283 ) [↑](#footnote-ref-606)
607. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 568 ، برقم : 2335 ) [↑](#footnote-ref-607)
608. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 2384 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-608)
609. () صيد الخاطر ـ دار القلم - دمشق (1 / 447) [↑](#footnote-ref-609)
610. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 3155 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-610)
611. () تحقيق الألباني : حسن ( انظر حديث رقم : 4332 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-611)
612. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 562 ، برقم 2324) [↑](#footnote-ref-612)
613. () حديث صحيح ( السلسلة الصحيحة ج : 7 ، برقم : 3372 ) [↑](#footnote-ref-613)
614. () هو خروج صوت من الحلق يدل على الشبع وبالعامية أي ( تكرع ) [↑](#footnote-ref-614)
615. () قال الشيخ الألباني : حسن ( ج : 4 ، ص : 649 ، برقم : 2478 ) [↑](#footnote-ref-615)
616. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( سنن ابن ماجه ج :2، ص : 1445 ، برقم : 4321) [↑](#footnote-ref-616)
617. () الشورى : 27 [↑](#footnote-ref-617)
618. () الزخرف : 33 ـ 35 [↑](#footnote-ref-618)
619. () تحقيق الألباني : صحيح ( صحيح الجامع برقم : 3001 ) [↑](#footnote-ref-619)
620. () البلد : 4 [↑](#footnote-ref-620)
621. () تفسير ابن كثير ـ دار طيبة للنشر والتوزيع ( ج : 4 ، ص : 601 ) [↑](#footnote-ref-621)
622. () غافر : من الآية 11 [↑](#footnote-ref-622)
623. () البقرة : 28 [↑](#footnote-ref-623)
624. () الحج : 66 [↑](#footnote-ref-624)
625. () النساء : من الآية 77 [↑](#footnote-ref-625)
626. () الأنعام : 32 [↑](#footnote-ref-626)
627. () يوسف : 57 [↑](#footnote-ref-627)
628. () الأعلى : 17 [↑](#footnote-ref-628)
629. () المعارج : 5 ـ 7 [↑](#footnote-ref-629)
630. () القصص :60 [↑](#footnote-ref-630)
631. () العنكبوت: 64 [↑](#footnote-ref-631)
632. () الأنعام: 32 [↑](#footnote-ref-632)
633. () البقرة : 96 [↑](#footnote-ref-633)
634. () السجدة : 12 [↑](#footnote-ref-634)
635. () غافر : 16 [↑](#footnote-ref-635)
636. () تحقيق الألباني : صحيح ( صحيح الجامع برقم 7584 ) [↑](#footnote-ref-636)
637. () البقرة : 96 [↑](#footnote-ref-637)
638. () النازعـات : 37 [↑](#footnote-ref-638)
639. () يونس : من الآية 104 [↑](#footnote-ref-639)
640. () يّـس : 68 [↑](#footnote-ref-640)
641. () قّ : 37 [↑](#footnote-ref-641)
642. () تحقيق الألباني : صحيح ( صحيح الجامع : برقم 1210 ) [↑](#footnote-ref-642)
643. () إحياء علوم الدين ـ دار المعرفة - بيروت ( ج : 4 ، ص : 452 ) [↑](#footnote-ref-643)
644. () تحقيق الألباني : حسن ( صحيح الجامع برقم : 849 ) [↑](#footnote-ref-644)
645. () تحقيق الألباني : حسن ( صحيح الجامع برقم : 1037 ) [↑](#footnote-ref-645)
646. () تحقيق الألباني : حسن ( صحيح الجامع برقم : 1038 ) [↑](#footnote-ref-646)
647. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( سنن النسائي ج : 6 ، ص : 239 ، برقم : 3618 ) [↑](#footnote-ref-647)
648. () الزمر : 30 [↑](#footnote-ref-648)
649. () الزهد ـ لابن أبي الدنيا ـ دار ابن كثير، دمشق ( ج : 1 ، ص : 44 ) [↑](#footnote-ref-649)
650. () يونس : 7 ، 8 [↑](#footnote-ref-650)
651. () الفرقان : من الآية 40 [↑](#footnote-ref-651)
652. () النبأ : 27 [↑](#footnote-ref-652)
653. () الجمعة : من الآية 8 [↑](#footnote-ref-653)
654. () حديث صحيح ( جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 567 ، برقم 2333 ) [↑](#footnote-ref-654)
655. () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ـ دار الكتاب العربي - بيروت ( ج : 8 ، ص : 113 ) [↑](#footnote-ref-655)
656. () تفسير الطبري ـ مؤسسة الرسالة ( ج : 22 ، ص : 565 ) [↑](#footnote-ref-656)
657. () المؤمنون : 113 [↑](#footnote-ref-657)
658. () يونس : من الآية 45 [↑](#footnote-ref-658)
659. () الروم : من الآية 55 [↑](#footnote-ref-659)
660. () الأحقاف : من الآية 35 [↑](#footnote-ref-660)
661. () النازعات : 46 [↑](#footnote-ref-661)
662. () البقرة : 28 [↑](#footnote-ref-662)
663. () عبس : 17 ـ 19 [↑](#footnote-ref-663)
664. () العنكبوت : 63 [↑](#footnote-ref-664)
665. () الأعراف : 51 [↑](#footnote-ref-665)
666. () ص : 26 [↑](#footnote-ref-666)
667. () السجدة : 14 [↑](#footnote-ref-667)
668. () الجاثية : 34 [↑](#footnote-ref-668)
669. () الروم : 7 [↑](#footnote-ref-669)
670. () مريم : 39 [↑](#footnote-ref-670)
671. () الأنبياء : 1 [↑](#footnote-ref-671)
672. () الأنبياء : 97 [↑](#footnote-ref-672)
673. () ق : 22 [↑](#footnote-ref-673)
674. () الأنعام : 28 [↑](#footnote-ref-674)
675. () الملك : 10 [↑](#footnote-ref-675)
676. () يس : 51، 52 [↑](#footnote-ref-676)
677. () التكاثر : 5 ، 6 [↑](#footnote-ref-677)
678. () التوبة : من الآية 67 [↑](#footnote-ref-678)
679. () السجدة : 14 [↑](#footnote-ref-679)
680. () العنكبوت :64 ، ومعنى ( الحيوان ) أي الحياة الحقيقية . [↑](#footnote-ref-680)
681. () الفجر : 24 ، ومعنى ( لحياتي ) أي حياته الحقيقية في الآخرة . [↑](#footnote-ref-681)
682. () الأنعام : 31 [↑](#footnote-ref-682)
683. () النحل : 77 [↑](#footnote-ref-683)
684. () يس : 51 - 52 [↑](#footnote-ref-684)
685. () حديث صحيح ( جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 567 ، برقم 2333 ) [↑](#footnote-ref-685)
686. () صّ : 67 ، 68 [↑](#footnote-ref-686)
687. () الطارق : 13 ، 14 [↑](#footnote-ref-687)
688. () الحج : 2 [↑](#footnote-ref-688)
689. () متفق عليه ( مشكاة المصابيح ج :1، برقم 148، وهو أيضا في صحيح الجامع برقم 5860 ) [↑](#footnote-ref-689)
690. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( سنن النسائي ج : 3 ، ص : 188 ، برقم 1578) [↑](#footnote-ref-690)
691. () حديث صحيح ( جامع الترمذي ج : 5 ، ص : 338 ، برقم 3185 ) [↑](#footnote-ref-691)
692. () حديث صحيح ( صحيح الجامع برقم 5858 ) [↑](#footnote-ref-692)
693. () متفق عليه ( مشكاة المصابيح ج : 3 ، برقم : 5372 ) [↑](#footnote-ref-693)
694. () تحقيق الألباني : صحيح ( صحيح الجامع برقم : 7901 ) [↑](#footnote-ref-694)
695. () حديث حسن ( صحيح الترغيب والترهيب ج : 2 ، برقم : 1567 ) [↑](#footnote-ref-695)
696. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 3115 في صحيح الجامع )‌ [↑](#footnote-ref-696)
697. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 568 ، برقم : 2335 ) [↑](#footnote-ref-697)
698. () تزكية النفوس ـ دار العقيدة للتراث - الإسكندرية ( 1 / 114 ) [↑](#footnote-ref-698)
699. () إحياء علوم الدين ـ دار المعرفة - بيروت ( 4 / 163 ) [↑](#footnote-ref-699)
700. () الطور : 7، 8 [↑](#footnote-ref-700)
701. () المؤمنون : 37 [↑](#footnote-ref-701)
702. () قّ : 37 [↑](#footnote-ref-702)
703. () تحقيق الألباني : حسن ( انظر حديث رقم : 73 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-703)
704. () الأنعام : 134، 135 [↑](#footnote-ref-704)
705. () صّ : 67 ، 68 [↑](#footnote-ref-705)
706. () الحج : 2 [↑](#footnote-ref-706)
707. () البحر المحيط ـ دار الفكر - بيروت ( ج : 10 ، ص : 480 ) [↑](#footnote-ref-707)
708. () المزمل : من الآية 17 [↑](#footnote-ref-708)
709. () الحج : 2 [↑](#footnote-ref-709)
710. () الشورى : 18 [↑](#footnote-ref-710)
711. () المؤمنون : 37 [↑](#footnote-ref-711)
712. () الزخرف : 71 [↑](#footnote-ref-712)
713. () الأنبياء : 102 [↑](#footnote-ref-713)
714. () فصلت : 31،32 [↑](#footnote-ref-714)
715. () ق : 35 [↑](#footnote-ref-715)
716. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( جامع الترمذي ج : 5 ، ص : 346 ، برقم : 3197 ) [↑](#footnote-ref-716)
717. () لوامع الأنوار البهية ـ مؤسسة الخافقين ـ دمشق (2 / 239) [↑](#footnote-ref-717)
718. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 7192 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-718)
719. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 3115 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-719)
720. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 1627 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-720)
721. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم: 8106 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-721)
722. () قال الشيخ الألباني : حسن صحيح ( جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 677 ، برقم : 2536 ) [↑](#footnote-ref-722)
723. () التخريج : صحيح ( صحيح الترغيب والترهيب ج : 3 ـ رقم : 3771 ) [↑](#footnote-ref-723)
724. () متفق عليه ( مشكاة المصابيح ج : 3، رقم : 4628 ) [↑](#footnote-ref-724)
725. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( سنن النسائي ج : 3 ، ص : 55 ، برقم 1306 ) [↑](#footnote-ref-725)
726. () النازعـات : 37 ـ 40 [↑](#footnote-ref-726)
727. () التخريج : صحيح ( صحيح الترغيب والترهيب ج : 3 ، برقم : 3247 ) [↑](#footnote-ref-727)
728. () قال الشيخ الألباني : حسن ( جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 637 ، برقم 2458 ) [↑](#footnote-ref-728)
729. () الزهد لابن أبي الدنيا ـ دار ابن كثير، دمشق ( ج : 1 ، ص 49 ) [↑](#footnote-ref-729)
730. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( سنن أبو داود ج : 4 ، ص : 255 ، برقم 4810 ) [↑](#footnote-ref-730)
731. () صفة الصفوة ـ دار الحديث، القاهرة (1 / 120) [↑](#footnote-ref-731)
732. () قّ : 35 [↑](#footnote-ref-732)
733. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 2080 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-733)
734. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 6649 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-734)
735. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 5116 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-735)
736. () الصف : 10،11 [↑](#footnote-ref-736)
737. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 5410 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-737)
738. () البقرة : 25 [↑](#footnote-ref-738)
739. () يّـس : 68 [↑](#footnote-ref-739)
740. () الواقعة : 19 [↑](#footnote-ref-740)
741. () طـه : 120 [↑](#footnote-ref-741)
742. () البلد : 4 [↑](#footnote-ref-742)
743. () الواقعة : 33 [↑](#footnote-ref-743)
744. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( سنن النسائي ج : 3 ، ص : 146 ، برقم : 1493 ) [↑](#footnote-ref-744)
745. () الإسراء : من الآية 21 [↑](#footnote-ref-745)
746. () الأعلى : 17 [↑](#footnote-ref-746)
747. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( سنن ابن ماجه ج :2، ص : 1445 ، برقم : 4321 ) [↑](#footnote-ref-747)
748. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 3115 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-748)
749. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( سنن ابن ماجه ج : 2 ، ص : 1393 ، برقم : 4160 ) [↑](#footnote-ref-749)
750. () الواقعة : 73 [↑](#footnote-ref-750)
751. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 709 ، برقم 2589 ) [↑](#footnote-ref-751)
752. () تفسير ابن كثير ـ دار طيبة للنشر والتوزيع ( ج : 8 ، ص : 216 ) [↑](#footnote-ref-752)
753. () تفسير القرطبي [ الجامع لأحكام القرآن ] ـ دار الكتب المصرية - القاهرة ( ج : 18 ، ص : 272 ) [↑](#footnote-ref-753)
754. () حديث صحيح ( صحيح الترغيب والترهيب برقم 3668 ) [↑](#footnote-ref-754)
755. () حديث صحيح ( السلسلة الصحيحة برقم 3429 ) [↑](#footnote-ref-755)
756. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 5250 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-756)
757. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( سنن ابن ماجه ج :2، ص : 1445 ، برقم : 4321) [↑](#footnote-ref-757)
758. () الحديد : 23 [↑](#footnote-ref-758)
759. () العنكبوت : من الآية 10 [↑](#footnote-ref-759)
760. () تحقيق الألباني : حسن ( انظر حديث رقم : 5249 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-760)
761. () مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (1/ 213) ـ دار الكتب العلمية – بيروت . [↑](#footnote-ref-761)
762. () مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ـ دار الكتب العلمية - بيروت ( ج : 1 ، ص : 213 ) [↑](#footnote-ref-762)
763. () الزمر: 42 [↑](#footnote-ref-763)
764. () التخريج : صحيح : ( السلسلة الصحيحة ج : 3 ، ص : 74 برقم : 1087 ) [↑](#footnote-ref-764)
765. () الأنعام: 110 [↑](#footnote-ref-765)
766. () يونس: 74 [↑](#footnote-ref-766)
767. () الزخرف: 23 [↑](#footnote-ref-767)
768. () تفسير الشعراوي ـ مطابع أخبار اليوم ( ج : 1 ، ص : 5585 ) [↑](#footnote-ref-768)
769. () الملك : 4 [↑](#footnote-ref-769)
770. () الروم : 7 [↑](#footnote-ref-770)
771. () تفسير البغوي ـ دار إحياء التراث العربي - بيروت ( ج : 3 ، ص : 571 ) [↑](#footnote-ref-771)
772. () تفسير الشيخ المراغي ـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر ( ج : 27 ، ص : 56 ) [↑](#footnote-ref-772)
773. () ص: 5 [↑](#footnote-ref-773)
774. () النمل: 56 [↑](#footnote-ref-774)
775. () الشعراء : 135 [↑](#footnote-ref-775)
776. () الزمر : 67 [↑](#footnote-ref-776)
777. () المؤمنون : 112 - 114 [↑](#footnote-ref-777)
778. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( سنن ابن ماجه ج :2، ص : 1445 ، برقم : 4321 ) [↑](#footnote-ref-778)
779. () الفجر : 23 [↑](#footnote-ref-779)
780. () يونس : 50، 51 [↑](#footnote-ref-780)
781. () غريب الحديث لابن قتيبة ـ مطبعة العاني - بغداد ( 3 / 728 ـ 728 ) [↑](#footnote-ref-781)
782. () الأعراف : 138 [↑](#footnote-ref-782)
783. () يونس : 22 [↑](#footnote-ref-783)
784. () الأعراف : 97 - 99 [↑](#footnote-ref-784)
785. () النمل : 80 [↑](#footnote-ref-785)
786. () الملك : 10 [↑](#footnote-ref-786)
787. () الأعراف : 179 [↑](#footnote-ref-787)
788. () الأنبياء : 1 ـ 3 [↑](#footnote-ref-788)
789. () متفق عليه ( مشكاة المصابيح ج :1، برقم 148، وهو أيضا في صحيح الجامع برقم 5860 ) [↑](#footnote-ref-789)
790. () يونس : 7 ، 8 [↑](#footnote-ref-790)
791. () العنكبوت : 64 [↑](#footnote-ref-791)
792. () الفجر : 24 [↑](#footnote-ref-792)
793. () تحقيق الألباني : حسن ( انظر حديث رقم : 4332 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-793)
794. () طـه :50 [↑](#footnote-ref-794)
795. () الروم : 21 [↑](#footnote-ref-795)
796. () يس : 34 ، 35 [↑](#footnote-ref-796)
797. () النحل : من الآية 66 [↑](#footnote-ref-797)
798. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( سنن النسائي ج : 3 ، ص : 153 ، برقم : 1503 ) [↑](#footnote-ref-798)
799. () الإسراء : من الآية 59 [↑](#footnote-ref-799)
800. () الإسراء : من الآية 60 [↑](#footnote-ref-800)
801. () الزمر : 42 [↑](#footnote-ref-801)
802. () الروم : 23 [↑](#footnote-ref-802)
803. () التخريج : صحيح ( السلسلة الصحيحة ج : 3 ، ص : 74 برقم : 1087 ) [↑](#footnote-ref-803)
804. () يونس : من الآية 104 [↑](#footnote-ref-804)
805. () يوسف : 105 [↑](#footnote-ref-805)
806. () الأنبياء : 32 [↑](#footnote-ref-806)
807. () الأنبياء : 42 [↑](#footnote-ref-807)
808. () تفسير الرازي [ مفاتيح الغيب ] ـ دار إحياء التراث العربي – بيروت (22 / 147) [↑](#footnote-ref-808)
809. () الطور : 35 ، 36 [↑](#footnote-ref-809)
810. () النهاية في غريب الأثر ـ المكتبة العلمية - بيروت ( 1 / 62 ) [↑](#footnote-ref-810)
811. () غريب الحديث لابن قتيبة ـ مطبعة العاني - بغداد ( 3 / 728 ـ 728 ) [↑](#footnote-ref-811)
812. () غافر : 57 [↑](#footnote-ref-812)
813. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 8125 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-813)
814. () التخريج : صحيح ( السلسلة الصحيحة ج : 1 ، ص : 223 ، برقم : 109 ) [↑](#footnote-ref-814)
815. () روح المعاني ـ دار الكتب العلمية - بيروت ( 27 / 38 ) [↑](#footnote-ref-815)
816. () الأنعام : 36 [↑](#footnote-ref-816)
817. () الواقعة : 75 ، 76 [↑](#footnote-ref-817)
818. () غافر : 57 [↑](#footnote-ref-818)
819. () الحديد: 4 [↑](#footnote-ref-819)
820. () الشورى : 11 [↑](#footnote-ref-820)
821. () أيسر التفاسير للجزائري ـ مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة، السعودية (5/ 259) [↑](#footnote-ref-821)
822. () التوبة : من الآية 67 [↑](#footnote-ref-822)
823. () البقرة : 235 [↑](#footnote-ref-823)
824. () آل عمران : 30 [↑](#footnote-ref-824)
825. () التخريج : صحيح ( السلسلة الصحيحة ج : 1 ، ص : 223 ، برقم : 109 ) [↑](#footnote-ref-825)
826. () البقرة : 255 [↑](#footnote-ref-826)
827. () التخريج : متفق عليه ( مشكاة المصابيح ج : 3 ، برقم : 5524 ) [↑](#footnote-ref-827)
828. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 8101 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-828)
829. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( سنن ابن ماجه ج : 2 ، ص : 1429 ، برقم 4275 ) [↑](#footnote-ref-829)
830. () الزمر : 23 [↑](#footnote-ref-830)
831. () أيسر التفاسير للجزائري ـ مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة، السعودية (5/ 259) [↑](#footnote-ref-831)
832. () أيسر التفاسير للجزائري ـ مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة، السعودية (5/ 143) [↑](#footnote-ref-832)
833. () مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد ـ دار الكتب العلمية - بيروت (2/ 446) [↑](#footnote-ref-833)
834. () تفسير القرطبي ـ دار الكتب المصرية - القاهرة (17/ 231) [↑](#footnote-ref-834)
835. () الحديد: 4 [↑](#footnote-ref-835)
836. () الأنعام : 59 [↑](#footnote-ref-836)
837. () الجاثية: 29 [↑](#footnote-ref-837)
838. () البقرة : من الآية 216 [↑](#footnote-ref-838)
839. () النحل : من الآية 78 [↑](#footnote-ref-839)
840. () الإسراء : من الآية 85 [↑](#footnote-ref-840)
841. () الزخرف : 9 [↑](#footnote-ref-841)
842. () فصلت: 22، 23 [↑](#footnote-ref-842)
843. () الهداية الى بلوغ النهاية (10/ 6507) [↑](#footnote-ref-843)
844. () التفسير القرآني للقرآن ـ دار الفكر العربي - القاهرة (16/ 1629) [↑](#footnote-ref-844)
845. () تفسير أبي السعود [ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ] ـ دار إحياء التراث العربي - بيروت (1/ 54) [↑](#footnote-ref-845)
846. () طـه : 105 [↑](#footnote-ref-846)
847. () غافر : من الآية 16 [↑](#footnote-ref-847)
848. () الفتح : من الآية 14 [↑](#footnote-ref-848)
849. () يونس : 66 [↑](#footnote-ref-849)
850. () النمل : 91 [↑](#footnote-ref-850)
851. () يونس : 31 [↑](#footnote-ref-851)
852. () الحديد : من الآية 7 [↑](#footnote-ref-852)
853. () النور : من الآية 33 [↑](#footnote-ref-853)
854. () القصص : 76 [↑](#footnote-ref-854)
855. () الصافات : 96 [↑](#footnote-ref-855)
856. () تفسير الطبري [ جامع البيان في تأويل القرآن ] ـ مؤسسة الرسالة ( ج : 21 ، ص : 70 ) [↑](#footnote-ref-856)
857. () الحج : من الآية 65 [↑](#footnote-ref-857)
858. () الجاثـية : 13 [↑](#footnote-ref-858)
859. () الواقعة : 63 ـ 72 [↑](#footnote-ref-859)
860. () الحديد : من الآية 20 [↑](#footnote-ref-860)
861. () بحوث لبعض النوازل الفقهية المعاصرة ( ج : 13 ، ص : 2 ) [↑](#footnote-ref-861)
862. () البقرة : من الآية 195 [↑](#footnote-ref-862)
863. () النساء : من الآية 29 [↑](#footnote-ref-863)
864. () يونس : 31 [↑](#footnote-ref-864)
865. () تفسير الطبري [ جامع البيان في تأويل القرآن ] ـ مؤسسة الرسالة (21 / 70) [↑](#footnote-ref-865)
866. () تحقيق الألباني : حسن ( انظر حديث رقم : 6086 في صحيح الجامع )‌ [↑](#footnote-ref-866)
867. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 4345 في صحيح الجامع )‌ [↑](#footnote-ref-867)
868. () البقرة : 251 [↑](#footnote-ref-868)
869. () البقرة : 258 [↑](#footnote-ref-869)
870. () النمل : 36 [↑](#footnote-ref-870)
871. () البقرة : من الآية 216 [↑](#footnote-ref-871)
872. () النحل : من الآية 78 [↑](#footnote-ref-872)
873. () الإسراء : من الآية 85 [↑](#footnote-ref-873)
874. () البقرة : 269 [↑](#footnote-ref-874)
875. () الأنعام : الآية 82 [↑](#footnote-ref-875)
876. () النحل : الآية 124 ـ 126 [↑](#footnote-ref-876)
877. () طه : من الآية 17 [↑](#footnote-ref-877)
878. () الفرقان : 43 [↑](#footnote-ref-878)
879. () القصص : من الآية 78 [↑](#footnote-ref-879)
880. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( سنن أبو داود ج : 3 ، ص : 193 ، برقم 3125 ) [↑](#footnote-ref-880)
881. () قال الشيخ الألباني : حسن ( سنن ابن ماجة ، ج : 2 ، ص : 1392 ، برقم 4158 ) [↑](#footnote-ref-881)
882. () تحقيق الألباني : صحيح ( صحيح الجامع : برقم 7997 ) [↑](#footnote-ref-882)
883. () تحقيق الألباني : صحيح ( صحيح الجامع : برقم 7032 ) [↑](#footnote-ref-883)
884. () البقرة : 156 [↑](#footnote-ref-884)
885. () تفسير ابن كثير ـ دار الكتب العلمية - بيروت (1 / 338) [↑](#footnote-ref-885)
886. () الطور : 35 [↑](#footnote-ref-886)
887. () الفاتحة : 4 [↑](#footnote-ref-887)
888. () النجم : 25 [↑](#footnote-ref-888)
889. () الصافات : 41 [↑](#footnote-ref-889)
890. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 5222 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-890)
891. () النساء: 147 [↑](#footnote-ref-891)
892. () إبراهيم: 7 [↑](#footnote-ref-892)
893. () الإنسان: 3 [↑](#footnote-ref-893)
894. () تحقيق الألباني : حسن ( انظر حديث رقم : 245 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-894)
895. () النور : 33 [↑](#footnote-ref-895)
896. () البقرة : 28 [↑](#footnote-ref-896)
897. () الزمر : 49 [↑](#footnote-ref-897)
898. () الزمر : 8 [↑](#footnote-ref-898)
899. () يونس : 22، 23 [↑](#footnote-ref-899)
900. () لقمان : 20 [↑](#footnote-ref-900)
901. () المؤمنون : 78 [↑](#footnote-ref-901)
902. () يونس : 31 [↑](#footnote-ref-902)
903. () الإنسان : 3 [↑](#footnote-ref-903)
904. () البقرة : من الآية 185 [↑](#footnote-ref-904)
905. () النساء : 27 [↑](#footnote-ref-905)
906. () إبراهيم :34 [↑](#footnote-ref-906)
907. () قال الشيخ الألباني : حسن ( جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 637 ، برقم 2458 ) [↑](#footnote-ref-907)
908. () الذاريات : 56 - 58 [↑](#footnote-ref-908)
909. () البقرة: 258 [↑](#footnote-ref-909)
910. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 8125 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-910)
911. () تاج العروس من جواهر القاموس ـ دار الهداية ( 36 / 322 ) [↑](#footnote-ref-911)
912. () العين ـ دار الهداية ( ج : 36 ، ص : 550 ) [↑](#footnote-ref-912)
913. () لسان العرب ـ دار صادر - بيروت ( ج : 13 ، ص : 561 ) [↑](#footnote-ref-913)
914. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 2362 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-914)
915. () التخريج : حسن ( صحيح الترغيب والترهيب ج : 3 ، برقم : 3380 ) [↑](#footnote-ref-915)
916. () تفسير الخازن ـ دار الكتب العلمية - بيروت ( 2 / 120 ) [↑](#footnote-ref-916)
917. () تفسير القرطبي ـ دار الكتب المصرية - القاهرة ( 6 / 393 ) [↑](#footnote-ref-917)
918. () تفسير الثعالبي ـ دار إحياء التراث العربي - بيروت ( ج : 21 ، ص : 447 ) [↑](#footnote-ref-918)
919. () تفسير روح المعاني ـ دار الكتب العلمية - بيروت ( ج : 7 ، ص : 107 ) [↑](#footnote-ref-919)
920. () الرعد : من الآية 13 [↑](#footnote-ref-920)
921. () الحلس هو كساء رقيق يوضع على ظهر البعير تحت السرج [↑](#footnote-ref-921)
922. () تحقيق الألباني : حسن ( انظر حديث رقم: 5864 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-922)
923. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 3147 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-923)
924. () النازعـات : 37 ـ 40 [↑](#footnote-ref-924)
925. () الكهف : 7 [↑](#footnote-ref-925)
926. () التخريج : صحيح ( مشكاة المصابيح ج : 2 ، برقم : 3086 ) [↑](#footnote-ref-926)
927. () السراج المنير ـ مطبعة بولاق ( الأميرية ) - القاهرة ( ج : 2 ، ص : 492 ـ 493 ) [↑](#footnote-ref-927)
928. () الصافات : 35 [↑](#footnote-ref-928)
929. () يّـس : 77 [↑](#footnote-ref-929)
930. () تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل (3/ 321) [↑](#footnote-ref-930)
931. () المؤمنون : 115 [↑](#footnote-ref-931)
932. () فاطر: 5 [↑](#footnote-ref-932)
933. () الأنعام: 70 [↑](#footnote-ref-933)
934. () الأنعام: 130 [↑](#footnote-ref-934)
935. () الأعراف: 50، 51 [↑](#footnote-ref-935)
936. () لقمان: 33 [↑](#footnote-ref-936)
937. () الجاثية: 34، 35 [↑](#footnote-ref-937)
938. () تفسير القرطبي (4/ 302) [↑](#footnote-ref-938)
939. () قال الشيخ الألباني: حسن ( جامع الترمذي ، ج : 5 ، ص : 232 ، برقم : 3013 ) [↑](#footnote-ref-939)
940. () تفسير ابن كثير ط العلمية (8/ 57) [↑](#footnote-ref-940)
941. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 2148 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-941)
942. () التخريج : حسن صحيح الترغيب والترهيب ج : 3 ، برقم : 3340 [↑](#footnote-ref-942)
943. () فيض القدير شرح الجامع الصغير - المكتبة التجارية الكبرى - مصر (4 / 229) [↑](#footnote-ref-943)
944. () النور : 21 [↑](#footnote-ref-944)
945. () إبراهيم : من الآية 22 [↑](#footnote-ref-945)
946. () البقرة : من الآية 35 [↑](#footnote-ref-946)
947. () طـه : 120 [↑](#footnote-ref-947)
948. () الأعراف : من الآية 27 [↑](#footnote-ref-948)
949. () الحديد : من الآية 20 [↑](#footnote-ref-949)
950. () فاطر: من الآية 5 [↑](#footnote-ref-950)
951. () التخريج : صحيح ( جامع الترمذي ج : 3 ، ص : 464 ، برقم : 1158 ) [↑](#footnote-ref-951)
952. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 552 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-952)
953. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 1939 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-953)
954. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( جامع الترمذي ج : 5 ، ص : 15 ، برقم 2625 ) [↑](#footnote-ref-954)
955. () حديث صحيح ( صحيح الجامع برقم 534) [↑](#footnote-ref-955)
956. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 7080 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-956)
957. () التخريج : حسن صحيح ( صحيح الترغيب والترهيب ، ج : 2 ، برقم : 1939) والقتب هو الرحل الذي يوضع حول سنام البعير تحت الراكب [↑](#footnote-ref-957)
958. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 1939 في صحيح الجامع )‌‌ [↑](#footnote-ref-958)
959. () البقرة : 25 [↑](#footnote-ref-959)
960. () طـه : 120 [↑](#footnote-ref-960)
961. () الإسراء : من الآية 32 [↑](#footnote-ref-961)
962. () تحقيق الألباني : حسن ( صحيح الجامع برقم 2195 ) [↑](#footnote-ref-962)
963. () التخريج : صحيح ( صحيح الترغيب والترهيب ، ج : 2 ، برقم 2151 ) [↑](#footnote-ref-963)
964. () تحقيق الألباني : صحيح ( صحيح الجامع برقم : 5674 ) [↑](#footnote-ref-964)
965. () متفق عليه ( مشكاة المصابيح ج 3 ، برقم 5271 ) [↑](#footnote-ref-965)
966. () صحيح الجامع ( 8173 ) [↑](#footnote-ref-966)
967. () صحيح الجامع ( 8174 ) [↑](#footnote-ref-967)
968. () تحقيق الألباني : ( صحيح ) : ( صحيح الجامع برقم 6624 ) [↑](#footnote-ref-968)
969. () تحقيق الألباني : ( صحيح ) : ( صحيح الجامع برقم 1781 ) [↑](#footnote-ref-969)
970. () الحشر : من الآية 9 [↑](#footnote-ref-970)
971. () تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (10/ 602) [↑](#footnote-ref-971)
972. () أوضح التفاسير (1/ 668) [↑](#footnote-ref-972)
973. () تحقيق الألباني : حسن ( انظر حديث رقم : 6042 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-973)
974. () التخريج : صحيح ( مشكاة المصابيح ج : 3 ، برقم : 5169 ) [↑](#footnote-ref-974)
975. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 2384 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-975)
976. () يريد أنهم لا ينتفعون بها وإنما يقتصرون على النظر إليها ، وليس في النظر نفع على الحقيقة . [↑](#footnote-ref-976)
977. () الزهد والرقائق لابن المبارك ـ دار الكتب العلمية - بيروت ( ج : 1 ، ص : 210 ) [↑](#footnote-ref-977)
978. () تحقيق الألباني : صحيح ( صحيح الجامع ، برقم 7816 ) [↑](#footnote-ref-978)
979. () التخريج : صحيح ( صحيح الترغيب والترهيب ج : 3 ، برقم : 3169 ) [↑](#footnote-ref-979)
980. () المنافقون: 9 [↑](#footnote-ref-980)
981. () العنكبوت : من الآية 3 [↑](#footnote-ref-981)
982. () العنكبوت : 11 [↑](#footnote-ref-982)
983. () المؤمنون : 115 [↑](#footnote-ref-983)
984. () الحديد : من الآية 21 [↑](#footnote-ref-984)
985. () المطففين : من الآية 26 [↑](#footnote-ref-985)
986. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 3147 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-986)
987. () تفسير الشعراوي (10/ 6420) [↑](#footnote-ref-987)
988. () الإسراء: 107 - 109 [↑](#footnote-ref-988)
989. () الأعراف : 59 [↑](#footnote-ref-989)
990. () البقرة : 34 [↑](#footnote-ref-990)
991. () الصافات : 35 [↑](#footnote-ref-991)
992. () البقرة : من الآية 165 [↑](#footnote-ref-992)
993. () الشعراء : 98 [↑](#footnote-ref-993)
994. () الزمر : 45 [↑](#footnote-ref-994)
995. () محمد : 9 [↑](#footnote-ref-995)
996. () النازعات : 40، 41 [↑](#footnote-ref-996)
997. () البينة : 8 [↑](#footnote-ref-997)
998. () الشورى : 18 [↑](#footnote-ref-998)
999. () الطور : 26، 27 [↑](#footnote-ref-999)
1000. () الأعراف : 154 [↑](#footnote-ref-1000)
1001. () فاطر : 18 [↑](#footnote-ref-1001)
1002. () الأنعام : 51 [↑](#footnote-ref-1002)
1003. () ق : 45 [↑](#footnote-ref-1003)
1004. () يس : 11 [↑](#footnote-ref-1004)
1005. () طه : 2، 3 [↑](#footnote-ref-1005)
1006. () الأعلى : 10 [↑](#footnote-ref-1006)
1007. () النازعـات : 45 [↑](#footnote-ref-1007)
1008. () النازعات : 19 [↑](#footnote-ref-1008)
1009. () تفسير ابن كثير ـ دار طيبة للنشر والتوزيع ( ج : 8 ، ص 318 ) [↑](#footnote-ref-1009)
1010. () زاد المسير ـ دار الكتاب العربي - بيروت ( ج : 4 ، ص : 398 ) [↑](#footnote-ref-1010)
1011. () هود : 103 [↑](#footnote-ref-1011)
1012. () النازعات : 26 [↑](#footnote-ref-1012)
1013. () المدثر : 53 [↑](#footnote-ref-1013)
1014. () الفرقان : من الآية 40 [↑](#footnote-ref-1014)
1015. () النبأ : 27 [↑](#footnote-ref-1015)
1016. () يونس : 7 ، 8 [↑](#footnote-ref-1016)
1017. () العنكبوت : من الآية 36 [↑](#footnote-ref-1017)
1018. () تفسير النسفي ـ دار الكلم الطيب، بيروت ( ج : 2 ، ص : 82 ) [↑](#footnote-ref-1018)
1019. () مريم : 72 [↑](#footnote-ref-1019)
1020. () التوبة : 67 [↑](#footnote-ref-1020)
1021. () مجموع الفتاوى ـ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة النبوية ( ج : 7 ، ص : 529 ) [↑](#footnote-ref-1021)
1022. () مجموع الفتاوى ـ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة النبوية ( ج : 7 ، ص : 307 ) [↑](#footnote-ref-1022)
1023. () الاستقامة ـ لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ الناشر : جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة ( ج : 1 ، ص : 260 ) [↑](#footnote-ref-1023)
1024. () مدارج السالكين ـ دار الكتاب العربي - بيروت ( ج 3 ، ص : 26 ) [↑](#footnote-ref-1024)
1025. () الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ـ دار العاصمة، السعودية ( ج : 6 ، ص : 36 ) [↑](#footnote-ref-1025)
1026. () الاستقامة لابن تيمية ـ الناشر : جامعة الإمام محمد بن سعود ـ المدينة المنورة ( ج : 1 ، ص : 145 ) [↑](#footnote-ref-1026)
1027. () مجموع الفتاوى ـ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة النبوية ( ج : 7 ، ص : 529 ) [↑](#footnote-ref-1027)
1028. () عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم الجوزية ـ دار الكتب العلمية - بيروت ( ج : 1 ، ص : 109 ) [↑](#footnote-ref-1028)
1029. () الصلاة وأحكام تاركها ـ لابن القيم الجوزية ـ مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة ( ج : 1 ، ص : 56 ) [↑](#footnote-ref-1029)
1030. () معارج القبول ـ دار ابن القيم - الدمام ( ج : 2 ، ص : 594 ) [↑](#footnote-ref-1030)
1031. () مدارج السالكين ـ دار الكتاب العربي - بيروت ( ج : 1 ، ص : 339 ) [↑](#footnote-ref-1031)
1032. () الحجرات : من الآية 7 [↑](#footnote-ref-1032)
1033. () بناء الإيمان من خلال القرآن ـ مجدي الهلالي ـ مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ( ص : 9 ، 10) [↑](#footnote-ref-1033)
1034. () الشورى : 11 [↑](#footnote-ref-1034)
1035. () البقرة : من الآية 165‌ [↑](#footnote-ref-1035)
1036. () البقرة : من الآية 165‌ [↑](#footnote-ref-1036)
1037. () تفسير الرازي [ مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ] ـ دار إحياء التراث العربي - بيروت ( ج : 29 ، ص : 514 ) [↑](#footnote-ref-1037)
1038. () قال الشيخ الألباني : حسن ( جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 603 ، برقم 2402) [↑](#footnote-ref-1038)
1039. () المنافقون : من الآية 8 [↑](#footnote-ref-1039)
1040. () الأنعام :162 [↑](#footnote-ref-1040)
1041. () التخريج : صحيح ( ظلال الجنة ج : 1 ، برقم 424 ) [↑](#footnote-ref-1041)
1042. () الرعد : 28 [↑](#footnote-ref-1042)
1043. () النازعات: 37 - 39 [↑](#footnote-ref-1043)
1044. () إبراهيم: 3 [↑](#footnote-ref-1044)
1045. () النحل: 107 [↑](#footnote-ref-1045)
1046. () تحقيق الألباني : صحيح ( صحيح الجامع برقم : 1507 ) [↑](#footnote-ref-1046)
1047. () الإنسان : 10 [↑](#footnote-ref-1047)
1048. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 5860 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-1048)
1049. () التخريج : صحيح ( تخريج الطحاوية ، ص : 377 ) [↑](#footnote-ref-1049)
1050. () البقرة : 44 [↑](#footnote-ref-1050)
1051. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 5837 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-1051)
1052. () الأنبياء : 14، 15 [↑](#footnote-ref-1052)
1053. () الصف : 2 [↑](#footnote-ref-1053)
1054. () العنكبوت : من الآية 3 [↑](#footnote-ref-1054)
1055. () العنكبوت : 11 [↑](#footnote-ref-1055)
1056. () مدارج السالكين ـ دار الكتاب العربي - بيروت ( 1 / 142 ) [↑](#footnote-ref-1056)
1057. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 5860 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-1057)
1058. () تفسير السعدي ـ مؤسسة الرسالة ( 1 / 358) [↑](#footnote-ref-1058)
1059. () التفسير المنير للزحيلي ـ دار الفكر المعاصر - دمشق (20/ 186) [↑](#footnote-ref-1059)
1060. () تفسير أبي السعود [ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ] دار إحياء التراث العربي - بيروت (7/ 39) [↑](#footnote-ref-1060)
1061. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 620 ، برقم : 2431 ) [↑](#footnote-ref-1061)
1062. () الفرقان : 40 [↑](#footnote-ref-1062)
1063. () الفرقان : 21 [↑](#footnote-ref-1063)
1064. () المعارج : 5 ـ 7 [↑](#footnote-ref-1064)
1065. () تفسير أبي السعود دار إحياء التراث العربي - بيروت ( 7 / 39 ) [↑](#footnote-ref-1065)
1066. () الكهف : 110 [↑](#footnote-ref-1066)
1067. () العنكبوت : 5 [↑](#footnote-ref-1067)
1068. () أيسر التفاسير للجزائري مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة، السعودية (2/ 450) [↑](#footnote-ref-1068)
1069. () التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ـ شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت ( 1 / 353 ) [↑](#footnote-ref-1069)
1070. () البحر المديد ـ الناشر : الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة ( 2 / 452 ) [↑](#footnote-ref-1070)
1071. () يونس : 15 [↑](#footnote-ref-1071)
1072. () الفرقان : 40 [↑](#footnote-ref-1072)
1073. () النبأ : 27 [↑](#footnote-ref-1073)
1074. () نوح : 13 [↑](#footnote-ref-1074)
1075. () تفسير القرطبي [ الجامع لأحكام القرآن ] ـ دار الكتب المصرية - القاهرة ( ج : 16 ، ص : 179 ) [↑](#footnote-ref-1075)
1076. () تفسير الطبري [ جامع البيان في تأويل القرآن ] ـ مؤسسة الرسالة ( ج : 17 ، ص : 1 ) [↑](#footnote-ref-1076)
1077. () إحياء علوم الدين ـ دار المعرفة - بيروت ( ج : 4 ، ص : 451 ) [↑](#footnote-ref-1077)
1078. () العنكبوت : 5 [↑](#footnote-ref-1078)
1079. () الزمر : 30 [↑](#footnote-ref-1079)
1080. () تفسير النيسابوري [ غرائب القرآن ورغائب الفرقان ] ـ دار الكتب العلمية - بيروت ( ج : 4 ، ص : 153 ) [↑](#footnote-ref-1080)
1081. () تفسير الرازي [ مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ] ـ دار إحياء التراث العربي - بيروت ( 15 / 443 ) [↑](#footnote-ref-1081)
1082. () تفسير الرازي [ مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ] ـ دار إحياء التراث العربي - بيروت ( ج : 3 ، ص : 482 ) [↑](#footnote-ref-1082)
1083. () إبراهيم : 14 [↑](#footnote-ref-1083)
1084. () تفسير البغوي [ معالم التنزيل في تفسير القرآن ] ـ دار إحياء التراث العربي - بيروت ( ج : 5 ، ص : 156 ) [↑](#footnote-ref-1084)
1085. () بحر العلوم للسمرقندي ( ج : 2 ، ص : 424 ) [↑](#footnote-ref-1085)
1086. () تفسير النيسابوري [ غرائب القرآن ورغائب الفرقان ] ـ دار الكتب العلمية - بيروت ( ج : 6 ، ص : 179 ) [↑](#footnote-ref-1086)
1087. () تفسير ابن كثير ـ دار طيبة للنشر والتوزيع ( ج : 5 ، ص : 266 ) [↑](#footnote-ref-1087)
1088. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( سنن ابن ماجة ج : 2، ص : 1101 ، برقم : 3312 ) [↑](#footnote-ref-1088)
1089. () فاطر : 18 [↑](#footnote-ref-1089)
1090. () الأنعام : 51 [↑](#footnote-ref-1090)
1091. () ق : 45 [↑](#footnote-ref-1091)
1092. () يس : 11 [↑](#footnote-ref-1092)
1093. () طه : 2، 3 [↑](#footnote-ref-1093)
1094. () الأعلى : 10 [↑](#footnote-ref-1094)
1095. () النازعـات : 45 [↑](#footnote-ref-1095)
1096. () النازعات : 45 [↑](#footnote-ref-1096)
1097. () النازعات : 19 [↑](#footnote-ref-1097)
1098. () المدثر : 53 [↑](#footnote-ref-1098)
1099. () الفرقان : من الآية 40 [↑](#footnote-ref-1099)
1100. () النبأ : 27 [↑](#footnote-ref-1100)
1101. () العنكبوت : من الآية 36 [↑](#footnote-ref-1101)
1102. () تفسير النسفي ـ دار الكلم الطيب، بيروت ( ج : 2 ، ص : 82 ) [↑](#footnote-ref-1102)
1103. () شعب الإيمان للبيهقي ـ مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض ( ج : 2 ، ص : 290 ) [↑](#footnote-ref-1103)
1104. () تفسير الرازي [ مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ] ـ دار إحياء التراث العربي - بيروت ( ج : 20 ، ص : 218 ) [↑](#footnote-ref-1104)
1105. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( جامع الترمذي ج : 5 ، ص : 402 ، برقم : 3297 ) [↑](#footnote-ref-1105)
1106. () طـه : 105 [↑](#footnote-ref-1106)
1107. () الأعراف : 116 [↑](#footnote-ref-1107)
1108. () الزمر : من الآية 23 [↑](#footnote-ref-1108)
1109. () تفسير البحر المديد ـ الناشر : الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة ( 3 / 4 ) [↑](#footnote-ref-1109)
1110. () تفسير ابن كثير ـ دار طيبة للنشر والتوزيع ( ج : 7 ، ص : 468 ) [↑](#footnote-ref-1110)
1111. () تفسير القرطبي ـ دار الكتب المصرية - القاهرة ( ج : 17 ، ص : 124 ) [↑](#footnote-ref-1111)
1112. () أيسر التفاسير للجزائري مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة، السعودية ( ج 4 ، ص : 314 ) [↑](#footnote-ref-1112)
1113. () المؤمنون : 60 [↑](#footnote-ref-1113)
1114. () البقرة : من الآية 40 [↑](#footnote-ref-1114)
1115. () تفسير الرازي ( ج 9 ، ص : 400 ، 401 ) [↑](#footnote-ref-1115)
1116. () بحر العلوم للسمرقندي ( ج : 2 ، ص : 467 ) [↑](#footnote-ref-1116)
1117. () البحر المديد ـ الناشر : الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة ( ج : 3 ، ص : 269 ) [↑](#footnote-ref-1117)
1118. () تفسير الألوسي ( ج : 10 ، ص : 193 ) [↑](#footnote-ref-1118)
1119. () الرعد : من الآية 13 [↑](#footnote-ref-1119)
1120. () الحلس هو كساء رقيق يوضع على ظهر البعير تحت السرج [↑](#footnote-ref-1120)
1121. () السلسلة الصحيحة ( 2289 ) [↑](#footnote-ref-1121)
1122. () الوسيط لسيد طنطاوي ـ دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة ( ج : 1 ، ص : 3753 ) [↑](#footnote-ref-1122)
1123. () الحشر : من الآية 21 [↑](#footnote-ref-1123)
1124. () فتح القدير للشوكاني ـ دار ابن كثير- دمشق ( ج : 4 ، ص : 461 ) [↑](#footnote-ref-1124)
1125. () تفسير القرطبي ـ دار الكتب المصرية - القاهرة ( ج : 14 ، ص : 295 ) [↑](#footnote-ref-1125)
1126. () تفسير الطبري ـ مؤسسة الرسالة ( ج : 20 ، ص : 397 ) [↑](#footnote-ref-1126)
1127. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 1860 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-1127)
1128. () الأعراف : 143 [↑](#footnote-ref-1128)
1129. () الأعراف : من الآية 143 [↑](#footnote-ref-1129)
1130. () تفسير المحرر الوجيز ـ دار الكتب العلمية - بيروت ( ج : 2 ، ص : 256 ) [↑](#footnote-ref-1130)
1131. () تفسير النيسابوري ـ دار الكتب العلمية - بيروت ( ج : 5 ، ص : 355 ) [↑](#footnote-ref-1131)
1132. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( سنن النسائي ج : 4 ، ص : 114 ، برقم : 2084 ) [↑](#footnote-ref-1132)
1133. () أيسر التفاسير للجزائري مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة، السعودية ( ج :4 ، ص : 62 ) [↑](#footnote-ref-1133)
1134. () تفسير الخازن ـ دار الكتب العلمية - بيروت ( ج 5 ، ص : 402 ) [↑](#footnote-ref-1134)
1135. () تفسير الخازن ـ دار الكتب العلمية - بيروت ( ج 4 ، ص : 355 ) [↑](#footnote-ref-1135)
1136. () النهاية في غريب الأثر ـ المكتبة العلمية - بيروت ( 1 / 62 ) [↑](#footnote-ref-1136)
1137. () غريب الحديث لابن قتيبة ـ مطبعة العاني - بغداد ( 3 / 728 ـ 728 ) [↑](#footnote-ref-1137)
1138. () تاج العروس من جواهر القاموس ـ دار الهداية (36 / 322 ) [↑](#footnote-ref-1138)
1139. () النهاية في غريب الأثر ـ المكتبة العلمية - بيروت ( 1 / 62 ) [↑](#footnote-ref-1139)
1140. () الحديد : من الآية 20 [↑](#footnote-ref-1140)
1141. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( سنن ابن ماجة ، ج : 2 ، ص : 1376 ، برقم : 4110 ) [↑](#footnote-ref-1141)
1142. () نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ـ دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ( ج : 6 ، ص : 35 ) [↑](#footnote-ref-1142)
1143. () الأخلاق والسير ـ دار الآفاق الجديدة - بيروت ( ج : 1 ، ص : 8 ) [↑](#footnote-ref-1143)
1144. () يّـس : 77 [↑](#footnote-ref-1144)
1145. () الإنسان : 1 [↑](#footnote-ref-1145)
1146. () نظم الدرر للبقاعي ـ دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ( ج : 19 ، ص : 460 ) [↑](#footnote-ref-1146)
1147. () مجموع الفتاوى ـ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة النبوية ( 1 / 94 ) [↑](#footnote-ref-1147)
1148. () مدارج السالكين ـ دار الكتاب العربي - بيروت ( 3 / 352 ) [↑](#footnote-ref-1148)
1149. () المؤمنون: 76 [↑](#footnote-ref-1149)
1150. () الأنبياء : 23 [↑](#footnote-ref-1150)
1151. () الفرقان : 43 [↑](#footnote-ref-1151)
1152. () العلق : 6 ، 7 [↑](#footnote-ref-1152)
1153. () سورة النحل : 53 ـ 55 [↑](#footnote-ref-1153)
1154. () يونس : 22 [↑](#footnote-ref-1154)
1155. () الإيمان أولا ـ د. مجدي الهلالي ـ دار التوزيع والنشر الإسلامية ( ص : 18 ) [↑](#footnote-ref-1155)
1156. () التخريج : صحيح ( السلسلة الصحيحة ، ج : 7 ، برقم : 3019 ) [↑](#footnote-ref-1156)
1157. () مدارج السالكين ـ دار الكتاب العربي - بيروت ( 3 / 352 ) [↑](#footnote-ref-1157)
1158. () الأنعام : 162 [↑](#footnote-ref-1158)
1159. () الزمر : 42 [↑](#footnote-ref-1159)
1160. () الأنبياء : 23 [↑](#footnote-ref-1160)
1161. () التخريج : صحيح ( السلسلة الصحيحة : ج : 4 ، ص : 215 ، برقم : 1658 ) [↑](#footnote-ref-1161)
1162. () البقرة : 156 [↑](#footnote-ref-1162)
1163. () تفسير ابن كثير ـ دار الكتب العلمية - بيروت (1 / 338) [↑](#footnote-ref-1163)
1164. () الفتح : 14 [↑](#footnote-ref-1164)
1165. () الأنبياء : 23 [↑](#footnote-ref-1165)
1166. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( سنن ابن ماجه ج : 1 ، ص : 29 ، برقم 77 ) [↑](#footnote-ref-1166)
1167. () البينة : 8 [↑](#footnote-ref-1167)
1168. () يونس : 7 ، 8 [↑](#footnote-ref-1168)
1169. () الطور : 35 [↑](#footnote-ref-1169)
1170. () الفاتحة : 5 [↑](#footnote-ref-1170)
1171. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 4345 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-1171)
1172. () النحل : 78 [↑](#footnote-ref-1172)
1173. () التفسير القيم لابن القيم ـ دار ومكتبة الهلال - بيروت ( ج : 1 ، ص : 76 ) [↑](#footnote-ref-1173)
1174. () شعب الإيمان للبيهقي ـ مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض ( ج : 2 ، ص : 456 ) [↑](#footnote-ref-1174)
1175. () حديث صحيح ( جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 567 ، برقم 2333 ) [↑](#footnote-ref-1175)
1176. () التخريج : صحيح ( صحيح الترغيب والترهيب ج : 3 ، برقم : 3283 ) [↑](#footnote-ref-1176)
1177. () يونس : 7 ، 8 [↑](#footnote-ref-1177)
1178. () هود : 15، 16 [↑](#footnote-ref-1178)
1179. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 562 ، برقم 2324 ) [↑](#footnote-ref-1179)
1180. () البقرة: 86 [↑](#footnote-ref-1180)
1181. () الأنبياء : 23 [↑](#footnote-ref-1181)
1182. () آل عمران : 92 [↑](#footnote-ref-1182)
1183. () غافر : 83 [↑](#footnote-ref-1183)
1184. () مفاتيح الغيب ـ دار إحياء التراث العربي - بيروت ( ج : 27 ، ص : 535 ) [↑](#footnote-ref-1184)
1185. () التفسير القرآني للقرآن ـ دار الفكر العربي - القاهرة ( ج : 12 ، ص : 1269 ) [↑](#footnote-ref-1185)
1186. () الملك : من الآية 20 [↑](#footnote-ref-1186)
1187. () البقرة : من الآية 212 [↑](#footnote-ref-1187)
1188. () محمد : 14 [↑](#footnote-ref-1188)
1189. () فاطر : 5 [↑](#footnote-ref-1189)
1190. () الأعراف : 59 [↑](#footnote-ref-1190)
1191. () تفسير السمعاني دار الوطن، الرياض (5 / 279) [↑](#footnote-ref-1191)
1192. () أيسر التفاسير للجزائري مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة (5 / 182) [↑](#footnote-ref-1192)
1193. () التوبة : 67 [↑](#footnote-ref-1193)
1194. () الملك : 10 [↑](#footnote-ref-1194)
1195. () الأعراف : 59 [↑](#footnote-ref-1195)
1196. () البقرة : من الآية 165‌ [↑](#footnote-ref-1196)
1197. () الأنبياء : من الآية 2،3 [↑](#footnote-ref-1197)
1198. () تفسير البغوي [ معالم التنزيل في تفسير القرآن ] ـ دار إحياء التراث العربي - بيروت (2/ 190) [↑](#footnote-ref-1198)
1199. () الفرقان : 43 [↑](#footnote-ref-1199)
1200. () الجاثـية : من الآية 23 [↑](#footnote-ref-1200)
1201. () القصص :50 [↑](#footnote-ref-1201)
1202. () طـه : 16 [↑](#footnote-ref-1202)
1203. () الكهف : من الآية 28 [↑](#footnote-ref-1203)
1204. () تفسير القرطبي [ الجامع لأحكام القرآن ] ـ دار الكتب المصرية - القاهرة ( ج : 13 ، ص : 35 ) [↑](#footnote-ref-1204)
1205. () تفسير الطبري [ جامع البيان في تأويل القرآن ] ـ مؤسسة الرسالة ( ج : 19 ، ص : 274 ) [↑](#footnote-ref-1205)
1206. () تفسير ابن كثير ـ دار طيبة للنشر والتوزيع ( ج : 6 ، ص : 113 ) [↑](#footnote-ref-1206)
1207. () تفسير النسفي ـ دار الكلم الطيب، بيروت ( ج : 2 ، ص : 539 ) [↑](#footnote-ref-1207)
1208. () تفسير الطبري [ الطبري جامع البيان في تأويل القرآن ] ـ مؤسسة الرسالة ( ج : 22 ، ص : 76 ) [↑](#footnote-ref-1208)
1209. () البقرة : من الآية 165 [↑](#footnote-ref-1209)
1210. () الشعراء : 98 [↑](#footnote-ref-1210)
1211. () الأنعام : 1 [↑](#footnote-ref-1211)
1212. () إبراهيم : من الآية 3 [↑](#footnote-ref-1212)
1213. () القيامة : 20 [↑](#footnote-ref-1213)
1214. () الإنسان : 27 [↑](#footnote-ref-1214)
1215. () النحل : 107 [↑](#footnote-ref-1215)
1216. () ابراهيم : 2 ، 3 [↑](#footnote-ref-1216)
1217. () النازعات : 37 - 41 [↑](#footnote-ref-1217)
1218. () الأعلى : 16 [↑](#footnote-ref-1218)
1219. () مدارج السالكين ـ دار الكتاب العربي - بيروت ( 3 / 21 ) [↑](#footnote-ref-1219)
1220. () الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ـ دار العاصمة ـ الرياض ( ج : 6 ، ص : 31 ـ 32 ) [↑](#footnote-ref-1220)
1221. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 2962 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-1221)
1222. () التخريج : صحيح ( صحيح الترغيب والترغيب ج : 3 ، برقم : 3219 ) [↑](#footnote-ref-1222)
1223. () إحياء علوم الدين ـ دار المعرفة - بيروت (3 / 203) [↑](#footnote-ref-1223)
1224. () صفة الصفوة ـ دار الحديث، القاهرة (1 / 120) [↑](#footnote-ref-1224)
1225. () فصلت : من الآية 15 [↑](#footnote-ref-1225)
1226. () إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ـ مكتبة المعارف، الرياض ( ج :1 ، ص : 9 ) [↑](#footnote-ref-1226)
1227. () تاج العروس من جواهر القاموس ـ دار الهداية ( 36 / 322 ) [↑](#footnote-ref-1227)
1228. () العين ـ دار ومكتبة الهلال ( ج : 4 ، ص : 88 ) [↑](#footnote-ref-1228)
1229. () لسان العرب ـ دار صادر - بيروت ( ج 13 ، ص : 561 ) [↑](#footnote-ref-1229)
1230. () الذريات : 56 ، 57 [↑](#footnote-ref-1230)
1231. () سـبأ : 37 [↑](#footnote-ref-1231)
1232. () التخريج : صحيح ( صحيح الترغيب والترهيب ج : 3 ، برقم : 3166 ) [↑](#footnote-ref-1232)
1233. () التخريج : صحيح ( صحيح الترغيب والترهيب ج : 3 ، برقم 3165 ) [↑](#footnote-ref-1233)
1234. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 7323 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-1234)
1235. () تحقيق الألباني : حسن ( انظر حديث رقم : 1630 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-1235)
1236. () تحقيق الألباني : حسن ( صحيح الجامع برقم 5240 ) [↑](#footnote-ref-1236)
1237. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 2085 في صحيح الجامع )‌ [↑](#footnote-ref-1237)
1238. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 6010 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-1238)
1239. () المنافقون : 9 [↑](#footnote-ref-1239)
1240. () البقرة : 170 [↑](#footnote-ref-1240)
1241. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 6010 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-1241)
1242. () الحديد: 13، 14 [↑](#footnote-ref-1242)
1243. () القصص : من الآية 78 [↑](#footnote-ref-1243)
1244. () تحقيق الألباني : صحيح ( انظر حديث رقم : 1584 في صحيح الجامع ) [↑](#footnote-ref-1244)
1245. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( سنن ابن ماجة ، ج : 1 ، ص : 23 ، رقم : 61 ) [↑](#footnote-ref-1245)
1246. () التخريج : صحيح ( صحيح الترغيب والترهيب برقم 3283 ) [↑](#footnote-ref-1246)
1247. () قال الشيخ الألباني : صحيح ( سنن ابن ماجة ج : 2 ، ص : 1393 ، برقم : 4160 ) [↑](#footnote-ref-1247)
1248. () صيد الخاطر ـ دار القلم - دمشق (1 / 447) [↑](#footnote-ref-1248)
1249. () الرعد : من الآية 11 [↑](#footnote-ref-1249)
1250. () البلد : 4 [↑](#footnote-ref-1250)
1251. () الشعراء: 88، 89 [↑](#footnote-ref-1251)
1252. () صّ : 67 ، 68 [↑](#footnote-ref-1252)
1253. () غافر : من الآية 44 [↑](#footnote-ref-1253)